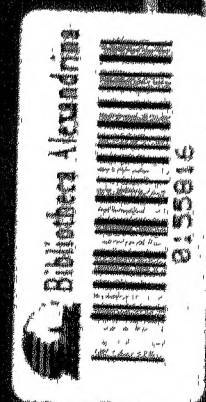


بطرس البستاني

أدباء العرب

مُنْتَخَبَات

تقديم د. راجييل بيوت. بنان



الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

رقم التصنيف

رقم التسجيل ٧٥٠٠٩

بَطْرَرُ الْبَيْتَانِي

مُتَنَفِّياتُ

أَدَبَاءُ الْعَرَبِ

فِي الْأَعْيُصِرِ الْقُبَايِسِيِّ

طبعة جديدة منقحة ، مشروحة ، مفهرسة

دار مارون عبود

الحقوق محفوظة للمؤلف

المصر العباسي الاول

بشار بن برد (٧١٤ - ٧٨٤ م و ٩٦ - ١٦٨ هـ)

ابو العتاهية (٧٤٨ - ٨٢٦ م و ١٣٠ - ٢١٠ هـ)

ابو نواس (٧٦٢ - ٨١٤ م و ١٤٥ - ١٩٩ هـ (؟))

ابو تمام (٧٨٨ - ٨٤٥ م و ١٧٢ - ٢٣١ هـ (؟))

دعبل (٧٦٥ - ٨٦٠ م و ١٤٨ - ٢٤٦ هـ)

ابن المقفع (٧٢٤ - ٧٥٩ م و ١٠٦ - ١٤٢ هـ)

بشار بن برد

الهجاء

هجاء أبي جعفر المنصور

كان بشار مبعداً عن البصرة عندما ثار فيها إبراهيم بن عبد الله العلوي يريد الخلافة لأخيه محمد الثائر في المدينة ، فأرسل الشاعر إلى إبراهيم بهذه القصيدة من الكوفة يهجو بها أبا جعفر المنصور ويعرض على قتله ويضم إلى ذلك أبياتاً يمدح بها الثائر ويشير عليه :

أبا جعفر ! ما طولُ عيشٍ بدائمٍ ؛ ولا سالمٌ ، عمّا قليلٍ ، بسالمٍ
على الملكِ الجبّارِ يفتَحُ الردى ، ويصرّعهُ في المأزقِ المتلاحِمِ¹
كأنّك لم تسمعْ بقتلِ مُتَوَجِّعٍ عظيمٍ ، ولم تسمعْ بفتكِ الأعاجِمِ
تقسّمَ كيسرى رهطهُ بسيوفِهِمْ² ، وأمسى أبو العباسِ أحلامَ نائمٍ³
وقد كانَ لا يتخشّى انقلابَ مكيدةٍ عليه ، ولا جريَ النحوسِ الأشائمِ⁴
مُقيماً على اللداتِ ، حتى بدتْ لهُ وجوهُ المتأيا حاسراتِ العمايمِ⁵
وقد تردُّ الأيامُ غُرّاً ، وربّما ورَدَنَ كلُّوحاً ، بادياتِ الشكائمِ⁶

- ١ المأزق : المضيق . المتلاحم : المتلاصق بالمتحاربين .
- ٢ تقسم : قطع . رهطه : قومه . أبو العباس : كنية الوليد بن يزيد . مات مقتولاً متهماً بالكفر والمجون.
- ٣ الأشائم : جمع الأشأم أي الكثير الشؤم .
- ٤ حاسرات العمايم : كاشفات الرؤوس . كناية عن وقوع الشر .
- ٥ غرّاً : ييضاً مشرقة ، من غرة الجواد . كلوحاً أي كالحة : عابسة مكشّرة بادية الأسنان . الشكائم : جمع الشكيمة وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس . شبه الأيام بالخيل العابسة البادية الشكائم لتكثيرها ، وهي في حالة الضيق والشدّة .

ومروان قد دارت على رأسه الرحي ، وكان ، لِمَا أجمت ، نَزَرَ الجرائم^١
 فأصبحت تجري سادراً في طريقهم ، ولا تَنَقِي أشباه تلك النقايم^٢
 تجردت للإسلام تغفو طريقته ، وتُعري مطاهُ لليوثِ الضراغم^٣
 فما زلت ، حتى استنصر الدينُ أهلهُ عليك ، فعاذوا بالسيفِ الصوارم^٤
 فرمَ وزراً يُنجيك يا ابنَ سلامة ، فلست بناجٍ من مضمٍ وضائم^٥
 لحا الله قوماً رأسوك عليهم ، وما زلت مَرُوساً خبيث المطاعم^٦
 أقولُ لبسام ، عليه جلالةُ ، غداً أريحياً عاشقاً للمكارم^٧
 من الفاطميين الدعاة إلى الهدى جِهاراً ، ومن يهديك مثلُ ابنِ فاطم^٨
 سراجٌ لعين المستضيء ، وتارةً يكونُ ظلاماً للعدو المراحم^٩
 إذا بَلَغَ الرأيُ المشورةَ ، فاستعين برأيِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازم^{١٠}
 ولا تجعل الشورى عليك غصاضةً ، فإن الخوافي قُوَّةٌ للقوادم^{١١}

- ١ مروان بن محمد : آخر خلفاء بني أمية . قتله أبو العباس السفاح في مصر . الرحي : الطاحون ويكنى بها عن شدة الحرب وحومة الموت فيها .
 ٢ سادراً : غير مبال ولا يتم بما يصنع . النقايم : جمع النقيمة وهي الانتقام .
 ٣ تغفو : تمحو . مطاه : ظهره . الليوث : الأسود . الضراغم جمع الضرغام وهو الأسد أو صفة له . يقول : أخذت تمحو طريق الإسلام ، وتجعل ظهره مركباً لأعدائه .
 ٤ فما زلت : أي فما زلت تفعل ذلك . استنصر الدين أهله : أي أن الدين دعا العلويين أهل البيت إلى نصرته . عاذوا : لاذوا واعتصموا . الصوارم : السيوف القواطع .
 ٥ الوزر : الملجأ . سلامة : أم المنصور . وقد جعل بشار موضعها يا ابن وشيكة ؛ وهي أم أبي مسلم الخراساني ، عندما قلب القصيدة وسوّلها إلى مدح المنصور وهجاء أبي مسلم . مضمٍ وضائم : مظلوم وظالم . أي من مظلوم قهرته أو ظالم يقهره .
 ٦ الاريجي : من يرتاح إلى صنع المعروف .
 ٧ فاطم : أسله فاطمة وهي بنت النبي ، فرحمه بحذف تاء التأنيث ، والترخيم في غير النداء جائز للضرورة . وهذا البيت حذفه الشاعر من القصيدة عندما أظهرها في عهد المنصور .
 ٨ إذا بلغ الرأي المشورة : أي إذا احتاج إليها . حازم : الذي يحسن ضبط أمره .
 ٩ غصاضة : نقصاً من القدر . الخوافي : الريش الصغار التي في جناح الطائر بعد القوادم ، مفردا الخافية . —

وما خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلَّ أُخْتَهَا ، وما خَيْرُ سَيْفٍ لم يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ^١
 إذا كنتَ فرداً ، هَرَكَ النَّاسُ مُقْبِلًا ؛ وإن كنتَ أدنى ، لم تَقْزُ بِالْعَزَائِمِ^٢
 فأذنِ ، على القُرْبَى ، المُقَرَّبَ نَفْسَهُ ، ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امرأً غيرَ كَائِمٍ^٣
 وحاربْ ، إذا لم تُعْطَ إِلَّا ظُلَامَةً ، شَبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ من قَبُولِ الْمَظَالِمِ^٤
 وخَلَّ الْهُوَيْنَا لِلضَّعِيفِ ، ولا تَكُنْ نَوُومًا ، فإنَّ الْحَزْمَ لَيْسَ بِنَائِمٍ^٥
 فإنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ الْهَمَّ بِالْمُنَى ، ولا تَبْلُغُ الْعَلِيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ^٦
 فما قَرَعَ الْأَقْصَامَ مِثْلُ مُشَيِّعٍ ، أَرِيبٌ ، ولا جَلَّى الْعَمَى مِثْلُ عَالِمٍ^٧

هجاء المهدي

قطع المهدي صلته عن بشار فقال يهجو ، ويستغزه على وزيره يعقوب بن داود لأنه أبى التوسط له عنده ، ويحرض بني أمية على استرجاع ملكهم :

بَنِي أُمَيَّةَ ! هُبُّوْا طَالَ نَوْمُكُمْ ! إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
 ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ ، يَا قَوْمُ ، فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الزُّقِّ وَالْعُودِ

القوادم : عشر ريشات في مقدم جناح الطائر وهي كبار الريش ، مفردا القادمة . يقول : لا تحسب ان في الشورى نقعاً من قدرك . فأنت وان كنت أعلى قدراً ، واحزم رأياً من كل من تشاوره من الناس ، فالكبير يستفيد من الصغير ويتقوى به كما تتقوى الريش الكبار في الطيران باستنادها إلى الريش الصغار .

١ الغل : الحديدة التي تجمع بين يد الأسير وعنقه وتسمى الجامة . قائم السيف : مقبضه . يقول : الكف الواحدة ضميقة إذا لم تستند إلى أختها . والسيف القاطع قليل النفع إذا لم يستند إلى مقبضه .

٢ هرك : كره فاحيتك ، أو نبحك واعتدى عليك . الأدنى : الساقط الضعيف . العزائم : جمع العزيمة وهي الثبات والصبر والجلد .

٣ يقول : أذن من يقرب نفسه إليك ، مع ما لديك من ذوي القربى .

٤ الشبا : جمع الشبابة وهي حد كل شيء .

٥ الهوينا : التؤدة والرفق .

٦ تستطرد الهم : تطلب طرده . المنى : جمع المنية وهي ما يتمناه الإنسان ، أي لا يطرد الهم بالتمنيات .

٧ قرع : غلب . المشيع : الشجاع . الأريب : الماهر . جلى : كشف . العمى : الجهل .

هجاء واصل بن عطاء

كان واصل بن عطاء شيخ المعتزلة يحرص الناس على بشار لما بلغه من إلحاده . فقال فيه :

ما لي أشايحُ غزَّالاً ، لهُ عُنُقُ كَنِيقِ الدَّو : إنْ وَلَّى وإنْ مثلاً
عُنُقَ الزَّرَافَةِ ! ما بالي وبالكُمُ ، أَتُكْفِرُونَ رِجَالاً كَفَرُوا رِجَالاً^٢

هجاء حماد عجرد

التحم الهجاء بين بشار وحماد عجرد نحواً من خمس عشرة سنة حتى مات حماد . فمن قوله فيه يرميه بالزندقة :

يا ابنَ نِهْيا ! رأسٌ عليّ ثَقِيلُ ، واحْتِمَالُ الرَّاسِينِ حَظَبٌ جَلِيلُ^٣
أَدْعُ غَيْرِي إلى عِبَادَةِ الاِثْنَيْنِ ، فلَئِنِّي بِوَاحِدٍ مَشْغُولُ^٤
يا ابنَ نِهْيا بَرِئْتُ مِنْكَ إلى اللّهِ ، وَذاكَ مِنِّي قَلِيلُ !

.....

١ أشايح : أولي . غزالا : لقب واصل بن عطاء سمي به لكثرة جلوسه في سوق الغزالين . النقيق : الظليم وهو ذكر النعام . الدو : الفلاة . وكان واصل طويل العنق ، وقوله : ان ول وان مثلاً أي إن أدبر أو أقبل .

٢ ما بالي وبالكُم : أي ما شأني وشأنكم واحد . وقوله أتكفرون رجالاً ، خطاب لواصل الذي كان يكفر الخوارج لتكفيرهم علي بن أبي طالب .

٣ نهيا : اسم أم حماد . يقول : إن رأسه ثقيل عليه فكيف يحتمل رأسين . قال حماد : « يلهي مني تجاهله بالزندقة ، فيوهم الناس أن الزنادقة تعبد رأساً ليظن الجهال أنه لا يعرفها . لأن هذا قول تقول العامة لا حقيقة له . وهو ، والله ، أعلم بالزندقة من ماني . »

٤ عبادة الاثنين : يريد بها الثنوية أو مذهب المانوية ملسوياً إلى مؤسسه ماني . وهو مذهب فارسي جاء مصدقاً لما بين يديه من المذهب الزرادشتي ، متفقاً معه على أن في الكون اثنين أحدهما إله النور والخير وهو النهار والثاني إله الظلام والشر وهو الليل . وهنا يبين الشاعر حقيقة الزندقة المانوية بمد أن أدخل عليها في البيت السابق مزاعم العامة ليظهر بهذا الخلط المقصود جهله لما ، وبرأته منها . ثم يقول بأنه مشغول بعبادة إله واحد .

فاخر الاعراب

تعرض أعرابي لبشار ، فأنكر عليه قول الشعر لأنه مول . فسكت بشار هنية ثم أنشأ يهجو ويهجو
الأعراب معه ، ويفاخر بفارسيته :

حَلِيلِي ، لَا أَنَامُ عَلَى اقْتِسَارٍ ، وَلَا آبَى عَلَى مَوَلَى وَجَارٍ
سَأُخِيرُ فَاخِيرَ الْأَعْرَابِ عَنِّي وَعَنَّهُ ، حِينَ تَأْذَنُ بِالْفَخَارِ ١
أَحِينَ كُسِّيتَ بَعْدَ الْعُرَى خِزَاءً ، وَنَادَمْتَ الْكِرَامَ عَلَى الْعُقَارِ ٢
تُفَاخِرُ ، يَا ابْنَ رَاعِيَةٍ وَرَاعٍ ، بَنِي الْأَحْرَارِ ، حَسْبُكَ مِنْ خَسَارٍ ٣
وَكُنْتَ إِذَا ظَمِثَ إِلَى قَرَّاحٍ ، شَرِكَتَ الْكَلْبَ فِي وَلَغِ الْإِطَارِ ٤
تُرِيغُ بِخُطْبَةٍ كَسَرَ الْمَوَالِي ، وَيُنْسِيكَ الْمَكَارِمَ صَيْدُ فَارٍ ٥
وَتَغْدُو لِقَنَافِدٍ تَدْرِهَا ، وَلَمْ تَعْقِلْ بِدَرَّاجِ الدِّيَارِ ٦
وَتَتَشِيحُ الشَّمَالَ لِيَلَيْسِيهَا ، وَتَرَعَى الضَّانَ بِالْبَلَدِ الْفِيَارِ ٧

- ١ اقتسار : ضيق وقهر . لا آبى : لا امتنع . المولى : هنا بمعنى الخليف والصديق .
- ٢ عني وعنه : أي عن أصلي وأصله . وقوله : حين تأذن بالفخار : خطاب لخليله مجزأة بن ثور السدوسي ، وكان بشار عنده حين تعرض له الأعرابي .
- ٣ خزأ : أي ثوباً من حرير أو حرير وصوف . العقار : الشراب .
- ٤ بني الأحرار : أي الفرس ، والشاعر منهم . الخسار : الضلال .
- ٥ القراح : الماء الخالص . الولغ : أن يدخل الكلب لسانه في الماء ليشرب . الإطار : من معانيه ، ما حول البيت . ومن هذه المادة : المأطور ، وهي البئر بمجالها بئر أخرى . والماء في السهل يطوى بالشجر مخافة الانهيار . فيكون المعنى أن الكلب يلغ في المياه الراكدة حول البيوت ، ويشركه الأعرابي فيها .
- ٦ تريغ : تريد وتطلب . أي تريد كسر الموالي بكلمة تقولها . وينسيك المكارم : أي اشتغاك بالأمور الحكيمة كصيد الفار ينسيك المكارم وأهلها ، فتنكر فضل الموالي .
- ٧ تدريها : تتخفى لها لتصيدها . ولم تعقل : بمعنى لم تعتقل وتعتدى بنفسها لا بالباء . كما أنه لا يصح الاعتقال للقنافة إلا مع التوسع . ولعلها لم تقفل أي لم ترجع . الدراج : القنفذ . يقول : تغدو لصيد القنافة ولم ترجع بواحد منها يدرج حول الديار لأنك لا تحسن إلا صيد الفار .
- ٨ الشمال : جمع الشملة وهي كساء يلتف فيه . ويقال اتشح بالثوب مع التعدية بالباء . ولعلها : تنتسج بمعنى تنسج كما نبه على ذلك شارح الأغاني (نشر دار الكتب المصرية). البلد : كل قطعة من الأرض ←

مَقَامُكَ بَيْنَنَا دَتَسْ عَلَيْنَا ، فَلَيْتَكَ غَائِبٌ فِي حَرِّ نَارِ
وَفَحْرُكَ ، بَيْنَ خَيْرِزِيرٍ وَكَلْبٍ ، عَلَى مِثْلِي مِنَ الْحَدَثِ الْكِبَارِ

هجاء بني زيد

قال صاحب الأغاني : وقف رجل من بني زيد شريف على بشار فقال له : يا بشار قد أفسدت علينا موالينا ، تدعوهم إلى الانتفاء منا ، وترغبهم في الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء . وأنت غير ذاك في الفرع ، ولا معروف الأصل . فقال بشار : والله لأصلي أكرم من الذهب ، ولغري أذكى من عمل الأبرار . وما في الأرض كلب يود أن نسبك له بلسه . وموعده غداً بالمربد . فرجع الرجل إلى منزله وهو يتوهم أن بشاراً يحضر معه المربد ليفاخره . فخرج من الغد يريد المربد فإذا رجل يمشي في هجائه ، فسأل عن قال هذا ، فقبل له : هذا لبشار فيك . فرجع إلى منزله من فوره ، ولم يدخل المربد حتى مات :

بَلَوْتُ بَنِي زَيْدٍ ، فَمَا فِي كِبَارِهِمْ حُلُومٌ ، وَلَا فِي الْأَصْغَرِينَ مُطَهَّرٌ^٢
فَأَبْلِغْ بَنِي زَيْدٍ ، وَقُلْ لَسَرَاتِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ سَرَاةٌ تُوقَرُ^٣ :
لَأَمْتَكُمُ الْوَيْلَاتُ ! إِنْ قَصَائِدِي صَوَاعِقُ ، مِنْهَا مُنْجِدٌ وَمُغْوَرٌ^٤
أَجِدْهُمْ ، لَا يَتَّقُونَ دَنِيَّةً ، وَلَا يُؤْتِرُونَ الْخَيْرَ ، وَالْخَيْرُ يُؤْتِرُهُ^٥
يَلْفُونَ أَبْنَاءَ الزَّنَا فِي عِيدَادِهِمْ ، فَعِدَّتُهُمْ مِنْ عِدَّةِ النَّاسِ أَكْثَرُ^٦
إِذَا مَا رَأَوْا مَنَ دَابُّهُ مِثْلُ دَائِيهِمْ ، أَطَافُوا بِهِ ، وَالْغَيُّ لِلْغَيِّ أَصَوْرُ^٧

منحصرة عامرة أو غامرة . ويقال : بلد قفار على توهم الجمع لسمته . يعبر الشاعر الأعرابي بصناعة النسيج على طريقة العرب في التعبير بالصناعات . يقول له : تلسج الثياب للابسها وأنت عار .

١ الكبار : العظيم الكبر .

٢ بلوت : جريت . حلوم : عقول .

٣ المرأة : الأشراف .

٤ المنجد : من يأتي النجد وهو الأرض المرتفعة . المنور : من يأتي الغور وهو الأرض المنخفضة . يقول : ان قصائده كالصواعق تنقض على كل الأرض أعاليها ووهادها .

٥ أجدهم : يستلطفهم بحظهم . وهي منصوبة على المصدرية . وتكسر الجيم فيكون الاستحلاف بحقيقة الشخص . والجاء بالكسر ضد الهزل .

٦ يلفون : يجمعون .

٧ الدأب : العادة والشأن . الغي : الضلال . اصور : أميل ، من صار يصور : أي مال بوجهه إليه .

ولو فارقُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ دَعَاةٍ ، لَمَّا عَرَفْتَهُمْ أَمْهُمْ حِينَ تَنْظُرُ^١
لَقَدْ فَخَرُوا بِالْمُلْحَقِينَ عَشِيَّةً ، فَقُلْتُ: افْخَرُوا، إِنْ كَانَ فِي اللَّؤْمِ مَفْخَرُ^٢
يُرِيدُونَ مَسْعَايَ ، وَدُونَ لِقَائِهَا قَنَادِيلُ أَبْوَابِ السَّمَاوَاتِ تَزْهَرُ^٣
فَقُلْتُ فِي بَنِي زَيْدٍ ، كَمَا قَالَ مُعْرِبٌ : قَوَارِيرُ حَجَّامٍ غَدَاً تَتَكَسَّرُ^٤

المدح

مدح سليمان بن هشام

قصده بشار إلى حران نحو سنة ٧٤٤ م وافداً على سليمان بن هشام بن عبد الملك من أمراء بني أمية
ومدحه بهذه القصيدة :

نَأْتُكَ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ زَيْنَبُ ، وَمَا شَعَرْتَ أَنَّ النَّوَى سَوْفَ تَشْعَبُ^١
يَرَى النَّاسُ مَا تَلْقَى بِزَيْنَبَ، إِذْ نَأَتْ ، عَجَبِيًّا ، وَمَا تُخْفِي بِزَيْنَبَ أَعْجَبُ^٢
وَقَائِلَةً لِي حِينَ جَدِّ رَحِيلُنَا ، وَأَجْفَانُ عَيْنَيْهَا تَجُودُ وَتَسْكُبُ :^٣

- ١ يقول : لو فارقوا من اجتمع إليهم من أبناء الدعارة لما عرفت المرأة الزيدية أولادها من أبناء الزنا
لاختلاط بعضهم ببعض .
٢ الملحقين : أي الذين استلحقوهم من أولاد الزنا أي ضموهم إليهم .
٣ المسعاة : المكرمة والمعلقة في أنواع المجد والجلود لأن الكريم يسمى فيها كأنها من مكاسبه . تزه :
تتلألأ . يقول : يريدون الوصول إلى مرتبتي في المجد ، وهي فوق النجوم الزاهرة .
٤ المعرب : المفصح الذي لا يبقى أحداً في كلامه . الحجام : محترف الحجابة وهي أن يشرط الجلود بالمشراط
ثم يلقى في المحجمة أي قارورة الحجام ، قرطاس ملتهب أو قطن ونحوه . ويلزم بها مكان الشرط
فتجذب الدم بقوة الامتصاص .
٥ تشعب : تفرق أي تفرق بيلنا .

« أَغَادِي إِلَى حَرَّانَ فِي غَيْرِ شَيْعَةٍ ؟ » وَذَلِكَ شَأْوٌ عَنْ هَوَاهَا مُغَرَّبٌ^١
 فَقُلْتُ لَهَا : كَلَّفَتْنِي طَلَبَ الْغِي ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ابْنِ الْخَلِيفَةِ مَذْهَبٌ^٢
 سَيَكْفِي فَتًى ، مِنْ سَعْيِهِ حَدٌّ سَيَفِيهِ ، وَكُورٌ عَلَانِيٌ ، وَوَجْنَاءُ ذِعْلِبٌ^٣
 إِذَا اسْتَوْغَرَتْ دَارٌ عَلَيْهِ ، رَمَى بِهَا بَنَاتِ الصَّوَى مِنْهَا رَكُوبٌ وَمُصْعَبٌ^٤
 فَعُدَّتِي إِلَى يَوْمٍ ارْتَحَلْتُ ، وَسَائِلِي بِزَوْرِكَ ، وَالرَّحَالُ مَنْ جَاءَ يَضْرِبُ^٥
 لَتَعْلَتِكَ أَنْ تَسْتَيْقِنِي أَنْ زَوْرَتِي سُلَيْمَانٌ مِنْ سَيْرِ الْهَوَاجِرِ تَعْقِبُ^٦
 أَغْرُ هِشَامِي الْقَنَاةَ ، إِذَا انْتَمَى ، نَمَتَهُ بُدُورٌ لَيْسَ فِيهِنَّ كَوَكَبٌ^٧
 وَمَا قَصَدْتُ يَوْمًا مُحَلِّينَ نَحِيلُهُ ، فَتُصْرَفُ إِلَّا عَنْ دِمَائِهِ تَصْبَبُ^٨

١ الشَّوْ : الغاية . مغرب : بعيد .

٢ يريد أن طالب المعروف ليس له طريق يسلكها بعد طريق الممدوح .

٣ من سعيه : أي في طلب المجد والمكاسب . الكور : الرجل . علاني : نسبة إلى علاف بن طوار . يزعم العرب أنه أول من صنع الرحال . وجنء : ناقة عظيمة الوجنتين ، أو صلبة قوية ، من الوجين وهو الصعب من الأرض . ذعلب : سريعة . يقول : إن الممدوح سيكفي قاصده ، أي الشاعر . وهذا الشاعر يستحق أن يكفى لأنه فني شجاع مفاخر لا يقيم على ضيم . وله من مساعيه إلى النجاح حد سيفه ، واسفاره على ناقة قوية سريعة يعلو ظهرها كور أصيل .

٤ استوغرت : حميت وأشدت حرها . يريد أنها ضاقت به . رمى بها : أي بناقته . الصوى : جمع صوة وهي حجارة تكون علامة في الطريق يهتدى بها . وما غلظ وارتفع من الأرض . والمراد من بناتها حجارتها الصغيرة أو طرقها . الركوب : الناقة المذلة للراكب . والمصعب : البعير الذي لم يذل بالركوب . والمراد ما سهل أو صعب قطعه من الطرق .

٥ الزور : الزائر . يضرب : يقال ضرب في الأرض خرج يطلب الرزق ، وأسرع . يقول لها : عدي مدة غيابي إلى اليوم الذي ارتحلت فيه ، ثم سائلي عن زائرك تجزيه عائدًا إليك ، فإن الرحال من يرجع مسرعًا كاسبًا . وقوله : بزورك : يريد به نفسه . والباه بمعنى عن .

٦ الهواجر : شدة الحر مفردا الهاجرة . تمقب : تأتي بعاقبة حسنة ، أي يكون له بها عوض ويدل من تمبه وسيره في الهواجر .

٧ القناة : أي القامة والمخبر .

٨ محلين : جمع المحل وهو العدو الذي ليس له عنك حرمة عهد ولا ذمة ، وضده المحرم . قال زهير :
 وكم يالفتان من محل ومحرم .

مدح خالد بن برمك

كان خالد البرمكي وزيراً للسفاح ثم المنصور . فلما تغلب الأكراد على بلاد فارس اتدبه المنصور والياً عليها سنة ٧٥٥ م (١٣٨ هـ) فوفد عليه بشار وأشده مادحاً :

لَتَعْمَرِي ! لَقَدْ أَجْدَى عَلَيَّ ابْنُ بَرْمَكٍ ، وَمَا كُلُّ مَنْ كَانَ الْغِنَى عِنْدَهُ يُجْدِي
حَكَمْتُ بِشِعْرِي رَاحَتِيهِ ، فَدَرَّتْنَا سَمَاحاً ، كَمَا دَرَّ السَّحَابُ مَعَ الرَّعْدِ
إِذَا جِئْتَهُ لِلْحَمْدِ ، أَشْرَقَ وَجْهُهُ إِلَيْكَ ، وَأَعْطَاكَ الْكَرَامَةَ بِالْحَمْدِ
لَهُ نِعَمٌ فِي الْقَوْمِ لَا يَسْتَيْبُهَا جَزَاءً ، وَكَتِيلَ التَّاجِرِ الْمُدَّ بِالْمُدِّ
مُفِيدٌ وَمِتْلَفٌ ، سَبِيلُ ثَرَائِهِ ، إِذَا مَا غَدَا أَوْ رَاحَ ، كَالْخَزِرِ وَالْمُدِّ
لَسَمْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى ، وَلَمْ أَدِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مِمَّا أَفَادَ ذَوُو الْغِنَى أَفَدْتُ ، وَأَعْدَانِي فَأَتَلَقْتُ مَا عِنْدِي
أَخَالِدُ ، إِنَّ الْحَمْدَ يَبْقَى لِأَهْلِهِ جَمَالاً ، وَلَا تَبْقَى الْكُنُوزُ عَلَى الْكَدِّ
فَأَطِيعُ وَكُلُّ مِثْلِ عَارَةٍ مُسْتَرْدَّةٍ ، وَلَا تَبْقَى لَهَا ، إِنَّ الْعَوَارِيَّ لِلرَّدِّ

مدح المهدي

وقائِلَةٌ : إِنَّ الْعِيَالَ مُعْوَلٌ عَلَيْكَ ، فَلَا تَقْعُدُ ، وَأَنْتَ مُضِيعٌ
فَقُلْتُ لَهَا : كَفِّي ! سَيَكْفِيكَ وَالِدٌ أَشْمٌ ، لِأَبْوَابِ الْمُلُوكِ قَرُوعٌ

١ بالحمد : الباء باء البدل أي بدلا من الحمد .

٢ يستشيها : يسترجعها . أي لا يطلب عليها جزاء أو مدحاً كالتاجر الذي يبيع مبادلاً كليل مد يد .

٣ مفيد : مستفيد . التراث : ما يخلفه الرجل لورثته . يريد أن ماله الذي هو إرث أولاده من بعده ، ممرض أبدأ للزيادة والنقصان .

٤ أفاد : استفاد وكسب .

٥ العارة : مفرد العواري وهي ما تداوله الناس بينهم . والمال عارة لأنه متداول .

٦ مضيع : اسم فاعل من أضيع . يقول : لا تقعد عن طلب الرزق فتكون قد أضعت هيك . وقد حولوا عليك إذ لا كاسب لهم غيرك .

وما أنا راضٍ بالهوانِ ، إذا احتبى
إذا الأمر لم يُقبل عليّ بوجهه ،
وزرتُ هُماماً ، يُصبحُ القومُ حوله
ولما التقينا سابقَ الحمدِ جوده ،
وأملكُ صديقٍ ألبستني طرازهم
إذا حاجةٌ ألفتْ عليّ بماعها ،
يُردنَ امرأً قد شذبَ الحمدُ ماله ،
وغيرانَ من دونِ النساءِ ، كأنه
على جنباتِ الدّستِ منه مُهاجرة ،
يَشُقُّ الوغى عن وجهه صديقُ نجدة ،
إذا خزنَ المالَ البَخيلُ ، فإنّما

على الدّلّ ، في دارِ الهوانِ ، رتوع^١
فلي متسلّكٌ باليَعَمَلاتِ وسيع^٢
عُكوفاً ، عليهم ذِلّةٌ وخُضوعُ
فأجدتُ ، وجودُ الطالبينَ سَريع^٣
قصائِدُ ، ما لي غيرهنّ شقيع^٤
ركبتُ ، وحسبي مُنصلٌ وقطيع^٥
أغرّ ، طویلَ الباعِ ، حينَ يَبُوع^٦
أُسامَةُ ذو الشَّبلينِ حينَ يَسْجوع^٧
وفي الدرعِ عَبلُ السّاعدينِ قَروع^٨
وأبيضُ من ماءِ الحَديدِ ، وقبع^٩
خزائِنُه خَطِيطَةٌ ودُروع^{١٠}

- ١ احتبى : قد عاقد حبوته أي معتمداً يديه أو سيفه على ركبتيه . والمراد هنا أنه عاقد حبوته على الدّل ،
ذاك الذي يرتع في دار الهوان .
- ٢ اليعملات : جميع اليعلة وهي الناقة التي يعمل عليها في الأسفار .
- ٣ الطالبين : أي طالبي الحمد .
- ٤ أملاك صديق : أي ملوك شيتهم الصديق في القول والفعل . الطراز : الثوب الملوكي . يقول : إن
قصائده ألبسته ما يخلعون عليه من الخلل الملوكية .
- ٥ بماعها : ثقلها . ركبت : أي ركبت لإبلي للسفر في طلبها . المنصل : السيف . القطيع : السوط يسوق به مطيته .
- ٦ يردن : الفسير يمود إلى الإبل المحلوقة . شذب الحمد ماله : أي فرقه . الباع : قدر مديدين ،
والشرف والكرم . يبيع : يمد باعه ، ويبسط يده بالمال والهبات .
- ٧ أسامة : معرفة علم للأسد . كان المهدي شديد الغيرة على النساء . يقول : إنه غيور يفضب للنساء كالأسد
إذا جاع وعنده ولدان يحرص عليهما أن لا يجوعا معه .
- ٨ الدست : صدر المجلس . العبل : الضخم من كل شيء . قروع : من قرعه أي غلبه .
- ٩ يشق الوغى : يريد أنه يشق حومة الحرب ، ويكشف شدتها عن وجهه بصدق نجدة وسيفه المرهف .
الوقع : الرقيق المحدث .
- ١٠ الخطية : الرماح . والمراد أنه يجود بالمال ويحرص على السلاح .

وبَيْضُهَا مَيْسَكُ مَكَانَ بَنَانِهِ ، وَلَكِنَّهَا رِيحُ الدَّمَاءِ تَضُوعُ^١
تَرُوحُ بِأَرْزَاقٍ ، وَتَغْدُو بِغَارَةٍ ، فَأَنْتَ ذُعَافٌ مَرَّةً وَرَيْعٌ^٢

الغزل

لم يطل ليلى

لَمْ يَطْلُ لَيْلَى ، وَلَكِنْ لَمْ أَنْتَمُ ، وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ أَلَمٍ^١
وَلِذَا قُلْتُ لَهَا : جُودِي لَنَا ، خَرَجْتُ بِالصَّمْتِ عَنْ لَا وَنَعَمٍ^٢
نَفْسِي يَا عَبْدَ عَنِّي ، وَاعْلَمِي أَنَّنِي ، يَا عَبْدَ ، مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ^٣
إِنَّ فِي بُرْدِي جِسْمًا نَاحِلًا ، لَوْ تَوَكَّاتٍ عَلَيْهِ ، لَأَهْدَمَ^٤
خَتَمَ الْحَبِّ لَهَا فِي عُنُقِي . مَوْضِعَ الْخَاتَمِ ، مِنْ أَهْلِ الدَّمَمِ^٥

.....

- ١ تفوح : تفوح .
- ٢ الذعاف : السم السريع القتل . وقوله تروح بأرزاق : أي تعود سيوفه مساء من الحرب بالفنائم لأتمته ، وتغدو في الصباح بغارة على الأعداء .
- ٣ خرجت بالصمت عن لا ونعم : أي لم تجب بلا ولا بنعم .
- ٤ نفسي : فرجي .
- ٥ بردي : ثوبي .
- ٦ أهل الدمم : في الدول الإسلامية كالتنصاري واليهود وكانوا يعلقون في أعناقهم خواتم من الرصاص ، ليدلوا بها على ما لهم عند الدولة من عهد . فالشاعر يقول هنا إن حبها ملازم له ملازمة الخاتم لأهل اللمة ، ويخضع عنقه لحكم هذا الحب خضوع أعناقهم لخاتم العهد .

الأذن العاشقة

يا قَومُ ، أذني لبعضِ الحَيِّ عاشِقَةٍ ، والأُذنُ تَعشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أحيانا
قالوا : بَمَنْ لا تَرى تَهدي؟ فقلتُ لهم :
هَلْ مِنْ دَواعٍ لَمَشغوفٍ بِجاريةٍ ،
الأُذنُ كالعَيْنِ تُوفي القَلْبَ ما كانا^١
يَلقَى بِلُقيانِها رَوحاً ورِيحاناً^٢

يا رحمة الله حلّي !

قال هذه الأبيات في جارية اسمها رحمة الله :

يا أطيّبَ النَّاسِ ريقاً غيرَ مُختَبَرٍ ، لولا شَهادَةُ أطرافِ المِساوِيكِ
قد زُرّينا مَرَّةً في العامِ واحِدَةً ، ثَنّني ، ولا تَجعلِها بَيضةَ الدِّيكِ^٣
يا رَحمةَ اللهِ ، حلّي في مَنازِلِنا ، حَسبي بِرائِحَةِ الفِرْدوسِ من فيكِ

صفة حسناء

يا لَيْلَتِي تَزدادُ نُكْراً ، من حُبِّ مَنْ أَحَبَّبتُ بِكُراً
حَوراءُ^٤ إنْ نَظَرْتُ إِلَيَّ ، لَكَ ، سَقَتَكَ بالعينينِ حَمَراً^٥
وكانَ رَجَعَ حَدِيثُها ، قِطْعُ الرِّياضِ ، كُسينَ زَهْراً^٥

.....

١ توفي : تبلغ .

٢ الروح : الراحة والسرور .

٣ على اعتقاد العامة أن الديك يبيض مرة في السنة .

٤ الحوراء : أي حوراء العينين ، من الحور وهو شدة البياض والسواد في العين مع استدارة الخدّة وورقة الجفون .

٥ يقول : إن حديثها جميل فيه ألوان متنوعة كأزهار الرياض .

وكانت تحت لسانها هاروت ، ينفث فيه سحراً^١
وتخال ما جمعت عليه ٤ ثيابها ذهباً وعطراً^٢
وكانتها برد الشرا ب ، صفا ، ووافق منك فطراً^٣
جنيّة إنسيّة ، أو بين ذلك أجل أمراً^٤
وكتفك أني لم أحط بشكاة من أحببت خيراً^٥
إلا مقالة زائر ، نشرت لي الأحران نذراً^٦
متخشعاً تحت الهوى عشراً ، ونحت الموت عشراً^٧

مجلس غناء

وذا ذل كان البدر صورتها ، باتت تغنّي عَمِيدَ القلب سكراناً^٨
« إن العيون التي في طرفها حور » قتلتنا ، ثم لم يُحِين قتلاننا
فقلت : أحسنت يا سؤلي ويا أملي ، فأسمعيني ، جزاك الله إحساناً :

- ١ هاروت : أحد ملكي السحر ، والثاني ماروت . تقول الأسطورة إن الله غضب عليهما فحبسهما في بابل فهما معلقان بشعورهما في بئر يأتيها طلاب السحر فيتعلمون منهما . يقول الشاعر : إن حديث هذه الفتاة يسحر سامعه فكان هاروت محبوباً تحت لسانها ينث السحر كلما تكلمت .
- ٢ يقول : تحسب جسمها الذي جمعت عليه ثيابها مجبولا من ذهب وعطر لا من طين وماء .
- ٣ ووافق منك فطراً : أي بعد صوم وعطش .
- ٤ يقول : فيها من الجن السحر . وفيها من الإنس الشكل والجسم . أو هي شيء بين الجن والإنس أعظم أمراً منها لأنها مخلوقة من ذهب وعطر .
- ٥ الشكاة : المرض . الخبر ، بالكسر والضم : العلم بالشيء . وكانت هذه الفتاة قد وعدت بشاراً بالزيارة فأخلفت وعدّها . فأرسل يمايتها فاعتذرت بمرضها . فهو يستعظم عدم معرفته بذلك .
- ٦ إلا مقالة زائر : أي الذي جاء بخبر مرضها .
- ٧ يقول : تركتني مقالة الزائر متخشعاً تحت الهوى عشر مرات ومثلها تحت الموت . والعرب تستعمل عدد العشرة لأنه تمام المقد الأول . ويعبرون به عن الكثرة . ومن ذلك قولهم : قلب أعشار أي مكسر على حشر قطع .
- ٨ عميد القلب : مريضه من العشق .

« يا حَبْدًا جَبَلُ الرِّيانِ مِنْ جَبَلٍ ،
 قالت: فهلا ، فذلكَ النَّفسُ ، أحسنُ من
 « يا قومُ أذني لبعضِ الحَيِّ عاشقَةٍ ،
 فقلتُ: أحسنتِ ، أنتِ الشمسُ طالعةٌ ،
 فأسمِعيني صوتًا مطربًا هزَجًا ،
 يا لَيْتَنِي كُنتُ تَفاحًا مُفَلَّجَةً ،
 حتى إذا وَجَدَت رِيحي فأعجبَها ،
 فحرَّكَتْ عودَها ، ثمَّ انشَنَّتْ طربًا ،
 « أَصْبَحْتُ أَطوَعَ خَلْقَ اللَّهِ كُلِّهِمْ ،
 فقلتُ : أَطربُنا ، يا زَيْنَ مَجْلِسِنا ،
 لو كُنتُ أَعْلَمُ أَنَّ الحُبَّ يَقْتُلُنِي ،
 فغَنَّتِ الشَّرْبَ صَوْتًا مُؤْنِقًا رَمَلًا ،
 « لا يَقْتُلُ اللَّهُ مَنْ دَامَتْ مَوَدَّتُهُ ،
 وَحَبْدًا ساكنُ الرِّيانِ مَنْ كانا ،
 هذا ، لمن كانَ صَبَّ القلبِ حيرانا :
 والأُذنُ تَعشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أحيانًا ،
 أَضَرَمَتْ في القلبِ والأَحشاءِ نيرانًا
 يَزِيدُ صَبًّا مُحِبًّا ، فيكَ أَشجانًا :
 أو كُنتُ من قُضْبِ الرِّيحانِ رِيحانًا
 ونَحْنُ في خَلوةٍ ، مُثَلَّتْ إنسانًا
 تَشْدُو بِهِ ، ثمَّ لا تُخْفِيهِ كِتمانًا :
 لأَكْثَرِ الخَلْقِ لي في الحُبِّ عِصيانًا ،
 فهاتِ ، إِنَّكَ بالإحسانِ أولانًا
 أَعَدَدْتُ لي ، قَبْلَ أَنْ أَلْفاكَ ، أَكفانًا
 يُذَكِّي السَّروَرَ ، وَيُبْكي العَيْنَ ألوانًا :
 وَاللَّهُ يَقْتُلُ أَهْلَ الغَدْرِ أحيانًا ،

ترك الغزل

يا مَنظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ ، مِنْ وَجهِ جاريةٍ فَدَيْتُهُ
 بَعَثْتُ إِلَيَّ تَسومُنِي بِرَدِّ الشَّبَابِ ، وَقَدْ طَوَيْتُهُ

١ قوله : تفاحاً مفلجة : عل اعتبار أنه شبه جمع لتفاحة . مفلجة : مشققة حيث تكون رائحتها أسطع نفحاً .

٢ ريحي : والحي .

٣ الرمل : ضرب من الأغاني .

٤ تسومني : تطلب مني الشراء . والمراد أنها تطلب منه أن يبادلها الحب .

واللهِ رَبُّ مُحَمَّدٍ ، ما إنْ غَدَرْتُ ، ولا نَوَيْتُهُ
 أَمَسَكْتُ عَنْكَ ، وربما عَرَضَ الْبَلَاءُ ، وما ابْتَغَيْتُهُ
 إنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى ، وإذا أَبَى شَيْئًا أَبَيْتُهُ
 وَمُخَضَّبٌ رَخَصَ الْبَنَّا نِ بَكَى عَلِيٍّ ، وما بَكَيْتُهُ^١
 قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ ، فَصَبَرْتُ عَنْهُ ، وما قَلَيْتُهُ^٢
 وَنَهَانِي الْمَلِكُ الْهُمَّا مٌ عَنْ النَّسِيبِ ، وما عَصَيْتُهُ
 لَا بَلٌ وَقَيْتُ فَلَمْ أَضِغْ عَهْدًا ، ولا وَأَيًّا وَأَيْتُهُ^٣
 وَأَنَا الْمُطِيلُ عَلَى الْعِدا ، وإذا غَلَا عَلَيَّ ، شَرَيْتُهُ^٤
 أَصْفِي الْخَلِيلَ ، إذا دَكَّنَا ، وإذا نَأَى عَنِّي ، نَأَيْتُهُ
 وَيَشْؤُقُنِي بَيْتُ الْحَيِّ ، إذا اذْكُرْتُ ، وأَيْنَ بَيْتُهُ؟

- ١ ومخضَّب : على تذكير المؤنث . البنان : الأصابع واحدها بنانة . وقوله : بكى علي وما بكيت : جعل
 النساء يحزنن لبعده ، ويتلهفن على أوقاته . وهو لا يبكي ولا يمزح بل يحمد الصبر في طاعة الخليفة .
 ٢ قليت : أهففته .
 ٣ وأيًّا وأيته : وعدًّا وعدته .
 ٤ الملق : الشيء النفيس .

الفخر والحماسة

رويد تصاهل !

هاجم الضحاك بن قيس الشيباني فقيه الخوارج ورئيسهم الكوفة سنة ٧٤٥ م (١٢٨ هـ) فاستولى عليها وبايعه الناس على الخلافة . ثم عاد إلى الموصل . فبعث الخليفة الأموي مروان بن محمد ابنه عبد الله لمحاربته وردّه عن الجزيرة ، فالتقاء الضحاك بنصيبين ، وضيق عليه الحصار . فأسرع مروان لنجدة ولده ومعه قائده يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري . فحصلت بين الفريقين موقعة قتل فيها الضحاك . ثم ولى مروان قائده ابن هبيرة على العراقيين . فلحق يقاتل الخوارج حتى أجلاهم . وكان بشار ينتمي إلى بني عقيل بالولاء وعقيل وفزارة من قيس عيلان . فلما خرج ابن هبيرة لقتال الضحاك ومعه قيس عيلان ، أنشده بشار هذه القصيدة فغاضباً بالقيسية وانتصاراتها مهدداً الضحاك مثيراً الحماسة في صدور الرجال :

جَفَا وَدَّهٗ ، فَازَوْرَ ، أَوْ مَلَّ صَاحِبُهُ ، وَأَزْرَى بِهِ أَلَا يَزَالَ يُعَاتِبُهُ^١
خَلِيلِي^٢ ، لَا تَسْتَكْثِرُ لَوْعَةَ الْهَوَى ، وَلَا سَكْوَةَ الْمَحْزُونِ ، شَطَّتْ حَبَائِبُهُ^٣
فَقَدْ رَابَسَنِي قَلْبِي يُكَلِّفُنِي الصَّبَا ، وَمَا كُلَّ حِينٍ يَتَّبِعُ الْقَلْبَ صَاحِبُهُ^٤

* * *

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ ، لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ^١
فَعِشْ وَاحِدًا ، أَوْ صِلْ أَخَاكَ ، فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ، وَمُجَانِبُهُ^٢
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَلْدَى ظَمْتِ ، وَأَيُّ النَّاسِ تَمْفُو مَشَارِبُهُ^٣
وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضِي سَجَايَاهُ كُلُّهَا ، كَفَى الْمَرَّةَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ^٤

* * *

- ١ الفصير في وده يعود للشاعر . صاحبه : فاعل جفا وازور ومل . الفصير في به : يعود للشاعر المتنزل .
٢ شطت : بعدت .
٣ مقارف ذنب : مرتكبه .
٤ القلدى : ما يقع في الماء فيكدر صفاه .

يَخَافُ الْمَنَايَا أَنْ تَرَحَّلَتْ صَاحِبِي ،
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْعِرَاقَ مَقَامُهُ
لَأَلْقَى بَنِي عَمِلَانَ ، إِنَّ فَعَالَتَهُمْ
أُولَاكَ الْأُولَى شَقُّوا الْعَمَى بِسُيُوفِهِمْ
رُوَيْدَ تَصَاهُلَ بِالْعِرَاقِ جِيَادُنَا ،
وَسَامَ لِمُرَوَانِ ، وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا ،
أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَايَا بَنَاتِهَا
وَأَرَعْنَ ، يَغْشَى الشَّمْسَ لَوْنُ حَدِيدِهِ ،
تَغْصُ بِهِ الْأَرْضُ الْقَضَاءُ ، إِذَا غَدَا
رَكِبْنَا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مُشَقِّفٍ ،

كَأَنَّ الْمَنَايَا فِي الْمَقَامِ تُنَاسِبُهُ ١
وَنَحِيمٌ ، إِذَا هَبَّتْ عَلَيْكَ جَنَائِبُهُ ٢
تَزِيدُ عَلَى كُلِّ الْفَعَالِ مَرَائِبُهُ ٣
عَنِ الْعَيْنِ ، حَتَّى أَبْصَرَ الْحَقَّ طَالِبُهُ ٤
كَأَنَّكَ بِالضَّحَّاكِ قَدْ قَامَ نَادِبُهُ ٥
وَهَوْلٌ كُلُّجِ الْبَحْرِ ، جَاشَتْ غَوَارِبُهُ ٦
بِأَسَافِنَا ، إِنَّا رَدَدَى مِّنْ نُحَارِبِهِ ٧
وَتَحْبِيسُ أَبْصَارِ الْكُمَاةِ كِتَابِيهِ ٨
تُزَاحِمُ أَرْكَانَ الْجِبَالِ مَنَاكِبُهُ ٩
وَأَيْضُ تَسْتَسْقِي الدَّمَاءَ مَضَارِبُهُ ١٠

- ١ تناسبه : تكون لسيبة له أي قرية فلا يخشى شرها
٢ الجنائب : جمع الجنوب ، وهي الرياح الجنوبية .
٣ الفعال بالفتح : الفعل الحسن والكرم .
٤ أولاك : أولئك . العمى : الضلال والجهل .
٥ رويد : قال الليث : « إذا أردت برويدا التهديد نصبتها بلا تنوين . » وأنشد بيت بشار . كأنك :
تفيد هنا التقريب لا التشبيه . أي قرب أن يقوم نادبه . والكاف حرف خطاب . الضحاك اسم كان
والباء فيه زائدة . وجملة قام نادبه خبر كان .
٦ وسام لمروان : أي طامع إلى الخلافة مكان مروان . الشجا : الحزم والحزن والفصة . غواربه : أمواجه .
٧ أم المنايا : يريد بها أعظمها هولاً . بناتها : ويلاتها .
٨ الأرعن : الجيش الطويل الحرار . يغشى : يغطي ويحجب . لون جديده : أي اسوداده من صدأ الحديد .
٩ تحبس أبصار الكماة كتابه : أي من الدهشة والارتياح .
١٠ المناكب : جمع منكب وهي هنا الجوانب .
١٠ المشقف : صفة الرمح من ثقف الرمح قومه . الأبيض : صفة السيف . تستسقي : تطلب سقياً .
المضارب : جمع مضرب وهو حد السيف . وقد جعل السيف الواحد عدة مضارب على اعتبار أن كل
جزء من حده مضرب .

وَكُنَّا ، إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لَسُخْطِنَا ، وَرَاقَبْنَا فِي ظَاهِرٍ ، لَا نُرَاقِبُهُ^١
 وَجَيْشٍ كَجَنْحِ اللَّيْلِ ، يَزْحَفُ بِالْحَصَى ، وَبِالشُّوكِ ، وَالْخَطَطِيِّ حُمْرًا ثَعَالِبُهُ^٢
 غَدَوْنَا لَهُ ، وَالشَّمْسُ فِي خَيْدِ أُمِّهَا ، نُطَالِعُنَا ، وَالطَّلُّ لَمْ يَتَجَرَّ ذَائِبُهُ^٣
 بِضَرْبِ يَدْنَوْقٍ الْمَوْتِ مِنْ ذَاقِ طَعْمِهِ ، وَتُسَدُّكَ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مِثَالِيهِ^٤
 كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ ، فَوْقَ رُؤُوسِنَا ، وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ^٥
 بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ ، إِنَّا فَرَاخُوا : فَرِيقٌ فِي الْإِسَارِ ، وَمِثْلُهُ ، وَبَنُو الْمَوْتِ ، خَفَاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهُ^٦
 إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ ، وَمِثْلٌ لَازِدٌ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ^٧
 مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ نُعَاتِيهِ^٨

- ١ دب : جاء في خفية . ظاهر : المكان المشرف من الأرض . يقول : إذا جاءنا العدو خفية ليثير
 غضبنا عليه وأخذ يراقبنا من مكان عال ، منتظراً غفلتنا ، فنحن لا نراقبه بل نسير إليه جهراً .
- ٢ جنح الليل : طائلة وقطعة منه . ويشبه به الجيش في أسوداد حديدته وتلملمه . الحصى : العدد الكثير .
 الشوك : السلاح الحاد . الخطي : أي القنا الخطي ملسوب إلى الخط وهو مرعاً للسفن في البحرين تباع فيه
 الرماح . الثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان . يصف ضخامة جيش العدو وسلاحه .
- ٣ غدر أمها : خباؤها . والخدر : ظلمة الليل . تطلعننا : تديم إلينا النظر . الطل : الندى . يقول :
 غدونا إلى هذا الجيش عند ذرور قرن الشمس إذ كانت لم تزل مستترة في خباء أمها . جعلها مخدرة
 ولها أم . والندى لم يبرح منعقداً على الأوراق غير ذائب من حرارة الشمس .
- ٤ المثالب : جمع مثلبة وهي العيب والنقيصة . أي من يهرب يدركه العيب والعار .
- ٥ مثار : اسم مفعول من أثار الفبار . النقع : الفبار . تهاوى : على حلف إحدى التائين ، واصله
 تهاوى : أي يتساقط بعضها إثر بعض . يقول : كأن الفبار المرتفع فوق رؤوسنا ، وكأن أسيافنا
 اللامعة في تساقطها على رؤوس الأعداء ليل تتساقط كواكبها . وهذا البيت يستشهد به على التشبيه الحسي
 الذي طرفاه مركبان . ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من هوي أجرام مشرقة مستطيلة متفرقة في جوانب
 شيء مظلم . فوجه الشبه مركب وكذا طرفاه .
- ٦ خفاق : متحرك من خفقت الراية إذا تحركت . وهو مبتدأ لم يعتد فيه على نفي أو استفهام . السبائب :
 جمع سبيبة ، وهي شقة رقيقة من الكتان . والمراد هنا الرايات . والسبائب فاعل خفاق سد مسد الخبر .
- ٧ فريق : خبر لمبتدأ محذوف تقديره وهم ، والجملة حالية من الواو . الإسار : الأسر . لاذ : اعتصم
 وعاذ . وفي هذا البيت صورة من البديع المعنوي تعرف بالتقديم . وهي ان يذكر متعدد ثم يضاف الى
 كل فرد من افراد ما له على التبيين .
- ٨ صعر خده : اماله كبراً وخطرة .

غضبة مضرية

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً ، هتكنا حجاب الشمس ، أو تُمطر الدُّما
 خلَقنا سماءً فوقنا بنجومِها سُيوفاً ، ونقعا يقبض الطرف ، أفتما
 وإنا لَقومٌ ما تزالُ جِسادُنا تُساورُ ملكاً ، أو تُناصبُ مغنماً
 إذا ما أعرنا سيِّداً من قَبيلةٍ ذُرَى مِنبرٍ ، صلتى علينا وسلما

آراؤه وعقائده

الجزيرة

طُبعْتُ على ما في غَيْرِ مُخَيَّرٍ هَوَايَ ، ولو خُيِّرْتُ كُنْتُ المُهْدَبَا
 أريدُ فلا أُعطى ، وأعطى ولم أَرِدْ ، وقصَّرَ عِلْمِي أنْ أُنالَ المُغَيَّبَا
 فأصرفُ عن قصدي ، وعلمي مُقَصَّرٌ ، وأمسي ، وما أَعْقِبْتُ إِلَّا التَّعَجَّبَا

.....

- ١ حجاب الشمس : شعاعها. هتكنا : فضحنا. أو : بمعنى إلى أن أو حتى. يقول : إذا ما غضبنا غضبة شريفة عرف بها أهل مضر ، سللنا سيوفنا للقتال ففضحنا بلمعانها لمان أشعة الشمس لأنها أشد بريقاً من الشمس . وتظل الشمس مفضوحة في نورها إلى أن تمطر دماء أعدائنا ، فتكتني بها سيوفنا ، فيذهب لمانها . وفي هذا البيت إيجاز حذف لا يظهر فيه المعنى إلا بشرح مسهب .
- ٢ نقعاً : غياراً . يقبض : ضد ييسط . الطرف : البصر . أقم : أسود .
- ٣ تساور : تواصب . تناصب : تقاوم .
- ٤ يقول : نحن أصحاب المنابر ، وهي ملك لنا ؛ فإذا أعرنا سيد قبيلة منبراً ليخطب عليه ، بدأ بالصلاة والسلام على محمد وآله ، ومحمد من مضر فكأنه صلى وسلم على مضر كلها . والشاعر ينتسب إلى بني عقيل بالولاء ، وعقيل من بني عامر ، وعامر قيسية مضرية .

البعث والحساب

كَيْفَ يَبْكِي لِمَحَبَسٍ فِي طُلُولٍ ، مَنْ سَيُفْضِي لِحَبَسٍ يَوْمٍ طَوِيلٍ^١
إِنَّ فِي الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ لَشُغْلًا^٢ عَنْ وَقُوفٍ بِرَسَمٍ دَارٍ مُحِيلٍ^٣

مجوسية

إِبْلِيسُ أَفْضَلُ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ ، فَتَهَبَّصُوا ، يَا مَعَشَرَ الْفُجَّارِ
النَّارُ عُنْصُرُهُ ، وَآدَمُ طِينَةٌ ، وَالطِّينُ لَا يَسْمُو سَمَوِ النَّارِ

صبر وأمل

خَلِّيلِي^١ ، إِنَّ الْعُسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ ، وَإِنَّ يَسَارًا فِي غَدٍ لَخَلْقٍ^٢
ذَرَانِي أَشْبَ هَمَّتِي بِرَاحٍ ، فَإِنِّي أَرَى الدَّهْرَ فِيهِ فَرَجَةٌ وَمَضِيقٌ^٣
وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّمَانِ ، إِذَا صَحَا صَبَحْتُ ، وَإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ ، أَمُوقٌ^٤
أَدْمَاءُ ، لَا أَسْطِيعُ فِي قِلَّةِ الثَّرَى خُزُوزًا وَوَشْيًا ، وَالْقَلِيلُ مَحِيقٌ^٥
خُلْدِي مِنْ يَدِي مَا قَلَّ ، إِنَّ زَمَانَنَا شَمُوسٌ ، وَمَعْرُوفُ الرِّجَالِ رَقِيقٌ^٦

- ١ المحبس : اسم مكان من الحبس أي الوقف ويريد به حبس الإبل على الطلول الدوارس للبكاء على الأسفة .
سيفضي : سيفير . حبس يوم طويل : أي عذاب الآخرة .
٢ محيل : من أحال الشيء أثبت عليه أحوال أو تغير من حال إلى حال .
٣ يفيق : يأتي بالخصب بعد الفسق .
٤ أشب همي : أي أغلظه .
٥ ماق : حمق .
٦ أدماء : اسم امرأة . الثرى : الخير والغنى . الخزوز ، جمع الخز : ثياب من صوف وحرير أو من حرير وحده . الوشي : الثياب المنقوشة التي خلط فيها لون بلون . محيق : لا خير فيه ، وهي فعيل بمعنى المفعول من محقه الله أي أذهب خيره وبركته .

لقد كنتُ لا أرضى بأدنى معيشة ، ولا يشتكي بخلا علي رقيق
 خليلي ، إن المال ليس بنافع ، إذا لم ينل منه أخ وصديق
 وكنتُ إذا ضاقت علي محلة ، تيممتُ أخرى ، ما علي تضييق^١
 وما خاب بين الله والناس عامل ، له في التقى ، أو في المتحامد سوق
 ولا ضاق فضل الله عن متعفف ، ولكن أخلاق الرجال تضييق^٢

١ تيممت : توخيت وقصدت .
 ٢ متعفف : أي عن السؤال وبذل ماء الوجه .

ابو الصناهيبة

الزهد والحكم

الله واحد

ألا ! إننا كلنا بائدٌ ، وأيُّ بني آدمٍ خالِدٌ ؟
 وبدوهمُ كانَ مِن رَبِّهِمْ ، وكلُّ إلى رَبِّهِ عائدٌ
 فبا عَجَبًا ! كيفَ يُعَصَى الإِلَهُ ، أم كيفَ يَجْحَدُهُ الجاحِدُ ؟
 وفي كلِّ شيءٍ لَهُ آيَةٌ ، تدلُّ على أَنَّهُ واحدٌ

ونخذ ما أنت محتاج إليه

أرى الدُّنْيَا ، لمن هِيَ في يَدَيْهِ ، عَذَابًا كُلُّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
 تُهَيِّنُ المُكْرِمِينَ لَهَا بِصُغُرٍ ، وتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
 إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فِدَاعُهُ ، ونَحْنُ ما أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

لدوا للموت

لدوا للموتِ وابْنُوا للخرابِ ، فكلُّكُمْ يُصِيرُ إلى تَبَابٍ ١

١ التَّاب : الهلاك .

أَتَيْتَ ، وما تَحِيفُ وما تُحَابِي¹
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبي ، كما هَجَمَ المَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

خاتمة الطرف

خاتمة الطرف الطموح ، أيتها القلب الجَمُوح !
لدواعي الخير والشه ، دُئِوُ و نَزُوحُ
هل المطلوب بذنب ، تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ²
كيف إصلاح قلوب ، إنما هن قُرُوحُ³
أحسن الله بنا ، ن الخطايا لا تقُوحُ
فلماذا المستور منا ، بين ثوبيه فُضُوحُ
كَمْ رأينا من عزيز ، طُوِيَتْ مِنْهُ الكُشُوحُ⁴
صاح منه برحيل ، صائح الدهر الصدُوحُ
موت بعض الناس ، في الأرز ، على قوم فُتُوحُ
سيصير المرء ، يوماً ، جَسَدًا ما فيه رُوحُ
بين عيني كل حي ، عَلمُ الموت يَلُوحُ
كلنا في غفلة ، وال موت يغدو ويرُوحُ
لبني الدنيا ، من الدن ، يا ، غَبُوقٌ وَصَبُوحُ
رُحْنٌ فِي الوُثْيِ ، وأصبح ، نَ عليهن المَسُوحُ
كل نطاح ، من الدهر ، له يومٌ نَطُوحُ

١ تحيف : تجور ، وما تحابي : لا تميل الى احد منحرفاً عن العدل .

٢ نصوح : صادقة .

٣ الكشوح ، جمع الكشح : وهو ما بين السرة ووسط الظهر .

٤ الغبوق : شراب المساء ، الصبح : شراب الصباح .

نُحْ عَلَى نَفْسِكَ ، يَا مَسْ كَيْنُ ، إِنَّ كُنْتَ تَنْوُحُ
لَتَمُوتَنَّ ، وَإِنْ عُدَّ مَرَّتْ ، مَا عُمَرَ نُوحُ !

من ملك الى ملك

ما اختلفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا دَارَتْ نَجُومُ السَّمَاءِ فِي الْفَلَكِ
إِلَّا لِنَقْلِ السَّلْطَانِ عَن مَلِكٍ ، قَدِ انْقَضَى مُلْكُهُ ، إِلَى مَلِكٍ

إلهي لا تعذبني

إلهي ! لَا تُعَذِّبْنِي ، فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي !
فَمَا لِي حِيلَةٌ ، إِلَّا رَجَائِي لِعَفْوِكَ ، إِنْ عَفَوْتَ ، وَحُسْنُ ظَنِّي
وَكَمْ مِن زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا ، وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنَّ
إِذَا فَكَّرْتُ فِي نَدَمِي عَلَيْهَا ، عَضَضْتُ أَنَامِلِي ، وَقَرَعْتُ سِنِّي !
أَجْنُ بَزْهَرَةِ الدُّنْيَا جُنُونًا ، وَأَقْطَعُ طَوْلَ عُمْرِي بِالتَّسْنِي
وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ عَنْهَا ، قَلَبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمِجَنِّ !
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا ، وَإِنِّي لَشَرُّ الْخَلْقِ ، إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

تحليل الكسب

وَلَا تَدْعُ مَكْسِبًا خَلَالًا تَكُونُ مِنْهُ عَلَى بَيَانٍ
فَالْمَالُ مِنْ حِيلَةٍ قِيَامٌ لِلْعِرْضِ وَالْوَجْهِ وَاللِّسَانِ
وَالْفَقْرُ ذُلٌّ عَلَيْهِ بَابٌ مِفْتَاحُهُ الْعَجْزُ وَالتَّوَانِي

١ المِجَن : الترس وكل ما وقى من السلاح . قلب له ظهر المِجَن : أي تحول عن الصداقة الى العداوة .

ذم الفقر

يُكْرَمُ المرءُ، وإنْ أُمَ لَمَقَ أَقْصَاهُ بَنُوهُ^١
لو رأى الناسُ نَبِيًّا سَائِلًا ما وَصَلُوهُ^٢
لا تَرَاني آخِرَ الدَّهْرِ رِي بَتَسَّالٍ أَفْوَهِ^٣
أَنْتَ ما اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ^٤
فَإِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ سَاعَةً مَجَّكَ فَوْهُ^٥

ذم جمع المال

١ ما ذا تُؤْمَلُ، لا أباك، في مالٍ تَمُوتُ وَأَنْتَ تُمَسِّكُهُ^١
٢ ما لم تَكُنْ لَكَ فِيهِ مَنَفَعَةٌ مِمَّا مَلَكَتْ فَلَسْتَ تَمْلِكُهُ^٢
دَأْنَفِقُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُخْلِفُهُ، لا تَمَضِ مَدْمُومًا وَتَتْرُكُهُ^٣

وقفة على القبور

يا مَعْشَرَ الْأَمْوَاتِ، يا ضَيْفَانَ تُرَى بِالْأَرْضِ كَيْفَ وَجَدْتُمْ طَعْمَ الثَّرَى^١
أَهْلَ الْقُبُورِ مَسَحَ التُّرَابُ وَجُوهَكُمْ أَهْلَ الْقُبُورِ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْحِلَى^٢
أَخِيَّ لَمْ يَبْقِكَ الْمَنِيَّةُ إِذْ أَنْتَ ما كَانَ أَطْعَمَكَ الطَّيِّبُ وما سَقَى^٣
أَخِيَّ لَمْ تُغْنِ التَّمَائِمُ عَنْكَ ما قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُهُ عَلَيْكَ وَلَا الرُّقَى^٤
أَخِيَّ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَسَّ خُشُونَةِ الِ مَأْوَى وَكَيْفَ وَجَدْتَ ضَيْقَ الْمُتَكَا^٥

١ املق : افتقر واحتاج .

٢ آخر الدهر : أهد الدهر .

٣ جك : للظك وبصقك .

٤ التمايم : جمع التسمية وهي العوذة تعلق في العنق ليعوق بها من الجن . الرق : جمع الرقية : العوذة التي ينفث فيها الرقاء لاستجلاب النفع أو الضرر في زعمهم .

ابو نواس

الخمر

شهر في خمارة

وفتيانٍ صديقٍ ، قد صرفتُ مطيَّهمُ
فلَمَّا حكى الزُّنَّارُ أن ليسَ مُسْلِمًا ،
فقلُّنا : على دينِ المسيحِ بنِ مريمٍ ،
ولكن يهوديٌّ ، يُحبُّكَ ظاهراً ،
فقلتُ له : ما الإسمُ ؟ قال : سَمَوَلٌ ،
وما شرفني كُنيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ ،
ولكنها خفَّتْ وقلَّتْ حروفُها ،
إلى بَيْتِ خَمَّارٍ ، نزلنا بهِ ظُهراً
ظننَّا بهِ خيراً ، فظنَّ بنا شراً
فأعرضَ مُزوراً ، وقال لنا هُجْراً
ويُضْمِرُ في المَكْنُونِ منه لك الغدراً
ولكنني أكنى بعَمْرٍو ولا عَمراً
ولا أكسبني لا ثناءً ، ولا فقراً
ولستُ كأخرى ، إنما جعلتُ وقرأه

١ الزُّنَّارُ : خيط دقيق كان أهل اللمة من النصارى واليهود والمجوس يَنْزُرُونَ به في البلاد الإسلامية ليحرفوا من المسلمين . وقوله : ظننا به خيراً : لأن الخمارة التي يديرها المسلم سرّاً تكون معرضة لأنظار رجال الشرطة وتنقيهم . وقوله : فظنَّ بنا شراً ، لأنهم نزلوا به ظهراً على أعين الناس ورجال الشرطة .

٢ مُزوراً : منحرفاً . هجراً : كلاماً قبيحاً .

٣ قوله : ولا عمراً أي ليس له ولد اسمه عمرو ولكنه يكنى به .

٤ هنا شعبية أبي نواس في فم الخمار .

٥ كأخرى : أي لفظة سمول . الوقر : ثقل في الأذن . يريد أن لفظة سمول كثيرة الحروف ثقيلة على السمع بخلاف لفظة عمرو .

فَقُلْتُ لَهُ عَجَباً بِظَرْفِ لِسَانِهِ : أَجَدْتَ أَبَا عَمْرٍو ، فَجَوَدَ لَنَا الْخَمْرَ
فَأَدْبَرَ كَالْمُزَوَّرِ ، يَقْسِمُ طَرْفَهُ
وَقَالَ : لَعَمْرِي ، لَوْ أَحْطَمْتُ بَوَصْفِهَا ،
فَجَاءَ بِهَا زَيْتِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ .
خَرَجْنَا عَلَى أَنَّ الْمَقَامَ ثَلَاثَةٌ ،
عِصَابَةٌ سُوءٍ ، لَا تَرَى الدَّهْرَ مِثْلَهُمْ
إِذَا مَا دَنَا وَقْتُ الصَّلَاةِ ، رَأَيْتَهُمْ
أَجَدْتَ أَبَا عَمْرٍو ، فَجَوَدَ لَنَا الْخَمْرَ
لَأَرْجُلِنَا شَطْرًا ، وَأَوْجُهِنَا شَطْرًا
لَلْمُنَاكُمُ ، لَكِنْ سَتَوْسِعُكُمْ عُدْرًا
فَلَمْ نَسْتَطِعْ دُونَ السَّجُودِ لَهَا صَبْرًا
فَطَابَ لَنَا ، حَتَّى أَقَمْنَا بِهَا شَهْرًا
وَلِنْ كُنْتُ مِنْهُمْ لَا بَرِيئًا وَلَا صِفْرًا
يَحْتُونَهَا ، حَتَّى تَفُوتَهُمْ سُكْرًا

في دير الأكراب

دَعِ الْبَسَائِينَ مِنْ آسٍ وَتَفَاحٍ
وَاعْدِلْ ، هُدَيْتَ ، إِلَى دَيْرِ الْأَكْرَابِ
إِعْدِلْ ، إِلَى نَقَرٍ دَقَّتْ شُخُوصُهُمْ
مِنَ الْعِبَادَةِ ، إِلَّا نِصْوَةَ أَشْبَاحِ
يُكْرَرُونَ نَوَاقِيسًا مُرْجَعَةً
عَلَى الزُّبُورِ ، بِإِمْسَاءٍ وَلِاصْبَاحِ
تَبْعُدُ بِسَمْعِكَ عَنْ صَوْتِ تَكْرَرِهِ ،
فَلَسْتَ تَسْمَعُ فِيهِ صَوْتَ فَلَاحِ

- ١ لو أحطمت بوصفها : أي لو عرفتم خبرتنا وحسن صفاتها لكننا لولمكم إذ قلتم جود لنا الخمر ، ولكن ستدركم بلهلكم إياها .
- ٢ طاب لنا : أي المقام . أقمنا بها : أي الخمار .
- ٣ السوء بالفتح : الشر والفساد . الدهر : أي مدى الدهر . وقوله : وإن كنت منهم لا بريئاً ولا صفرًا ، خطاب لابن عسره أي لا يبرأ ولا يخلو أن يكون فيه شيء منهم .
- ٤ يحثونها : الضمير يعود للخمرة ويريد أنهم يسرعون في شربها لكي تفوتهم الصلاة وهم في حالة السكر .
- ٥ اعدل : ارجع . دير الأكراب : دير سنة بظاهر الكوفة . الأكراب : تصغير اكراب ، مفردا كراح وهي لفظة سريالية معناها الكوخ الصغير يكون حول الدير ويسكنه الراهب الذي لا قلاية له .
- ٦ النقص : الخزيل .
- ٧ فلاح : أراد به المؤذن الذي يقطع عن شرابه إذا دعا حي على الفلاح . ولم ترد فلاح بهذا المعنى في كتب اللغة .

إِلَّا الدَّرَاسَةَ لِلْإِنْجِيلِ عَنْ كُتُبٍ ، ذِكْرُ الْمَسِيحِ بِإِبْلَاحٍ وَإِفْصَاحٍ
يَا طَيِّبَةً ! وَعَتِيقُ الرَّاحِ تُحَفِّتُهُمْ ، بِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ الطَّاسَاتِ رَحَاحٍ !

الخمرة والغفران

دَعُ عَنْكَ لَوْمِي ، فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ ، وَدَاوِنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ^١
صَقْرَاءُ ، لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا ، لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ ، مَسَّتْهُ سَرَاءُ^٢

* * *

قَامَتْ بِإِبْرِيْقِيهَا ، وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ ، فَلَاحَ مِنْ وَجْهِيهَا ، فِي الْبَيْتِ ، لِأَلَاءِ^٣
فَأَرْسَلَتْ مِنْ فَمِ الْإِبْرِيْقِ صَافِيَةً ، كَأَنَّمَا أَخَذَهَا بِالْعَيْنِ إِغْفَاءُ^٤
رَقَّتْ عَنِ الْمَاءِ ، حَتَّى مَا يُلَاقِمُهَا لَطَافَةٌ ، وَجَقًا عَنْ شَكْلِهَا الْمَاءُ^٥
فَلَوْ مَزَجَتْ بِهَا نُورًا ، لَمَازَجَهَا ، حَتَّى تَوَلَّدَتْ أَنْوَارٌ وَأَضْوَاءُ^٦
دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ ، فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاوُوا^٧
لَيْلِكَ أَبْكِ ، وَلَا أَبْكِ لِمَنْزِلَةٍ ، كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا هِنْدٌ وَأَسْمَاءُ^٨
حَاشَا لِدُرَّةٍ أَنْ تُبْنَى الْخِيَامُ لَهَا ، وَأَنْ تَرْوَحَ عَلَيْهَا الْإِبِلُ وَالشَّاءُ^٩
فَقُلْ لِمَنْ يَدْعِي فِي الْعِلْمِ فِلَسْفَةً : حَقِظْتَ شَيْئًا ، وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ !^{١٠}
لَا تَحْظُرِ الْعَفْوُ ، إِنْ كُنْتَ أَمْرًا حَرِجًا ، فَإِنَّ حَظْرَكَهُ بِالْدِّينِ لِأَزْرَاءُ^{١١}

.....

- ١ يا طيبه : الضمير عائد إلى دير الأكيراج . رحاح : واسع . كانت الحانات تقام قرب الأديار فيقصدوها عشاق الخمرة لجمال موقعها الطبيعي ؛ فيصفون الرهبان ، والخمرة معاً .
- ٢ إغراء : أي إيلاح بالشيء وحض عليه . كان : زائدة بين اسم الموصول والصلة في قوله : بالتّي كانت هي الداء .
- ٣ الدرة : اللؤلؤة العظيمة . استمارها للخمر أو لكأسها ، وأجراها مجرى اسم العلم ، فمنها من الصرف للعلمية والتأنيث .
- ٤ لا تحظر : لا تمنع . حرجاً : ضئيلاً مثشداً في الدين . ازراء : تحقير ، أي منع العفو تحقير للدين . والخطاب لإبراهيم النظام شيخ المعتزلة .

العيش سكرة بعد سكرة

ألا فاسقني خمرأ، وقل لي: هي الخمر! ولا تسقني سراً، إذا أمكنَ الجهرُ
فعيشُ الفتى في سكرةٍ بعدَ سكرةٍ ، فإن طالَ هذا عندهُ ، قصُرَ الدهرُ
وما الغبنُ إلا أن ترائيَ صاحياً ، ولا الغنمُ إلا أن يُتعتعني السُّكرُ
فبُحْ باسمِ مَنْ أهوى ، ودعني من الكنى ، فلا خَيْرَ في اللذاتِ من دونها سِرُّ
ولا خَيْرَ في فتكٍ بغيرِ متجانتةٍ ، ولا في مُجُونٍ ليسَ يتَّبَعَهُ كُفْرُ
بكلِّ أخِي قَصْفٍ كأنَّ جَبِينَهُ هِلالٌ ، وقد حَقَّتْ بِهِ الأنجمُ الزُّهرُ

نشوتان

لا تبك ليلى، ولا تطرب إلى هِنْدٍ ، واشرب على الوردِ من حمراء كالوردِ
كأساً إذا انحدرت في حلقٍ شاربها ، أجدته حمرتها في العين والحد
فالخمرُ ياقوتةٌ ، والكأسُ لؤلؤةٌ ، في كفٍّ جاريةٍ ممشوقةٍ القَدِ
تسقيك من طرفيها خمرأ ، ومن يديها خمرأ ، فما لك من سُكرين من بُدِ
لي نشوتانٍ ، وللندمانِ واحدةٌ ، شيءٌ خُصِصَتْ بهِ من دونهم، وتحدي

١ يتعتني : يحركني بعنف .

٢ الفتك : الجراءة والمضي في الأمور التي تدعو إليها النفس .

٣ بكل : أي مع كل . قصف : هو . الأنجم الزهر : أي الحسان الوجوه . أو الكؤوس المتلألئة .

٤ لا تطرب : لا تحزن ، والطرب خفة تأخذ الإنسان لشدة السرور أو الحزن . وقوله : واشرب على

الورد : إشارة إلى الأزهار التي كانوا يفرشونها أمامهم على بساط المدام .

٥ أجدته : أعطته . وقوله : كأساً ، مجاز مرسل قام به اسم المحل مكان الحال فيه .

٦ الندمان : المنادم على الشراب ، وقد يأتي جمعاً كما في هذا البيت . تلييه : هذه الأبيات من البسيط

في ضربه الثاني المقطوع وهو فعلن ، ولا يكون إلا مردفاً أي مسبوق الروي بحرف لين ، كقول المتلبي :

لا تخيل عندك تهديها ولا مال ، فليسمع النطق إن لم تسمع الحال

وقد ورد هنا غير مردف شلوداً .

قصة الأمم

- يا شقيق النفس من حَكَمٍ ، نِمَتْ عَن لَيْلِي ، ولم أُنَمِ^١ ،
 - فاسقني البكر التي اختَمَرَتْ^٢ بَحْمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ^٣ ،
 - ثُمَّتْ انصابت الشَّبَابُ لها ، بَعْدَمَا جَازَتْ مَدَى الْحَرَمِ^٤ ،
 - فَهِيَ لِلْيَوْمِ الَّذِي بَزَلَتْ ؛ وَهِيَ تَرِبُ الدَّهْرِ فِي الْقِدَمِ^٥ ،
 - عُنُقَتْ ، حَتَّى لَوِ اتَّصَلَتْ^٦ بِلِسَانِ نَاطِقٍ وَفَمِ^٧ ،
 - لَاحْتَبَّتْ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً ، ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمَمِ^٨ ،
 - فَرَعَتْهَا بِالْمِزَاجِ بَسَدٌ ، خَلِقَتْ لِّلْسِفِ وَالْقَلَمِ^٩ ،
 - فِي نَدَامِي ، سَادَةَ زُهْرٍ ، أَخْلَدُوا اللَّذَاتِ مِنْ أُمَمِ^{١٠} ،
 - فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ ، كَتَمَشِّي الْبُرِّ فِي السَّقَمِ^{١١} ،
 - فَعَلْتُ فِي الْبَيْتِ ، إِذْ مُرِجْتُ ، مِثْلَ فِعْلِ الصَّبْحِ فِي الظُّلَمِ^{١٢} ،
 - وَاهْتَدَى سَارِي الظَّلَامِ بِهَا ، كَاهْتِدَاءِ السَّفَرِ بِالْعَلَمِ^{١٣} .

- ١ حكم : قبيلة يمنية كان ينتسب إليها الشاعر بالولاء .
 ٢ البكر : أي الخمرة التي لم تزل بطينتها . اختمرت الخمرة : أدركت وصار لها إزباد وغلان ، واختمرت أيضاً : لبست الحمار وهو النصف يغطي به الرأس . يقول : هذه الخمرة شابت وهي في أول تكوينها . ويريد بالشيب ما ستر وجهها من الزبد في مدة إدراكها وغلانها .
 ٣ انصابت : أقبل . يقول : إن هذه الخمرة أقبل لها شباها بعدما هربت أي عتقت . يريد بذلك أنها صفت وسكن إزبادها ، ففارقها الشيب .
 ٤ بزلت الخمرة : ثقب دنها بالزبال وهو حديدة يفتح بها تراب الدهر ؛ رفيقته كأنها ولدت معه . يقول : هذه الخمرة بقيت مخنومة بطينتها معدة لليوم الذي بزل به دنها ليشرّب منها الشاعر ، وهي قديمة كالدهر .
 ٥ احتبت : جلست عاقدة حيويتها كالشيوخ لتحدث عن الماضي . والاحتباء هو أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه معتدلاً يديه على ركبتيه ، ليصير كالمتنهد .
 ٦ المزاج : مزج الخمرة بالماء .
 ٧ الزهر : حركت الماء بالضم للشعر ، مفردا أزهر وهو الأبيض والمشرق الوجه . من أمم : من قرب .
 ٨ السفر : المسافرون ووردت في الديوان : البصر وهو تحريف . العلم : شيء ينصب في الطريق ليهتدي به المسافرون .

روحان في جسد

ما زِلْتُ أُسْتَلُّ رُوحَ الدَّنِّ فِي لَطْفٍ ، وَأُسْتَقِي دَمَهُ مِنْ جَوْفِ مَجْرُوحٍ ١
حَتَّى اثْنَيْتُ وَلِي رُوحَانِ فِي جَسَدٍ ، وَالِدَّنُّ مُنْطَرِحٌ جِسْمًا بِلَا رُوحٍ

لورة على القديم

عَاجَ الشَّقِيِّ عَلَى رَسْمٍ يُسَائِلُهُ ، وَعُمُجْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَّارَةِ الْبَلَدِ ٢
يَبْكِي عَلَى طَلَلِ الْمَاضِينَ مِنْ أَسَدٍ ، لَا دَرَّ دَرُّكَ ، قُلْ لِي: مَنْ بَنُو أَسَدٍ ؟
وَمَنْ تَمِيمٌ ، وَمَنْ قَيْسٌ وَلِفْهُمَا ؟ لَيْسَ الْأَعَارِبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ ٣
لَا جَفَّ دَمْعُ الَّذِي يَبْكِي عَلَى حَجَرٍ ، وَلَا صَفَا قَلْبُ مَنْ يَصْبُو إِلَى وَتَدٍ
كَمْ بَيْنَ نَاعِيَةِ خَمَرٍ فِي دَسَاكِيرِهَا قَهْرًا ، وَبَيْنَ بَاكِ عَلَى نُؤْيٍ ، وَمُسْتَضِيدٍ ٤
دَعُ ذَا ، عَدِمْتُكَ ، وَاشْرَبَهَا مُعْتَقَةً ، صَفَرَاءَ ، تَفَرَّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ٥

المركب الوعر

أَعِيرَ شِعْرَكَ الْأَطْلَالَ وَالْمَنْزِلَ الْقَفْرًا ، فَقَدَ طَالَمَا أَزْرَى بِهِ نَعْتُكَ الْخَمْرًا

- ١ الدن : وعاء كبير كالحاوية . في لطف : في رفق . وقوله : دمه ، استعارة على تشبيه الخمرة الخارجة من الدن المثقوب بالبراز ، بالدم المنبعث من جوف مجروح .
- ٢ عاج : عطف على المكان .
- ٣ لفهما : حزبهما .
- ٤ النؤي : نهر يجفر حول الخيمة ليجري فيه ماء المطر ، ويصنع له حاجز لئلا يدخل الماء البيت . المتضد : المقيم بالمكان ، ويريد به ساكنة الدار .
- ٥ قوله : تفرق بين الروح والجسد ، هل حد تعبير الفلاسفة في قولهم : النفوس المغارقة ، ويريدون بها الأرواح السماوية المنفصلة عن المادة . فخمرة أبي نواس كخمرة الصوفيين ، تبعث الروح مدة السكر عن حبس الجسد وآلامه .

دَعَانِي إِلَى وَصْفِ الطُّلُولِ مُسَلَّطٌ ، يَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أُرَدَّ لَهُ أَمْرًا
فَسَمِعًا ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَطَاعَةً ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ جَشَّمْتَنِي مَرْكَبًا وَعَرَا

آداب المناذمة

- وَلَسْتُ بِقَائِلٍ لِنَدِيمٍ صِدْقٍ ، وَقَدْ أَخَذَ الشَّرَابُ بِمُقْلَتَيْهِ :
- تَنَاوَلْتُهَا ، وَإِلَّا لَمْ أَذُقْهَا ، فَيَأْخُذُهَا ، وَقَدْ ثَقُلْتُ عَلَيْهِ
- وَلَكِنِّي أَدِيرُ الْكَاسَ عَنْهُ ، وَأَصْرِفُهَا بِغَمَزَةٍ حَاجِبِيهِ
- وَأَحْبِسُهَا إِلَى أَنْ يَشْتَهِيَهَا ، وَأَخْذُهَا بِرِفْقٍ مِنْ يَدَيْهِ
- وَإِنْ مَدَّ الْوِسَادَ لِنَوْمٍ سُكْرٍ ، دَفَعْتُ وَسَادَتِي أَيْضًا إِلَيْهِ
- فَذَلِكَ مَا حَبِيبْتُ لَهُ ، وَلَئِي أَبْرَ بِمِثْلِهِ مِنْ وَالِدَيْهِ

للغزل

حامل الهوى

حَامِلُ الْهَوَى تَعِيبٌ ، يَسْتَخِفُّهُ الطَّرَبُ
إِنْ بَكَى يُحَقِّقُ لَهُ ، لَيْسَ مَا بِهِ لَعِيبٌ^٢

١ مسلط : يريد به الخليفة الأمين . يضيق ذراعي : يقال ضاق بالأمر ذرعه وذراعه : ضمعت طاقته ، ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً .

٢ من المواضع التي تخرج فيها ليس عن وجه استعمالها هي أن تدخل على المبتدأ والخبر مرفوعين ، فيكون اسمها ضمير الشأن لتعظيم الشيء ، والجملة بعدها في محل نصب خبر لها . مثال ذلك : ليس الأمر هين ، أو كقول أبي نواس هنا : ليس ما به لعب .

تَضَحَّكِينَ لَاهِيَةً ، وَالْحَبِيبُ يَتَسَحَّبُ
تَعَجَّبِينَ مِنْ سَقَمِي ، صِحَّتِي هِيَ الْعَجَبُ
كُلَّمَا انْتَفَى سَبَبُ مِنْكَ ، جَاءَ نِي سَبَبُ

المغتسلة

نَضَّيْتُ عَنْهَا الْقَمِيصَ لَصَبِّ مَاءٍ ، فَوَرَّدَ وَجْهَهَا فَرَطُ الْحَيَامِ^١
وَقَابَلْتُ الْهَوَاءَ ، وَقَدْ تَعَرَّتْ ، بِمُعْتَدِلٍ أَرْقٍ مِنْ الْهَوَاءِ^٢
وَمَدَّتْ رَاحَةً ، كَالْمَاءِ ، مِنْهَا ، إِلَى مَاءٍ مُعْتَدٍ فِي لِنَاءِ^٣
فَلَمَّا أَنْ قَضَتْ وَطَرًا ، وَهَمَّتْ ، عَلَى عَجَلٍ إِلَى أَخَذِ الرِّدَاءِ
رَأَتْ شَخْصَ الرَّقِيبِ عَلَى التَّدَانِي ، فَاسْبَلَتْ الظَّلَامَ عَلَى الضُّبَاءِ^٤
فَغَابَ الصَّبِيحُ مِنْهَا تَحْتَ لَيْلٍ ، وَظَلَّ الْمَاءُ يَقْطِرُ فَوْقَ مَاءٍ
فَسُبْحَانَ إِلَهِهِ ، وَقَدْ بَرَاهَا كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ

حب بين نارين

قال هذه الأبيات في دلائل جارية البرامكة :

صَلَّيْتُ مِنْ حُبِّهَا نَارَيْنِ : وَاحِدَةً فِي وَجَنَّتَيْهَا ، وَأُخْرَى بَيْنَ أَحْشَائِي
وَقَدْ حَمَمْتُ لِسَانِي أَنْ أُبَيِّنَ بِهِ ، فَمَا يُعَبِّرُ عَنِّي غَيْرَ لِمَاءِ

.....

- ١ لغمت : خلعت .
- ٢ معتدل : أي بقوام معتدل .
- ٣ راحة : كلاً .
- ٤ الظلام : أي شعرها الأسود . قيلت هذه القصيدة في إحدى جوارى القصر في خلافة الرشيد لا في خلافة الأمين إذ قص جوارى القصر شعورهن متشبهات بالنملان .

يا وَيَحْ أَهْلِي أَبْلَى بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ ، على الفِرَاشِ ، وما يَتَدْرُونَ ما دائِي
لو كان زُهدُكَ في الدُّنيا كزُهدِكَ في حُبِّي ، مَشَيْتِ بلا شَكٍّ على الماءِ

يزيدك وجهه حسناً

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعَتْ نَ مِنْ أَزْوَاجِهِ قَمَرًا
١ يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا ، إِذَا ما زِدْتَهُ نَظَرًا
بَوَجْهِ سَابِرِي ، تَصَوَّبَ ماؤُهُ ، قَطَرًا
وَعَيْنٍ خَالَطَ التَّفْتِي رُ في أَجْفَانِهَا الحَوْرًا
وَقَدْ خَطَّتْ حَوَاضِيَهُ لَهُ مِنْ عَنَبٍ طُرًّا

.....

١ سَابِرِي : رقيق ، وأصله الثوب الرقيق نسبة إلى سابور على غير قياس . وسابور كورة في بلاد الفرس .
تصوب : تحدر . يقول : له وجه رقيق ريان بماء الصبا ، فلو تحدر هذا الماء لقطر قطراً لعظم فيضه
ورونقه على وجهه .

٢ التفتير : انكسار الطرف وضعف الجفون . الحور : شدة سواد المقلة في شدة بياضها .

٣ الحواضن : جمع الحاضنة وهي الداية التي تقوم على الصغير في تربيته . العنبر : طيب وهو مادة بقامة
الشمع الصغير ، إذا سحقت أو أحرقت انبعثت منها رائحة ذكية . الطور : جمع الطرة وهي الناصية .
يقول : إن حواضنه تعني بتزيينه فتجعل له من شعره طرراً مطيبة بالعنبر .

المدح

مدح الرشيد

حَيَّ الدِّيَارَ إِذِ الزَّمَانُ زَمَانُ ، وَإِذِ الشُّبَّالُ لَنَا خَوَى وَمَعَانُ^١
 يَا حَبْلًا سَفَوَانُ مِنْ مُتَرَبِّعٍ ، وَلَرُبَّمَا جَمَعَ الْهَوَى سَفَوَانُ^٢
 وَإِذَا مَرَّرْتَ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّمًا ، فَلِغَيْرِ دَارٍ أُمِيمَةٍ الْهَجْرَانُ^٣
 إِنَّا نَسَبْنَا وَالْمُنَاسِبُ ظِنَّةٌ ، حَتَّى رُمِيتَ بِنَا ، وَأَنْتِ حَصَانُ^٤
 لَمَّا نَزَعْتَ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالصَّبَا ، وَخَدَّتْ بِي الشَّدْنِيَّةُ الْمِدْعَانُ^٥
 سَبَطُ مَشَافِرُهَا ، دَقِيقٌ خَطْمُهَا ، وَكَأَنَّ سَائِرَ خَلْقِهَا بُنْيَانُ^٦
 وَاحْتَازَهَا لَوْنٌ جَرَى فِي جِلْدِهَا ، يَقَقُّ ، كَقَرطاسِ الْوَلِيدِ ، هِجَانُ^٧
 وَإِلَى أَبِي الْأَمْنَاءِ هَارُونَ الَّذِي يَحْيَا ، بِصَوْبِ سَمَائِهِ ، الْحَيَوَانُ^٨

١ الشُّبَّالُ : طريق حاج البصرة قريية من سفوان . الْهَوَى : الأرض اللينة . وقد وردت في الديوان حرى وهو تحريف ، لأن حرى لغة في حراء : جبل في مكة . وليس من جامع بينه وبين الشُّبَّالِ وسفوان وهما في البصرة . فاعتمدنا رواية ياقوت في معجم البلدان ، استشهد بشعر أبي نواس في كلامه على الشُّبَّالِ . الْمَعَانُ : المنزل . يَحْيِي الدِّيَارَ إِذْ كَانَ الزَّمَانُ مَوَاتِيًا ، وَإِذْ كَانَ الشُّبَّالُ بِأَرْضِهِ اللَّيْنَةَ مَنْزِلًا لَهُ وَلِلْأُحِبَّةِ .

٢ سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة .

٣ نسب بالمرأة : شبيب بها في الشعر . الْمُنَاسِبُ : جميع النسبة وهي التشبيب بالمرأة . الظنَّة : التهمة . رُمِيتَ بِنَا : أتهمت بنا . حَصَانُ : متعفة مصونة .

٤ نَزَعْتَ : أتهبت عنه . الْغَوَايَةِ : الضلال . الصَّبَا : جهلة الفتوة . الشَّدْنِيَّةُ : الناقة ، منسوبة إلى شدن وهو فحل ، أو موضع باليمن . مِدْعَانُ : منقادة لسلة الرأس .

٥ سَبَطُ : مَسْرُسُ . خَطْمُهَا : مقدم أنفها وفمها .

٦ احْتَازَهَا : جمعها ونسبها . يَقَقُّ : شديد البياض . هِجَانُ : لاقة كريمة بيضاء .

٧ أَبِي الْأَمْنَاءِ : كنية هارون الرشيد والد محمد الأمين وعبد الله المأمون ، والقاسم المؤتمن . الصوب : مجيء السماء بالمطر . السماء : المطر ، ويريد بذلك جود المملوح .

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثْلَهُ ، فَكَأَنَّمَا لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ
 مَا تَنْطَوِي عَنْهُ الْقُلُوبُ بِفَجْرَةٍ ، إِلَّا يُكَلِّمُهُ بِهَا اللَّحْظَانُ^١
 فَيَظْلُ لَاسْتِغْنَائِهِ ، وَكَأَنَّهُ عَيْنٌ عَلَى مَا غَيَّبَ الْكِتْمَانُ^٢
 هَارُونُ أَلْفَنَّا اثْتِلَافَ مَوَدَّةٍ ، مَاتَتْ لَهَا الْأَحْقَادُ وَالْأَضْغَانُ^٣
 فِي كُلِّ عَامٍ غَزْوَةٌ ، وَوِفَادَةٌ ، تَنْبَتْ ، بَيْنَ نَوَاهُمَا ، الْأَقْرَانُ^٤
 حَجٌّ وَغَزْوٌ مَاتَ بَيْنَهُمَا الْكَرَى ، بِالْيَعْمَلَاتِ شِعَارُهَا الْوَحْدَانُ^٥
 يَبْرِمِي بَيْنَ نِيَاطِ كُلِّ تَنْوُفَةٍ ، فِي اللَّهِ ، رَحَالٌ بِهَا ، ظَعْنَانُ^٦
 حَتَّى إِذَا وَاجَهْنَ أَقْبَالَ الصَّفَا ، حَنَّ الْحَظِيمُ ، وَأَطَّتِ الْأَرْكَانُ^٧
 لِأُغْرٍ ، يَنْفَرُجُ الدُّجَى عَنْ وَجْهِهِ ، عَدَلَ السِّيَاسَةِ ، حُبُّهُ إِيْمَانُ^٨
 يَصْلِي الْهَجِيرَ بِغُرَّةٍ مَهْدِيَّةٍ ، لَوْ شَاءَ صَانَ أَدِيمَهَا الْأَكْنَانُ^٩

- ١ الفجرة : الكذب والمصيان والمخالفة . اللحظان : مصدر لحظ : نظر بمؤخر عينيه . أي يعرف ما في القلوب من نظره إلى أصحابها .
- ٢ لاستغْنائه : لاستغْناءه . أي يظل يلحظ من يطوي الكذب والخلاف ، ليستنبر أمره .
- ٣ الوفاة : الحج إلى البيت الحرام . تنبت : تنقطع . نواهما : قصدهما أي قصد الحج والغزو . الأقران : الحبال واحدها القرن . وقوله : تنبت الأقران : أي الصلة بينه وبين أهله .
- ٤ مات بينهما الكرى : أي عاف النوم من أجلهما . اليعملات : جمع اليملة وهي الناقة التي يعمل عليها في الأسفار . الوحدان : إسرار النوق .
- ٥ النياط : ألفواد . التنوفة : الغلاة البعيدة الأطراف لا ماء فيها ولا أنيس . في الله : أي في سبيل الله حجاجاً بيت الله الحرام . ظعان ، من ظعن : سار .
- ٦ الأقبال : أوائل الشيء مفرداها القبل . أو هي جمع القبل : وهو ما استقبلك من الشيء . الصفا : من مشاعر مكة بلحف أبي قيس . الحطيم : حجر الكعبة أو جداره . أطت : أنت حينئذ . الأركان : أي أركان الكعبة ، وهي أخجاره المكرمة كالركن الأسود ، والركن اليماني ، والركن الشامي ، والركن العراقي .
- ٧ لأغر : الجار متعلق بأطت . الأغر : الأبيض الوجه . العدل : العادل .
- ٨ يصل : يقاسي الحر . الهجير : شدة الحر . الغرة : الوجه . مهدية : منسوبة إلى والده المهدي .
- ٩ أديمها : بجلدها . الأكنان : جمع كن وهو البيت .

لَكِنَّهُ فِي اللَّهِ مُبْتَدِلٌ لَهَا ، إِنَّ التَّقِيَّ مُسَدَّدٌ ، وَمُعَانُ
أَلِفَتَ مُنَادِمَةَ الدَّمَاءِ سَيُوفُهُ ، فَلَقَلَّمَا تَحْتَازُهَا الْأَجْفَانُ^١
حَتَّى الَّذِي فِي الرَّحِمِ ، لَمْ يَكْ صُورَةٌ ، لَفُؤَادِهِ ، مِنْ خَوْفِهِ ، خَفَقَانُ
حَدَّرَ أَمْرِي نُصْرَتَ يَدَاهِ عَلَى الْعَدَى كَالدَّهْرِ ، فِيهِ شِرَاسَةٌ وَلَيَانُ
مُتَبَرِّجُ الْمَعْرُوفِ ، عَرِيضُ النَّدَى حَصِيرٌ ، بَلَا ، مِنْهُ قَسَمٌ وَلِسَانُ^٢
لِلْجُودِ مِنْ كِلْتَا يَدَيْهِ مُحَرَّكٌ ، لَا يَسْتَطِيعُ بُلُوغُهُ الْإِسْكَانُ

مدح الخصيب

أتى أبو نواس مصر ومدح الخصيب بن عبد الحميد المجبي عامل الخراج فيها من قبل هارون الرشيد .
فمن مدائحه هذه القصيدة التي يذكر فيها المواضع التي مر بها في طريقه من العراق إلى القسطنطينية عاصمة مصر
يومذاك :

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا ، أَبُوكِ غَيُورٌ ، وَمَيْسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرُ^٣
فَإِنْ كُنْتُ لَا خَيْلًا وَلَا أَنْتِ زَوْجَةٌ ، فَلَا بَرَحَتْ ، دُونِي ، عَلَيْكَ سُتُورُ^٤
وَجَاوَرْتُ قَوْمًا ، لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ ، وَلَا وَصَلَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نُشُورُ^٥
فَمَا أَنَا بِالْمَشْغُوفِ ضَرْبَةً لِزَبٍ ، وَلَا كُلُّ سُلْطَانٍ عَلَيَّ قَدِيرُ^٦
فَإِنِّي لَطَرَفِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ ، فَقَدْ كِدْتُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ ضَمِيرُ^٧

١. الأجفان : جميع الجفن وهو غمد السيف .
٢. متبرج : ظاهر للناس . عريض الندى : يتعرض للناس بالكرم . الحصر : البخل بالشيء ، ومن يضيق بالكلام . يريد أن المدح ييخل ويضيق بقول لا لطالب معروفه .
٣. قوله : بيتينا ، على عادتهم في تلبية المفرد .
٤. الخلم : الصديق والصاحب .
٥. اللشور : يوم القيامة .
٦. ضربة لازب : أي شغفاً لازماً شديداً .
٧. يقول : إنه يرد بينه الصادقة النظر كل حين مخافة يضمر صاحبها له شراً .

كَمَا نَظَرْتُ ، وَالرَّيْحُ سَاكِئَةٌ ، هَا ،
طَوْتُ ، لَيْلَتَيْنِ ، الْقَوْتُ عَنْ ذِي ضَرُورَةٍ ،
فَأَوَفْتُ عَلَى عُلْيَاءَ ، حِينَ بَدَا لَهَا ،
تُفَلِّبُ طَرَفًا فِي حَاجَايَ مَغَارَةٍ ،
تَقُولُ الَّتِي مِنْ بَيْتِهَا خَفَتْ مَرْكَبِي :
أَمَّا دُونَ مِصْرٍ لِلْغِنَى مُتَطَلِّبٌ ؟
فَقُلْتُ لَهَا ، وَاسْتَعْجَلْتُهَا بِوَادِرٍ ،
ذَرِينِي أَكْثَرُ حَاسِدِيكَ بِرِحْلَةٍ ،
إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْحَصِيبِ رِكَابُنَا ،
فَتَنِي ، يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ،
وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

- ١ الأرساغ ، جميع الرسخ : المفصل ما بين الساعد والكف ، والساق والقدم . الدور : خروج العظم من موضعه . في هذا البيت تقديم وتأخير . وجه الكلام : كما نظرت عقاب لها لدور بأرساغ الديدن . يشبه صدق نظره بصدق نظر العقاب وهي موصوفة عند العرب بحدة البصر . والظاهر أنه يشير إلى جوعها في خروج عظم يدها من موضعه .
- ٢ قوله : عن ذي ضرورة أي محتاج إلى غيره ليأتيه بالقوت . الأزيدب : تصغير أزعب وهو الفرخ ذو الزغب أي الريش الدقيق اللين . الشكير : الريش أول نبتة .
- ٣ قرن الشمس : أول شعاعها . الضريب : الثلج والجليد . يمور : يتحرك ليسيل ويمجري .
- ٤ الحجاج : العظم الذي ينبت عليه الحاجب . المغارة : الكهف ، استعارها لعيونها الفاترتين . ذرور . ما يلد من الدواء في العين ليشفيها من الرمذ وغيره . يقول : إن هذه العقاب بقيت ليلتين لا تجد قوتاً لها ولفرسخها الصغير حتى إذا سكنت الريح ، ولاح شعاع الشمس ، وأخذ الجليد يلوب ، أشرفت من عل تقلب طرفها السليم الصادق النظر تبحث عن صيد لتنفص عليه .
- ٥ خف : ارتحل مسرعاً . المركب : ما يركب في البحر أو البر وهنا بمعنى الملية .
- ٦ بوادر : سوابق من الدمع . العير : أغلاط من الطيب ، أي امتزج العير بدمعها .
- ٧ ذريني : دعيني . وقوله : أكثر حاسديك ، أي حينما يأتيها بالمال فتصبح غنية .
- ٨ الركاب : الإبل ، واحداً راحلة .
- ٩ الدائرات تدور : أي تتغير الأيام على الإنسان ، فلا يبقى له إلا الذكر الحسن إذا استطاع أن يكتسبه في أيام عزه ورخاله .

فما جازَهُ جُودٌ ، ولا حَلَ دُونَهُ ، ولكنْ يَصِيرُ الجُودُ حَبَبٌ يَصِيرُ^١
 فلم تَرَ عَيْنِي سُودُداً مثلَ سُودُدٍ ، يَحُلُّ أبو نَصْرِ بِهِ ، وَيَسِيرُ^٢
 وأطَرَقَ حَيَاتُ البِلَادِ حَيَّةٌ ، خَصِيَّةُ التَّصْمِيمِ حِينَ تَسُورُ^٣
 سَمَوَاتٍ لِأَهْلِ الجَوْرِ فِي حَالِ أَمْنِهِمْ ، فأَضْحَوْا ، وَكَلُّ فِي الوَثَاقِ أَسِيرُ^٤
 إِذَا قَامَ ، غَنَّتْهُ عَلَى السَّاقِ حَلِيَّةٌ ، لَهَا خَطْوُهُ ، عِنْدَ القِيَامِ ، قَصِيرُ^٥
 فَمَنْ يَكُ أَمْسَى جَاهِلاً بِمَقَالَتِي ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَبِيرُ^٦
 فَمَا زِلْتُ تُؤْلِيهِ النَّصِيحَةَ يَافِعاً ، إِلَى أَنْ بَدَأَ فِي العَارِضِينَ قَتِيرُ^٧
 إِذَا غَالَهُ أَمْرٌ ، فَلَمَّا كَفَيْتَهُ ، وَإِذَا عَلَيْهِ بِالكِفَاءِ تُشِيرُ^٨
 إِلَيْكَ رَمَتْ بِالْقَوْمِ هُوجٌ ، جَمَاعِمُهَا ، تَحْتَ الرَّحَالِ ، قُبُورُ^٩
 رَحَلَنَ بَنَا مِنْ عَقْرَقُوفٍ ، وَمِنْ الصَّبْحِ ، مَفْتُوقُ الأَدِيمِ ، شَهِيرُ^{١٠}
 فَمَا نَجِدَتْ بِالْمَاءِ ، حَتَّى رَأَيْتُهَا ، مَعَ الشَّمْسِ ، فِي عَيْنِي أَبَاغٌ ، تَغُورُ^{١١}

١ قوله : فما جازاه جود ، ولا حل دونه ، أي ما عدا عنه جود ، ولا حل في غيره .

٢ التصميم : المضي في الأمر . تسور : تثب وتثور . كان أهل مصر قد شغبوا على الخصب ، وشتموا عليه لزيادة في أسعارهم . فشبهم أبو نواس في إلكهم وبتاتهم ، بحيات السحرة الذين كانوا عند فرعون ، وشبه الخصب بمصا موسى التي انقلبت حية بأمر الله وتلقفت الحيات الكاذبة . وله مثل ذلك قصيدة يخاطب بها أهل مصر :

لَإِنْ يَكُ بَاقِي إلكِ فرعون فيكم ؛ فَإِنَّ عصا موسى بكف خصب

٣ حلية : أراد بها سيفه في غمد على بالذهب ، ين على ساقه إذا قام يمشي ، فكأنه يغني له ، ويخطو معه خطوا قصيراً . يصف الممدوح بالرفاعة ، لا يوسع الخطى في مشيه .

٤ يافعا : فتى راقى العشرين . والمراد : وأنت يافع . العارضين : جانبي الوجه . قتير : بياض الشيب .

٥ غاله الأمر : أخذه من حيث لا يدري . كفيته : قمت به دونه . الكفاء : دفع الأمر .

٦ بالقوم : بالوافدين إلى الممدوح ومنهم الشاعر هوج : جمع الهوجاء وهي الناقة المسرعة حتى كأن بها هوجاً .

٧ عقرقوف : قرية من نواحي دجيل بينها وبين بغداد أربعة فراسخ . أديم الصبح : بياضه ، وقوله : مفتوق : أي منشق عن سواد الليل .

٨ نجدت بالماء : نصحت بالعرق . عين أباح : مثله ، واد على طريق الفرات إلى الشام . وقوله : عيني أباح ، على تثنية المفراد . روي عن أبي نواس أنه قال : جهدت على أن تقع في الشر عيني أباح فامتنعت علي ، فقلت عيني أباح ليستوي الشر .

وَعُمَرْنَ مِنْ مَاءِ النُّقَيْبِ بِشُرْبَةٍ ، وَقَدْ حَانَ مِنْ دِيكَ الصَّبَاحِ زَمِيرٌ^١
 وَوَافَيْنَ إِشْرَاقًا كَتَائِسَ تَدْمُرُ ، وَهُنَّ إِلَى رَعْنِ الْمُدَخِّنِ صُورٌ^٢
 يُؤْمَتْنَ أَهْلَ الْغُوطَتَيْنِ ، كَأَتَمًا لَهَا ، عِنْدَ أَهْلِ الْغُوطَتَيْنِ ، ثُورٌ^٣
 وَأَصْبَحْنَ بِالْحَوْلَانِ يَرْضَخْنَ صَخْرَهَا ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْرَاحِهِنَّ شُطُورٌ^٤
 وَقَاسَيْنَ لَيْلًا دُونَ بَيْسَانَ ، لَمْ يَتَكَدَّ سَنًا صُبْحِهِ ، لِلنَّاطِرِينَ يُنِيرُ^٥
 وَأَصْبَحْنَ ، قَدْ فُوزْنَ مِنْ نَهْرِ فُطْرُسٍ ، وَهُنَّ عَنِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ زُورٌ^٦
 طَوَالِبُ بِالرُّكْبَانِ غَزَّةَ هَاشِمٍ ، وَفِي الْفَرَمَا مِنْ حَاجِهِنَّ شُقُورٌ^٧
 وَلَمَّا أَتَتْ فُسْطَاطَ مِصْرَ أَجَارَهَا ، عَلَى رَكِبِهَا ، أَنْ لَا تَزَالَ ، مُجِيرٌ^٨
 مِنْ الْقَوْمِ بَسَامٌ ، كَأَنَّ جَبِينَهُ سَنَّا الْفَجْرِ ، يَسْرِي ضَوْؤُهُ وَيُنِيرُ^٩

١ غمرن : أسقين قليلا ، أو أسقين بالقدر لضيق الماء . النقيب ، تصغير النقب : النقب وهو كما يظهر اسم موضع في طريق تدمر غير النقيب الذي ذكره ياقوت بين تبوك ومعان . الزمير : الغناء ؛ وأراد به صياح الديك .
 ٢ الرعن : ألف يتقدم الجبل . المدخن : جبل لم يذكره ياقوت . صور : جمع أصور وهو المائل إلى الشيء .

٣ يؤمن : يقصدن . الغوطتين : أراد بهما غوطة دمشق على ثلثة المفرد . ثور : نار .
 ٤ الحولان : كانت يومئذ من أعمال حوران ، وهي إلى الجنوب من إقليم البلان ، كثيرة القرى خصبة المراعي . يرضخن : يكسرن ، أي بوطه أخفافهن . وقوله : لم يبق من أجراحهن شطور : يريد أن الأنصاع أي السيور التي تشد بها الأحمال ، أثرت في ظهور الإبل فجعلت فيها جراحا اتسعت للول السفر فتلاقت أجزاؤها .

٥ بيسان : مدينة بالأردن عند النور الشامي في الجنوب الشرقي من مرج ابن عامر . يقول : كان الليل طويلا لشدة ما لقيت به المطايا من العناء .

٦ فوزن : مضين ناجيات . نهر فطرس : أي بطرس ، موضع قرب الرملة من فلسطين . زور ، جمع أزور : وهو المائل عن الشيء والمنحرف عنه .

٧ غزة : جنوبي يافا من فلسطين . ويقال لها غزة هاشم لرواية تزعم أن هاشم بن عبد مناف القرشي ، والد جد النبي محمد ، مدفون فيها . الفرما : مدينة على الساحل من ناحية مصر . حاجهن : أي حاجتهن جمع حاجة . ويريد بذلك حاجتهن إلى الراحة . الشقور : جمع الشقر وهو الأمر اللاصق بالقلب المهم له .

٨ الفسطاط : عاصمة مصر قبل القاهرة ، بناها عمرو بن العاص . على ركبها : أي مع ركبها .
 ٩ من القوم : الجار متعلق بمجير .

زَها بالخصيبِ السِّيفُ والرمحُ في الوغى ، وفي السلمِ يزهو مَنبَرٌ وسريرُ
جوادُ ، إذا الأيدي كففتنَ عن الندى ، ومن دونِ عَوَراتِ النساءِ غَيورُ
لَهُ سَلَفٌ في الأعجمينَ كأنهمُ ، إذا استؤذِنوا ، يومَ السلامِ ، بُدورُ
وإنِّي جَدِيرٌ ، إذ بَلَغتُكَ ، بالمُنَى ، وأنتَ ، بما أَمَلْتُ مِنْكَ ، جَدِيرُ
فإنْ تولَّني مِنْكَ الجَميلَ ، فأهلُهُ ، وإلاَّ فلأنِّي عاذِرٌ ، وشَكُورُ

مدح الخليفة محمد الأمين

كان للأمين خمس من السلن المعروفة بالحراقات : إحداها على مثال الأسد ، والثانية على مثال العقاب ، والثالثة على مثال الدلفين ، والرابعة على مثال الفيل ، والخامسة على مثال الحية . فركب ذات يوم في سفينة الأسد متزهاً ، وركب أبو نواس معه ينادمه ، فقال في ذلك :

سَخَّرَ اللهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا ، لَمْ تُسَخَّرْ لَصَاحِبِ الْمِحْرَابِ
فإذا ما رَكابُهُ سَيرنَ بَرّاً ، سارَ في المائِ رَاكِباً لَيْثَ غَابِ
أَسَداً بِاسِطاً ذِرَاعِيهِ يَعلو ، أَهَرَّتَ الشَّدَقِ ، كَالِحِ الْأَنْيَابِ
لا يُعَانِيهِ بِاللَّجَامِ ، ولا السَّوِ طِ ، ولا غَمَزَ رِجْلِيهِ في الرِّكَابِ
عَجَبَ النَّاسُ ، إذ رَأَوْهُ ، على صُورَةِ لَيْثٍ ، يَمُرُّ مَرَّةً السَّحَابِ
سَبَّحُوا ، إذ رَأَوْكَ سَرَّتَ عَلَيْهِ ، كَيْفَ لَوْ أَبْصَرُوكَ فَوْقَ الْعُقَابِ
ذاتِ زَوْرٍ ، ومَنَسِيرٍ ، وجَنَاحِيٍّ نِ تَشْتَقُّ الْعُيُوبَ بَعْدَ الْعُيُوبِ

١ السرير : تحت الملك وعرشه .

٢ يقول : تشرق وجوههم كالبدور متبهة ، وهم يستقبلون الذين يدخلون للسلام .

٣ المحراب : موضع الإمام من المسجد ، وأراد بصاحب المحراب سليمان الحكيم لأنه بنى الهيكل . وقوله : لم تسخر لصاحب المحراب : إشارة إلى ما يروى من أن الريح كانت مطية له ولأصحابه .

٤ ركابه : مطايه .

٥ أهرت الشدق : واسمه . كالح الأنبياب : متكثر في عبوس .

٦ الزور : الصدر . المنسر : المنقار . العياب : تدلق المياه وكثرتها .

تُسَبِّقُ الطَّيْرَ فِي السَّمَاءِ . إِذَا مَا اسَّ . تَعَجَّلُوا . بِجَيْشَةٍ وَذَهَابِ
بَارَكَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ . وَأَبْقَا . هُ . وَأَبْقَى لَهُ رِدَاءَ الشَّبَابِ
مَلِكُكَ تَقْصُرُ الْمَدَائِحُ عَنْهُ . هَاشِمِي . مُوَفَّقٌ لِلصَّوَابِ

الهجاء

هجاء اليمانية

كان أبو نواس قد ادعى أنه من العدنانية . فأخذ يتمصب لها ، وهجا هاسم بن حديج الكندي :

يَا هَاشِمَ بْنَ حُدَيْجٍ . لَيْسَ فَخْرُكُمْ . بِقَتْلِ صِهْرٍ رَسُولِ اللَّهِ . بِالسَّادِ
أَدْرَجْتُمْ فِي لَهَابِ الْعَيْرِ جُشْتَهُ . فَبَيْسَ مَا قَدَمْتَ أَيْدِيَكُمْ لَعْدِ
إِنْ تَقْتُلُوا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ . فَقَدْ قَتَلْتَ حُجْرًا . بَدَارَةَ مَلْحُوبٍ . بَنُو أَسَدٍ
وَطَرَدَوْكُمْ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَجْلِ . طَرَدَ النَّعَامِ إِذَا مَا تَاهَ فِي الْبَلَدِ

١ تقصر : تكفى عاجزة .

٢ الصهر : هما بمعنى الختن وهو من كان من قبل المرأة كالأب والأخ . والمراد بصهر الرسول محمد
ابن أبي بكر أخو عائشة زوج النبي محمد ، وكان عامل علي بن أبي طالب على مضر ، قتله معاوية
ابن حديج الكندي ، وقطع رأسه ، ثم أدرج الجثة في جلد حمار وأحرقها بالنار ، وبعث بالرأس
إلى معاوية . قيل : وكان أول رأس طيف به في الإسلام سنة ٣٨ هـ (٦٥٨ م) .

٣ الإهاب : الجلد . المر : الحمار . وقوله : قدمت أيديكم لغد أي للآخرة .
٤ حجر : والد امرئ القيس الشاعر . ثارت به بنو أسد القبيلة العدنانية فقتلته وأزالت عنها ملك بني
كندة . دارة ملحوب : اسم موضع .

٥ أجأ : أحد جبل بني طي . وثانيتها سلى . وطى : قبيلة يمانية . البلد : قطعة من الأرض عامرة
أو غامرة .

وقد أصاب شراحيلاً أبو حنشل ، يوم الكلاب ، فما دافعتهم بيدي
ويوم قُلتُم لزيد . وهو يقتلُكم قتل الكلاب : لقد أبرحت من ولد^٢
وكل كندية قالت لجارتها . والدمع ينهل ، من مشني ومن وحد^٣ :
ألهي امرأ القيس تشيب بغانية . عن ثأره ، وصفات النوي والوتد^٤ .

هجو العدنانية

وقال من قصيدة يهجو بها قبائل نزار العدنانية ويفخر بالقطانية بعد انتسابه إلى اليمن :

أحيب قريشاً لحب أحمد ها ، واعرف لها الجزل من مواهبها^١
إن قريشاً ، إذا هي انتسبت ، كان لنا الشطر من مناسيبها
فأم مهدي هاشم ، أم موسى^٥ ، فافخر ، وسام بها^٢
إن فاحرتنا ، فلا افتخار لها إلا التجارات من مكاسيبها
وانتها ، إن ذكرت مكرمة^٣ . جاءت تجاراتها بغاليها
واهج نزاراً . وأفر جلدتها . وهتك الستر عن مثاليها^٤

- ١ شراحيل : كذا في الأصل ، وهو في الأغاني والمقد الفريد شرحيل أي شرحيل بن الحارث الكندي قتله أبو حنشل عصيم بن مالك التغلبي يوم الكلاب الأول . والكلاب : ماء بين الكوفة والبصرة .
- ٢ أبرحت من ولد : يقال : أبرحت فارساً ، وأبرحت كرمياً أي فصلت وعظمت .
- ٣ الجزل : الكثير .
- ٤ يقول : إن أم الخليفة المهدي منا أي قطانية . وأم المهدي هي أروى بنت منصور الحبيرة . وكانت تكنى أم موسى . وقوله الخير : في معنى أفضل التفصيل .
- ٥ أفر : أقطع وشق . هتك الستر : شقه . مثاليها : معاليها ، واحدها مثلية .

هجاء الخصيب

خُبِزُ الخَصِيبِ مُعَلَّقٌ بالكَوَكَبِ ، يُحْمَى بِكُلِّ مُثَقِّفٍ ، وَمُشَطَّبٍ^١
 جَعَلَ الطَّعَامَ عَلَى بَنِيهِ مُحَرَّمًا قُوْتًا ، وَحَلَّلَهُ لِمَنْ لَمْ يَسْغَبِ^٢
 فَإِذَا هُمْ رَاوُوا الرِّغِيفَ ، تَطَرَّبُوا طَرَبَ الصَّيَامِ إِلَى أَذَانِ الْمَغْرِبِ^٣

هجو الرقاشي

قُلْ للرَّقَاشِيَّ ، إِذَا جِئْتَهُ : لَوْ مِتَّ ، يَا أَحْمَقُ ، لَمْ أَهْجُكَ
 لِأَنْتِي أَكْرَمُ عِرْضِي ، وَلَا أَقْرِئُهُ يَوْمًا إِلَى عِرْضِيكَ
 إِنْ تَهْجَيْتَنِي ، تَهْجُ فِتْنَى مَا جِئْتُ ، لَا يَرْفَعُ الطَّرْفَ إِلَى مِثْلِكَ
 وَاللَّهِ ، لَوْ كُنْتُ جَرِيرًا ، لَمَّا كُنْتُ بِأَهْجَى لَكَ مِنْ أَصْلِكَ

١ الملقف : الرمح المقوم . المشطب : السيف فيه شطب أي طرق .
 ٢ يسغب ، من سغب : جاع .
 ٣ رَاوُوا : بمعنى رَأَوْا من باب القلب المكاني .

الطرديات

نعت كلب

لَمَّا تَبَدَّدَى الصَّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ ، كَطَلْعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جِلْبَابِهِ ١
وَالْعَدَلُ اللَّيْلُ إِلَى مَابِهِ ، كَالْحَبَشِيِّ افْتَرَّ عَنْ أَنْيَابِهِ ٢
هَجْنَا بِكَلْبٍ ، طَالَمَا هَجْنَا بِهِ ، يَنْتَسِفُ الْمِقْوَدَ مِنْ كَلَابِهِ ٣
كَأَنَّ مَتْنِيهِ ، لَدَى انْسِلَابِهِ ، مَتْنًا شُجَاعٍ ، لَجَّ فِي انْسِيَابِهِ ٤
كَأَنَّمَا الْأُظْفُورُ ، فِي قِنَابِهِ ، مُوسَى صَنَاعٍ ، رُدَّ فِي نِصَابِهِ ٥
تَرَاهُ فِي الْحَضَرِ ، إِذَا هَاهَا بِهِ ، يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ ٦
شَدَّ آبِطْنَ الْقَاعِ ، مَنْ أَلْهِ بِهِ ، يَتْرُكُ وَجْهَ الْأَرْضِ ، فِي إِهَابِهِ ٧

- ١ تبدى : في كتب اللغة أقام بالبادية وصار من أهلها ، وهنا يستعملها الشاعر بمعنى بدا أي ظهر .
الأشمط : من خالط سواد شعره بياض الشيب . جلبابه : قميصه أو ثوبه . والمعنى أن الصبح في أوله يخالط بياضه سواد الليل ، كمرأس الأشمط الخارج من قميصه .
- ٢ العدل : حاد وتنحى . مآبه : مرجعه . افتر : تبسم . والمعنى أن الليل في ذهابه عند قدوم الصباح يشبه حبشياً أسود يتسم عن أسنانه البيض ، فيبدو بريقها على سواده .
- ٣ هجنا بكلب : أي أثرناه من مرقده . ينتسف : يقتلع . الكلاب : قائد الكلب . يصف حمية كلبه ونشاطه ، فيقول : إله يشد بجبله حتى يقتله من يد كلابه .
- ٤ متنيه : ما اكتنف الظهر من اليمين والشمال . انسلابه : إسرعه في السير . الشجاع : ضرب من الحيات دقيق .
- ٥ الأظفور ، والظفر واحد . القناب : موضع الظفر . صناع : ماهر في عمل اليدين ، ويريد به الخلاق . نصابه : مقبضه وقرابه .
- ٦ الحضرة : الارتفاع في الركض . هاهنا : تخفف هاهنا أي زجر . إهابه : جلده . أي يكاد يخرج من جلده لحميته ونشاطه .
- ٧ شدّأ : عدواً . القاع : أرض سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . ألهى به : يريد أن الكلب ألهى الكلاب به ، وجعله يقفز وراءه ليستطيع لحاقه لشدة عدوه . إهابه : إسرعه في العدو .

كَأَنَّ نَشْوَانَ ، تُوكِّلُنَا بِهِ ، يَعْفُو عَلَى مَا جَرَّ مِنْ ثِيَابِهِ^١
إِلَّا الَّذِي آثَرَ مِنْ هُدَابِهِ ، تَرَى سَوَامَ الْوَحْشِ تُحْتَوَى بِهِ^٢

نعت ديك

أُنْعَتُ دِيكًا مِنْ دُيُوكِ الْهِنْدِ ، كَرِيمَ عَمٍّ ، وَكَرِيمَ جَدٍّ^١
لِنِسْبَةٍ لَيْسَتْ إِلَى مَعَدٍّ ، وَلَا قُضَاعِيٍّ ، وَلَا فِي الْأَزْدِ^٢
مُفْتَتَحُ الرِّيشِ ، شَدِيدُ الزَّنْدِ ، ضَخْمُ الْمُخَالِبِ ، عَظِيمُ الْعَضْدِ^٣
حَتَّى إِذَا الدِّيكُ ارْتَأَى مِنْ بَعْدِ ، وَنَجْمُهُ فِي النَّحْسِ ، لَا فِي السَّعْدِ^٤
رَأَيْتَهُ كَالْفَارِسِ الْمُعِيدِ ، يَخْطِرُ خَطَرًا مِثْلَ خَطَرِ الْأُسْدِ^٥
يَقْتُهِ بِالْكَدِّ بَعْدَ الْكَدِّ ، وَتَعَبِ مُوَصِّلٍ بِجَهْدِ^٦
حَتَّى تَرَى الدِّيكَ لَهُ كَالْعَبْدِ ، مُفَكِّرًا ، يُعْظِمُهُ بِالسَّجْدِ^٧

يَا لَكَ مِنْ دِيكِ رَبِّي فِي الْبَهْدِ

- ١ نشوان : سكران . يعفو : يمحو . يقول : إن هذا الكلب لعدوه الشديد يشق التراب بقوائمه ، ثم يتمرغ ويتقلب فيمحو تلك الآثار بحمسه ، فكأنه سكران يرتدي ثياباً طويلة الأذيال تهر على الأرض فتترك أثراً ، فإذا مشى وقع من سكره وتقلب فمسح آثار أذياله .
- ٢ آثر : فضل . الهداب : طرف الثوب . السوام : الراعية . الوحش : أي حمار الوحش . يقول : يمحو هذا السكران آثار ما جر من ثيابه إلا بعضها فضله على غيره فأبقاه ، أي أن الكلب في تمرغه لا يمحو جميع آثار قوائمه بل يبقى بعضها ظاهراً . ثم يقول : إن هذا الكلب ، وهو على هذه الحال من النشاط والحمية ، إذا بلغ الصيد تراه يحتوي على الحمر الراعية حتى تصبح في حوزته .
- ٣ مد : مجموع القبائل العدنانية . قضاة والأزد من القبائل القحطانية الجامعة . تظهر هنا شعبية الشاعر في سفره بالقبائل التي تفاخر بأنسابها ، فيقول : إن ديكه هندي لا عربي ، ومع ذلك فهو كريم المم والجد .
- ٤ العضد : ما بين المرفق إلى الكتف .
- ٥ ارتأى : أخذها بمعنى تراءى أي ظهر .
- ٦ يقتنه : يجره ويسوقه .
- ٧ مفكراً : هكذا وردت في الديوان ، ولعلها مكفراً ، والتكفير : خضوع الشخص لغيره .

الزهديات

خداع الدنيا

أَلَا رُبَّ وَجْهٍ ، فِي التُّرَابِ ، عَتِيقٍ ؛ وَيَا رُبَّ حُسْنٍ ، فِي التُّرَابِ ، رَقِيقٍ ١
 وَيَا رُبَّ حَزْمٍ ، فِي التُّرَابِ ، وَتَجْدَةٍ ؛ وَيَا رُبَّ رَأْيٍ ، فِي التُّرَابِ ، وَثِيقٍ
 قُلُّ لِقَرِيبِ الدَّارِ : إِنَّكَ رَاحِلٌ* إِلَى مَنَزِلٍ نَائِيِ الْمَحَلِّ سَحِيقٍ ٢
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ ، وَذُو نَسَبٍ ، فِي الْهَالِكِينَ ، عَرِيقٍ
 إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ ، تَكْشَفَتْ لَهُ عَن عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

العمل الصالح

آيَةٌ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ ، وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَارِحُ ٣
 لِلَّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظٍ ، وَنَاصِحٍ ، لَوْ خُطِيَءَ النَّاصِحُ
 يَا بَى الْفَتَى إِلَّا اتَّبَاعَ الْهَوَى . وَمَسْنَهَجُ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحُ
 فَاسْمُ بَعِيْنَيْكَ إِلَى نِسْوَةٍ . مُهُورُهُنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ
 لَا يَنْجَتِلِي الْعَذْرَاءُ مِنْ خِلْرِهَا إِلَّا أَمْرُؤُ مِيزَانُهُ رَاجِحُ
 مَنْ اتَّقَى اللَّهَ ، فَذَلِكَ الَّذِي سِيقَ إِلَيْهِ الْمَتَجَرُّ الرَّابِحُ

١ عتيق : كريم .

٢ سحيق : بعيد .

٣ النار : يريد بها الشيب . يقال : اشتمل الرأس شيباً . الجد : أي جد الشيخوخة بعد مزح الشباب .

٤ يقول : لو قلت لمن وعظك ونصحك أخطأت ، فأنت لا تقول ذلك للشيب .

٥ اجتلى العروس : أخرجها من خدرها بأحسن جلوة . ميزانه راجح : أراد به العقل الراجح لأنه يقال : فلان راجح الوزن أي كامل العقل .

شَمَّرَ ، فَمَا فِي الدِّينِ أَغْلُوطَةٌ ، وَرُخٌ بِمَا أَنْتَ لَهُ رَائِحٌ

صلاة خاطيء

يَا رَبِّ ، إِنْ عَظُمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً ، فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ، فَيَمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ ؟
أَدْعُوكَ ، رَبِّ ، كَمَا أَمَرْتَ ، نَضْرَعًا ، فَلِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ ، فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ ؟
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا ، وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ، ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

على سرير الموت

دَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلُوًا ، وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوًا
لَيْسَ تَمْضِي مِنْ لَحْظَةٍ بِي ، إِلَّا نَقَصْتَنِي ، بِمَرَّهَا فِيَّ ، جُزْؤًا ٢
ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِحَاجَةٍ نَفْسِي ، وَتَطَلَّبْتُ طَاعَةَ اللَّهِ لِيُضَوِّ ٣
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيَالٍ وَأَيَّامٍ ، تَجَاوَزْتُهُنَّ لِيَعْبَأَ وَلَهُوَ ٤
قَدْ أَسَانَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ ، فَالآنَ هُمْ صَفَحَاءُ عَنَّا أَوْ غَفْرَاءُ أَوْ عَفْوَاءُ ٥

١ شمر : امض في أمرك جاداً مجتهداً .

٢ نقصتني : أي ألقصت مني . جزوا : يريد به جزءاً .

٣ الحدة : حالة الشيء الحديد ، ويريد به شبابه وصحته . نضراً : ضميماً مهزولاً .

ابو تمام

المدح

فتح عمورية

قال يملح المعتم ، ويذكر انتصاره على الروم في واقعة عمورية سنة ٨٣٧ م :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِّنَ الْكُتُبِ ، فِي حَدَدِ الْحَدِّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ ١
بَيْضُ الصَّفَائِحِ ، لَا سَوْدُ الصَّحَائِفِ ، فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ ٢
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ ، لَا مِيعَةَ ، بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ ، لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ ٣
أَيْنَ الرِّوَايَةِ ، بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا ، وَمَنْ كَذَّبَ ٤
تَخَرُّصًا ، وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً ، لَيْسَتْ بِنَبْعٍ ، إِذَا عُدَّتْ ، وَلَا غَرْبٍ ٥
عَجَائِبًا ، زَعَمُوا الْآيَاتَ مُجْفِلَةً ، عَنْهُمْ ، فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ ، أَوْ رَجَبٍ ٥

- ١ الكُتُبُ : أي كتب السحر والتنجيم . الحد : الفاصل .
- ٢ الصَّفَائِحُ : جمع الصفيحة وهي السيف العريض . الصَّحَائِفُ : جمع الصحيفة وهي القرطاس المكتوب .
المتون : جمع المتن ، ومتن السيف : صفحته .
- ٣ الشهب الأولى : أسنة الرماح لما فيها من البريق . الخميسين : الجيوشين . الشهب الثانية : السيارات السبع ، وهي عندهم : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر .
- ٤ تخرُّصاً : كذباً . النبع : شجر صلب تصنع منه القسي . الغرب : شجر هش أي رخو لين . يقول :
أحاديث ملفقة ليس لها أصل قوي ولا ضعيف .
- ٥ مجفلة : ذاهبة منقلبة . عنهم : الضمير يعود على عجائباً . والمراد ما تحدته عجائب النجوم من تدمير العالم فتبضي معه الأيام . صفر ورجب : من الأشهر العربية . الأصفار : جمع صفر ، يقال صفر—

وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ، إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرِيبُ ذُو الذَّقَبِ
وَصَيَّرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً ، مَا كَانَ مُنْقَلِبًا ، أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ^١
يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا ، وَهِيَ غَافِلَةٌ ، مَا دَارَ فِي فَلَكٍ ، مِنْهَا ، وَفِي قُطْبٍ^٢
لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا ، قَبْلَ مَوْقِعِهِ ، لَمْ يَخَفْ مَا حَلَّ بِالْأَوْتَانِ وَالصُّلْبِ^٣
فَتَحُّ الْفُتُوحِ ، تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ ، نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ ، أَوْ نَتْرٌ مِنَ الْخُطْبِ^٤
فَتَحُّ ، تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ ، وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ^٥
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةَ ، انْصَرَفَتْ عَنْكَ الْمُنَى حُفْلًا ، مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ^٦
أَبَقِيَتْ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعْدٍ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِكِ فِي صَبَبٍ^٧

- الأصفار : وهو يدل على الخلو لأن الأصفار أيضاً جمع الصفر وهو الخالي . جعل المنجمون هذا الشهر ميقاتاً لتدمير العالم وخلوه من السكان ، وجعلوا رجب كذلك لأن مادته تدل على الخوف والعظمة .
يقال : رجب : فزع وهاب وعظم .
- ١ الأبرج : جمع البرج . وبروج السماء اثنا عشر ، وهي عند المنجمين مرتبة على ثلاثة أقسام : المنقبة ، وهي أربعة : الحمل والسرطان والميزان والجدي . والثابتة ، وهي أربعة : الثور والأمد والمعرب والدلو . وذوات الجسدين ، وهي أربعة أيضاً : الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت .
- ٢ ما ، في قوله ما دار : مفعول به من يقضون . القطب : كوكب لا يبرح مكانه يدور عليه الفلك ، وهو بين الجدي والفرقدين .
- ٣ الصلب : جمع الصليب . يقول : لو صح أن الكواكب تبين الأمور قبل وقوعها ، لما خفي على المنجمين مصير الروم يوم عمورية . وكان المتصم قد استشار المنجمين قبل زحفه ، فزعموا أن الزمان غير موافق للفتح ، فلم يحفل بأقوالهم ، وغزا عمورية ، وانتصها .
- ٤ أن يحيط به : أي أن يحيط بوصفه .
- ٥ القشب : الجدد . يقول : إنه فتح من الله تعيد له الأرض والسماء .
- ٦ المنى : جمع المنية وهي الرغبة . حفلاً جمع حافل ، مأخوذ من قولهم : ناقة حافلة أي مجتمعة البين . معسولة : مزوجة بالمثل . الحلب : اللبن المحلوب . يقول : ذهبنا إلى هذه الحرب ، ونحن تفتى الانتصار والفتح ، فرجعنا وأمانينا حافلة بأطيب المواقب وأحلاها .
- ٧ الجد : الحظ . المشركين : الذين يعملون لله شريكاً ويريد بهم الروم . دار الشرك : أي عمورية . صبيب : ما انحدر من الأرض ضد صعد .

أَمْ لَهُمْ ، لَوْ رَجَوْنَا أَنْ تُفْتَدَى ، جَعَلُوا
وَبَرَزَةُ الْوَجْهِ ، قَدْ أُعِيَتْ رِيَاضَتُهَا
مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ ، أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ ، قَدْ
بِكَرٍّ ، فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفٌّ حَادِثَةٌ ،
حَتَّى إِذَا مَخْضَ اللَّهُ السَّيْنَيْنِ لَهَا ،
أَتَتْهُمُ الْكُرْبَةُ السُّودَاءُ سَادِرَةً ،
جَرَى لَهَا الْفَالُ نَحْسًا ، يَوْمَ أَنْقَرَةٍ ،
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ ،
كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ ،
فِدَاءُهَا كُلِّ أَمٍّ بَرَةٍ وَأَبٍ
كَيْسَرِي ، وَصَدَتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرْبٍ
شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي ، وَهِيَ لَمْ تَشِيبْ
وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ
مَخْضَ الْبَخِيلَةِ ، كَانَتْ زُبْدَةَ الْحُقُبِ
مِنْهَا ، وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الْكُرْبِ
إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةُ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ
كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
قَانِي الدَّوَابِّ مِنْ آتِي دَمٍ سَرَبٍ

- ١ برة : صادقة كثيرة البر . هذه رواية الديوان . ورواية الصولي في أخبار أبي تمام : كل أم منهم .
- ٢ البرزة : الحية . وقيل هي المرأة البارزة المحاسن التي تظهر للرجال . فعل المعنى الأول يقول : إن عمورية كانت كالمرأة المتخففة تصد عن كل طالب وراغب . وعلى المعنى الثاني يقول : هي مع بروزها ممتعة لا يقدر عليها ، أعجزت كسرى فارتد عنها ، وامتنعت على أبي كرب اليماني أحد الملوك المتباعدة .
- ٣ وهي لم تشب : أي بقيت على جدتها ، مع تقدم زمانها ، لسلامتها من نكبات الغزو والفتح .
- ٤ يقول : بقيت عذراء لم تنلها يد حادثة من حوادث الدهر ، ولا ست إليها همة النواذب .
- ٥ مخض اللبن : حركه ليستخرج زبدته . مخض البخيلة : أي الحريصة على لبنها لا تفرط فيه . الحقب : الدهر .
- ٦ الكربة : الحزن يأخذ في النفس . سادرة : لا تبالي ما نصنع . يقول : أتتهم (أي الروم) الكربة السوداء القاسية من عمورية عندما سقطت بيد المسلمين ، وكانوا لمناعتها يسمونها فراجة الكرب .
- ٧ نحساً : رواية الديوان ، ورواية الصولي : برحاً . الرحب : جمع الرحبة وتسكن الحاء ، وهي من المكان ساحتها ومتسمه . غودرت : الضمير يعود إلى أنقرة . وكان المعتصم قد استولى عليها قبل بلوغه عمورية .
- ٨ أختها : أي أنقرة .
- ٩ القاني : الأحمر . الدواب : الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر . الآتي : الذي انتهى حره . السرب : السائل .

بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِّيّ ، مِنْ دَمِهِ ،
لَقَدْ تَرَكْتَ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِهَا ،
غَادَرْتَ فِيهَا بِتَهِيمِ اللَّيْلِ ، وَهُوَ ضُحَى
حَتَّى كَانَ جَلَابِيبَ الدَّجَى رَغَبَتْ
ضَوْءُ مِنَ النَّارِ ، وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ ،
فَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ مِنْ ذَا ، وَقَدْ أَفْلَتَتْ ،
تَصَرَّحَ الدَّهْرُ ، تَصْرِيحَ الْغَمَامِ ، لَهَا ،
لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ ، يَوْمَ ذَلِكَ ،
مَا رُبِعُ مَيَّةَ ، مَعْمُورًا ، يُطِيفُ بِهِ

لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ ، مُخْتَصِبًا^١
لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْحَشَبِ^٢
بِقُلُّهِ ، وَسَطَهَا ، صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ^٣
عَنْ لَوْنِهَا ، أَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبْ^٤
وِظْلُمَةٌ مِنْ دُخَانٍ ، فِي ضُحَى شَحْبِ^٥
وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا ، وَلَمْ تَجِبْ^٦
عَنْ يَوْمٍ هَيَّجَاءَ ، مِنْهَا ، طَاهِرٍ جُنْبِ^٧
عَلَى بَانَ بِأَهْلٍ ، وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَرَبِ^٨
غِيلَانُ ، أَهْبَى رَبَّى مِنْ رَبْعِهَا الْخَرَبِ^٩

.....

- ١ الخطي : الرمح . يقول : هو مختضب من دمه بحكم السيف والرمح ، وهذه هي السنة التي أجريت عليه أحكامها لا سنة الدين الإسلامي لأنه نصراني .
- ٢ يومًا : مفعول به من تركت .
- ٣ بهم الليل : ليل لا ضوء فيه . يقله : يحمله . هذه رواية الديوان ، ورواية أخبار أبي تمام للصولي : يشله : أي يطرده . وسطها : أي وسط عمورية .
- ٤ الجلابيب : الثياب الواسعة ، ويريد بها كثافة الظلام وشدته . رغب عن الشيء : شدد رغب فيه .
- ٥ شحب : متغير اللون . يقول : ضوء النار ظهر ليلاً فصبوه نهاراً ، وتحول إلى دخان في الصباح فجمعه صاحب اللون . الضحى : يغلب عليها التأنيث ، وتذكر .
- ٦ طالعة من ذا : أي من ضوء النار . أفلت : غابت . واجبة : غائبة . من ذا : أي من الدخان . لم تجب : لم تغب .
- ٧ تصرح : الكشف والنجلي . تصریح الغمام : انجلاؤه وظهور الشمس . جنب : نجس . يقول : انجلي الدهر لعمورية عن يوم حرب طاهر نجس منها . ويريد بذلك أنه طاهر لما فيه من جهاد ديني طاهر ، نجس لما فيه من انبعاث الأعراض .
- ٨ بان بأهل : متزوج . يريد أنه قتل في هذا اليوم كل متزوج وعزب من الروم .
- ٩ مية : هي مي بنت مقاتل صاحبة ذي الرمة الشاعر . غيلان : أم ذي الرمة ، وهو من محسني شعراء صدر الإسلام ، يتصور الشاعر دار مية عامرة تكتنفها بهجة والنضارة ، وغيلان يطيف بها ، يغني صاحبته بشره ، فيزيد الديار بهجة ورواء . ثم يقول : إن ديار مي عل جمالها وبهجتها وهي في مثل هذه الحال ، ليست أهوى عندي من ربع عمورية الحرب . جمل منظر الخراب أجمل من منظر العمران .

ولا الخدود^١ ، وإن أدمين من خجّل^٢ ،
 سَماجة^٣ ، غَنِيَّت مِنَّا العُيونُ بها
 وحُسنُ مُنْقَلَبٍ تبدو عواقِبُهُ ،
 لم يَعْلَمِ الكُفْرُ كَم من أعْصُرُ كُنْتُ
 تدبِيرُ مُعْتَصِمٍ باللهِ ، مُسْتَقِيمٍ
 ومُطْعِمٍ النَّصْلِ ، لم تَسْكُهمْ أَسِنَّتُهُ
 لم يَغْزُ جَيْشاً ، ولم يَنْهَضْ إلى بَلَدٍ ،
 لو لم يَنْقُدْ جَحْفَلاً يومَ الْوَعَى ، لَعَنَدَا
 رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجِيهَا ، فَهَدَمَهَا ،
 أَشْهَى إلى نَاطِرِي مِن خَدَّهَا التُّرْبِ
 عَن كُلِّ حُسْنٍ بَدَأ ، أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ
 جَاءَتْ بِشَاشَتُهُ عَن سُوءِ مُنْقَلَبٍ
 لَهُ الْمَسِيَّةُ ، بَيْنَ السُّرِّ وَالْقُصْبِ
 اللهُ ، مُرْتَقِبٍ فِي اللهِ ، مُرْتَهَبٍ
 يوماً ، وَلاحُجَّتْ عَن رُوحٍ مُّحْتَجِبٍ
 إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِّنَ الرُّعْبِ
 مَن نَفْسِهِ وَحَدَّاهَا فِي جَحْفَلٍ لَّجِبٍ
 وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ ، لَمْ تُصِيبْ

.....

- ١ وإن أدمين : رواها الصولي ولو أدمين . التراب : الكثير التراب . يقول : وليست الحسنان ، إذا زادا احمرار الخجل جمالا ، أشهى إلى ناظري من أرض عمورية التي كثر فيها التراب بعد خرابها .
- ٢ السماجة : ضد الملاحه . يقول : إن الخراب قبيح بذاته ، ولكن خراب عمورية أغنى عيوننا عن كل حسن يبدو لها ، لأن فيه يمثل ظفر المسلمين بأعدائهم .
- ٣ المنقلب : التحول والتغير من حال إلى حال . تبدو عواقبه : رواها الصولي ، تبقى عواقبه .
- ٤ لم يعلم : وتروى لروى لم يعلم . السر والقصب : الرماح والسيوف .
- ٥ منتقم لله : أي ينتقم له من أعداء دينه ، ويريد به الإسلام . مرتقب في الله ، مرتب : أي أنه يراقب في الله العقاب فيخشاه ويحذره . ورواية الصولي : مرتب بدلا من مرتب . وفي هذا البيت نوع من البديع يعرف بالتشطير ، وهو أن يجعل كل شطر سبعة محالفة لصاحبها في الشطر الآخر .
- ٦ لم تكهم : لم تكل . محتجب : أي مدرع ممتنع بسلحه .
- ٧ لم يفر جيشاً : في رواية لم يفر قوماً . ورواها الصولي : لم يرم قوماً ولم يند إلى بلد . يقول : إن العدو إذا بلغه أن المعتصم خرج لقتاله استولى عليه الرعب قبل أن يصل إليه الخليفة .
- ٨ الجحفل : الجيش . لجب : كثير العدد ، عظيم الجلبة . وقوله : في جحفل لجب : تجريد .
- ٩ كانت أسوار عمورية قد تهدم جانب منها بين برجين ، قبل أن يهاجمها المعتصم . فبنى بطريقها ظاهره بالحجارة ، وترك الخلل في باطنه . فلما جاءها المعتصم ، خرج إليه رجل من المسلمين كان قد أسره الروم ، فتعصر وتزوج فيهم ، فذله على ثلثة السور ، فسدد إليها المجانيق ، فصدعها ، واستولى على البرجين ، ثم على المدينة فهدمها .

مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبَوْهَا ، وَاثْقَيْنَ بِهَا ،
وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ : لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ^١
أَمَانِيًا ، سَأَبْتَهُمْ نَجَحَ هَاجِسِيهَا ،
إِنَّ الْحِمَامَيْنِ : مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمْرٍ ،
لَبَّيْتَ صَوْتًا زَيْطَرِيًا ، هَرَقْتَ لَهُ^٢
عَدَاكَ حَرَّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ
أَجَبْتَهُ مُعَلِنًا بِالسَّيْفِ ، مُنْصَلِتًا^٣ ،
وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَقِيلِ الْأَشْبِ^٤
لِلسَّارِحِينَ ، وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبٍ^٥
ظُبَى السَّيُوفِ ، وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ^٦
دَلَوَا الْحَيَاتَيْنِ : مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبٍ^٧
كَأَسَ الْكَرَى ، وَرُضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ^٨
بَرْدِ الثُّغُورِ ، وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ^٩
وَلَوْ أَجَبْتَ بَغَيْرِ السَّيْفِ ، لَمْ تُجِبِ^{١٠}

- ١ أشبؤها : حصنها ، المعقل : الحصن . الأشب : الحصين . أخذ عليه تشبيه الله بالمفتاح .
٢ ذو أمرهم : صاحب أمرهم ، رئيسهم ، والضمير يعود على الروم . المرتع : الموضع المخصب .
صدد : قريب . السارحين : أي للمسلمين الذين صرحوا مطاياهم لترعى . وليس الورد من كذب :
أي ليس الماء قريباً منهم .
٣ أمانياً : منصوبة على المصدرية . الهاجس : الذي يحدث نفسه بما يخطر ويوسوس لها والمراد به ذو
أمرهم . والضمير في هاجسها يعود إلى الأماني . ظبى السيوف : شفارها . القنا : الرماح . السلب :
الطويلة .
٤ يقول : إن موت الأعداء بالسيوف وموتهم بالرماح كانا كدلولين يستقيان لنا حياة الماء وحياة العشب ،
أي أن سيوفنا ورماحنا كذبت أمانى رئيس الروم ، فحملت لهم الموت ، وحملت لنا الحياة إذ قربتنا
من الماء والعشب .
٥ زيطرياً : نسبة إلى زبطرة ، وهي بلدة في تركيا آسيا بين ملطية وسيساط . وكان ملك الروم قد خرج
إليها قبل واقعة صورية ، فاستباحها قتلاً وسبياً . وقوله صوتاً زيطرياً : إشارة إلى ما روي من أن
هاشمية سبيت ، فصاحت وهي في أيدي الروم : « وا معتصماه ! » . الرضاب : الريق . الخرد :
جميع الخريدة وهي المرأة الطويلة ، السكوت الخفرة ، والبكر . العرب : جمع العروب وهي المرأة
المتحبة لزوجها . والمعنى : أنه منع نفسه راحة النوم وفارق نساءه تلبية لذلك الصوت .
٦ عدالك عنه : صرفك عنه . الثغور : المواضع التي يخاف منها هجوم العدو . المستضامة : التي أصابها ضيم ،
ويريد بها زبطرة وغيرها من الأماكن التي أوقع بها قيصر الروم . وقوله : حر الثغور : قد يراد به
الحربمناه ، وقد يراد به حر نار الحرب . الثغور الثانية : المباسم ، أي ثغور نساها القواطي صرفته الحرب
عنهن ، وتستحسن البرودة في الثغر . السلسال : العذب البارد ، استعاره الريق . الحصب : المكان
الكثير الحصى ، والمراد هنا الأسنان البيض في ثغور النساء .
٧ أجبتة : الضمير يعود إلى صوتاً زيطرياً . منصلاً : مجرداً . وقوله : لم تجب ، أي لم يكن ذلك منك
جواباً لصوت الصارخ .

حتى تَرَكَتْ عَمُودَ الشَّرِكِ مُنْقَعِرًا ، ولم تُعَرِّجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطَّنْبِ ١
لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأْيَ الْعَيْنِ تَوَفَّلِسُ ، وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ ٢
عِنْدَا يُصَرَّفُ بِالْأَمْوَالِ خَزَائِنُهَا ، فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْعُجْبِ ٣
هَيْهَاتَ ، زُعِزِعَتِ الْأَرْضُ الْوَقُورُ بِهِ ، عَنْ غَزْوٍ مُحْتَسِبٍ ، لَا غَزْوٍ مُكْتَسِبٍ ٤
لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرَبِّيَ بِكَثْرَتِهِ ، عَلَى الْحَصَى ، وَبِهِ فَقَرُّ إِلَى الذَّهَبِ ٥
إِنَّ الْأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ ، هِمَّتُهَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ ٦
وَأَمَّا ، وَقَدْ أَبْجَمَ الْخَطِيئُ مَنْطِقَهُ ، بِسَكْمَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ ٧
أَحْسَى قَرَابِينَهُ صَرَفَ الرَّدَى ، وَمَضَى يَحْتُ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْحَرْبِ ٨
مُوسَكَّلًا بِسَمَاعِ الْأَرْضِ ، يُشْرِفُهُ مِنْ خِفَةِ الْخَوْفِ ، لَا مِنْ خِفَةِ الطَّرَبِ ٩

- ١ عمود الشرك : أي عمورية . منقعرًا : مقطوعًا من أصله . الطنب : حبال طويلة تشد بها الخيمة ، وأراد بالأوتاد والطنب بقية المدن والقرى في الأنفول . يقول : « إن المعتصم اكتفى بعمورية فلم يغز بقية المدن والقرى لأنه متى سقط عمود الخيمة فلا قيمة بعده للحبال والأوتاد .
- ٢ توفلس : تيوفيل بن ميخائيل قيصر الروم . الحرب : ذهاب المال والحرمان منه .
- ٣ يصرف : يدفع . خزيتها : دُخَاهُ وَبَلِيَّتُهَا . عزه : غلبه وقهره . التيار : موج البحر الهائج . العيب : المياه المتدفقة . يقول : لما رأى ملك الروم حصار عمورية حاول أن يدفع ببلية الحرب وعار الانكسار بالمال ، وهو يعلم أن المال ذاهب : « الحرب مشتقة المعنى من الحرب » . فراسل المعتصم يطلب الصلح ويعرض عليه مالا ليرتد عنه ، فأبى المعتصم وسما عليه وغلبه بما عنده من مال وفر يبذله ولا يسأل عنه ، وهو البحر الفياض بجوده وكثرة أمواله .
- ٤ هيات : أي هيات أن يقبل المال . الوقور : الرزينة التي لا تترزع . به : الضمير راجع إلى المعتصم . المحتسب : طالب الأجر عند الله .
- ٥ المرابي : الزائد .
- ٦ همتها : مقصدها . الكربة : الحرب . يقول : إن الفارس الشجاع يقصد في الحرب إلى خطف الأرواح لا إلى سلب المال . وهذا مثل أرسله الشاعر .
- ٧ يقول : هرب توفلس ساكتاً كأن ومع المعتصم وضع بلجاً في فمه ، فلا يستطيع الكلام . ولكن قلبه كان في وجيب واضطراب من شدة الرعب .
- ٨ أحسى : سقى . قرابينة : خواصه وقواده . يحث : يسوق . أنجى : أسرع .
- ٩ اليفاع : ما ارتفع من الأرض . يشرفه : يعلوه .

إنَّ يَعدُّ من حَرَّها عَدُوَّ الظِّلِمِ ، فقد
تَسعونَ أُنفاً ، كَأَسَادِ الشَّرى ، نَضِجَتْ
يا رَبِّ حَوْباءَ ، لما اجْتَثَّ دابِرُهُمْ ،
ومُغْضِبِ ، رَجَعَتْ بِيضُ السِّبْوفِ به
والْحَرْبُ قائِمةٌ في مَازِقِ لَجِيبِ ،
كَم نِيلَ نَحْتِ سَنَها ، من سِنَى قَمَرِ ،
كَم كانَ في قِطْعِ أسبابِ الرِّقابِ بها ،
كَم أحرَزَتْ قُضْبُ الهِنْدِي ، مُصَلَّةً ،
أوسَعَتْ جاحِمَها من كَثَرَةِ الحَطَبِ^١
جُلودُهُمْ ، قبلَ نَضِجِ التَّينِ والعَنَبِ^٢
طابَتْ ، ولو ضُمَّتْ بِالْمِيسِكِ ، لم تَطِيبِ^٣
حَيَّ الرَضَى عن رَداهِمِ ، مَيَّتَ الغَضَبِ
تَجشَّوْا الرِّجالُ بهِ ، صِعراً ، على الرُّكَّابِ^٤
ونَحَتْ عارِضِها ، من عارِضِ شَنِيبِ^٥
إلى المُخَدَّرَةِ العُدراءِ مِن سَبَبِ^٦
تَهَتَّرَ مِن قُضْبِ ، تَهَتَّرَ في كُتُبِ^٧

١ حرها : الضمير يعود على الحرب . الظليم : ذكر النعام . أوسعت : ملأت وأشبعته . جاحمها :
وقودها وشدة اشتغالها . يقول للمتصم : إن هرب توفلس لم يخذ نار الحرب لأنك أحرقت المدينة ،
فزدت نارها اشتغالا .

٢ الشرى : مأسدة ، يضرب المثل بشدة أسودها . يشير إلى كذب المنجمين الذين زعموا أن المدينة لا
تؤخذ إلا في الصيف بعد نضج التين والعنب .

٣ الحوباء : النفس ، أو النفس الآثمة ، ويريد بها نفساً من نفوس المسلمين المجاريين . اجتث :
اقتلع من أصله . دابره : آخرهم ، والضمير عائد إلى الأعداء . طابت : طهرت وزكت ، والتذت .
٤ المازق : المكان الضيق . اللجب : ذو الحلبة . صِعراً : جمع أصعر وهو الذي يميل وجهه كبراً
وغطرمة . يقول : كانت الحرب قائمة في مضيق يصعب فيه الانتقال والكر ، فكان المتقاتلون على
كبريالهم وغطرستهم ، يحثون على ركوبهم ليبتالوا بالسيف .

٥ سناها : ضياؤها ، والضمير يعود على الحرب . وأراد بالسنى : ضياء نار الحريق . سنى قمر :
أي ضياء وجه كالقمر ، ويريد به وجه السبية الرومية . عارضها : سحابها المعرض في الأفق ،
ويريد به دخان نار الحريق . العارض الثانية : السن التي في عرض الفم ، وما يبدو من الوجه عند
الضحك . الشلب : البارد ، والمراد : أسنان باردة الريق . والوصف هنا للسبايا أيضاً .

٦ أسباب الرقاب : حبالها ، أي عروقه . بها : الضمير يعود على الحرب . من سبب : أي من وسيلة
يتوصل بها إلى العدا ، ويريد بها السبية .

٧ القضب : جمع القضيب وهو السيف اللطيف والقطاع . مصلته : مسلولة . تهتر : أي مهترزة ،
والمراد : سببات تهتر من قنود كالقضب أي كالأغصان . الكتب : جمع الكتيب ، وهو التل من
الرمل . يريد أن هذه القنود قائمة على أوراق ثقيلة ، فهي كالأغصان في كتمان من الرمل .

بييض^١، إذا انتضيت من حجبها، رجعت
 خليفة الله^٢، جازى الله سعيك^٣ عن
 بصرت^٤ بالراحة الكبرى، فلم ترها
 إن كان بين صروف الدهر من رحيم^٥،
 فبين أيامك^٦ اللاتي نصرت بها،
 أبقت^٧ بني الأصفر^٨ المصفر^٩، كاسمهم^{١٠}
 أحق^{١١} بالبييض^{١٢} أبداناً^{١٣}، من الحجب^{١٤}
 جرثومة^{١٥} الدين والإسلام^{١٦}، والحسب^{١٧}
 تنال^{١٨} إلا على جسر^{١٩} من التعب^{٢٠}
 موصولة^{٢١}، أو ذمام^{٢٢} غير منقضب^{٢٣}
 وبين^{٢٤} أيام^{٢٥} بدر^{٢٦} أقرب^{٢٧} النسب^{٢٨}
 صفر^{٢٩} الوجوه^{٣٠}، وجلت^{٣١} أوجه^{٣٢} العرب^{٣٣}

.....

- ١ يبيض : سيوف . انتضيت : جردت . من حجبها : من أغمادها . بالبييض أبداناً : أي بالسبيات البيضاء الأبدان . الحجب : ستور النساء .
- ٢ سعيك : عملك ودفاعك . الجرثومة : الأصل . الحسب : الشرف .
- ٣ الراحة الكبرى : أي راحة الآخرة ونعيم الجنة . جسر من التعب : إشارة إلى الصراط ، وهو عند المسلمين جسر ممدود على متن جهنم ، يعبر عليه الناجون إلى الجنة بتعب وجهد ، وهو رمز إلى أن الجنة لا تنال بدون تعب ومشقة .
- ٤ صروف الدهر : ورواها الصولي : مرور الدهر . من رحم : أي من صلة وقرابة . الدمام : العهد . منقضب : منقطع .
- ٥ يحمل بين غزوة عمورية وغزوة بدر التي انتصر فيها النبي على القرشيين ، صلة من النسب المقدس ، على اعتبار أن قريشاً والروم كليهما من المشركين .
- ٦ أبقت : الضمير يعود إلى أيامك . الأصفر : جد ملوك الروم ويسميه العرب الأصفر بن روم بن يعصوب بن إسحق ، كما ذكر القاموس . المصفر : الذي به صفرة والمراد بها شقرة الشعر ولونه الذهبي . والظاهر أن العرب أطلقوا على الروم هذا الاسم نظراً للون شعورهم ، وهم يستنكرون الشقرة ويعيرون بها بعضهم بعضاً ، ولا يمدحون غير الشعر الأسود . صفر الوجوه : أي صفر الوجوه مثل اسمهم ، من العرب والانكسار . جلت : من فعل جلى الشيء : أظهره وجعله يتجلى .

احراق الافشين

من قصيدة يمدح بها المعتصم ويصف لإحراق قائده حيدر بن كاوس المعروف بالافشين ، سنة ٨٣٩ م
بعد أن ظهرت خيائته وزندقته . وكان المعتصم قد سجنه وقطع عنه الطعام والشراب حتى مات . ثم صلبت
جثته على باب العامة ، وأُضرمت تحته نار عالية ، فتساقطت قطعاً قطعاً :

ما زالَ سرُّ الكُفْرِ بينَ ضُلُوعِهِ ، حتى اصطَلَى سرُّ الزَّنادِ الوَارِي^١
ناراً ، يُساوِرُ جسمَهُ ، من حرِّها ، لَهَبٌ ، كما عَصَفَرَتَ شِقْ إزارِ^٢
طارَتْ لها شِعْلٌ ، يُهْدِمُ لَفْحُها أركانَهُ ، هَدَمًا ، بِغَيْرِ غُبارِ^٣
فصلنَ منه كُلَّ مَجْمَعٍ مَفْصِلٍ ، وفعلنَ فاقِرَةً بِكُلِّ فَقارِ^٤
للهِ مِن نارٍ رأيتُ ضياءَها ، ضاقَ الفِضاءُ بها على النمطارِ^٥
مَشبُوبَةٌ ، رُفِعَتْ لأَعْظَمِ مُشْرِكٍ ، ما كانَ يَرْفَعُ ضَوْءَها للسَّاري^٦
صَلَّتْ لها حَبِيبًا ، وكانَ وَقُودَها مَيِّتًا . ويدخلُها معَ الفُجَّارِ

١ اصطل : لقي النار . الزناد : جمع الزند : العمود الذي يقدح به النار . وقوله : سر الزناد ، أي النار الكامنة في العمود . للواري : المشتعل ، وهو نمت سر .

٢ ناراً : بدل أو عطف بيان من سر الثانية . يساور : يواظب . عصفرت : صبغت بالعصفر ، وهو نبت صبغه أصفر . شق إزار : رواية الصولي : نصف إزار . والمعنى أن لهب النار كان يشق إلى الخشب المصلوب عليه الافشين فيوقده طولاً ، نشبه اشتعال الجوانب الذي استند إليه الجسم بإزار عصفرت أحد شقيه طولاً .

٣ لفحها : لإحراقها . يقول : كانت شعل النار تحرق جوانب جسمه ، فيتساقط قطعاً محترقة دون أن يثير تدهمها غباراً .

٤ فصلن : رواية الصولي : ففصلن . والضمير يعود إلى الشعل . الفاقرة : الداهية التي تكسر الفقار . الفقار : خرزات الظهر ، مفردها الفقرة والفقارة . قال أبو بكر الصولي : « إنما قال : وفعلن ، فخص هذه اللفظة لقول الله عز وجل : « تظن أن يفعل بها فاقرة » ولقول الناس : فعل به الفواقر ، أي الدواهي » .

٥ مشبوبة : موقدة . المشرك : من يحمل لله شريكاً . الساري : السائر ليلاً . يقول : هذه النار أوقدت عالية الاله لأعظم مشرك كان يرفع ضوؤها ليعبدها ، ولا يرفعه للطارقين ليلاً كما يفعل العرب الأجواد في ياديتهم .

٦ هذا نوع من البديع المعنوي يسمى الاستخدام ، فقد استخدم ضمائر النار لثلاثة معان : نار المجوس ، ونار الإحراق ، ونار جهنم .

وَكُذَّكَ أَهْلُ النَّارِ فِي الدُّنْيَا هُمْ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، جُلُّ أَهْلِ النَّارِ
 يَا مَشْهَدًا ، صَدَرَتْ ، بَفَرْحَتِهِ إِلَى
 رَمَقُوا أَعَالِي جِدْعِهِ ، فَكَأَنَّمَا
 وَاسْتَنْشَقُوا مِنْهُ قُتَارًا ، نَشْرُهُ
 وَتَحَدَّثُوا عَنْ هُلْكِهِ ، كَحَدِيثٍ مِنْ
 وَتَبَاشَرُوا ، كَتَبَاشِرِ الْحَرَمَيْنِ ، فِي
 قُحْمِ السَّنِينَ ، بِأَرْخَصِ الْأَسْعَارِ
 بَمِصَارِهَا الْقُصُوصِ ، بَنُو الْأَمْصَارِ
 وَجَدُوا الْهَيْلَالَ ، عَشِيَّةَ الْإِفْطَارِ
 مِنْ عَنَبَرِ ذَفِيرٍ ، وَمِسْكٍ دَارِي
 بِالْبَدْوِ عَنْ مُتَابِعِ الْأَمْطَارِ
 قُحْمِ السَّنِينَ ، بِأَرْخَصِ الْأَسْعَارِ

مدح ابن الزيات

قال من قصيدة مدح بها الكاتب الأديب محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير المعتصم ، ويصف قلعه :
 لَكَ الْخَلَقَاتُ اللَّائِمُ ، لَوْلَا نَجِيَّتُهَا ، لَمَّا احْتَفَلْتَ ، لِلْمَلِكِ ، تِلْكَ الْمَحَافِلُ
 لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ تُصَابُ ، مِنَ الْأَمْرِ ، الْكُلِّي وَالْمَقَاصِلُ

.....

- ١ أهل النار الأول : المجوس أصحاب النار وعبادها . جل : أكثر . أهل النار الثانية : سكان جهنم .
- ٢ صدرت : رجعت . أمصارها : بلدانها . والضمير يعود إلى متأخر وهو بنو . القصوى : البعيدة .
- ٣ رمقوا : أطالوا النظر . الجلع : الخشب الذي صلب عليه . يقول : كانوا يطيلون النظر إلى أعالي
 جذعه المحترق ، مبهجين ، كأنهم رأوا الهلال عشيّة حيث يفطرون بعد صيام يومهم ؛ فبشرهم
 الهلال بالعيد ، وانقضاء رمضان .
- ٤ القطار : رائحة اللحم المشوي . نشره : فوسه . ذفر : طيب الرائحة . داري : نسبة إلى دارين ،
 بلدة بالشام معروفة بعطرها .
- ٥ البدو : البادية . والمعنى : أن فرحهم بموته كفرح أهل البادية بالأمطار المتتابعة .
- ٦ تباشروا : بشر بعضهم بعضاً . الحرمين : مكة والمدينة ، وفيها تجارة وصناعة وزراعة . القمح :
 جميع القمح ، وهي السنة الشديدة والقحط .
- ٧ لك الخلوات : هذه رواية الديوان ، ورواية البديعي في هبة الأيام : له الخلوات . وموضع هذا
 البيت بعد قوله : لك القلم الأعلى . نجحها : حديتها السري . احتفلت : أحسنت القيام بالأمور .
 المحافل : المجالس ، واحداً : محفل . يقول : إن أعمال الدولة التي تحفظ أسرارها في خلواتك هي التي
 يقوم بها نظام الملك .
- ٨ شباقته : حده أي رأس القلم . شبه حد قلعه بحذ السيف ، وجعله يفتك بالأمر المفضل فيفصله ويدلل
 صغابه ، وينال منه ما لا ينال الحسام .

لُعَابُ الْأَفَاعِيِ الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ ، وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلٍ^١
 لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ ، وَلَكِنْ وَقَعَهَا
 فَصَبِحَ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ ، وَهُوَ رَاكِبٌ ،
 إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ ، وَأَفْرِغَتْ
 أَطَاعَتَهُ أَطْرَافُ الْقَنَا ، وَتَقَوَّضَتْ
 إِذَا اسْتَعَزَّ الدَّهْنُ الدَّكِيَّ ، وَأَقْبَلَتْ
 وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخَنَصِرَانِ ، وَسَدَّدَتْ
 رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ ، وَهُوَ مُرْهَفٌ
 وَضَنَى ، وَسَمِينًا خَطْبُهُ ، وَهُوَ نَاحِلٌ^٨

١ لعاب الأفاعي : سبها . لعابه : ريقه أي مداده . الأري : العسل . الجنى : كل ما ينجى أي يقطع .
 اشتارته : جنته . العواسل : جمع عاسلة وهي التي تجني العسل . يقول : إن مداد قلمه في تهديد الأعداء
 قاتل كسم الأفاعي ، وفي التلطف للإخوان كالعسل . وقوله : أري الجنى ، على إضافة الموصوف إلى
 الصفة . ويصح أن يكون الجنى بمعنى العسل ، وتكون الإضافة للتخصيص ، لأن الأري يأتي أيضاً
 بمعنى ما لزق بأسفل القدر من الطبخ .

٢ الطل : الندى أو المطر الخفيف ، وهو هنا صفة لريقة . يقول : إن ما يجري من ريق هذا القلم
 على القرطاس تافه يحكي الندى في قلته ، ولكنه يشبه المطر الغزير بريقه ، إذا نظرت إلى غيره ،
 ووقع آثاره في الشرق والغرب .

٣ راكب : أي راكب على أصابع الكاتب . أعجم : ضد فصيح . راجل : ضد راكب .

٤ الخمس اللطاف : أي أنامل الوزير . شعاب : جمع شعب وهو مسيل الماء ، استعارها لمجاري الفكر .
 الحوافل : جمع حافلة وهي الشعبة كثر سيلها .

٥ القنا : الرماح . تقوضت : تهدمت . لنجواه : لحديثه السري . الحوافل : الجيوش . يقول :
 إن قلم الوزير يفعل في الحروب أكثر مما تفعل الرماح ، فإن الجيوش بالحرارة تخفر له ذليلة ، كما
 تخفر الخيام إذا تقوضت . يظهر تأثير رسائله التي يبعث بها إلى الأعداء يدعوهم إلى الطاعة والاستسلام .

٦ استعز : استعان . يقول : إذا استعان هذا القلم بذهن الوزير ، فأمسكه الوزير ليكتب به ، وجعل
 رأسه على القرطاس منحدرًا إلى أسفل .

٧ رفدته : أعانته . الخنصران : مثنى الخنصر ، وهي الأصبع الصغرى من الكف . وقوله : الخنصران ،
 على التثنية والمراد بهما الخنصر والبصر التي تليها . سددت : وجهت . ثلاث نواحيه : أي زواياه الثلاث .
 الثلاث الأنامل : أي الوسطى والسبابة والإبهام ، وهي التي يسد بها القلم للكتابة ، وتسدها الخنصر والبصر .

٨ مرهف : محدد مرقق ، أي مبري . ضنى : مرضاً . خطبه : أمره . ناحل : هزيل . يقول : إن
 الوزير إذا سدد قلمه للكتابة ، رأيت من هذا القلم الذي رقت شفرته ، شأنًا جليلاً ، وأمرًا عظيماً
 على ما فيه من سقام وتحول .

الرثاء

مصرع محمد بن حميد الطوسي

قال يرثي نسيبه محمد بن حميد الطوسي الطائي الذي قتل في خلافة المأمون وهو يحارب الخرمية سنة ٢٩٨م:

كذا فليَجِلَّ الخَطْبُ، وليَفدَحِ الأمرُ، فليسَ لَعَيْنٍ ، لم يَفِضْ ماؤُها، عُنُرُ
تُوقِيَتِ الآمالُ ، بَعْدَ مُحَمَّدٍ ، وأَصْبَحَ في شُغلٍ عَنِ السَّقَرِ السَّفَرُ
وما كانَ إلَّا مالَ مَنْ قَلَّ مالُهُ ، وذُخْرًا لِمَنْ أَمسى ، وليسَ لَهُ ذُخْرُ
وما كانَ يَدري مُجْتَدِي جودِ كَفِّهِ ، إذا ما اسْتَهَلَّتْ ، أَنَّهُ تُخْلِقُ العُسْرُ
ألا في سَبيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ فِعْجاجُ سَبيلِ اللَّهِ ، وانثَغَرَ الثَّغَرُ
فَتَى ، كُلُّما فاضَتْ عِيونُ قَبيلَةٍ دَمًا، ضَحِكَتْ عَنْهُ الأحاديثُ والدَّكْرُ
فَتَى ، دَهْرُهُ شَطْرانٍ فيما يَنْوِبُهُ : فَتَيَّ بِأَسِهِ شَطْرٌ ، وفي جودِهِ شَطْرُ

.....

- ١ فليجل : فليعظم . وليفدح : وليثقل . أخذ عليه قوله : كذا فليجل . . . لأن في هذا الطلب تمنياً ، فكأنه يمتنى حلول الخطوب الفادحة ليصبح بكاء العيون على الميت .
- ٢ السفر : المسافرين . يقول : ذهبت آمال الناس ، بعد وفاته ، وأصبح الذين كانوا يقصدونه لنيل عطاياه في شغل عن الأسفار ، لأنه لم يبق بعده من يرجى لواله فير حل إليه المعاة .
- ٣ المجتدي : طالب المعطاء ، وفي رواية : من بلا : أي خبر . جود : رواية الپديعي : يمر . استهلت : مطرت أي مطرت جوداً ، والضمير عائد إلى كفهِ .
- ٤ الفعجاج : جمع الفج : الطريق الواسع الواضح بين جبلين ، والمراد بذلك طريق الجهاد الديني . انثغر : انشق واتسع . الثغر : موضع الخوف من الأعداء على حدود البلاد . والمعنى : أن الميت كان يحمي الثغر ، فيضيق على الأعداء طريق اجتياز الحدود ، فانشق المضيق واتسع بعد وفاته ، وهان على الأعداء دخول البلاد .
- ٥ يقول : لئن بكت عليه القبائل دماً ، فمآثره الطيبة ، يتهلل لها وجه أخباره وذكرياته ، نياحة عنه .
- ٦ ينوبه : يصيبه من الأحداث . بأسه : شجاعته . يقول : إن حياته على شطرين من الأحداث : لقاء الأعداء ، ولقاء المجتدين ، فهو أبداً معرض لحرب أو لهدل مال .

فتى ، مات بين الضرب والطعن ميتة
وما مات ، حتى مات مضرب سيفه ،
وقد كان قوت الموت سهلاً ، فردّه
ونفس تعاف العار ، حتى كأنما
فأثبتت في مستنقع الموت رجله ،
غدا غدوة ، والحمد نسج ردايه ،
تردّى ثياب الموت حمراً ، فما دجا
كان بني نهبان ، يوم وفاته .

تقوم مقام النصير ، إن فاته النصير
من الضرب ، واعتلت ، عليه ، القنا السمر
إليه الحفاط المر ، والحلق الوعر
هو الكفر ، يوم الروع ، أو دونه الكفر
وقال لها : من تحت أخصيك الحشر
فلم ينصرف ، إلا وأكفائه الأجر
لها الليل ، إلا وهي ، من سندس ، خضر
نجوم سماء ، خرّ من بينها البدر

١ مضرب السيف : حده . ومات مضربه : أي ثلم وكل . اعتلت : مرضت . القنا : الرماح . السر : الصلاب . والمعنى : أنه لم يمّت إلا بعد أن تعطل سيفه ، وتكسرت رماح الأعداء على هذا السيف .
٢ الحفاط : المحافظة على الأعراض والمحارم . وقوله : المر ، أي الشديد . الخلق : الطبع . الوعر : الصعب . يقول : لو أراد النجاة لسهل عليه ذلك ، ولكن رده إلى الموت محافضته الشديدة على شرفه ودينه ، وطبعه الصعب الذي لا يلين للهرب .

٣ تعاف : تكرر . الروع : الخوف ، أي خوف الحرب .
٤ الأخص : ما لا يصيب الأرض من باطن القدم . الحشر : القيامة . يقول : أثبت رجله في ساحة القتال ، وقال لها : مكانك ، لا تبرحي من هنا إلى يوم الحشر .
٥ الحمد نسج ردايه : أي تحمده الناس لمسيره إلى قتال الكفار . رواية الصولي : حشو ردايه . قوله : وأكفائه الأجر : لأنه مات شهيداً في الجهاد .

٦ تردى : لبس . دجا : أظلم . السندس : نسج رقيق . يقول : تلطخت ثيابه بالدم عند موته ، ولم ينقض يوم قتله ويدخل في الليل إلا وقد صارت ثيابه خضراً ، وهي ثياب أهل الجنة . وأخذ عليه في هذا البيت قوله : فما دجا لها الليل . . . لأنه جعل دخول الجنة مقيداً بمجيء الليل ، وترك روحه في النهار معلقة بين الأرض والسماء . قال صاحب معاهد التنصيص : (لو قال أبو تمام : « فما اختفى عن العين ، إلا وهي ، الخ . . . » لكان أبلغ في القصد) وعندني أن هذا التصحيح غير بليغ أيضاً ، لأن تبدل أحوال الميت إلى خير أو شر ، لا يناط بدفنه وتغيبه عن العيون . وفي هذا البيت نوع من الطباق يسمى التديج ، وهو أن تذكر عدة ألوان لقصد الكناية أو التورية . فإنه ذكر هنا لون الحمرة والخضرة ، والمراد من الأول : الكناية عن القتل ، ومن الثاني : الكناية عن دخول الجنة .

٧ بنو نهبان : قوم الميت ، بطن من طي . خر : سقط . عيب هذا البيت على الشاعر ، فقال خصومه : إن النجوم تكون أكثر نوراً وأحسن حالاً ، إذا غاب عنها البدر . فبنو نهبان إذا لم يخسروا بفقد الميت —

يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ ، تُعَزَّى بِهِ الْعُلَى ، وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْبَاسُ وَالْجُودُ وَالشُّعْرُ^١
وَأَنْتَى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ ، وَقَدْ مَضَى إِلَى الْمَوْتِ ، حَتَّى اسْتَشْهَدَا : هُوَ وَالصَّبْرُ^٢
فَتَى ، كَانَ عَذَابُ الرُّوحِ ، لَامِنْ غَضَاظَةٍ ، وَلَسَكِنْ كِبَرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبَرُ^٣
فَتَى ، سَلَبَتْهُ الْخَلِيلُ ، وَهُوَ حِمَى لَهَا ، وَبَزَّتْهُ نَارُ الْحَرْبِ ، وَهُوَ لَهَا جَمْرُ^٤
وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْمَأْثُورُ ، فِي الْوَعَى ، بِوَاتِرٍ ، فَهَيَّيَ الْآنَ ، مِنْ بَعْدِهِ ، بِشُرُ^٥
أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ الْحَادِثَاتِ مُحْتَمَدًا ، يَكُونُ لِأَثْوَابِ النَّدَى ، أَبَدًا ، نَشْرُ^٦
إِذَا شَجَرَاتُ الْعُرْفِ جُدَّتْ أَصُولُهَا ، فَفِي أَيِّ فَرَعٍ يَوْجَدُ الْوَرَقُ النَّضْرُ^٧
لَتَيْنِ أَبْغِضَ الدَّهْرُ الْخَوَّوْنَ لِفَقْدِهِ ، لَعَنَهُدِي بِهِ مِمَّنْ يُحِبُّ لَهُ الدَّهْرُ^٨
لَتَيْنِ غَدَرَتْ ، فِي الرَّوْعِ ، أَيَّامُهُ بِهِ ، قَمَا زَالَتِ الْآيَاتُ شَيْخُهَا الْغَدَرُ^٩

بل رجحوا . وهندي أن في هذا النقد تمتاً غير مقبول ، فالشاعر يريد أن يشبه الميت بالبدر ، وقومه
بالنجوم ، والبدر بين النجوم زينة السماء ، فإذا غاب خسرت السماء درتها الوسطى ، وإن ازداد لورها
بهاء ولمعاً . فظهور الضعيف في غياب القوي ، لا يعني أن هذا الضعيف تحسنت أحواله من ذي قبل ،
بل خلا له الجو فظهر ، ولكن لا عوض في ظهوره من الرزء بالقوي .

١ ثاو : ميت .

٢ استشهد : قتل في سبيل الله . المعنى : أن الصبر قتل معه فكيف لبني نبهان أن يتمزوا ، وقوله : استشهدا :
هو والصبر ، جائز على اعتبار أن الضمير فسر بالظاهر فكان الظاهر بدلا منه أو مطلقا . بيان . وهل كل
فإن هذا التجوز لا يتخذ قياساً .

٣ غضاظة : مذلة . كبراً : تجبراً . يقول : كان لطيفاً من غير ضعف ومذلة ، فهو قوي مزير من دون
كبر ، ومن المكابرة أن يقال : به كبرياء .

٤ سلبته : اختلسته . بزته : أخذته وغلبيته بجفاء وقهر .

٥ البيض : السيوف . المأثور : جمع مأثور ، وهو السيف في مثنه أثر . والأثر : هو السيف . بواتر :
قواطع . بتر : مقطوعة ، واحدها أبطر .

٦ الندى : الجود .

٧ العرف : المعروف . جدت : قطعت . النضر : الحسن والأخضر .

٨ يقول : لئن أبغضنا الدهر بعد وفاته ، لقد كنا نحب هذا الدهر في حياته بلجوده وحسن أعماله .

٩ الروع : الحرب .

لَتَيْنِ أَلْبَسَتْ فِيهِ الْمُصِيبَةَ طَيًّا ،
كَذَلِكَ مَا تَنَفَّكَ تَنَفِّدُ هَالِكًا ،
سَقَى الْغَيْثُ غَيْثًا وَارَتْ الْأَرْضُ شَخْصَةً ،
وَكَيْفَ احْتِمَالِي لِلْغَيُوثِ صَنِيعَةً ،
مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ ، لَمْ تَبْقَ رَوْضَةً ،
ثَوَى فِي الثَّرَى مَنْ كَانَ يَحْيَا بِهِ الثَّرَى ،
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ ، وَقَفْنَا ، فَإِنِّي
فَمَا عَرَيْتُ مِنْهَا تَمِيمٌ ، وَلَا بَكَرًا
يُشَارِكُنَا فِي فَقْدِهِ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلَا قَطْرٌ
يُاسْقَاهَا قَبْرًا ، وَفِي لَحْدِهِ الْبَحْرُ
غَدَاةٌ ثَوَى ، إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
وَيَغْمُرُ صَرَفَ الدَّهْرِ نَائِلُهُ الْغَمْرُ
رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ

رثاء ابنه أبي علي

كَانَ الَّذِي خِفْتُ أَنْ يَكُونَا ،
أَمْسَى الْمَرْجَى أَبُو عَلِيٍّ
حِينَ انْتَهَى وَاسْتَوَى شَبَابًا ،
وَحَقَّقَ الرَّأْيَ وَالظُّنُونَا
أَصِيبُ فِيهِ ، وَكَانَ عِنْدِي
كُنْتُ عَزِيزًا بِهِ كَثِيرًا ،
لَنَا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَا !
مُوسِدًا ، فِي الثَّرَى ، يَمِينًا
وَحَقَّقَ الرَّأْيَ وَالظُّنُونَا
عَلَى الْمُصِيبَاتِ أَنْ يُعِينَا
وَكُنْتُ صَبَّأً ، بِهِ ضَمِينَا

- ١ طي : قبيلة الشاعر والمرثي ، وهي قحطانية يمانية . تميم : قبيلة مضرية عدنانية . بكر : قبيلة ربيعة عدنانية . يقول : إن المصاب بالميت لم يقتصر على قحطان بل شمل عدنان بفرعيه ربيعة ومضر .
- ٢ الحضرة : أي الحضرة ، بفتح الضاد ، سكنها للشعر .
- ٣ الغيث : المطر . غيثًا : مستعار منه ، والمستعار له المرثي . يقول هو الغيث في الجود ، لا في ارتكاف الغيوم وهطل السيول .
- ٤ للغيوث : في هبة الأيام : للسحاب . الصنعة : الاحسان . يقول : كيف أحتمل احسان الأمطار إذا سقت قبره ؟ وفي هذا القبر بحر ثور ، وهل بالبحر من حاجة إلى الماء ؟
- ٥ يغمر : يغطي . صرف الدهر : حوادثه . نائله : عطاؤه . الغمر : الكثير . يقول : إنه كان يجوده يحمي الأرض الموت ، فتصبح خصيبة ؛ ويدفع عن الناس صروف الدهر ، فلا يشعرون بقحط الأرض وبلايا الأيام ، فكانه أحميا الأرض ودفع كوارث الدهر .
- ٦ يمينًا : مفعول موسدًا ، وهو التيمن : أي وضع الميت في قبره على جنبه الأيمن .

دافعتُ، إلاّ المنونَ، عنهُ، والمرءُ لا يدفعُ المنونَ
 آخرُ عهدي بهِ صريعاً ، للموتِ بالداءِ ، مُستَكِيناً^١
 إذا شكا غصّةً وكرَباً ، لاحظَ ، أو راجعَ الأنيثا^٢
 يُديرُ ، في رَجْعِهِ ، لساناً ، يَمْنَعُهُ الموتُ أن يَبِينا^٣
 يَشْخَصُ ، طوراً ، بناظرِيه ، وتارةً ، يُطَبِّقُ الجُفونَا^٤
 ثمّ قَصَى نَحْبَهُ ، فأَمْسَى ، في جدَثٍ ، للثرى ، دَفِينا^٥
 بعيدَ دارٍ ، قَرِيبَ جارٍ ، قد فارقَ الإلفَ والقَرِينا^٦
 باشَرُ بُردَ الثرى بوجهٍ ، قد كانَ ، من قبلِهِ ، مَصُوننا^٧
 بُنَيَّ ، يا واحدَ البَيْنَا ! غادَرْتَنِي مُفْرَداً حَزِينا^٨
 هَوْنَ رُزْئِي بكَ الرّزايا عَليّ ، في الناسِ أَجمَعِينا^٩
 آلَيْتُ أنْساكَ ، ما تَجَلَّى صُبْحُ نَهارٍ مُصْبِحِينا^{١٠}
 وما دَعَا طائرٌ هَدِيلاً ، وَرَجَعَتْ وَالِهِ حَنِينا^{١١}

-
- ١ مستكيناً : خاضعاً ، أي مستكيناً للموت .
 - ٢ لاحظ : نظر بمؤخر عينه ، أي نظر إلى أهله شاكياً أو مستغيثاً .
 - ٣ رجعهُ : رده ، أي رجعهُ الأنثى . أن يبين : أن يفصح .
 - ٤ يشخص بناظرِيه : يفتح عينيه ولا يطفئ .
 - ٥ الجَدَث : القبر . الثرى : الأرض والتراب . واللام الجارة بمعنى التملك أو شبه التملك ، أي دفينا ، في جدَث ، ملكاً للثرى .
 - ٦ بعيد دار : لأنه ميت لا وصول إليه . قريب جار : أي مكان القبر قريب . الإلف : القرين : المصاحب .
 - ٧ من قبله : الضمير يعود إلى برد الثرى .
 - ٨ رزئي : مصابي . الرزايا : المصائب ، مفردُها رزية . عليّ : الجار متعلق بهون .
 - ٩ آليت : حلفت . أنساكَ : أي لا أنساكَ ؛ يجوز حذف لا الثانية بعد القسم .
 - ١٠ الهديل : صوت الحمام ، وفرخه ، وفي أساطير العرب أنه فرخ على عهد نوح مات عطشاً وضيمَةً أو صاده جارح من الطير فما من حمامة إلا وهي تبكي عليه . فهديلاً على المعنى الأول : نائب عن المفعول المطلق ، وعلى المعنى الثاني : مفعول به . الواله : التي ذهب عقلها من الحزن . والمراد بها الباقة التي فقدت ولدها ، فوجدت به ، وأخذت ترجع الحنين .

تَصَرَّفَ الدَّهْرُ بِي صُرُوفًا ، وَعَادَ لِي شَأْنُهُ شُؤُونًا
وَحَزَّ فِي اللَّحْمِ ، بَلْ بَرَاهُ ، وَاجْتَثَ مِنْ طَلْحَتِي فُنُونًا^١
أَصَابَ مِنِّي صَمِيمَ قَلْبِي ، وَخِفْتُ أَنْ يَقْطَعَ الْوَتِينَ^٢
فَالْمَرْءُ رَهْنٌ بِحَالَتِيهِ : فَشِدَّةٌ مَرَّةً ، وَلِينًا

أغراض مختلفة

وصف الربيع

من قصيدة يصف بها الطبيعة في فصل الربيع ثم يتخلص إلى مدح المعتصم :

يَا صَاحِبِي ، تَقْصِيئًا نَظَرَيْكُمَا ، تَرَيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ^٣
تَرَيَا نَهَارًا مُشْمِسًا ، قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرَّبِيِّ ، فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ^٤
دُنْيَا مَعَاشٍ^٥ لِلوَرَى ، حَتَّى إِذَا حَلَّ الرَّبِيعُ ، فَإِنَّمَا هِيَ مَنَظَرُ^٦
أُصْحَتْ تَصَوُّغُ بَطُونِهَا لظُهُورِهَا نَوْرًا ، تَكَادُ لَهُ الْقُلُوبُ تُنَوِّرُ^٦

.....

- ١ براه : نحته ، وهزله . اجتث : قطع . طلحتي : أي شجرتي ، والطلح : نوع من الشجر . الفنون : الفنون ، مفردا فنن .
- ٢ الوتين : عرق في القلب يجري منه الدم إلى سائر العروق ، وقطع الوتين : كناية عن الموت .
- ٣ تقصى الشيء : تتبعه وبلغ غايته ومداه . تصور : أي تتصور .
- ٤ شابه : خالطه . الربى : التلال ، شبه زهر الربيع في الجبال بنجوم السماء ، والنجوم لا تظهر مع الشمس ، فكان النهار مقمر لا مشمس .
- ٥ معاش الورى : أي هي عمل لتحصيل المعاش ، في جميع فصول السنة إلا فصل الربيع ، فالدنيا فيه متعة للنظر .
- ٦ بطونها : أي بطون الأرض . نوراً : زهراً .

من كل زاهرة ترقق بالندى . فكأنها عين إليك تحدر^١
تبدو ، ويحجبها الجسيم ، كأنها عذراء . تبدو تارة ، وتحفر^٢
حتى غدت وهدأتها ونجادها في حلال الربيع تبخر^٣
مصفرة . حمرة . فكأنها عصب تيمن ، في الوغى ، وتمضر^٤
من فافع غص النبات . كأنه دُرر تشقق قبل ، ثم تزعر^٥
أو ساطع في حمرة . فكأنما بدنو إليه ، من الهواء ، معصفر^٦
صنع الذي ، لولا بدائع لطيفه . ما عاد أصفر ، بعد إذ هو أخضر^٧
خلق أطل من الربيع . كأنه خلق الإمام ، وهديه المنتشر^٨

..

- ١ زاهرة : ثلاثة حسناً أو حمراء ، والمراد : زهرة زاهرة . ترقق : تحرك وتجيء وتذهب . وقوله : عين إليك تحدر ، أي تحدر الدمع إليك ، أو عين ناظرة إليك تحدر الدمع .
- ٢ الجسيم : الثبت الكثير أو الناهض المنتشر يغطي الأرض . تحفر : تستحي ، والمراد تخفي بأوراق العشب حياء .
- ٣ وهدأتها : منخفضاتها ، مفرداً وهددة . نجادها : مرتفعاتها ، مفرداً نجد . الحلال : الثياب ، مفرداً حلة . تبخر : تمايل .
- ٤ مصفرة ، حمرة : أي حلال الربيع بلونها الأصفر والأحمر . عصب : جمع عصبية : جماعة من الرجال ما بين العشرة إلى الأربعين . تيمن : تنتسب إلى اليمن . الوغى : الحرب . تمضر : تنتسب إلى مضر الحمراء . شبه فئة أزهار الربيع المصفرة بجيوش يمانية لأن راية اليمن صفراء ، وشبه فئة الأزهار المحمرة بجيوش مصرية لأن راية مضر حمراء .
- ٥ فافع : شديد الصفرة ، غص : رطب . تشقق قبل : أي تشقق أولاً . زعر : تصبغ بالزهفران .
- ٦ ساطع : أي منتشر فالح ، من قولهم : سطع البرق ، وسطعت الرائحة . معصفر : سابع بالعصفر ، وهو ثبت صبغه أصفر . والمعنى : أن الزهرة الحمراء تحالطها صفرة .
- ٧ أي هو صبغ الله تعالى يبدع بلطف صنمه الألوان ، فيجعل نباتها الأخضر زهراً أصفر .
- ٨ الامام : الخليفة المتعصم . الهدي : الرشاد . المنتشر : يقول : إن الله خلق من الربيع خلقاً جميلاً كخلق الخليفة ، منتشر في الأرض كهدهاء .

مولى يعذب عبده

أعطاك دمعك جهده ، فشكا فؤادك وجدته
حملت نفسك ، في الهوى ، ما لا تطيق ، فهذه^١
يا شاميتاً بي ، إذ رأى هجر الحبيب وصدته ،
لا تسمتن ، فإنه مولى يعذب عبده

الحبيب الأول

البين جرعتني نقيع الحنظل ، والبين أنكسني ، وإن لم أنكل^٢
ما حسرتي أن كدت أقضي ، إنما حسرات قلبي أنني لم أفعل^٣
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ، ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل ، في الأرض ، يالفه الفتي ، وحينئذ ، أبدأ ، لأول منزل

زيارة في المنام

استزارتني فكرتي في المنام ، فأتاني في خيفة واكتتام
فألتالي أخفى بقلبي ، إذا ما جرعت النوى ، من الأيام^٤

١ فهذه : أي هد الهوى فؤادك .

٢ وإن لم أنكل : أي لم أصب بولد .

٣ لم أفعل : أي لم أقض .

٤ الأيام : النهار ، فالنهار اسم لكل يوم ، وضد اليوم ليلة . يقول : إذا جرعت الليالي قلبي فراق الحبيب ، فإنها أستر له من الأيام إذ تخفي ما به من لوعة لا تزال تلح عليه تصوراً وتفكيراً حتى تفضي إلى الأحلام وزيارة طيف الحيال .

يا لها ليلةٌ ، تنزّهتِ الأرواحُ فيها سراً عن الأجسامِ !
مجلسٌ ، لم يكن لنا فيه عيبٌ ، غيرَ أنّا في دعوةِ الأحلامِ

هجاء عياش

قال يهجو عياش بن لهيعة :

صدقٌ مقالتهُ ، إنْ قالَ مُجْتَهِداً : لا ، والرّغيفُ ! فذاك البرُّ من قسَمِهِ^٢
وإنْ هممتَ بهِ ، فافتكُ بخُبْرَتِهِ ، فإنّها قِطْعَةٌ من لَحْمِهِ ودَمِهِ^٣

لسان الحسود

وإذا أرادَ اللهُ نَشَرَ فضيلتهِ طُوِيَتْ ، أتاحَ لها لسانَ حَسُودٍ
لولا اشتِعالُ النّارِ فيما جاورَتْ ، ما كانَ يُعرَفُ طيبُ عَرَفِ العُودِ^٤

١ تنزّهت : ترفعت وتباعدت .

٢ البر : الصدق .

٣ وإن هممت به : أي هممت بقتله .

٤ حرف العود : رائحته . شبه لسان النار ، يمتد إلى ما يجاوره من الأشياء ، ليحرقها ، بلسان الحسود ، يمتد إلى أعراس الناس ، ليمزقها . فقد يمر لسان النار بعود طيب الرائحة ، ولكن رائحته كامنة فيه ، فإذا أحرقه ، انثشرت رائحته ، فعرف فضله . وهكذا لسان الحسود فإنه يمر بمرص طيب لم تشهر فضائله ، فيحاول تمزيقه وتقييحه ، فتنتشر هذه الفضائل ، ويلتفت إليها الناس .

دعبل

الهجاء

هجاء المطلب

قال دعبل هجو المطلب بن عبد الله بن مالك المزاعي أمير مصر بعد أن كان مدحه :

أَمْطَلِبُ ، أَنْتَ مُسْتَعْدِبٌ حُمَيَّا الْأَفَاعِي ، وَمُسْتَقْبِلُ^١
 سَتَاتِيكَ ، إِمَّا وَرَدْتُ الْعِيرا قَـ ، صَحَائِفُ ، يَأْثُرُهَا دِعْبِلُ^٢
 مُنَمَّقَةٌ ، بَيْنَ أَثْنَائِهَا مَخَازٍ تَحُطُّ ، فَلَا تَرَحَّلُ^٣
 وَصَعَتَ رِجَالًا ، فَمَا ضَرَّهْمُ ، وَشَرَفَتْ قَوْمًا ، فَلَمْ يَنْبَلُوا^٤
 تَنْوُطُ مِصرُ بكَ الْمُخْزِيا تَ ، وَتَبَصُّقُ فِي وَجْهِكَ الْمَوْصِلُ^٥
 إِذَا الْحَرْبُ كُنْتَ أَمِيرًا لَهَا ، فَحَظَّهْمُ مِنْكَ أَنْ يُقْتَلُوا^٦
 فَمِنْكَ الرَّؤُوسُ غَدَاةَ اللَّقَا ، وَمِمنْ يُحَارِبُكَ الْمُنْصِلُ^٧
 شِعَارُكَ فِي الْحَرْبِ ، يَوْمَ الْوَغَى ، إِذَا انْهَزَمُوا : عَجَلُوا^٨
 فَأَنْتَ ، إِذَا مَا التَّقَوَّا ، آخِرُ ، وَأَنْتَ ، إِذَا انْهَزَمُوا ، أَوَّلُ^٩

١ حميا الأفاعي : سمها ، ويريد به الهجاء الموجع .

٢ يَأْثُرُهَا : يَنْقُلُهَا وَيُرْوِيهَا .

٣ تنوط : تعلق .

٤ حظهم أي حظ الجنود الذين أنت أمير عليهم .

٥ الوغى : الصوت والحلبة في الحرب ، وتطلق على الحرب .

هجاء عبد الله بن طاهر

كان عبد الله بن طاهر ينتمي إلى خزاعة بالولاء ، وهو من كبار رجال الدولة في خلافة المأمون ، ثم صار أميراً على خراسان بعد أبيه طاهر بن الحسين . وكان قد وعد دعبلاً بمطية فلم ينجزها فقال فيه :

يا جَوَادَ اللّسانِ من غَيْرِ فِعْلٍ ، لَيْتَ في راحَتَيْكَ جُودَ اللّسانِ
عَيْنَ مِهرانٍ قد لَطَمْتَ مِراراً ، فَاتَّقِ ذا الجَلالِ في مِهرانِ^١
عُرْتُ عَيْناً ، فَدَعِ مِهرانَ عَيْناً ، لا تَدَعُهُ بِطُوفٍ في العُميانِ^٢

هجاء مسلم بن الوليد

تخرج دعبل في الشعر على مسلم بن الوليد ، ولزمه مضافاً حتى ولي البريد بخرجان من قبل ذي الرئاسين الفضل بن سهل ، فقصده دعبل مؤملاً منه شيئاً فلم ينله ، فكتب إلى الفضل بيتين يحرضه بهما على إقصاء مسلم لأنه لا يحفظ مودة . فعرف بهما مسلم فجافى دعبلاً ، فهاجيا وتقاطعا . فمن ذلك قول دعبل في أستاذه :

أبا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدَي مَوَدَةٍ ، هَوانا ، وَقَلْبانا جَمِيعاً ، مَعاً مَعاً
أَحْوَطُكَ بِالْغَيْبِ الَّذِي أَنْتَ حائِطِي ، وَأَجْزَعُ لِإِشْفاقٍ مِـنْـانٍ تَتَوَجَّعاً^٣
فَصَيَّرْتَنِي ، بَعْدَ انْتِكَائِكَ ، مُتْهِماً لِنَفْسِي ، عَلَيْهَا أَرْهَبُ الْخَلْقِ أَجْمَعاً^٤
غَشَشْتَ الْهَوَى حَتَّى تَدَاعَتْ أَصُولُهُ ، بَنّا ، وَابْتَدَلْتَ الْوَصْلَ حَتَّى تَقْطَعَا
وَأَنْزَلْتَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَى ، ذَخِيرَةً وَدّاً طالماً قد تَمَنَعَا^٥

- ١ من أمثال العرب : فلان يلطم عين مهران ، يضرب للرجل الذي يكذب في حديثه .
- ٢ عرت عيناً : صيرتها عوراء ، يريد بها عين مهران لكثرة كذبه . وقوله في العميان : أي مع العميان .
- ٣ إشفاقاً : خوفاً .
- ٤ انتكائك : انتقاضك وانصرافك عني .
- ٥ الجوانح : الأضلاع تحت التراب بما يلي الصدر ، سميت بذلك لميلها وانحنائها ، واحدها جانحة . وقوله : من بين الجوانح والحشى ، أي القلب .

فلا تَلَحِيصَتِي ، ليس لي فيك مَطْمَعٌ ،
تَحَرَّقتَ ، حتى لم أَجِدْ لك مَرَقَعَا
فَهَبَكَ يَمِينِي اسْتَكَلْتِ ، فَقَطَعْتُهَا ،
وَصَبَّرْتُ قَلْبِي بَعْدَهَا ، فَتَشَجَّعَا

هجاء أبي عباد

كان أبو عباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون ، وكان فيه عجلة وسرعة وغضب وانتقام . فقال فيه دعبل :

أولى الأمورِ بضيعةٍ وفسادٍ ، أمرٌ يُدَبِّرُهُ أَبُو عَبَّادٍ
خَرِقٌ عَلَى جُلُوسَائِهِ ، فَكَانَتْهُمْ
يَسْطُو عَلَى كُتَابِهِ بِدَوَائِهِ ، فَمُضْمَخٌ بِدَمٍ ، وَنَضَحَ مِدَادٍ
وَكَانَهُ مِنْ دِيرٍ هِزْقِلَ مُفْلِتٌ ، حَرِدٌ يَجْرُ سَلَسِيلَ الْأَقْيَادِ
فَاشْدُدْ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَثَاقَهُ ، فَأَصَحَّ مِنْهُ بِقِيَّةِ الْحَدَادِ

أكل الديك

كان صالح بن علي بن عبد القيس جاراً لدعبل في بغداد ، فوقع على ديك له دخل إلى داره ، فطعمه وأطعم ضيوفه ، فقال دعبل فيهم :

أَسْرَ الْمُؤَذِّنَ صَالِحٌ وَضُيُوفُهُ ، أَسْرَ الْكَمِيِّ هَفَا خِلَالَ الْمَاقِطِ

- ١ استأكلت : هنا بمعنى أكلت . يقال : أكل العضو واتكل وتأكل : أكل بفضه بعضاً . والأكلة داء في العضو يأكل منه .
- ٢ الخرق : الأحمق .
- ٣ روي أن أبا عباد غضب يوماً على بعض كتابه فرماه يدواة كانت بين يديه ، فلما رأى الدم يسيل منه لدم . فبلغ ذلك المأمون فغضب عليه ، وقيل إنه أخرجه من الديوان .
- ٤ دير هزقل ، وأصله هزقل ، أي حزقيال ، نقل إلى هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم . وكانت تشد فيه المجانين طلباً للشفاء .
- ٥ أصبح منه : أي أصبح عقلاً . بقية الحداد : اسم مجنون كان في اليممارستان .
- ٦ المؤذن : الديك . يروي عن النبي أنه نهى عن سب الديك لأنه يؤذن للصلاة ، وفي حديث آخر أن صياح الديكة تسبيح لله . الكمي : الشجاع اللابس السلاح . هفا : زل . الماقط مخفف ماقط : اصيق المواضع في الحرب .

بَعَثُوا عَلَيْهِ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ ،
 مِنْ بَيْنِ نَائِفَةِ ، وَآخَرَ سَامِطٍ
 يَتَنَازَعُونَ ، كَانَتْهُمْ قَدِ أَوْثَقُوا
 خَاقَانَ ، أَوْ هَزَمُوا قَبَائِلَ نَاعِطٍ
 نَهَشُوهُ ، فَانْتَزِعَتْ لَهُ أَسْنَانُهُمْ ،
 وَتَهَشَّمَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْحَائِطِ ٢

هجاء الرشيد والعباسيين

هجا دعبل هارون الرشيد سنة ٨١٨ م أي بعد موته بنحو عشر سنوات ، على أثر وفاة علي الرضا ،
 واتهام المأمون بأنه دس له السم ليتخلص منه . ودفن علي الرضا في طوس عند قبر هارون الرشيد :

وَلَيْسَ حَيٌّ مِنَ الْأَحْيَاءِ نَعْلَمُهُ ،
 مِنْ ذِي يَمَانٍ ، وَمِنْ بَكْرِ ، وَمِنْ مُضِرٍ ٣
 إِلَّا وَهُمْ شُرَكَاءُ فِي دِمَائِهِمْ ،
 كَمَا تَشَارَكَ أَيْسَارٌ عَلَى جُزُرٍ
 قَتْلٌ ، وَأَسْرٌ ، وَتَحْرِيقٌ ، وَمَنْهَبَةٌ ،
 فِعْلَ الْغُرَاةِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْخَزَرِ
 أَرَى أُمَيَّةَ مَعْدُورِينَ إِنْ قَتَلُوا ،
 وَلَا أَرَى لِبَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ عُدُورٍ
 أَرْبَعٌ بِطُوسَ ، عَلَى الْقَبْرِ الرَّكِيِّ ، إِذَا
 مَا كُنْتَ تَرْبَعُ مِنْ دِينَ ، عَلَى وَطَرٍ ٧

.....

- ١ خاقان : اسم لكل ملك من ملوك الترك . ناعط : جبل في اليمن زلت به قبائل همدان ، فلبسوا إليه ،
 وهم أهل شرف وشجاعة .
- ٢ الاقفاء : جمع القفا ، مؤخر العنق . وقوله : وتهشمت أقفاؤهم بالحائط ، أي لشدة نهشهم كانوا
 يخطون أقفاؤهم بالحائط .
- ٣ من ذي يمان : أي من اليمانية . ومن بكر ومن مضر : أي من العدنانية .
- ٤ أيسار : جمع سر وهم القوم المجتمعون على الميسر أي القمار . الجزر : جمع الجزور وهي ما
 يجزر من النوق والغنم ، وكانوا إذا نحررها ، قسموها أقساماً يقامرون عليها . يقول : اشتركت
 قبائل قحطان وعدنان بدماء أبناء علي كما يتشارك المقامرون في اقتسام الجزر .
- ٥ الجزر : البلاد المجاورة بحر قزوين ، وهم خليط من الوثنيين والنصارى واليهود . يريد أن المسلمين
 نكلوا بالملوكين كما ينكل الغزاة المسلمون بأعداء الدين الإسلامي .
- ٦ يعذر بني أمية لأنهم ليسوا من هاشم كالعباسيين أبناء عم العلويين .
- ٧ أربع : قف . طوس : مدينة بخراسان . الزكي : الطاهر . الوطر : الحاجة والبغية . يقول : إذا
 مررت بطوس فقف على القبر الطاهر أي قبر علي الرضا ، إن كنت ممن يعتقد أن في وقوفه طاعة للدين
 وتحقيقاً لما يبتغيه من الشفاعة في الآخرة .

قبران في طُوس ، خير الناس كلهم . وقبرُ شرهم . هذا من العبر ١
ما يُنفعُ الرّجسُ من قُربِ الزّكي ، ولا على الزّكي بقُربِ الرّجسِ من ضررٍ ٢
هيهات ! كلُّ امرئٍ رهنٌ بما كسبتْ له يده . فخذُ ما شئت أو فذر ٣

هجاء المأمون

أيسومني المأمونُ خُطّةَ عاجزٍ ؟ أو ما رأى بالأمسِ رأسَ مُحَمّدٍ ؟
نُوفي على رؤوسِ الخلائقِ مثلما تُوفي الجبالُ على رؤوسِ القردِ ٤
ونَحُلُ في أكنافِ كلِّ مُمنعٍ . حتى نُدلّلَ شاهيقاً لم يُصعدِ
لأنّي من القومِ الذين سيوفُهم رَفَعُوا شَتْلَكَ بعدَ طولِ خُمولِهِ ٥
لأنّ الثّراتِ مُسَهَّدٌ طَلابُها . واستنقذوك من الحضيضِ الأوهدي ٦
فاكفُفْ مَذاقَكَ عن لُعابِ الأسودِ ٧

- ١ قوله : خير الناس ، أي قبر خير الناس ، حذف المضاف واستغنى عنه بالمضاف إليه ، ويريد به قبر علي الرضا . قبرُ شرهم : أي قبر الرشيد .
- ٢ الرّجس : الشيء القذر الأثيم .
- ٣ هيهات : اسم فعل بمعنى بعد . فذر : فدع . يقول : هيهات أن ينفع الرّجس من قرب الزّكي أو يتأذى الزّكي من قرب الرّجس ، فالإنسان يلقي جزاء ما صنعت يده ، فخذ ما شئت أو فدعه فأنت ملاق فيه عاقبة أعمالك .
- ٤ يسومني : يكلفني . الخُطّة : الحالة والطريقة . يقول : أيعاملي المأمون كما يعامل الرجل العاجز ، أو ما رأى بالأمسِ رأس أخيه محمد الأمين كيف طار عن جمده . يهدده بالقتل كما قتل أخوه .
- ٥ نُوفي : فشرّف . القرد : ما ارتفع من الأرض .
- ٦ أكناف كل ممنع : أي جوانب كل جبل ممنع .
- ٧ يقول . لأنّي من بني خزاعة الذين قتلوا أخاك ، وشرّفوك بمقعد الخلافة . يشير إلى طاهر بن الحسين الخزاعي قائد المأمون ، وقاتل الأمين .
- ٨ الحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل . الأوهدي : الكثير الانخفاض .
- ٩ الثّرات ، جمع الثرة : الثار . القاب : سم الحية . الأسود : العظيم من الحيات وفيه سواد .

هجاء إبراهيم بن المهدي

كان إبراهيم بن المهدي عم المأمون قد طمع في الخلافة ، وبايعه العباسيون في بغداد ، ثم خلموه وبايعوا المأمون . فقال فيه دحبل :

نَقَرَ ابْنُ شِكْلَةٍ بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ ، فَهَنَّا إِلَيْهِ كُلُّ أُطَيْشٍ مَائِقٍ^١
أَنْتَى يَكُونُ ، وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ .
إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُضْطَلِعًا بِهَا ، فَلتَصْلَحَنَّ ، مِنْ بَعْدِهِ ، لِمُخَارِقٍ^٢
وَلتَصْلَحَنَّ ، مِنْ بَعْدِ ذَاكَ ، لَزَلِ . وَلتَصْلَحَنَّ ، مِنْ بَعْدِهِ ، لِلْمَارِقِ^٣

هجاؤه أيضاً

يَا مَعَشَرَ الْأَجْنَادِ لَا تَقْنَطُوا ، وَارْضَوْا بِمَا كَانَ ، وَلَا تَسْخَطُوا
فَسَوْفَ تُعْطَوْنَ حُنَيْنِيَّةً ، يَلْتَدُّهَا الْأَمْرَدُ وَالْأَشْمَطُ^٤
وَالْمَعْبَدِيَّاتُ لِقُودِ كُمْ . لَا تَدْخُلُ الْكَيْسَ ، وَلَا تُرْبِطُهُ

١ نفر : غلب ، هذه رواية الصولي في الأوراق . وفي ابن خلكان ومعاهد التنخيص : نمر أي صاح .
شكلة ، بفتح السين وكسرهما : أم إبراهيم ، جارية سوداء . هفا : أسرع وذهب . المائق : الأحق ،
ورواية الصولي : أطيش مائق . وفي ابن خلكان : أطلس ، وهو الذي يرمى بالقبيح . وفي المعاهد :
أخرق أي أحرق .

٢ مضطلماً بها : ناهضاً بها . مخارق : أحد المغنين في صدر الدولة العباسية . وكان إبراهيم بن المهدي
مشهوراً بالفناء والضرب على العود ، فالشاعر يتهم به ويقول : إذا صلحت الخلافة له ، وهو مغن
عواد ، فأجدر بها أن تصلح لغيره من المغنين فيكون مخارق ولي عهده .

٣ زلزل : هكذا ضبطه الفيروزآبادي في القاموس ، وقال : وإليه تصاف بركة زلزل في بغداد .
أما ابن خلكان ف ضبطه بضم الزاين . ولم يضبطه ياقوت في ذكره بركة زلزل . وهو منصور زلزل
كان مغنياً واشتهر بالضرب على العود . ولتصلحن من بعده : في أوراق الصولي : ولتصلحن ورائة .

المارقي : هو زرزور غلام علي بن المارقي ، كان من المغنين . وهو وزلزل ومخارق من معاصري إبراهيم .
٤ حنينية : أي ألحاناً منسوبة إلى حنين المغني . يقول : إن الجنود سيتقاضون أرزاقهم أصواتاً . الأشمط :
من خالط رأسه البياض .

• المعبدات : يريد بها أصواتاً منسوبة إلى معبد المغني .

وهكذا يَرْزُقُ قُوَادَهُ ، خَلِيفَةً ، مُصَحِّفَهُ الْبَرَبْتُ^١
 قد خَتَمَ الصَّكَّ بِأَرْزَاقِكُمْ ، وَصَحَّحَ الْعِزْمَ ، فَلَا تَسْخَطُوا
 بَيْعَةَ إِبْرَاهِيمَ مَشْؤُومَةً ، يُقْتَلُ فِيهَا الْخَلْقُ ، أَوْ يَقْحَطُ

هجاء المعتصم

بَكَى لَشَتَاتِ الدِّينِ مُكْتَتِبٌ صَبٌّ ، وَفَاضَ بِفَرْطِ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِهِ غَرْبٌ^٢
 وَقَامَ إِمَامٌ ، لَمْ يَكُنْ ذَا هِدَايَةٍ ، فَلَيْسَ لَهُ دِينٌ ، وَلَيْسَ لَهُ لُبٌّ^٣
 وَمَا كَانَتْ الْأَنْبَاءُ تَأْتِي بِمِثْلِهِ ، يُمَلِّكُ يَوْمًا ، أَوْ تَذِينُ لَهُ الْعُرْبُ
 وَلَكِنْ ، كَمَا قَالَ الدِّينَ تَتَابَعُوا مِنْ السَّلَفِ الْمَاضِينَ ، إِذْ عَظُمَ الْخَطْبُ^٤
 مُلُوكُ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فِي الْكُتُبِ سَبْعَةٌ ، وَلَمْ تَأْتِنَا ، عَنْ ثَامِنٍ لَهُمْ ، كُتُبُهُ
 كَذَلِكَ أَهْلُ الْكَهْفِ ، فِي الْكَهْفِ سَبْعَةٌ ، خِيَارٌ إِذَا عُدُّوا ، وَثَامِنُهُمْ كُتُبُهُ^٥

١ مصحفه : قرآنه . الربيط : العود .

٢ الصب : الماشق المشتاق . الغرب : مسيل الدمع من العين . يقول : تشتت الدين في خلافة بني العباس ، فبكيت عليه كتيباً مشتاقاً لجمع شمله .

٣ لب : عقل .

٤ إذ عظم الخطب : يريد بذلك الشقاق الذي وقع بين المسلمين من أجل الخلافة . وأراد بأنباء السلف الماضين : ما رواه العباسيون تأييداً لحقهم في الخلافة ، من أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية قال إن أباه قال إنه سيع أباه علي بن أبي طالب يقول : إن الخلافة صائرة إلى بني العباس ، عرف ذلك بما كان له من العلم بالحوادث الغيبية وبما سمعه من النبي . ويروون أيضاً أنه لما ولد عبد الله بن عباس ولده علياً ، سماه علي بن أبي طالب أبا الأملاك أي أبا الملوك . وهذه الرواية عن محمد بن الحنفية جعلت العباسيين يستفيدون من الشبهة الكيسانية ، ويجدون عندهم مناصرة .

٥ الكتب : يراد بها الأحاديث النبوية ، وأقوال الصالحين الذين ينظرون إلى المستقبل بما في نفوسهم من هداية ولور . عن ثامن : أي عن المعتصم وهو ثامن الخلفاء العباسيين .

٦ الكهف : المغارة . وأهل الكهف ورد ذكرهم في القرآن ، وهم سبعة شبان صالحون لجأوا إلى مغارة خوفاً من ملك اضطهدهم ، وكان معهم كلب ، فسد باب الكهف ، وأنزل الله عليهم سباتاً فناموا ثم بعثوا بعد زمن طويل . شبه الخلفاء العباسيين السبعة بالسبعة الغتيان ، ولم يشبههم بهؤلاء توقيراً لهم ، بل ليشبه ثامنهم المعتصم بالكلب .

وإني لأُعلي كلبهم عنك رِفعةً ، لأنك ذو ذَنْبٍ ، وليس له ذَنْبٌ
لقد ضاع ملك الناس ، إذ ساس ملكهم
وفضل بن مروان يثلم ثلثةً ،
يظلل لها الإسلام ليس له شعبٌ

موت المعتصم وقيام الواقع

الحمد لله ، لا صبر ، ولا جلد ، ولا عزاء ، إذا أهل البلى رقدوا
خليفة مات ، لم يحزن له أحد ،
وآخر قام ، لم يفرح به أحد

دفن المعتصم وبيعة الواقع

قد قلت ، إذ غيَّبوه ، وانصرفوا ، في شرّ قبر ، لشرّ مدفون :
إذ هب إلى النار والعذاب ، فما خلقت إلا من الشياطين
ما زلت ، حتى عقدت بيعة من أضر بالمسلمين والدين

.....

- ١ وصيف واشناس : غلامان تركيان كانت لهما منزلة رفيعة عند المعتصم ، ويد مستطيلة في سياسة الملك.
- ٢ الفضل بن مروان : وزير المعتصم وكان عامياً لا علم عنده ولا معرفة ، وكان رديء السيرة جهولاً بالأمور . يثلم : يكسر ويهدم . الثلثة : فرجة المكسور والمهلوم . الشعب : الإصلاح .

المدح

براعة الاستجداء

وقف دعبل بيمض امراء الرقة ، فمدحه بقوله :

مَاذَا أَقُولُ ، إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِيرِي صِفْرًا يَدَايَ مِنْ الْجَوَادِ الْمُجْزِلِ ؟
 إِن قُلْتُ : أَعْطَانِي ، كَذَبْتُ ، وَإِنْ أَقُلْ : ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ ، لَمْ يَجْمُلِ
 وَلَئِنْ أَعْلَمْتُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا ، مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
 فَاخْتَرْتُ أَنْفُسِكَ مَا أَقُولُ ، فَلِئَنِّي ، لَا بُدَّ ، مُخْبِرُهُمْ ، وَإِنْ لَمْ أَسْأَلِ

مدح عبد الله بن طاهر

عرض دعبل لعبد الله بن طاهر بن الحسين وهو راكب في حراقة له في دجلة ، فأشار إليه برقعة فأمر
 بأخذها فإذا فيها :

عَجِبْتُ لِحَرَاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ نِ كَيْفَ تَسِيرُ وَلَا تَغْرَقُ
 وَبَحْرَانِ : مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ ، وَآخَرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
 وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ عِيدَانُهَا ، إِذَا مَسَّهَا ، كَيْفَ لَا تُورِقُ ؟

الرثاء

رثاء أهل البيت

مدارسُ آياتٍ خلكتُ مِن تِلَاوَةٍ ، ومَنْزِلٌ وَحِيٍّ مُقْفِرُ العَرَصَاتِ^١
لآلِ رَسولِ اللهِ ، بالخَيْفِ ، من مِني ، وبالرَّكْنِ ، والتَّعْرِيفِ ، والجَمَرَاتِ^٢
دِيَارُ عَلِيٍّ ، والحُسَيْنِ ، وجَعْفَرٍ ، وحَمَزَةٍ ، والسَّجَادِ ذِي الثَّنِيَّاتِ^٣
دِيَارُ ، عَقَاها كُلُّ جَوْنٍ مُبَاكِيرٍ ، ولم تُعَفَّ لِلأَيَّامِ والسَّنَوَاتِ^٤
قِيَفًا ، نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا : متى عَهْدُها بالصَّوْمِ والصلَّواتِ^٥
وَأينَ الأَوَّلَى شَطَّتْ بهم غُرْبَةُ النَّوَى ، أَفانِينَ ، في الآفاقِ ، مُفْتَرِقاتٍ^٦
همُ أَهلُ مِراثِ النَّبِيِّ ، إِذا اعتَزَّوا ، وهمُ خَيْرُ قَادَاتٍ ، وخَيْرُ حُمَاةٍ^٧

- ١ المدارس : المواضع التي يدرس فيها القرآن ، مفردتها مدارس . التلاوة : قراءة القرآن . ومنزل وحى : أي منزل النبوة . العرصات : جمع العرصة وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء .
- ٢ الخيف : غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس بمكة ، وبها سمي مسجد الخيف . منى : موضع بمكة . الركن : جانب حجر الكعبة أو جداره . التعريف : وقوف الحجاج بعرفات على اثني عشر ميلا من مكة . الجمرات : الحصى التي ترمى في مناسك الحج . يقول : أفقرت وخلت هذه المواضع التي هي لآل رسول الله ، والتي كانت مدارس لآيات القرآن .
- ٣ علي بن أبي طالب . الحسين بن علي . جعفر الصادق من نسل علي . حمزة عم النبي قتل في غزوة أحد . السجاد : الكثير السجود . الثفنات ، جمع الثفنة : وهي من البعير ما لاصق الأرض إذا استنخ ، ومن الإنسان الركبة ، ومجتمع الساق والفخذ . وذو الثفنات : لقب زين العابدين بن علي بن الحسين ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان يصلي كل يوم ألف ركعة فصار في ركبتيه مثل ثفن البعير في الخشونة والغلظ .
- ٤ البلون : السحاب الأسود الممطر . يريد أن هذه الديار عفت لكثرة ما تسقيها الأمطار ، وتجود عليها السماء بخيرها لقدسية أماكنها ، ولم تعف لكرور الأيام والسنين ، لأن عاديات الأيام لا تأتي عليها .
- ٥ خف : ارتحل . والمراد بعد عهدها بالصوم والصلوات بعد موت من ذكرهم .
- ٦ شطت : بعدت . أفانين : حال من شطت ، مفردتها أفنون وهو الحال والنوع من الشيء . أي بعدت بهم على أحوال وأنواع متفرقة .
- ٧ ميراث النبي : الخلافة ، وسواها من أرض ومال كان للرسول . اعتزوا : انتسبوا . قادات : جمع قادة ، جمع قائد .

وما الناس إلا حاسدٌ ، ومُكذِّبٌ ، ومُضْطَغِنٌ ، ذو إحنةٍ ، وتيراتٍ
إذا ذكروا قتلى ببدْرٍ ، وخيبرٍ ، ويوم حنينٍ ، أسبَلُوا العَبْرَاتِ
قُبُورُ بَكُوفَانٍ ، وأخرى بطَيِّبَةٍ ، وأخرى بفتحٍ ، نالها صلواتي
وقبرٌ ببغدادٍ ، لنفس زكيةٍ ، تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِي الْغُرُفَاتِ
فأما المصيماتُ التي لستُ باليغَا مبالِغها مِنِّي بِكُنْهٍ صِفَاتِ

١ وما الناس : أي أعداؤهم الذين ينكرون عليهم حقهم . مكذب : أي مكذب بالحق . المضطغن : صاحب الضيئة . الإحنة : الحقد . الترات : جمع الترة ، وهي النار .

٢ وقعة بدر : في السنة التالية للهجرة . انتصر فيها المسلمون على مشركي قريش ، وشهدا من بني هاشم جماعة أبلوا فيها بلاء حسناً . في مقدمتهم حمزة عم النبي وعلي بن أبي طالب . روي أن عدد قتلى المشركين يوم بدر كان تسعة وأربعين ، وقيل بل ثيف على الستين . وذكروا أن علياً قتل وحده ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين ، والباقون لسائر الناس . وقعة خيبر : في السنة السابعة للهجرة ، انتصر فيها المسلمون على اليهود ، واستنزأوهم من حصونهم . وكان لعلي بن أبي طالب شأن عظيم في هذه الواقعة ولا سيما أمام حصني الوطيط والسلام حيث سلمه النبي اللواء بعد أن انكشف عمر بن الخطاب وأصحابه . وقعة حنين : في السنة التالية للهجرة بين المسلمين وبني هوازن تضايق المسلمون في بدء هذه المعركة ، فانهزموا ولم يثبت مع الرسول إلا سبعة من أهل بيته ، منهم علي بن أبي طالب يضرب أمامه بسيفه ، والعباس بن عبد المطلب أخذ بلجام بقلته . والباقون يدقون به خوفاً عليه ، وثبت عمر وأبو بكر وبعض الأنصار . وفي هذه الواقعة رمى علي بن أبي طالب حامل اللواء من هوازن عن ظهر جملة ، فقطع بعض الأنصار ساقه . وأخيراً تم النصر للمسلمين . قوله : إذا ذكروا : الضمير يعود على أهل البيت ، أي إذا ذكروا قتلهم أو ما قتلوا من أعداء الدين في هذه المواقع جهاداً في سبيل الإسلام ، بكوا قهراً عندما يرون أنفسهم مضطهدين ، مهضومي الحقوق .

٣ كولان والكوفة واحد . في معجم الأدباء : كوفات جمع كوفة ، وفيها قبر علي بن أبي طالب . طيبة : المدينة ، وفيها قبر النبي ، وقبر فاطمة وولدها الحسن ، وزين العابدين ، ومحمد الباقر ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية . فتح : واد بمكة ، وفيه قتل الحسين بن علي بن الحسن سنة ١٦٩ هـ . (٧٨٥ م) قتلته جيوش العباسيين لطلبه الخلافة . وترك جثته وجث أهل بيته مكشوفة حتى افترسها السباع .

٤ وقبر ببغداد لنفس زكية : يريد به قبر الإمام موسى الكاظم . قيل مات مسموماً ، وقيل مات في الحبس . في الغرفات : أي غرفات النعم .

٥ المصمات : أي نفوس من أهل البيت دعت الناس إلى نصرتها ، فصمت الأذان عن سماع صوتها . يقال : أصم دعاءه : أي وافق قوماً صماً لا يسمعون منه . يقول : إنه عاجز عن إظهار حقيقة صفاتها الحسنى .

إلى الحشر ، حتى يبعث الله قائماً ،
نفوس^١ لدى النهرين ، من أرض كربلا ،
تقتسمهم ريب الزمان ، كما ترى ،
سوى أن منهم بالمدينة عصابة ،
قليلة زوار ، سوى بعض زور ،
لهم كل حين نومة^٢ بمضاجع^٣
وقد كان منهم ، بالحجاز وأهلها ،
تنكب لأواء^٤ السنين جوارهم ،
إذا وردوا خيلاً ، تشمس بالقنا^٥
وإن فخرُوا يوماً ، أتوا بمحمد^٦ ،
ملا ملك في أهل النبي ، فلأنهم
تخيرتهم^٧ رُشداً لأمرى ، فلأنهم ،

يُفرج منها الهَم والكُرْبَاتِ^١
مُعَرَّسُهُمْ فيها بِشَطِّ فُرَاتِ^٢
لَهُمْ عُمَرَةٌ مَغْشِيَّةُ الْحُبْرَاتِ^٣
مَدَى الدَّهْرِ ، أَنْضَاءٌ مِنَ الْأَزْمَاتِ^٤
مِنَ الضَّبْعِ ، وَالْعِقْبَانِ ، وَالرَّخْمَاتِ^٥
لَهُمْ ، فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ ، مُخْتَلِفَاتِ^٦
مَغَاوِرُ ، يُخْتَارُونَ فِي السَّرَوَاتِ^٧
فَلَا تَصْطَلِيهِمْ جَمْرَةُ الْجَمْرَاتِ^٨
مَسَاعِرُ جَمْرِ الْمَوْتِ ، وَالْغَمَرَاتِ^٩
وَجَبْرِيلَ ، وَالْفُرْقَانِ ذِي السُّورَاتِ^{١٠}
أَحِبَّائِي ، مَا عَاشُوا ، وَأَهْلُ ثِقَاتِي^{١١}
عَلَى كُلِّ حَالٍ ، خَيْرَةُ الْخَيْرَاتِ^{١٢}

- ١ إلى الحشر : الجار متعلق بمصبات . القائل : أي الإمام المنتظر عند الشيعة . يريد أن هذا الإمام هو الذي يسمع صوتها ، ويظهر حقها المهضوم ، ويفرج همها .
- ٢ نفوس : خبر المصبات ، جرد من الفاء الرابطة ، ووجه الكلام أن يقال : فنفس . كربلا : موضع في طرف البرية عند الكوفة ، وفيه قتل الحسين بن علي وأصحابه . معرهم : أي منزههم .
- ٣ العمرة : الزيارة ، يريد : أن قبر الحسين مشهد يزار وتغشى حججه تبركاً .
- ٤ أنضاء : جمع النضر ، وهو المهزول والبال ، ويريد بالمصبة : المدفولين في المدينة من أهل البيت ، ولعنهم بالأنضاء لما يلاقون من الشدة والحيف ، فقبورهم لا تزار ولا تكرم كقبر الحسين .
- ٥ الرخمات : جمع الرخمة ، واحدة الرخم : طائر أبيض يشبه النسر في الحلقة ، وتسميه العامة الشوكة .
- ٦ مغاور : جمع مغوار ، كثير الغارات . السروات : جمع السراة ، جمع السري ، وهو السيد الشريف ذو المروءة .
- ٧ تنكب : تتجنب . الأواء : الشدة وضيق العيش . الجمرة : أي جمره الحرب . الجمرات : جمع الجمرة وهي القوم الضموا فصاروا يداً واحدة ولم يحالفوا غيرهم . وجمرات العرب قبائل معروفة .
- ٨ تشمس : امتنع . مساعر : فاعل تشمس . الغمرات : جمع الغمرة وهي شدة الموت وكرائمه .
- ٩ ملا ملك : منصوب على التحذير أي كف ملا ملك .

فيا رَبِّ، زِدني ، من يَتَّقيني ، بِصِيرةً ،
 بِنَفْسِي أَنْتُمْ ، من كُھولٍ وَفِتيةٍ ،
 أَحَبُّ قَصِي الرَّحْمِ ، من أَجَلِ حَبِّكُمْ ،
 وَأَكْثَمُ حُبِّكُمْ مَخَافَةَ كَاشِحٍ
 لَقَدْ حَقَّتِ الْإِيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا ،
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي ، مِینِ ثَلَاثِينَ حِجَّةً ،
 أَرَى فَيَاهُمْ ، فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا ،
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لُحُفٌ جُسُومُهُمْ ،
 بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ ،
 إِذَا وَتَرُوا ، مَدَدُوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ
 وَزِدْ حُبَّهُمْ ، يَا رَبِّ ، فِي حَسَنَاتِي
 لَفَكَ عُنَاةٌ ، أَوْ لِحْمَلِ دِيَاتٍ
 وَأَهْجُرُ فِكُمْ أَسْرَتِي وَبَسَاتِي
 عَنِيدٍ ، لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرِ مُوَاتٍ
 وَلَئِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَقَاتِي
 أَرْوَحُ ، وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ
 وَأَيِدِيهِمْ ، مِینِ فَيْثِهِمْ ، صَفِيرَاتٍ
 وَآلُ زِيَادٍ حُفْلُ الْقَصَصَاتِ
 وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ
 أَكْفَأَ عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقَبِضَاتٍ

- ١ العناة : جمع العالي أي الأسير .
- ٢ قصي الرحم : أي الغريب لا تجمعك به قرابة . يريد أنه ليس بينه وبين أهل البيت قرابة رحم ، وهو يحبهم حتى أصبح يحب كل بعيد الرحم من أجل حبهم .
- ٣ الكاشح : العدو . موات : مجار .
- ٤ فيأهم : ما لهم الذي أفاده الله عليهم في الجهاد أو مال الجزية والخراج . صفرات : خاليات .
- ٥ آل زياد : دولة ملكت اليمن في أيام المأمون ، ولسبتهم إلى زياد ابن أبيه . وذلك أن شخصاً منهم يقال له محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد ابن أبيه كان مع جماعة من بني أمية قد سلمهم المأمون إلى الفضل بن سهل ، وقيل إلى أخيه الحسن . وفي ذلك الوقت اختلت أمور اليمن فبلغ المأمون ذلك ، فأثنى الفضل بحضرة المأمون على محمد بن زياد المذكور ، ومدح همته وشجاعته . فأرسله المأمون ومعه جماعة لإصلاح أمر اليمن . فسار وأرسل الهدايا إلى الخليفة . فبعث إليه المأمون ألفي فارس ليكونوا في إمرته ، فعظم شأنه ، وانتقل ملكه بعده إلى أولاده . وكانت مدة دولتهم ٢٠٤ سنوات . القصرات : جمع القصرة : أصل العنق . يؤلم الشاعر أن يكون أهل البيت ضعاف الأجسام لما بهم من عوز وهم أبناء عم العباسيين ، في حين أن آل زياد غلاظ الرقاب من النعمة التي أولاهاهم العباسيون ، مع أنهم أمويون .
- ٦ وتروا : كان لهم ثأر عند غيرهم . وترهم : ثأرهم . الأوتار : جمع الوتر ، وهنا بمعنى الظلم والاعتداء . نعمتهم بالمساحة وحب السلام .

فلولا الذي أرجوه في اليوم ، أو غدا .
 خروجه إمام ، لا محالة خارج ،
 يُمَيِّزُ فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ،
 سأقصرُ نفسي ، جاهداً ، عن جدالهم .
 فنياً نفسٍ طيبي ، ثم يا نفسِ أبري ،
 فإنَّ قَرَبَ الرَّحْمَنِ من تلكَ مُدَّتِي ،
 شُفِيْتُ ، ولم أتركْ لنفسي رَزيَّةً ،
 أحاولُ نقلَ الشمسِ من مُستَقَرِّها ،
 فَمِنْ عَارِفٍ لم يَتَفَعَّ ، ومُعَانِدٍ
 قُصَارَايَ مِنْهُمْ أنْ أَمُوتَ بَغْصَةً ،
 كأنَّكَ بالأضلاعِ قد ضاقَ رَحْبُها ،
 لَقَطَعَ قَلْبِي ، لِأَثَرِهِمْ ، حَسْرَاتِي^١
 يَقُومُ على اسمِ اللَّهِ والبركاتِ^٢
 وَيَجْزِي على النعماءِ والنِّقَمَاتِ
 كَفَانِي ما أَلْقَى مِنْ الْعِبَرَاتِ^٣
 فغَيْرُ بَعِيدٍ كُلُّ ما هُوَ آتٍ
 وَأَخَّرَ مِنْ عُمري لطولِ حَيَاتِي
 وَرَوَيْتُ مِنْهُمْ مُنْعَبِي وَقَنَاتِي^٤
 وَأَسْمِعُ أَحْجَاراً مِنَ الصَّلَدَاتِ^٥
 يَمِيلُ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشُّبُهَاتِ^٦
 تَرَدَّدُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَاللَّهَوَاتِ^٧
 لِمَا ظَهَمْتُ مِنْ شِدَّةِ الزَّفَرَاتِ^٨

- ١ حسراتي : فاعل قطع .
- ٢ خروج إمام : أي الإمام المنتظر الذي يخرج من أهل البيت ليظهر الأرض من الجور والفساد .
- ٣ عن جدالهم : أي عن جدال من ينكرون مجيء الإمام المنتظر . العبرات : جمع العبرة ، أي العبارة فالملئى : كفاني ما ألقى من الكلام . أو هي عبرات : جمع عبرة ، أي العجب والموعظة يتعظ بها .
- ٤ تلك : أي تلك الساعة التي يخرج فيها الإمام .
- ٥ منهم : أي من الذين ينكرون مجيئه .
- ٦ أحاول نقل الشمس : أي أن صعوبة اقناع المنكرين كصعوبة نقل الشمس من مكانها الصلادات : الصلاب ، مفردا سلة . أي واسماع المنكرين كاسماع الحجارة الصلاب .
- ٧ يقول : من المنكرين من عرف الحقيقة ، ولكنه يجهلها ولا يتفهم بها . الشبهات : الظنون .
- ٨ قصاراي : غايي وجهدي . وقوله : أموت بغصة ، أي إذا مات متشوقاً إلى ظهور الإمام . اللهوات : جمع الهواة ، وهي اللهمة المشرقة على الخلق .

اغراض مختلفة

غزل

أينَ الشَّبابُ ، وأَيَّةَ سَلَكَا ؟ بل أينَ يُطَلَّبُ؟ ضَلَّ أمْ هَلَكَا ؟
لا تَعَجَّبي يا سَلَمَ من رَجُلٍ ، ضَحِكَ المَشِيبُ برَأْسِهِ ، فَبَكَى
يا سَلَمَ ما بِالشَّيبِ مَنَقَصَةٌ ، لا سُوْقَةٌ يُبْقِي ، ولا مَلِكَا
قَصَرَ الغَوَايَةِ عَن هَوَى قَمَرٍ ، أَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مُشْتَرَكَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي ، كَيْفَ نَوْمُكُما ، يا صَاحِبِي ، إِذَا دَمِي سَفِكَا ؟
لا نَأْخُذُا بِظِلَامَتِي أَحَدًا ، قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

حنين

ألمْ يَأْنِ ، لِلسَّقَرِ الدِّينَ مَحْمَلُوا ، إِلَى وَطَنٍ ، قَبْلَ المَمَاتِ ، رُجُوعُ ؟
فَقُلْتُ ، وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقَ عِبْرَةٍ ، نَطَقْنَ بِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُ :
تَبَيَّنَ ، فَكَمْ دَارٍ تَفَرَّقَ شَمْلُهَا ، وَشَمَلٍ شَتَّتِ عَادَ وَهُوَ جَمِيعُ
كَذَلِكَ اللَّيَالِي ، صَرَفْنَهُنَّ كَمَا تَرَى ، لِكُلِّ أَنَاسٍ جَدْبَةٌ وَرَيْعُ

- ١ المنقصة : النقص والعيب . السوق : الرعية من الناس ، لواحد والجمع والمذكر والمؤنث . سوا
بذلك لأن الملك يسوقهم ويصرفهم إلى ما شاء من أمره ومراده .
٢ قصره عن الشيء : كفه عنه قسراً لا طوعاً . الفواية : الضلالة . يقول : إن وقار الشيب رده عن الحب
كرهاً ، لأنه أبى عليه أن يتبدل في حب مليح يشاركه فيه كثير من العشاق .
٣ يقول : إن حب هذا المليح الذي أقصر عنه مكرهاً سيقتله ، ولذلك يسأل صاحبيه كيف يصبران
عنه إذا سفلك دمه .
٤ الظلامة : ما تطلبه عند الظالم ، وهو ما يأخذه منك ظلماً .
٥ ألم يأن : ألم يحين ، ماضٍ أنى . تحملوا : ترحلوا .

الشعر الخالد

نَعَوْنِي ، وَلَمَّا يَنْعَنِي غَيْرُ شَامِتٍ ، وَغَيْرُ عَدُوٍّ قَدْ أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ^١
يَقُولُونَ : «إِنْ ذَاكَ الرَّدَى مَاتَ شِعْرُهُ» ، وَهِيَهَاتَ ، عُمُرُ الشَّعْرِ طَالَتْ طَوَائِلُهُ^٢
سَاقِضِي بَيْتٍ بِحَمْدِ النَّاسِ أَمْرَهُ ، وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ حَامِلُهُ^٣
يَمُوتُ رَدَى الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ ، وَجَيِّدُهُ يَبْقَى ، وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ^٤

لفضيلة العطاء

لَتَيْنَ كُنْتُ لَا تُؤَلِّي يَدَا دُونَ أَمْرَةٍ ، فَلَتَسْتَ بِمَوْلٍ نَائِلًا آخِرَ الدَّهْرِ^١
فَأَيُّ لِنَاءٍ لَمْ يَفْضُ عِنْدَ مَلِكِهِ ، وَأَيُّ بَخِيلٍ لَمْ يُنِيلْ سَاعَةَ الْوَفْرِ ؟
وَلَيْسَ الْفَقْرُ الْمُعْطَى عَلَى الْيُسْرِ وَحْدَهُ ، وَلَكِنَّهُ الْمُعْطَى عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

لذة العيش

١ كتب دعبل الى نُهشل ابي حميد الطوسي يقول :

إِنَّمَا الْعَيْشُ فِي مُنَادِمَةِ الْإِخْ وَأَنْ لَا فِي ابْتِنُوسٍ عِنْدَ الْكَعَابِ
وَيَصْرِفُ كَأَنَّهَا أَلْسُنُ الْبَرِّ قِ ، إِذَا اسْتَعْرَضَتْ رَقِيقَ السَّحَابِ
إِنْ تَكُونُوا تَرَكْتُمْ لَذَّةَ الْعَيْ شِ ، حِذَارَ الْعِقَابِ ، يَوْمَ الْعِقَابِ
فَدَعُونِي ، وَمَا أَلَذُّ وَأَهْوَى ، وَادْفَعُوا بِي فِي صَدْرِ يَوْمِ الْحِسَابِ

١ لما : بمعنى لم الجازمة . المقاتل : جمع المقتل وهو العضو الذي لا يستطيع المقاومة إذا أصيب . وقوله : أصيبت مقاتله : أراد هنا الهجاء الذي أصاب الأماكن الضعيفة من عرضه وشرفه .

٢ الطوائل : جمع الطائلة ، وهي القدرة والسعة .

٣ ساقضي : ساموت . بيت : الباء سببية .

٤ اليد : العطاء والنعمة . الامرة : الولاية والملك . النائل : العطاء . آخر الدهر : اي مدى الدهر .

٥ استعرض : طلب العريض من الاشياء . شبه لآلاء الحمرة بألسن البرق ، وحجبها برقيق السحاب . يقول : ان لآلامها يلوح في الحبب كما تلوح ألسن البرق في رقيق السحاب .

ابن المقفع

كليلة ودمنة

باب عرض الكتاب

وضعه عبدالله بن المقفع

الحض على تفهم الكتاب

هَذَا كِتَابٌ كُلِّيلَةٌ وَدَمْنَةٌ وَهُوَ مِمَّا وَضَعَتْهُ عُلَمَاءُ الْهِنْدِ مِنْ الْأَمْثَالِ
وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي أَلْهِمُوا أَنْ يُدْخِلُوا فِيهَا أَرْبَعٌ مَا وَجَدُوا مِنَ الْقَوْلِ فِي النَّحْوِ
الَّذِي أَرَادُوهُ . وَلَمْ تَزَلِ الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَلِسَانٍ يَلْتَمِسُونَ
أَنْ يُعْقَلَ مِنْهُمْ . وَيَحْتَالُونَ لِذَلِكَ بِصُنُوفِ الْحَيْلِ ، وَيَبْتَغُونَ إِخْرَاجَ مَا
عِنْدَهُمْ مِنْ عِلَلٍ ١ ، فِي إِظْهَارِ مَا لَدَيْهِمْ مِنَ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ، حَتَّى كَانَ
مِنْ تِلْكَ الْعِبَارِ وَضَعُ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى أَفْوَاهِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيُورِ . فَاجْتَمَعَ لَهُ
بِذَلِكَ نَحْوُ ٣٠٠ مِنْهَا : أَتَهُمُ وَجَدُوا مُنْصَرَفًا ٢ فِي الْقَوْلِ ، وَشِعَابًا ٣ يَأْخُذُونَ
مِنْهَا ، وَوُجُوهًا يَنْسَلُكُونَ فِيهَا . وَأَمَّا الْكِتَابُ فَجَمَعَ حِكْمَةً وَلَهْوًا ، فَاخْتَارَهُ
الْحُكَمَاءُ لِحِكْمَتِهِ ، وَالْأَغْرَارُ ٤ لِلتَّهْوَةِ . وَالْمُتَعَلِّمُ مِنَ الْأَحْدَاثِ نَاشِطٌ فِي

١ النحو : البنية .

٢ العلة : السبب .

٣ الخلال : الخصال ، مفرداتها الخلة .

٤ منصرفاً : متسماً بصفة اداة من الكلام .

٥ شعاباً : طرقاً ، مفرداتها .

٦ الأغرار ، جمع الغر لشاب لا تجربة له ، يفتن بالأباطيل .

حَفِظَ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرَبِّطُ فِي صَدْرِهِ ، وَلَا يَتَدْرِي مَا هُوَ ، بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَكْتُوبٍ مَرْقُومٍ^١ . وَكَانَ كَالرَّجُلِ الَّذِي لَمَّا اسْتَكْمَلَ الرَّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبَوَيْهِ قَدْ كَنَزَا لَهُ كُنُوزًا ، وَعَقَدَا لَهُ عَقْدًا^٢ اسْتَغْنَى بِهَا عَنْ الْكَدَحِ^٣ ، فِيمَا يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَتِهِ ؛ فَأَغْنَاهُ مَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ مِنْ الْحِكْمَةِ عَنْ الْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ وُجُوهِ الْأَدَبِ .

فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ الْوُجُوهَ الَّتِي وُضِعَتْ لَهُ ، وَالرَّمُوزَ الَّتِي رُمِيزَتْ فِيهِ ، وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ جَرَى مُؤَلِّفُهُ فِيهِ ، عِنْدَ مَا نَسَبَهُ إِلَى الْبَهَائِمِ وَأَضَافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْصِحٍ^٤ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَوْضَاعِ الَّتِي جَعَلَهَا أَمْثَالًا^٥ . فَإِنَّ قَارِئَهُ ، مَتَى لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، لَمْ يَدْرِ مَا أُريدُ بِتِلْكَ الْمَعَانِي ، وَلَا أَيُّ ثَمَرَةٍ يَجْتَنِي مِنْهَا ، وَلَا أَيُّ نَتِيجَةٍ تَحْصُلُ لَهُ مِنْ مُقَدِّمَاتِ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذَا الْكِتَابُ . وَإِنَّهُ ، إِنْ كَانَتْ غَايَتُهُ مِنْهُ اسْتِثْمَامَ قِرَائَتِهِ ، وَابْتُلُوغَ إِلَى آخِرِهِ ، دُونَ تَقْفِهِمْ مَا يَقْرَأُ مِنْهُ ، لَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ^٦ بِشَيْءٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ . وَمَنْ اسْتَكْتَرَ مِنْ جَمْعِ الْكُتُبِ وَقِرَاءَةِ الْعُلُومِ ، مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ الرَّوِيَّةِ فِيمَا يَقْرُؤُهُ ، كَانَ خَلِيقًا أَنْ لَا يُصِيبَهُ إِلَّا مَا أَصَابَ الرَّجُلَ الَّذِي زَعَمَتِ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ اجْتَازَ بَعْضَ الْمَغَاوِرِ^٧ ، فَظَهَرَ لَهُ مَوْضِعُ آثَارِ كَثَرٍ ، فَجَعَلَ يَحْفَرُ وَيَطْلُبُ ، فَوَقَعَ عَلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ مِنْ عَيْنٍ وَوَرَقٍ^٨ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ أَنَا أَخَذْتُ فِي نَقْلِ هَذَا الْمَالِ قَلِيلًا قَلِيلًا ، طَالَ عَلَيَّ ،

.....

- ١ المرقوم : الكتاب المجمع المبين .
- ٢ العقد : جمع العقدة ، وهي ما يعقد من البيع . والمقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً .
- ٣ الكدح : الجد والاجتهاد .
- ٤ المفصح : ضد الأعجم غير الناطق .
- ٥ وغير ذلك : أي وأن يعرف غير ذلك .
- ٦ لم يعد عليه : لم ينفعه ، والفاعل يعود إلى الكتاب .
- ٧ المغاور : جمع المفارة .
- ٨ العين : الذهب .
- ٩ الورق : الدراهم من الفضة .

وقطعتني الاشتغالُ بنقله عن اللذة بما أصبت منه . ولكن أستأجر قوماً يحملونه إلى منزلي ، وأكون أنا آخرهم ، ولا يكون بقي رائي شيء يشغل فكري بنقله ، وأكون قد استظهرتُ لنفسي ، في إراحة بدني عن الكد ، بيسير أجرة أعطيها لياهم . ثم جاء بالحمالين فجعل يسلم إلى كل واحد منهم ما يتقدّر على حمله ويقول له : اذهب به إلى منزلي . فينطلق به الحمال إلى منزله هو ، حتى إذا لم يبق في الكثر شيء ، انطلق خالفهم إلى منزله ، فلم يجد فيه من المال شيئاً ، وإذا كل واحد من الحمالين قد فاز بما حمّله لنفسه ، ولم يكن للرجل من ذلك إلا العناء والتعب ، لأنه لم يفكر في آخر أمره .

وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهراً وباطناً ، لم يستفيع بما يبدو له من خطئه ونقشه^٢ كما لو أن رجلاً قدّم له جوزٌ صحيح لم يستفيع به إلا أن يكسره ويستخرج ما فيه . وكان أيضاً كالرجل الذي طلب علم الفصح من كلام الناس ، فأتى صديقاً له من العلماء ، له علم بالفصاحة ، فأعلمه حاجته إلى علم الفصح ، فرسم له صديقه في صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه . فانصرفت بها إلى منزله ، فجعل يكثر قراءتها ، ولا يقف على معانيها ، ولا يعلم تأويل^٣ ما فيها ، حتى استظهرها كلها . فاعتقد أنه قد أحاط بعلم ما فيها . ثم إنه جلس ذات يوم في محفل من أهل العلم والأدب ، فأخذ في محاورتهم ، فجرت له كلمة أخطأ فيها ، فقال له بعض الجماعة : « إنك قد أخطأت ، والوجه غير ما تكلمت » فقال : « كيف أخطىء وقد قرأت الصحيفة الصفراء ، وهي في منزلي ؟ » فكانت مقالته هذه أوجب للحجة عليه ، وزادته ذلك قرباً من الجهل ، وبُعداً من الأدب . الخ .

١ استظهرت : استعنت .

٢ نقشه : تلويحه .

٣ التأويل : تدبير الكلام وتقديره وتفسيره .

أغراض الكتاب

وينبغي للتأطير في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض :
أحدها ما قصد فيه إلى وضعه على السينة البهائم غير الناطقة ، من
مُسارعة أهل الهزل من الشبان إلى قراءته ، فتستمال به قلوبهم ،
لأن هذا هو الغرض بالنوادير من حيل الحيوانات . والثاني إظهار خيالات
الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان^١ ، ليكون أنساً لقلوب الملوك ، ويكون
حريصهم عليه أشد ، للنزهة في تلك الصور . والثالث أن يكون على هذه
الصفة ، فيتخذها الملوك والسوقة^٢ ، فيكثر بذلك انتساخه ، ولا يمتلئ
فيخلق^٣ على مرور الأيام ، وليتفتح بذلك المصور والناسخ أبداً . والغرض
الرابع ، وهو الأقصى ، مخصص بالفيلسوف خاصة .

قال عبد الله بن المقفع : لما رأيت أهل فارس قد فسّروا هذا الكتاب
من الهندية إلى الفارسية ، وألحقوا به باباً ، وهو باب برزوتيه الطبيب ،
ولم يذكروا فيه ما ذكرنا في هذا الباب لمن أراد قراءته واقتباس علومه
وفوائده ، وضعنا له هذا الباب . فتأمل ذلك ترشده ، إن شاء الله تعالى .

١ يتبين من ذلك أن الكتاب كان ذا صور وألوان في الأصل .

٢ السوق : الرعية وعامة الشعب .

٣ يخلق : يبل .

٤ فسروا : المراد هنا أظهروا الكتاب بالترجمة ، وكشفوا عن مغناه .

باب الاسد والثور

وهو أول الكتاب في الأصل الهندي

مملكة الأسد

قال دبشليمُ الملكُ لبندبَا الفيلسُوفُ، وهو رأسُ البَراهِمَةِ: لضربِ لي مثلاً لمتحابينِ يقطعُ بينهما الكدوبُ المحتالُ، حتى يَحْمِلَهُمَا على العداوةِ والبغضاءِ.

قالَ بَندبَا: إذا ابتليَ المتحابانِ بأنْ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا الكدوبُ المحتالُ، لم يَلْبَثَا أَنْ يَتَمَاطِعَا وَيَتَدَابِرَا. ومنْ أمثالِ ذلكِ أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ دَسْتَاوَنْدَ رَجُلٌ شَيْخٌ لَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ. فَلَمَّا بَلَغُوا أَشُدَّهُمْ، أَسْرَقُوا فِي مَالِ آبِيهِمْ، ولم يَكُونُوا أَحْتَرَفُوا حِرْفَةً يَكْسِبُونَ بِهَا لِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا. فَلَا مَهْمَ أَبُوهُمْ وَوَعَظْتَهُمْ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِمْ. وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ: يَا بَنِيَّ، إِنَّ صَاحِبَ الدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ، لَنْ يُدْرِكَهَا إِلَّا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ. أَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَطْلُبُ: فَالسَّعَةُ فِي الرِّزْقِ، وَالمُتَرَلَّةُ فِي النَّاسِ، وَالزَّادُ^٢ لِلْآخِرَةِ. وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي دَرَكِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ: فَاكْتِسَابُ الْمَالِ مِنْ أَحْسَنِ وَجْهِ يَكُونُ، ثُمَّ حُسْنُ الْقِيَامِ عَلَى مَا اكْتَسَبَ مِنْهُ، ثُمَّ اسْتِثْمَارُهُ، ثُمَّ إِنْفَاقُهُ^٣ فِيمَا بُصْلِحُ الْمَعْبُشَةِ، وَيَرْضَى الْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ، فَيَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي الْآخِرَةِ. فَمَنْ ضَيَّعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، لَمْ يُدْرِكْ مَا أَرَادَ مِنْ حَاجَتِهِ. لِأَنَّهُ، إِنْ لَمْ يَكْتَسِبْ، لَمْ يَسْكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ بِهِ. وَإِنْ هُوَ كَانَ ذَا مَالٍ وَاكْتَسَابَ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنْ الْقِيَامَ عَلَيْهِ، أَوْشَكَ الْمَالُ أَنْ يَنْفَى وَيَبْقَى^٤ مُعَدِمًا.

١ يتدابر: أي يولي كل واحد ظهوره للآخر متقاطعين.

٢ الزاد: أي التزود من الأعمال الصالحة.

٣ يبقى: التسمير يعود على صاحب المال.

٤ المعدم: الفقير.

وإنْ هُوَ وَضَعَهُ وَلَمْ يَسْتَشِيرْهُ ، لَمْ تَمْنَعَهُ قِلَّةُ الْإِنْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ الذَّهَابِ ،
كَالْكُحْلِ الَّذِي لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ إِلَّا غُبَارُ الْمِيلِ ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ سَرِيعُ فَنَائِهِ .
وإنْ هُوَ اكْتَسَبَ وَأَصْلَحَ وَأَثْمَرَ ، ثُمَّ أَمْسَكَ عَنْ إِنْفَاقِهِ فِي وُجُوهِهِ وَمَنَافِعِهِ ،
صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْفَقِيرِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ . ثُمَّ لَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ أَيْضاً مَالَهُ مِنْ التَّلَفِ
بِالْحَوَادِثِ وَالْعِيَالِ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِ ، كَمَحَبَسِ الْمَاءِ الَّذِي لَا تَزَالُ الْمِيَاهُ
تَنْصَبُ فِيهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُخْرَجٌ وَمَقَاضٍ وَمُتَنَفِّسٌ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ
بِقَدْرِ مَا يَنْبَغِي . خَرِبَ وَسَالَ وَنَزَّ مِنْ نَوَاحٍ كَثِيرَةٍ . وَرُبَّمَا انْبَثَقَ^١
الْبَثْقُ الْعَظِيمُ ، فَذَهَبَ الْمَاءُ ضَيَاعاً .

ثُمَّ إِنْ بَنَى الشَّيْخُ اتَّعَظُوا بِقَوْلِ أَبِيهِمْ ، وَأَخْلَدُوا بِهِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ
فِيهِ الْخَيْرَ ، وَعَتَلُوا عَلَيْهِ . فَاِنْطَلَقَ أَكْبَرُهُمْ فِي تِجَارَةٍ نَحْوَ أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا
مَيَّونُ . فَأَتَى فِي طَرِيقِهِ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ وَحْلٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ مَعَهُ عَجَلَةٌ
يَجْرُهَا ثَوْرَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا شَتْرَبَةٌ ، وَلِلْآخَرِ بَشْدَبَةٌ . فَوَحِلَ شَتْرَبَةٌ
فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَعَالَجَهُ الرَّجُلُ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ الْجُحْدُ فَلَمْ
يَقْدُرُوا عَلَى إِخْرَاجِهِ . فَذَهَبَ الرَّجُلُ ، وَخَلَّفَ عِنْدَهُ رَجُلًا يُشَارِفُهُ^٢ ،
لَعَلَّ الْوَحْلَ يَنْشَفُ ، فَيَتَّبِعَهُ بِهِ . فَلَمَّا بَاتَ الرَّجُلُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ تَبَرَّمَ^٣
بِهِ وَاسْتَوْحَشَ ، فَتَرَكَ الثَّورَ وَالتَّحَقَّقَ بِصَاحِبِهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ الثَّورَ قَدْ مَاتَ .
وَأَمَّا الثَّورُ فَإِنَّهُ خَلَصَ مِنْ مَكَانِهِ وَانْبَعَثَ ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى انْتَهَى
إِلَى مَرْجٍ مُخْصِبٍ كَثِيرِ الْمَاءِ وَالْكَلَالِ ، فَأَقَامَ فِيهِ . فَلَمَّا سَمِنَ وَأَمِنَ جَعَلَ
يَخُورُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْحَوَارِ . وَكَانَ قَرِيباً مِنْهُ أَجَمَةٌ^٤ فِيهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ ،
وَهُوَ مَلِكُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَمَعَهُ سِبَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الدَّقَابِ وَالذَّبَبَةِ وَبَنَاتِ

١ انفاقه : الضمير يعود على المال المكتسب .

٢ انبثق : تكسرت جوانبه ، وانفجر الماء .

٣ يشارفه : يقوم عليه .

٤ تبرم : مل وضجر .

٥ الأجمة : الشجر الكثير الملتف .

آوَى والثعالِبِ وسائرِ السَّبَاعِ . وكانَ الأسدُ مَزْهُوًّا مُنْفَرِدًا بِرَأْيِهِ ، ورأْيُهُ غيرُ كامِلٍ . فَلَمَّا سَمِعَ خُوارَ الثورِ ، ولم يكنْ رأى ثوراً قَطُّ ، ولا سَمِعَ خُوارَهُ ، خامَرَهُ^٢ مِنْهُ هَيْبَةٌ وَخَشْيَةٌ . وَكَرِهَ أَنْ يَتَقَنَّ لِلدَّكِ جُنْدُهُ . فَأَقَامَ بِمَسْكَنِهِ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ ، بَلْ يُؤْتِي بِرِزْقِهِ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى يَدِ جُنْدِهِ . وَكَانَ ، فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ السَّبَاعِ ، ابْنًا آوَى يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا كَلِيلَةُ ، وللآخرِ دِمْنَةُ ، وكِلَاهُمَا ذُو أَدَبٍ وَدَهَاءٍ . وَكَانَ دِمْنَةُ شَرَّهُمَا نَفْسًا ، وَأَشَدَّهُمَا تَطَلُّعًا إِلَى الْأَشْيَاءِ . وَلَمْ يَكُنِ الْأَسَدُ عَرَفَهُمَا .

فَقَالَ دِمْنَةُ يَوْمًا لِأَخِيهِ كَلِيلَةَ : يَا أَخِي ، مَا شَأْنُ الْأَسَدِ مُقِيمًا مَسْكَانَهُ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ خِلَافًا لِعَادَتِهِ ؟ قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ : مَا شَأْنُكَ أَنْتَ وَالْمَسْأَلَةُ عَنْ هَذَا ؟ لِمَنْ عَلَى بَابِ مَلِكِنَا ، أَخْلَدَيْنِ بِمَا أَحَبَّ ، وَتَارِكَيْنِ مَا يَسْكُرُهُ . وَلَسْنَا مِنْ أَهْلِ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي يَتَنَاوَلُ أَهْلُهَا كَلَامَ الْمُلُوكِ ، وَالنَّظَرَ فِي أُمُورِهِمْ . فَأَمْسِكْ عَنْ هَذَا وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْفَرْدَ مِنَ النَّجَارِ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا رَأَى نَجَارًا يَشُقُّ خَشَبَةً ، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهَا . وَكُلَّمَا شَقَّ مِنْهَا ذِرَاعًا ، أَدْخَلَ فِيهَا وَتَدًّا . فَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ أَعْجَبَتْهُ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَارَ ذَهَبَ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، فَقَامَ الْقِرْدُ فَتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، فَرَكِبَ الْخَشَبَةَ ، وَجَعَلَ وَجْهَهُ قِبَلَ الْوَتْدِ ، وَظَهَرَهُ قِبَلَ طَرَفِ الْخَشَبَةِ . فَتَدَلَّى ذَنْبُهُ فِي الشَّقِّ . وَنَزَعَ الْوَتْدَ ، فَلَزِمَ الشَّقَّ عَلَيْهِ ، فَكَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَلَمِ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَارَ وَافَاهُ ، فَأَصَابَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ . فَكَانَ مَا لَقِيَ مِنَ النَّجَارِ مِنَ الضَّرْبِ أَشَدَّ مِمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْخَشَبَةِ .

قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ سَمِعْتُ مِثْلَكَ وَفَهِمْتُهُ . وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ

١ مَزْهُوًّا : مَجْبَأً بِنَفْسِهِ .

٢ خَامَرَهُ : دَاخَلَهُ .

كلُّ مَنْ دَنَا مِنَ الْمُلُوكِ إِنَّمَا يَدْنُو مِنْهُمْ لِبَطْنِهِ ، إِنَّمَا الْبَطْنُ قَدْ يُحْشَى بِكُلِّ مَكَانٍ . وَلَكِنَّهُ يَلْتَمِسُ الرِّفْعَةَ وَالْمَتَرَلَ الَّذِي يَسُرُّ الصَّدِيقَ وَيَسُوءُ الْعَدُوَّ . وَإِنَّ أَدْنَى النَّاسِ وَضَعْفَاءَهُمْ الْقَلِيلَةُ مُرُوءَتُهُمْ هُمْ الَّذِينَ يَرْضَوْنَ بِالْدُّونِ^١ ، وَيَفْرَحُونَ بِهِ ، كَالْكَلْبِ الَّذِي يُصِيبُ عَظْماً يَابِساً ، فَيَفْرَحُ بِهِ . فَأَمَّا أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْمُرُوءَةِ فَلَا يُغْنِيهِمُ الْقَلِيلُ ، وَلَا يَرْضَوْنَ بِالْدُّونِ حَتَّى يَسْمُوا إِلَى مَا هُمْ لَهُ أَهْلٌ كَالْأَسَدِ الَّذِي يَقْفِرُ^٢ الْأَرْنَبَ ، فَإِذَا رَأَى الْأَتَانَ^٣ ، تَرَكَ الْأَرْنَـبَ وَطَلَبَ الْأَتَانَ .

دعنة يحرش الثور على الأسد

قال دِمنَةُ : دَعُ عَنْكَ هَذَا الْكَلَامَ وَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ . قَالَ شَتْرَبَةُ^٤ : بَأَيِّ شَيْءٍ أَحْتَالُ لِنَفْسِي إِذَا أَرَادَ الْأَسَدُ أَكْلِي ، مَعَ مَا عَرَفْتَنِي مِنْ رَأْيِ الْأَسَدِ وَسُوءِ أَخْلَاقِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرِدْ بِي إِلَّا خَيْرًا ، ثُمَّ أَرَادَ أَصْحَابُهُ بِمَكْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ هَلَاقِي ، لَقَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ الْمَكْرَةُ الظُّلْمَةُ عَلَى الْبَرِّ الصَّالِحِ كَانُوا خُلُقَاءَ^٥ أَنْ يُهْلِكُوهُ ، وَإِنْ كَانُوا ضُعَفَاءَ ، وَهُوَ قَوِيٌّ ، كَمَا أَهْلَكَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ^٦ وَابْنَ آوَى الْجَمَلِ ، حِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِالْمَكْرِ وَالْخِلَابَةِ^٧ . قَالَ دِمنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ شَتْرَبَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ^٨ مُجَاوِرَةً لَطَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ النَّاسِ . وَكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنَ آوَى ، وَأَنْ رُعَاةً مَرَّوْا بِذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَمَعَهُمْ جِمَالٌ^٩ ، فَتَخَلَّفَ عَنْهُمْ جَمَلٌ ، فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ

١ اللون : الحسيس .

٢ الأتان : أثنى الحمار ، وهي هنا أثنى الحمار الوحشي .

٣ خلقاء ، جمع خلقي : جدير .

٤ الخلابة : الخداع .

٥ الأجمة : الشجر الكثير الملتف .

كُذِّبَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تَقِيمُ عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمَنِ . فَأَقَامَ الْجَمَلُ مَعَ الْأَسَدِ زَمَانًا طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لَطَلَبِ الصَّيْدِ ، فَلَتَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا ، فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا^١ مُثَخِّنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ ، وَقَدْ خَدَشَهُ^٢ الْفِيلُ بِأَنْيَابِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَانِهِ وَقَعَ لَا يَسْتَطِيعُ حَرَاكًا ، وَلَا يَقْدُرُ عَلَى طَلَبِ الصَّيْدِ . فَلَبِثَ اللَّتَبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضْلَاتِ الْأَسَدِ وَطَعَامِهِ . فَأَصَابَهُمْ وَأَصَابَهُ جُوعٌ شَدِيدٌ وَهَزَالٌ . وَعَرَفَ الْأَسَدُ مِنْهُمْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَقَدْ جَهَدْتُمْ^٣ وَاحْتَجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : لَا تَهْمُنَا أَنْفُسُنَا ، لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا نَرَاهُ ، فَلَبِثْنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيُصْلِحُهُ . قَالَ الْأَسَدُ : مَا أَشْكُ فِي مَوَدَّتِكُمْ وَصُحْبَتِكُمْ ، وَلَكِنْ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ فَانْتَشِرُوا لَعَلَّكُمْ تُصِيبُونَ صَيْدًا تَأْتُونِي بِهِ ، فَيُصِيبُنِي وَيُصِيبُكُمْ مِنْهُ رِزْقٌ . فَخَرَجَ اللَّتَبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ ، فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً وَاتَّخَمُوا^٤ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا : مَا لَنَا وَهَذَا الْجَمَلُ الْآكِلُ الْعُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا ، وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا . أَلَا نُرِيدُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ ، وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ ؟ قَالَ ابْنُ آوَى : هَذَا مَا لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ ، لِأَنَّهُ قَدْ أَمَّنَ الْجَمَلُ ، وَجَعَلَ لَهُ ذِمَّةً^٤ . قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ أَمْرَ الْأَسَدِ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : هَلْ حَصَلَتْكُمْ شَيْئًا ؟ قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يَجِدُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ ، أَمَّا نَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بَيْنَا مِنَ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا إِلَى أَمْرٍ وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ ، إِنَّ وَافَقْنَا الْمَلِكُ ، فَتَنَحَّنُ لَهُ^٥ مُجِيبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ الْآكِلُ الْعُشْبِ الْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنَا مِنْ

١ المثل : من اشتد عليه المرض والألم .

٢ خدشه : مزق جلده .

٣ جهدتهم : أصابتكم الشدة .

٤ ذمة : حرمة وعهد .

غَيْرِ مَنْفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ ، وَلَا رَدٍّ عَائِدَةٍ ١ ، وَلَا عَمَلٍ يُعْقِبُ مَصْلَحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ ذَلِكَ غَضِبَ ، وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ ! وَمَا أَعْجَزَ مَقَالِكَ ، وَأَبْعَدَكَ عَنِ الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ ! وَمَا كُنْتَ حَقِيقًا ٢ أَنْ تَجْرِيَ عَلَيَّ بِهِدِهِ الْمَقَالَةِ ، وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخَطَابِ ، مَعَ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَنِّي قَدْ أَمَنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَّصِدْ ٣ مُتَّصِدٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ أَمَّنَ نَفْسًا خَائِفَةً وَحَقَّقَ دَمًا مَهْدُورًا ؟ وَقَدْ أَمَنْتَهُ وَلَسْتُ بِغَادِرٍ بِهِ ، وَلَا خَافِرٍ ٤ لَهُ ذِمَّةً . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لِأَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ تُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ ، وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ ، وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلْتُ بِالْمَلِكِ الْحَاجَّةُ ، وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا ، عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ ، وَلَا يَكْلِيَهُ ٥ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَالُ بِمِجْلَةٍ لَنَا وَلَهُ فِيهَا صَلَاحٌ وَظَهْرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخَطَابِ . فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ ٦ الْأَسَدِ ، أَتَى صَاحِبِيهِ فَقَالَ لَهَا : قَدْ كَلَّمْتُ الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلَ ، عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ عِنْدَ الْأَسَدِ . فَتَذَكَّرَ مَا أَصَابَهُ وَتَتَوَجَّعَ لَهُ ٧ اِهْتِمَامًا مِنْ بَأَمْرِهِ ، وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ ، وَيَعْرِضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ نَفْسِهِ عَلَيْهِ تَجَمُّلاً ٨ لِيَأْكُلَهُ ، فِيرُدَّ الْآخِرَانِ عَلَيْهِ ، وَيُسَفِّهَا ٩ رَأْيَهُ ، وَيُبَيِّنَا الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَلِذَا جَاءَتْ نُوبَةُ الْجَمَلِ صَوَّبْنَا رَأْيَهُ ، فَهَلَكَ وَسَلِمْنَا كُلُّنَا ، وَرَضِيَ الْأَسَدُ

١ المائدة : المنفعة .

٢ حقيقاً : جديراً .

٣ خافر : ناقض .

٤ المص : الكورة والمدينة المحددة .

٥ يليه : يتولا .

٦ الإقرار : الإذعان والموافقة .

٧ تجملاً : مجاملة وإحساناً للشرة .

٨ سفهه : نسبه إلى السفه ، أي خفة الحلم ، والجهل .

صَنَّا . فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدْ احْتَجَجْتَ ،
أَيْتَاهَا الْمَلِكُ ، إِلَى مَا يَقُولُكَ . وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ ، فَإِنَّا بَكَ
نَعِيشُ . فَلَمَّا ذَا هَلَكْتَ ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقَاءٌ بَعْدَكَ ، وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ
خَيْرٌ . فَلَمَّا كُنِّيَ الْمَلِكُ فَقَدْ طِيبَ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الدُّبُّ وَابْنُ آوَى :
أَنْ اسْكُتْ ، فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ ، وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ^١ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشْبِعُ الْمَلِكَ ، فَلَمَّا كُنِّيَ ، فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطِيبْتُ
نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الدُّبُّ وَالْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا : إِنَّكَ لِمُنْتِنٌ قَدِيرٌ . قَالَ الدُّبُّ :
إِنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا كُنِّيَ الْمَلِكُ ، فَقَدْ سَمِعْتُ بِذَلِكَ وَطَابَتُ بِهِ
نَفْسِي . فَاعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى ، وَقَالَا : قَدْ قَالَتِ الْأَطْيَاءُ : مَنْ أَرَادَ
قَتْلَ نَفْسِهِ ، فَلْيَأْكُلْ لَحْمَ ذئبٍ ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُهُ مِنْهُ الْخُنَاقُ^٢ . وَظَنَّ الْجَحْمَلُ
أَنَّهُ ، إِذَا عَرَّضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ ، التَّمَسَّوْا لَهُ عُلْدًا كَمَا التَّمَسَّ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ الْأَعْدَاءَ ، فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى الْأَسَدُ عَنْهُ بِذَلِكَ ، وَيَسْجُو مِنَ الْمَهَالِكِ .
فَقَالَ : لَكِنْ ، أَنَا فِي الْمَلِكِ شَيْعٌ وَرِيٌّ^٣ ، وَلَحْمِي طَيِّبٌ وَمَرِيٌّ ، وَبَطْنِي
نَظِيفٌ ، فَلَمَّا كُنِّيَ الْمَلِكُ وَيُطْعِمُ أَصْحَابَهُ وَخِدَمَتَهُ ، فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ
وَطَابَتُ نَفْسِي بِهِ ، فَقَالَ الدُّبُّ وَابْنُ آوَى وَالْغُرَابُ : لَقَدْ صَدَّقَ الْجَحْمَلُ ،
وَكَرُمَ ، وَقَالَ مَا عَرَفَ . ثُمَّ لَاتَهُمْ وَكَبُوا عَلَيْهِ فَمَزَقُوهُ .

وإِنَّمَا ضَرَبْتُ هَذَا الْمَثَلَ لَتَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَسَدِ قَدِ اجْتَمَعُوا
عَلَى هَلَاكِي فَلَمَّا لَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَمْتَنِعَ مِنْهُمْ وَلَا أَحْتَرِسَ ، وَإِنْ كَانَ
رَأْيُ الْأَسَدِ فِيَّ عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُنِي وَلَا يُغْنِي
عَنِّي شَيْئًا . فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنْ خَيْرَ السُّلْطَانِ مَنْ أَشْبَهَ النَّسْرَ وَحَوْلَهُ الْجَحِيفُ ،
لَا مَنْ أَشْبَهَ الْجَحِيفَةَ وَحَوْلَتِهَا النَّسُورُ . وَلَوْ أَنَّ الْأَسَدَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ لِي

١ الشَّيْعُ ، بِتَحْرِيكِ الْبَاءِ وَتَمْكِينِهَا : اسْمٌ لِمَا يَشْبَعُ .

٢ الْخُنَاقُ : دَاءٌ يَمْتَنِعُ مَعَهُ نَفْسُ إِلَى الرَّثَةِ وَالْقَلْبِ (الدَّفْرِئِ) .

٣ الرِّيُّ : اسْمٌ لِمَا يَرِي .

إلا الخَيْرُ والرحمةُ ، لغيرتهُ كثرةُ الأقاويلِ ، فإنها إذا كثُرَتْ ، لم تلبثْ أنْ تُذهِبَ الرقةَ والرافةَ . ألا ترى أنْ الماءَ ليسَ كالقولِ ؟ وأنْ الحجرَ أشدُّ مِنَ الإنسانِ ؟ والماءُ ، إذا طالَ تَحَدَّرَهُ على الحجرِ الصلداً ، لم ينزلْ بهِ حتى يثقبهُ ويؤثرَ فيه ؟ وكذلكَ القولُ في الإنسانِ يؤثرُ فيه . قالَ دِمْنَةُ : فماذا تريدُ أنْ تصنعَ ؟ قالَ شَرْبَةُ : ما أرى إلاَّ الاجتهادَ والمجاهدةَ بالقتالِ ، فإنهُ ، ليسَ للمُصَلِّي في صلاتِهِ ، ولا للمُتَصَدِّقِ في صدقَتِهِ ، ولا للورعِ في ورعِهِ مِنَ الأجرِ ما للمُجاهِدِ عَن نَفْسِهِ ، إذا كانتْ مُجاهدتهُ على الحقِّ . فإنهُ مَنْ جاهدَ عَن نَفْسِهِ ودافعَ عنها كانَ أجرُهُ في ذلكَ عظيمًا ، وذكرهُ رَفِيعًا ، إنْ ظَفِرَ أو ظَفِرَ بِهِ .

قالَ دِمْنَةُ : لا يَنْبَغِي لأحدٍ أنْ يُخاطِرَ بِنَفْسِهِ ، وهوَ يَسْتَطِيعُ غيرَ ذلكَ . ولكنْ ذا الرَّأْيِ جاعِلُ القِتالِ آخِرَ الحِيلِ . وبأدى قبلَ ذلكَ بما استطاعَ مِنَ رِفْقٍ وتمَحَلٍّ^١ . وقد قيلَ : لا تَحْقِرَنَّ العَدُوَّ الضَّعِيفَ المَهِينِ^٢ ، ولا سِيما إذا كانَ ذا حيلةٍ ، ويقدِّرُ على الأعوانِ ، فكيفَ بالأسدِ على جِراءِهِ وشِدَّتِهِ . فإنَّ مَنْ حَقَّرَ عَدُوَّهُ لضعْفِهِ ، أصابَهُ ما أصابَ وكيلاً البَحْرِ مِنَ الطَّيْطَوَى^٣ . قالَ شَرْبَةُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟

قالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أنْ طائراً من طُيُورِ البَحْرِ يُقالُ لَهُ الطَّيْطَوَى ، كانَ وَطَنُهُ على ساحلِ البَحْرِ ، ومعهُ زَوْجَةٌ لَهُ . فلَمَّا جاءَ أوانُ إفراخِهِما ، قالتِ الأُنثى للدَّكْرِ : لو التَّمَسْنَا مَكَاناً حَرِيْزاً غيرَ هذا نُفْرِخُ فِيهِ ، فإنِّي أَخافُ مِنَ البَحْرِ ، إذا مَدَّ الماءُ ، أنْ يَذْهَبَ بِفِراخِنَا . فقالَ لها : ما أراه

١ الصلدا : الصلب الأملس .

٢ التمحل : الاحتياح .

٣ المهين : الحقير الدليل .

٤ وكيال البحر : المراد به إله البحر عند الهنود واسمه فارونا (Varuna) . والظاهر أن ابن المقفع لم يشأ أن يصرح باسمه لما فيه من وثلية ، وهو يريد أن يجعل كتابه ملأماً لروح الإسلام .

٥ الطيطوى : ضرب من القطا أو غيره من طير البحر .

يَحْمِلُ عَيْنَا ؛ فَإِنَّ وَكِيلَ الْبَحْرِ يَخَافُنِي أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُ . فَأَفْرِخِي فِي مَكَانِكَ ، فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لَنَا ، وَالْمَاءُ وَالزَّهْرُ مِنَّا قَرِيبٌ . قَالَتْ لَهُ : يَا غَافِلُ ، مَا أَشَدَّ عِنَادَكَ وَتَصَلِّبَكَ ، أَمَا تَذْكُرُ وَعِيدَهُ وَتَهْدَدَهُ لِيَاكَ ، أَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ فِي وَعِيدِ مَنْ لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ ؟ فَأَبَى أَنْ يُطِيعَهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهَا ، قَالَتْ أَيْهَ : إِنَّ مَنْ لَمْ يَسْسَعْ قَوْلَ النَّاصِحِ يُضْيِئُهُ مَا أَصَابَ السُّلْحَفَةَ حِينَ لَمْ تَسْسَعْ قَوْلَ الْبَطَّانِينَ . قَالَ الذَّكْرُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَتِ الْأُنْثَى : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ عِنْدَهُ عُشْبٌ . وَكَانَ فِيهِ بَطَّانَانِ . وَكَانَ فِي الْغَدِيرِ سُلْحَفَةٌ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَطَّانِينَ مَوَدَّةٌ وَصَدَاقَةٌ . فَاتَّفَقَا أَنْ غِيضَ^١ ذَلِكَ الْمَاءُ ، فَجَاءَتِ الْبَطَّانَانِ لَوْدَاعِ السُّلْحَفَةِ ، وَقَالَتَا : السَّلَامُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّا ذَاهِبَتَانِ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ لِأَجْلِ نَقْصَانِ الْمَاءِ عَنْهُ . فَقَالَتْ : إِنَّمَا يَتَّبِعُ نَقْصَانُ الْمَاءِ عَلَى مِثْلِي الَّتِي كَأَنِّي السَّمِينَةُ ، لَا أَقْدُرُ عَلَى الْعَيْشِ إِلَّا بِالْمَاءِ ، فَأَمَّا أَنْتُمَا فَتَقْدُرَانِ عَلَى الْعَيْشِ حَيْثُ كُنْتُمَا ، فَادْهَبَا بِي مَعَكُمْ . قَالَتَا : نَحْنَمُ . قَالَتْ : كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى حَمَلِي ؟ قَالَتَا : نَأْخُذُ بِطَرْقِي عُدُو ، وَتَقْبِضِينَ بِفِيكَ عَلَى وَسْطِهِ ، وَنَطِيرُ بِكَ فِي الْجَوْ . وَإِيَّاكَ ، إِذَا سَمِعْتَ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ ، أَنْ تَنْطِيقِي ! ثُمَّ أَخَذَتَاهَا فطارتا فِي الْجَوْ . فَقَالَ النَّاسُ : عَجَبٌ ! سُلْحَفَةٌ بَيْنَ بَطَّانَيْنِ حَمَلَتَاهُمَا ! فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ ، قَالَتْ : فَقَدْ أَهَانَكَ اللَّهُ أَعْيُنَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ! فَلَمَّا فَتَحَتْ فَاها بِالنُّطْقِ ، وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ فَمَاتَتْ .

قَالَ الذَّكْرُ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَاتِكَ ، فَلَا تَخَافِي وَكِيلَ الْبَحْرِ . فَلَمَّا مَدَّ الْمَاءُ دَنَا وَكِيلُ الْبَحْرِ ، فَذَهَبَ بِفِرَاحِهِمَا . فَقَالَتِ الْأُنْثَى : قَدْ عَرَفْتُ فِي بَدءِ الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا كَائِنٌ ، وَمَا أَصَابَنَا إِنَّمَا هُوَ بِتَفْرِيطِكَ . قَالَ الذَّكْرُ : قَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ ، وَأَنَا عَلَى قَوْلِي ، وَسَوْفَ تَرَيْنَ صُنْعِي بِهِ وَإِتْقَامِي مِنْهُ . ثُمَّ مَضَى إِلَى

١ غيظ : نقص ، بالبناء على المجهول ، كما يقال غاض الماء .

جَمَاعَةُ الطَّيْرِ ، فَقَالَ لَهُنَّ : إِنَّكُنَّ أَخَوَاتِي وَثِقَاتِي ، فَأَعِنِّي . قُلْنَ :
 مَاذَا تُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ ؟ قَالَ : تَجْتَمِعْنَ وَتَذْهَبْنَ مَعِي إِلَى سَائِرِ الطَّيْرِ .
 فَتَشْكُو إِلَيْهِنَّ مَا لَقِيتُ مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ . وَنَقُولُ لَهُنَّ : إِنَّكُنَّ طَيْرٌ
 مِثْلُنَا ، فَأَعِنَّا . فَقَالَتْ لَهُ جَمَاعَةُ الطَّيْرِ : إِنَّ الْعَنْقَاءَ^١ بِنْتَ الرِّيحِ^٢ هِيَ
 سَيِّدَتُنَا وَمَلِكَةُ^٣ . فَاذْهَبْ بِنَا إِلَيْهَا ، حَتَّى نَصِیْحَ بِهَا ، فَتَظْهَرَ لَنَا ، فَتَشْكُو
 إِلَيْهَا مَا نَالَكُ مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ : وَنَسْأَلُهَا أَنْ تَنْتَقِمَ لَنَا مِنْهُ بِقُوَّةٍ مُأْكِيهَا .
 ثُمَّ لَمَّا ذَهَبْنَ إِلَيْهَا مَعَ الطَّيْطَوَى فَاسْتَغْثَتْهَا . وَصِیْحْنَ بِهَا ، فَرَأَتْ لَهَا ؛
 فَأَخْبَرَتْهَا بِقِصَّتَيْهِنَّ . وَسَأَلَتْهَا أَنْ تَطِيرَ مَعَهُنَّ إِلَى مُحَارَبَةٍ وَكِيلِ الْبَحْرِ .
 فَأَجَابَتْهُنَّ إِلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا عَلِمَ وَكِيلُ الْبَحْرِ أَنَّ الْعَنْقَاءَ قَدْ قَصَدَتْهُ فِي جَمَاعَةِ
 الطَّيْرِ . خَافَ مِنْ مُحَارَبَةِ مَلِكِ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ . فَردَّ فِرَاحَ الطَّيْطَوَى
 وَصَالِحَهُ . فَرجَعَتِ الْعَنْقَاءُ عَنْهُ .

وَلَمَّا حَدَّثَتْكَ بِذَلِكَ لَتَعْلَمَ أَنَّ الْقِتَالَ لَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا . قَالَ شَرَبَةٌ :
 فَمَا أَنَا بِمُقَاتِلِ الْأَسَدِ ، وَلَا نَاصِبٍ لَهُ الْعَدَاوَةَ سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً . وَلَا مَتَغَيِّرٍ
 لَهُ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ ، حَتَّى يَبْدُو لِي مِنْهُ مَا أَتَخَوَّفُ فَأَغَالِبُهُ .

..

العنقاء : طائر خرافي . جاء في القاموس : العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم ، أو طائر عظيم
 يبعد في طيرانه ؛ أو من الألفاظ الدالة على غير معنى . ويقال لها العنقاء المغرب . وعنقاء مغرب ومغرب ،
 وعنقاء مغرب مضافة .

قوله . بنت الريح ، يدل على أنها في الأصل الهندي من الأرباب ، ولا يخفى ما بين الريح والبحر
 من العداء المستمر ، فهي تحاربه أبداً ، وتقلق راحته . ولذلك نرى إله البحر يخاف حينما يعلم أن
 العنقاء بنت عدوه الأبدي تريد محاربتة ، فيرد إلى الطيئوى فراخه ويصالحه . وكان الهنود يعتقدون
 أن إله الريح طائر عظيم يسمونه ماتاريسفان (Matarisvan) ويزعمون أن الريح مخلوقة من
 اصطفاق جناحيه .

باب الحمامة المطوقة

قال دبشليمُ الملكُ ابني دبا الفيلسوف : قد سمعتُ مثلَ المتحابين كيف قطعَ بينهما الكدوبُ ، وإلى ماذا صارَ عاقبةُ أمرِهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ . فحدّثني ، إن رأيتَ ، عن إخوان الصفاء كيف يبتدئُ تواصلُهُمْ ، ويستمتعُ بعضهم ببعضٍ ؟ قال الفيلسوفُ : إن العاقلَ لا يعدلُ بالإخوان شيئاً . فالإخوانُ همُ الأعوانُ على الخيرِ كُلِّهِ ، والمؤاسونَ عندما ينوبُ مِنَ المَكْرُوهِ . وَمِنْ أَمْثالِ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ^١ والجُرَذِ والسَّلَحَفَةِ والطَّبْيِ والغُرَابِ . قال الملكُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟

قال بيدا : زعموا أَنَّهُ كانَ بأرضِ سَكَاوَنَدَجِينَ ، عِنْدَ مَدِينَةِ دَاهِرَ ، مَكَانٌ كَثِيرُ الصَّيْدِ يَتَنَبَّأُهُ الصَّيَّادُونَ . وكانَ في ذَلِكَ الْمَكَانِ شَجَرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَغْصَانِ مُلْتَقَّةُ الْوَرَقِ ، فِيهَا وَكْرُ غُرَابٍ . فبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ سَاقِطٌ فِي وَكْرِهِ ، إِذْ بَصُرَ بِصَيَّادٍ قَبِيحِ الْمَنْظَرِ ، سَيِّئِ الْخُلُقِ ، وَقُبْحِ مَنْظَرِهِ يَدُلُّ عَلَى سُوءِ مَخْبَرِهِ ؛ عَلَى عَائِقِهِ^٢ شَبَكَةٌ ، وَفِي يَدِهِ عَصَا ، مُقْبِلًا نَحْوَ الشَّجَرَةِ . فلدُّعِرَ مِنْهُ الْغُرَابُ . وَقَالَ : لَقَدْ سَاقَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ إِمَّا حِينِي ، وَإِمَّا حِينَ غَيْرِي . فَلأَثْبُتَنَ مَكَانِي حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ . ثُمَّ إِنَّ الصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ ، وَنَشَرَ عَلَيْهَا الْحَبَّ ، وَكَمَنَ قَرِيبًا مِنْهَا . فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا الْمُطَوَّقَةُ^٣ ، وَكَانَتْ سَيِّدَةَ الْحَمَامِ ، وَمَعَهَا حَمَامٌ كَثِيرٌ . فَعَمِيَتْ هِيَ وَصَاحِبَاتُهَا عَنْ الشَّرَكِ^٤ ، فَوَقَعْنَ عَلَى الْحَبِّ يَلْتَقِطْنَهُ ، فَعَلِقْنَ فِي الشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ .

.....

١ لا يهدل : لا يساوي .

٢ الملقوقة : التي لها في عنقها من التلوين ما يشبه الطوق .

٣ العائق : ما بين المنكب والعنق .

٤ الحين : الهلاك والمحنة .

وأقبل الصبيادُ فرحاً مسروراً. فجعلت كل حمامة تتلجلج^١ في حبائلها^٢، وتلتبس^٣ الخلاص لنفسها. قالت المطوقة^٤: لا تخاذلن^٥ في المعالجة، ولا تكنن^٦ نفس إحدكن^٧ أهم^٨ إليها من نفس صاحبتها. ولكن نتعاون^٩ جميعاً ونطير^{١٠} كطائر واحد، فينجو بعضنا ببعض. فجمعن أنفسهن^{١١}، ووثبن^{١٢} وثبة واحدة^{١٣}، فقلعن^{١٤} الشبكة جميعهن^{١٥} بتعاونهن^{١٦}، وعلون^{١٧} بها في الجوّ. ولم يقطع الصبياد رجاء^{١٨} منهن^{١٩}، وظن^{٢٠} أنهن^{٢١} لا يجاوزن^{٢٢} إلا قريباً حتى يقعن^{٢٣}. فقال الغراب^{٢٤}: لا تبعهن^{٢٥} وأنظر^{٢٦} ما يكون منهن^{٢٧}. فالتفتت المطوقة^{٢٨}، فرأت الصبياد يتبعهن^{٢٩}، فقالت للحمام: هذا الصبياد جاد^{٣٠} في طلبكن^{٣١}، فإن نحن أخذنا في الفضاء لم يخف عليه أمرنا^{٣٢}، وإن نحن توجهنا إلى العمران خفي عليه أمرنا^{٣٣} وانصرف^{٣٤}. ويمكن كذا جرّد^{٣٥} هو لي أخ^{٣٦}، فلو انتهينا إليه قطع عنا هذا الشرك^{٣٧}. ففعلن^{٣٨} ذلك. وأيس^{٣٩} الصبياد منهن^{٤٠} وانصرف^{٤١}. وتبعهن^{٤٢} الغراب لينظر^{٤٣} إليهن^{٤٤}، لعله يتعلم^{٤٥} منهن^{٤٦} حيلة^{٤٧} تكون^{٤٨} له عُدّة^{٤٩} عند الحاجة^{٥٠}. فلما انتهت الحمامة المطوقة^{٥١} إلى الجرّد^{٥٢}، أمرت الحمام أن يقعن^{٥٣}، فوقعن^{٥٤}.

وكان للجرّد مائة جحر^{٥٥} أعدّها للمخاوف^{٥٦}. فنادته^{٥٧} المطوقة^{٥٨} باسمه^{٥٩}، وكان اسمه^{٦٠} زيرك^{٦١}، فأجابها الجرّد^{٦٢} من جحره^{٦٣}: من أنت^{٦٤}؟ قالت^{٦٥}: أنا خليلتك^{٦٦} المطوقة^{٦٧}. فأقبل^{٦٨} إليها الجرّد^{٦٩} يسعى^{٧٠}، فقال لها^{٧١}: ما أوقعك^{٧٢} في هذه الورطة^{٧٣}؟ قالت له^{٧٤}: ألم تعلم^{٧٥} أنه ليس^{٧٦} من الخير^{٧٧} والشر^{٧٨} شيء^{٧٩} إلا وهو^{٨٠} مقدّر^{٨١} على من^{٨٢} نصيبه^{٨٣} المقادير^{٨٤}، وهي التي أوقعني^{٨٥} في هذه الورطة^{٨٦}.

١ تتلجلج: أي تضطرب وتردد، من تلجلج الكلام في الفم.

٢ الحبائل: الأشراك، مفردا حباله.

٣ تخاذلن: على حذف إحدى التائين، والتخاذل: ضد التعاون.

٤ أيس منه: قطع رجاءه.

٥ الجحر: مختبأ الجرذ وغيره، يحتفره لنفسه.

٦ الورطة: الهلكة وكل أمر تعسر النجاة منه.

فَقَدْ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْقَدَرِ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي وَأَعْظَمُ أَمْرًا . وَقَدْ تَنَكَّسَ الشَّمْسُ وَيَنْخَسِفُ الْقَمَرُ ، إِذَا قُضِيَ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا . ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرْضِ الْعُقْدِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا الْمُطَوَّقَةُ . فَقَالَتْ لَهُ الْمُطَوَّقَةُ : ابْدَأْ بِقَطْعِ عُقْدِ سَائِرِ الْحَمَامِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَقْبِلْ عَلَى عُقْدِي . فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ ذَلِكَ مِرَارًا ، وَهُوَ لَا يَلْتَمِئُ إِلَى قَوْلِهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَكَرَّرَتْ ، قَالَ لَهَا : لَقَدْ كَرَّرْتَ الْقَوْلَ عَلَيَّ ، كَأَنَّكَ لَيْسَ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ ، وَلَا لَكَ عَلَيْهَا شَقَقَةٌ ، وَلَا تَرَعِينَ لَهَا حَقًّا . قَالَتْ الْمُطَوَّقَةُ : لَا تَكْمُنِي عَلَى مَا أَمَرْتُكَ بِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي تَكَلَّفْتُ بِحَمَاعَةٍ هَذَا الْحَمَامِ الرَّئِيسَةَ ؛ فَلِلذَلِكَ لَهَنٌ عَلَيَّ حَقٌّ ، وَقَدْ أَدَّيْنِ إِلَيَّ حَقِّي فِي الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ ؛ وَبَطَاعَتِيهِمْ وَمَعُونَتِيهِمْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْ صَاحِبِ الشَّرْكِ . وَتَخَوَّفْتُ أَنْ بَدَأْتَ بِقَطْعِ عُقْدِي ، أَنْ تَمَلَّ وَتَكْسَلَ عَن قَطْعِ مَا بَقِيَ ؛ وَعَرَفْتُ أَنَّكَ ، إِنْ بَدَأْتَ بِهِنَ قَبْلِي . وَكُنْتُ أَنَا الْأَخِيرَةَ ، لَمْ تَرْضَ ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ الْفُتُورُ ، أَنْ أَبْقَى فِي الشَّرْكِ . قَالَ الْجُرَذُ : هَذَا مِمَّا يَزِيدُ الرَّغْبَةَ فِيكَ وَالْمُودَةَ لَكَ . ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرْضِ الشَّبَكَةِ ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا . فَاظْطَلَقَتْ الْمُطَوَّقَةُ وَحَمَامُهَا مَعَهَا . فَلَمَّا رَأَى الْغُرَابُ صَنِيعَ الْجُرَذِ وَتَخْلِيصَهُ الْحَمَامَ ، رَغِبَ فِي مُصَادَقَةِ الْجُرَذِ ، وَقَالَ : مَا أَنَا لِمِثْلِ مَا أَصَابَ الْحَمَامَ بِأَمِينٍ ، وَلَا أَنَا عَنِ الْجُرَذِ وَمُودَتِيهِ بَغِيئِي . . .

باب الناسك وابن عرس^١

قال دبشليم^٢ الملك لبيدبنا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل ،
فاضرب لي مثل الرجل العجولان في أمره من غير روية ولا نظير في
العواقب .

قال الفيلسوف : إنه من لم يكن في أمره متثبتاً لم يزل نادماً ، ويصير
أمره إلى ما صار إليه الناسك من قتل ابن عرس^٣ ، وقد كان له ودوداً .
قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

قال الفيلسوف : زعموا أن ناسكاً من النساء كان بأرض جرّجان .
وكانت له امرأة^٤ صالحة لبثت عنده زماناً لا تحمّل . ثم حملت بعد
الإياس^٥ ، فسرت المرأة وسر الناسك بذلك وحمد الله تعالى وسأله
أن يكون الحمل^٦ ذكراً . وقال لزوجته : أبشري ، فلنني أرجو أن
تلمي غلاماً لنا فيه متاع^٧ وقرّة عين ، أختار له أحسن الأسماء ، وأحضر
له جميع المؤدبين . فقالت المرأة : ما يحملك أيها الرجل على أن تتكلم
بما لا تدري : أكون أم لا ؟ ومن فعل ذلك أصابه ما أصاب الناسك
الذي أهرق^٨ على رأسه السمن والعسل . قال لها : وكيف كان ذلك ؟
قالت المرأة : زعموا أن ناسكاً كان يجرى^٩ عليه من بيت رجل
تاجر ، في كل يوم ، رزق^{١٠} من السمن والعسل . وكان يأكل منه قوته

١ ابن عرس : دويبة أكبر من الفأرة وتشبهها ، الجمع بنات عرس .

٢ الإياس : قطع الرجاء .

٣ الحمل : الولد في البطن .

٤ متاع : منفعة .

٥ أهرق : صب .

٦ يقال : أجرى عليه الرزق : واصله به دون انقطاع .

وحاجته ، ويرفعُ الباقيَ ويَجْعَلُهُ في جَرَّةٍ ، فيُعَلِّقُهَا في وَتْدٍ ، في ناحيةِ
الْبَيْتِ ، حتى امْتَلَأَتْ . فَبَيْنَمَا النَّاسِكُ ، ذاتَ يَوْمٍ ، مُسْتَلْقٍ على ظَهْرِهِ ،
والْعُكَّازَةُ^١ في يَدِهِ ، والجَرَّةُ مُعَلَّقَةٌ فوقَ رَأْسِهِ ، تَفَكَّرَ في غِلَامِ
السَّمْنِ والعَسَلِ ، فقالَ : سأبيعُ ما في هذهِ الجَرَّةِ بدينارٍ ، وأشتري بهِ عَشْرَ
أَعْنُرٍ^٢ ، فيَجْبَلَنَ ويَلْدَنَ في كُلِّ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ مَرَّةً^٣ ، ولا تَلَبَثُ إِلَّا قَلِيلًا
حتى تَصِيرَ مَعْرَأً كَثِيرًا ، إذا وَلَدَتْ أولادَهَا . ثمَّ حَرَّرَ^٤ على هذا النحوِ بَسْنِينَ ،
فَوَجَدَ ذلكَ أَكْثَرَ مِن أَرْبَعِ مِائَةِ عَتْرٍ . فقالَ : أنا أَشتري بها مائةً مِنَ الْبَقَرِ :
بِكُلِّ أَرْبَعِ أَعْنُرٍ ثَوْرًا أو بَقْرَةً^٥ ، وأشتري أرضًا وبَدْرًا ، وأستأجرُ أَكْرَةً^٦ ،
وأزْرَعُ على الثَّيْرَانِ ، وأُنْتَفِعُ بِالْبَانِ الْإِنَاثِ وَنَتَائِجِهَا^٧ . فلا تَأْتِي عَلَيَّ خَمْسُ
سِنِينَ إِلَّا وَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الزَّرْعِ مَالًا كَثِيرًا ؛ فَأُبْنِي بَيْتًا فَاحِرًا ، وأشتري
لِإِمَاءٍ^٨ وعَبِيدًا ، وَأَتَزَوَّجُ امْرَأَةً صَالِحَةً جَمِيلَةً^٩ ، فَتَحْمِلُ ثُمَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ سَوِيٍّ^٩
نَجِيبٍ^٩ ، فَأُخْتَارُ لَهُ أَحْسَنُ الْأَسْمَاءِ . فإذا تَرَعَّرَعَ^٩ أَدْبَتُهُ وَأَحْسَنْتُ تَأْدِيَتَهُ .
وَأَشَدُّدُ عَلَيْهِ في ذلكَ ، فَإِنْ قَبِلَ مِنِّي ، وَإِلَّا ضَرَبْتُهُ بِهِدِ الْعُكَّازَةِ .
وَأُشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَرَّةِ فَكَسَّرَهَا ، فَسَالَ مَا فِيهَا عَلَى وَجْهِهِ .

وَلَمَّا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لَكِي لَا تَعَجَلَ بِدِكْرٍ مَا لَا يَنْبَغِي ذِكْرُهُ ،
وما لَا تَدْرِي : أَيَصِيحُّ أَمْ لَا يَصِيحُّ ؟ وَلَكِنْ ادْعُ رَبَّكَ وَتَوَسَّلْ إِلَيْهِ وَتَوَكَّلْ
عَلَيْهِ . فَاتَعَطَّ النَّاسِكُ بِقَوْلِهَا . ثُمَّ إِنَّ الْمَرْأَةَ وَلَدَتْ غُلَامًا سَوِيًّا ، فَسُرَّ
بِهِ أَبُوهُ . حتى إِذَا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَالَتِ الْمَرْأَةُ لَزَوْجِهَا : اقْعُدْ عِنْدَ ابْنِكَ

١ العكازة : عصا طويلة ذات زج (حديدية) في أسفلها .

٢ الأعنر : جمع عنز وهي الأثني من المزمز .

٣ حرر : قوم وضبط .

٤ الأكرة : الخراثون ، مفردا أكار .

٥ نتائجها : أولادها .

٦ الإماء : الجوارى ، مفردا أمة .

٧ السوي : التام الخلق الذي أحسنت تربيته .

٨ النجيب : الكريم الحبيب .

٩ ترعرع : نشأ .

حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود . ثم لأنها انطلقت إلى الحمام ،
 وخلعت زوجها والغلام . فلم يلبث أن جاء رسول الملك يستدعيه .
 ولم يجد من يخلقه عند ابنه غير ابن عرس داجن عنده ، كان قد
 رباه صغيراً ، فهو عنده عدل^١ ولده . فركه الناسك عند الصبي ،
 وأغلق عليهما الباب ، وذبح مع الرسول . فخرج من بعض أجنار^٢ البيت
 حية سوداء ، فذنت من الغلام ، فضربها ابن عرس ، فوثبت عليه ،
 فقتلها ثم قطعها ، وامتلا قمه من دمها . ثم جاء الناسك وفتح الباب ،
 فتلقه ابن عرس كالبحر له بما صنع من قتل الحية . فلما رآه ملوثاً
 بالدم وهو مدعور^٣ ، طار عقله وظن أنه قد خنق ولده . ولم يتثبت
 في أمره ولم يترو فيه ، حتى يعلم حقيقة الحال ، ويعمل بخير ما ظن من
 ذلك . ولكن عجل على ابن عرس وضربه بعكازة كانت في يده على
 أم رأسه^٤ ، فوقع ميتاً . ودخل الناسك فرأى الغلام سليماً حياً ، وعنده
 أسود^٥ مقطوع . فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجالة ،
 لطم على رأسه وقال : ليتني لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر .
 ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال ، فقالت له : ما شأنك ؟ فأخبرها
 بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافئه له . فقالت : هذه
 ثمرة العجلة ، لأن الأمر ، إذا فرط^٦ ، مثل الكلام إذا خرج ، والسهم
 إذا مرق^٧ لا مرد له .

فهذا مثل من لا يتثبت في أمره ، بل يفعل أغراضه بالسرعة .

١ عدل : مثل .

٢ الأجنار : جمع الجحر وهو ما تحتفره الحية وسواها لثمنها .

٣ مدعور : خائف .

٤ أم الرأس : الدماغ .

٥ الأسود : الحية العظيمة .

٦ فرط : سبق من غير روية .

٧ مرق السهم من الرمية : اخترقها ونفذ من الجانب الآخر .

الادب الصغير

تأديب النفس

وعلى العاقل أن يعرف أن الرأي والهوى مُتَعَادِيَانِ ، وأن من شأن الناس تسويق الرأي وإسعاف الهوى : فيُخَالِفُ ذلك ويلتزم من أن لا يزال هواه مُسَوِّقاً ورأيه مُسَعِّفاً .

وعلى العاقل ، إذا اشتبه عليه أمران فلم يدبر في أيهما الصواب ، أن ينظر أهواهما عنده فيحدره . من نصب نفسه للناس إماماً في الدين فعليته أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة^٣ والرأي والتفظ والأخدان^٤ فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه . فإنه كما أن كلام الحكمة يوثق^٥ الأسماع ، فكذلك عمل الحكمة يروق^٦ العيون والقلوب . ومعلم نفسه ومودبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومودبهم .

رجل الدولة

لا يُسْتَطَاعُ السُّلْطَانُ^٦ إلا بالوزراء والأعوان ، ولا تنفع الوزراء إلا بالموادة والنصيحة . ولا المودة إلا مع الرأي والعماف . وأعمال السلطان

١ تسويق : تأخير .

٢ فيخالف : معطوفة على أن يعرف .

٣ الطعمة : المأكّل .

٤ الأخدان ، جمع خدن : الصاحب .

٥ يوثق : يعجب .

٦ السلطان : السلطة

كثيرة ، وقلما تستجمع الخصال المحمودة عند أحد ، وإنما الوجه في ذلك والسبيل إليه الذي يستقيم به العمل أن يكون صاحب السلطان عالماً بأمور من يريد الاستعانة به ، وما عند كل رجل من الرأي والغناء^١ ، وما فيه من العيوب . فإذا استقر ذلك عنده عن علمه وعلم من ياتمين ، وجه لكل عمل من قد عرف أن عنده من الرأي والنجدة^٢ والأمانة ما يحتاج إليه فيه ؛ وأن ما فيه من العيوب لا يضر بذلك . ويتحقق من أن يوجه أحداً وجهاً لا يحتاج فيه إلى مروءة ، إن كانت عنده ، ولا يامن عيوبه وما يكره منه .

ثم على الملوك ، بعد ذلك ، تعهد عمالهم وتفقّد أمورهم ، حتى لا يخفى عليهم إحسان محسن ولا إساءة مسيء .
ثم عليهم ، بعد ذلك ، أن لا يتركوا محسناً بغير جزاء ، ولا يقيموا مسيئاً ولا عاجزاً على الإساءة والعجز ؛ فإنهم إن تركوا ذلك تهاون المحسن ، واجترأ المسيء ، وفسد الأمر ، وضاع العمل .

الكذب

رأس الذنوب الكذب ، هو يؤسسها ، وهو يتفقدها ، ويثبتها . ويتلون ثلاثة ألوان : بالأمينة والجحود^٣ والجدل . يبدأ صاحبه بالأمينة الكاذبة فيما يزعم له من السوءات ، فيشجعه عليها بأن ذلك سيخفى . فإذا ظهر عليه قبحه بالجحود والمكابرة . فإن أعياه ذلك ختم بالجدل فخاصم عن الباطل ، ووضع له الحُجج ، والتمس به التثبت ، وكابر الحق حتى يكون مسارعاً للضلالة ومكابراً بالقواحش .

١ الغناء : الكفاية .

٢ النجدة : الشجاعة ، والمضي في الأمور المسيرة .

٣ الجحود : النكران .

٤ بأن : الباء زائدة وحذفها أولى .

الجاهل

لا يُؤْمِنَنَّكَ شَرُّ الْجَاهِلِ قَرَابَةً وَلَا جِوَارٌ وَلَا إِلْفٌ . فلانٌ أَخَوْفَ مَا يَكُونُ
لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا . وكذلكَ الْجَاهِلُ ، إنْ جَاوَزَكَ أَنْصَبَكَ^١ ،
وإنْ نَاسَبَكَ^٢ جَنَى عَلَيْكَ ، وإنْ أَلْفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مَا لَا تُطِيقُ ، وإنْ
عَاشَرَكَ أَذَاكَ وَأَخَافَكَ . معَ أَنَّهُ عِنْدَ الْجُوعِ سَبْعُ ضَايِرٍ ، وَعِنْدَ الشَّبَعِ
مَتَلِكٌ قَطْطٌ ، وَعِنْدَ الْمُوَافَقَةِ فِي الدِّينِ قَائِدٌ إِلَى جَهَنَّمَ . فَأَنْتَ بِالْهَرَبِ مِنْهُ
أَحَقُّ مِنْكَ بِالْهَرَبِ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ^٣ ، وَالْحَرِيقِ الْمُخَوِّفِ ، وَالدِّينِ الْفَاحِشِ ،
وَالدَّاءِ الْعِيَاءِ^٤ .

المال

مَا التَّبَعُ^٥ وَالْأَعْوَانُ وَالصَّدِيقُ^٦ وَالْحَشَمُ^٧ إِلَّا لِلْمَالِ . وَلَا يُظْهِرُ الْمُرُوءَةَ
إِلَّا الْمَالُ . وَلَا الرَّأْيُ وَالْقُوَّةُ إِلَّا بِالْمَالِ . وَمَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ فَلَا أَهْلَ لَهُ .
وَمَنْ لَا أَوْلَادَ لَهُ فَلَا ذِكْرَ لَهُ . وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَلَا دُنْيَا لَهُ وَلَا آخِرَةَ .
وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ فَلَا شَيْءَ لَهُ . وَالْفَقْرُ دَاعِيَةٌ إِلَى صَاحِبِهِ مَقْتٌ^٨ النَّاسِ ،
وهُوَ مَسْلَبَةٌ لِلْعَقْلِ ، وَمَدْهَبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، وَمَعْدِنٌ لِلتَّهْمَةِ ، وَمَجْمَعَةٌ
لِلْبَلَايَا . وَمَنْ نَزَلَ بِهِ الْفَقْرُ وَالْفَاقَةُ^٩ لَمْ يَجِدْ بُدْأً مِنْ تَرْكِ الْحَيَاءِ . وَمَنْ

١ أنصبك : أعياك .

٢ لاسبك : تقرب إليك بصلة السب .

٣ الأساود : جميع الأسود وهو الحية العظيمة .

٤ الداء العياء : أي الذي لا يبرأ منه .

٥ وردت هذه القطعة في باب الحماة المطوقة من كتاب كلیلة ودمنة مع بعض تغيير .

٦ التبع : التابع ، للواحد والجمع .

٧ الحشم : خاصة الرجل الذين يفضون له من أهل وعبيد .

٨ المقت : الكره .

٩ الفاقة : الفقر والحاجة .

ذَهَبَ حَيَاوُهُ ذَهَبَ سرورهُ ، وَمَنْ ذَهَبَ سرورهُ مُقِتَ ، وَمَنْ مُقِتَ
أُوذِيَ ، وَمَنْ أُوذِيَ حَزِنَ ، وَمَنْ حَزِنَ ذَهَبَ عَقْلُهُ وَاسْتُنْكِرَ حِفْظُهُ
وَفَهَمُهُ ، وَمَنْ أَصِيبَ فِي عَقْلِهِ وَفَهَمِهِ وَحِفْظِهِ كَانَ أَكْثَرُ قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ
فِيمَا يَسْكُونُ عَلَيْهِ لَا لَهُ . فَإِذَا افْتَقَرَ الرَّجُلُ أَتَهَمَهُ مَنْ كَانَ لَهُ مُؤْتَمِنًا ،
وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ مَنْ كَانَ يَتُظَنُّ بِهِ حَسَنًا . فَإِنْ أَذْنَبَ غَيْرُهُ أَظَنَّهُ ١ ، وَكَانَ
لِلتَّهْمَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ مَوْضِعًا . وَلَيْسَ خَلَّةٌ ٢ هِيَ لِلغِيِّ مَدْخٌ إِلَّا هِيَ لِلْفَقِيرِ
عَيْبٌ : فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا سُمِّيَ أَهْوَجَ ، وَإِنْ كَانَ جَوَادًا سُمِّيَ مُفْسِدًا ،
وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سُمِّيَ ضَعِيفًا ، وَإِنْ كَانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَلِيدًا ، وَإِنْ كَانَ
لَسِينًا سُمِّيَ مِهْذَارًا ٣ ، وَإِنْ كَانَ صَمَوْتًا سُمِّيَ عَيْيًّا .

١ أَظَنَّهُ : أَتَهَمَهُ .

٢ الْخَلَّةُ : الْخِصْلَةُ .

٣ الْمِهْذَارُ : كَثِيرُ الرَّدْيِ السَّاقِطِ مِنَ الْكَلَامِ .

الادب الكبير

أقسام الملك

إِعْلَمَ أَنَّ الْمُلْكَ ثَلَاثَةٌ : مُلْكُ دِينٍ وَمُلْكُ حَزْمٍ وَمُلْكُ هَوًى .
فَأَمَّا مُلْكُ الدِّينِ فَإِنَّهُ إِذَا أُقِيمَ لِأَهْلِهِ دِينُهُمْ ، وَكَانَ دِينُهُمْ هُوَ الَّذِي
يُعْطِيهِمْ مَا لَهُمْ ، وَيُلْحِقُ بِهِمُ الَّذِي عَلَيْهِمْ^١ ، أَرْضَاهُمْ ذَلِكَ ، وَنَزَلَ
السَّخِيطُ مِنْهُمْ مَتْرَلَةً الرَّاضِي فِي الْإِقْرَارِ وَالتَّسْلِيمِ . وَأَمَّا مُلْكُ الْحَزْمِ فَإِنَّهُ
يَقُومُ بِهِ الْأَمْرُ ، وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الطَّعْنِ وَالتَّسَخُّطِ . وَلَنْ يَضُرَّ طَعْنُ الدَّلِيلِ
مَعَ حَزْمِ الْقَوِيِّ . وَأَمَّا مُلْكُ الْهَوًى فَلْيَعْبُ سَاعَةً وَدَمَارُ دَهْرٍ .

الدولة الجديدة

إِذَا كَانَ سُلْطَانُكَ^٢ عِنْدَ جِدَّةٍ^٣ دَوْلَةٍ ، فَرَأَيْتَ أَمْرًا اسْتَقَامَ بِغَيْرِ رَأْيٍ ،
وَأَعْوَانًا جَزَوْا^٤ بِغَيْرِ نَيْلٍ^٥ وَعَمَلًا^٦ أَنْجَحَ^٦ بِغَيْرِ حَزْمٍ ، فَلَا يَغُرَّتْكَ ذَلِكَ ،
فَلَا تَسْتَنْسِمِ^٧ إِلَيْهِ . فَإِنَّ الْأَمْرَ الْجَدِيدَ مِمَّا تَكُونُ لَهُ مَهَابَةٌ فِي أَنْفُسِ أَقْوَامٍ ،
وَحَلَاوَةٌ^٨ فِي أَنْفُسِ آخَرِينَ ، فَيُعِينُ قَوْمٌ بِأَنْفُسِهِمْ^٨ ، وَيُعِينُ قَوْمٌ بِمَا قَبِلَتْهُمْ^٨ .

١ الذي عليهم : أي ما عليهم أن يردوا من المال للملك .

٢ السلطان : السلطة والولاية .

٣ الجدة : حالة الشيء الجديد .

٤ جزوا : كافأوا .

٥ النيل : المطاء .

٦ أنجح : نجح .

٧ استنسم : اطمان .

٨ قبلهم : أي عندهم .

وَيَسْتَتِيبَ بِذَلِكَ الْأَمْرُ غَيْرَ طَوِيلٍ . ثُمَّ تَصِيرُ الشُّوْنُ إِلَى حَقَائِقِهَا وَأُصُولِهَا .
فَمَا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ بُنْيَ عَلَى غَيْرِ أَرْكَانٍ وَثِيقَةٍ ، وَلَا عِمَادٍ مُحْكَمٍ ، أَوْشَكَ
أَنْ يَتَدَاعَى وَيَتَصَدَّعَ .

صحة والي السوء

إِنْ ابْتُلِيتَ بِصُحْبَةِ وَالٍ لَا يُرِيدُ صَلَاحَ رَعِيَّةٍ ، فاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ خُيِّرْتَ
بَيْنَ خِلَتَيْنِ^٢ لَيْسَ بَيْنَهُمَا خِيَارٌ^٣ : إِمَّا مِثْلُكَ مَعَ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ ، وَهَذَا
هَلَاكُ الدِّينِ ؛ وَإِمَّا الْمِثْلُ مَعَ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي ، وَهَذَا هَلَاكُ الدُّنْيَا ؛ وَلَا حِيلَةَ
لَكَ إِلَّا بِالْمَوْتِ أَوْ الْهَرَبِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكَ ، وَإِنْ كَانَ الْوَالِي غَيْرَ
مَرْضِيٍّ السَّيْرَةِ إِذَا عُلِقَتْ حَبَالُكَ بِحَبْلِهِ ، إِلَّا الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَجِدَ
إِلَى الْفِرَاقِ الْجَمِيلَ سَبِيلًا .

مصانعة الملوك

لَا تَكُونَنَّ صُحْبَتُكَ لِلْمُلُوكِ إِلَّا بَعْدَ رِيَاضَةٍ مِنْكَ لِنَفْسِكَ عَلَى طَاعَتِهِمْ
فِي الْمَكْرُوهِ عِنْدَكَ ، وَمُؤَافَقَتِهِمْ فِي مَا خَالَفَكَ ، وَتَقْدِيرِ الْأُمُورِ عَلَى مِثْلِهِمْ .
دُونَ مِثْلِكَ ؛ وَعَلَى أَنْ لَا تَكْتُمَهُمْ سِرَّكَ ، وَلَا تَسْتَطْلِعَ مَا كَتَمُوهُ ، وَتُخْفِي
مَا أَطْلَعُوكَ عَلَيْهِ مِنْ النَّاسِ كُلِّهِمْ ، حَتَّى تَحْمِيَ نَفْسَكَ الْحَدِيثَ بِهِ ؛
وَعَلَى الْجَاهِدِ فِي رِضَاهُمْ ، وَالتَّلَطُّفِ لِحَاجَاتِهِمْ ، وَالتَّثْبِيتِ لِحُجَّتِهِمْ ،
وَالْتَّصَدِيقِ لِمَقَالَتِهِمْ ، وَالتَّزْيِينِ لِرَأْيِهِمْ ؛ وَعَلَى قِلَّةِ الْأَسْتِقْبَاحِ لِمَا فَعَلُوا ،
إِذَا أَسَاءُوا ، وَتَرْكِ الْأَسْتِحْسَانِ لِمَا فَعَلُوا ، إِذَا أَحْسَنُوا ، وَكَثْرَةِ النَّشْرِ

١ العِمَادُ : الْأَبْلِيَّةُ الرَّفِيعَةُ ، يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ ، مُفْرَدَةٌ عِمَادَةٌ .

٢ خِلَتَيْنِ : خَصْلَتَيْنِ .

٣ لَيْسَ بَيْنَهُمَا خِيَارٌ : أَيُّ لَيْسَ بَيْنَهُمَا اخْتِيَارٌ لَشَيْءٍ سِوَاهُمَا .

٤ التَّلَطُّفُ : التَّرَفُّقُ .

٥ وَتَرْكِ الْأَسْتِحْسَانِ : أَيُّ وَعَلَى قِلَّةِ تَرْكِ الْأَسْتِحْسَانِ .

لِحَاسِنِهِمْ ، وَحُسْنِ السِّرِّ لِمَسَاوِيهِمْ ؛ وَالْمُقَارَبَةِ لِمَنْ قَارَبُوا ، وَإِنْ كَانَ
بَعِيداً ، وَالْمُبَاعَدَةِ لِمَنْ بَاعَدُوا ، وَإِنْ كَانُوا أَقْرِبَاءَ ؛ وَالْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِهِمْ ،
وَإِنْ لَمْ يَهْتَمُّوا بِهِ ، وَالْحِفْظِ لَهُ ، وَإِنْ ضَيَّعُوهُ ، وَالذِّكْرِ لَهُ ، وَإِنْ نَسَوْهُ ؛
وَالْتَخْفِيفِ عَنْهُمْ لِمَوَاقِفِكَ ، وَالْإِحْتِمَالِ لَهُمْ كُلِّ مَوَاقِفَةٍ ؛ وَالرِّضَى عَنْهُمْ
بِالْعُقُوبِ ، وَقِلَّةِ الرِّضَى مِنْ نَفْسِكَ لَهُمْ بِالْمَجْهُودِ^٢ . فَإِنْ وَجَدْتَ عَنْهُمْ وَعَنْ
صُحْبَتِهِمْ غِنًى ، فَأَغْنِ عَنْ ذَلِكَ نَفْسَكَ ، وَاعْتَزِلْهُ^٣ جُهِدَكَ . فَإِنْ مَنِ
يَأْخُذُ عَمَلَهُمْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا ، وَعَمَلِ الْآخِرَةِ . وَمَنْ لَا يَأْخُذُ
بِحَقِّهِ^٤ يَحْتَمِلُ الْفَضِيحَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَالْوِزْرَ فِي الْآخِرَةِ . إِنَّكَ لَا تَأْمَنُ
أَنْفَهُمْ^٥ ، إِنْ أَعْلَمْتَهُمْ^٦ ، وَلَا عَقُوبَتَهُمْ^٧ ، إِنْ كَتَمْتَهُمْ . وَلَا تَأْمَنُ غَضَبَهُمْ ،
إِنْ صَدَقْتَهُمْ . وَلَا تَأْمَنُ سَلَوَتَهُمْ^٨ ، إِنْ حَدَّثْتَهُمْ . إِنْ لَزِمْتَهُمْ ، لَمْ تَأْمَنُ
تَبَرُّمَهُمْ^٩ . بَكَ . وَإِنْ زَايَلْتَهُمْ^{١٠} لَمْ تَأْمَنُ عِقَابَهُمْ . إِنَّكَ إِنْ تَسْتَأْمَرَهُمْ^{١١}
حَمَلْتَ الْمَوَاقِفَ عَلَيْهِمْ ؛ وَإِنْ قَطَعْتَ الْأَمْرَ دُونَهُمْ لَمْ تَأْمَنُ فِيهِ مُخَالَفَتَهُمْ .
لَا تَأْمَنُ إِنْ سَخِطُوا عَلَيْكَ أَهْلَكَوكَ . وَإِنْ رَضُوا عَنْكَ تَكَلَّفْتَ مِنْ رِضَاهُمْ
مَا لَا تُطِيقُ . فَإِنْ كُنْتَ حَافِظاً إِنْ بَلَوكَ^{١٢} ، جَلَدُوكَ^{١٣} إِنْ قَرَّبُوكَ ، أَمِيناً إِنْ

١ المراد : أَنْ تَظْهَرَ رِضَاكَ لِأَنَّ صَفْوَهُمْ يَشْمَلُكَ .

٢ أَيُّ أَنْ لَا تَظْهَرَ الرِّضَى عَنْ نَفْسِكَ مِمَّا تَبْذُلُ فِي خِدْمَتِهِمْ مِنَ الْمَجْهُودِ .

٣ وَاعْتَزِلْهُ : أَيُّ اعْتَزِلْ ذَلِكَ .

٤ بِحَقِّهِ : أَيُّ بِحَقِّ عَمَلِهِمْ .

٥ الْوِزْرُ : الْإِثْمُ .

٦ أُنْفَهُمْ : اسْتِكْبَارَهُمْ وَاسْتِنْكَافَهُمْ .

٧ إِنْ أَعْلَمْتَهُمْ : أَيُّ أَعْلَمْتَهُمُ الْحَقَّ فِي عَمَلِهِمُ الَّذِي تَتَوَلَّى أَمْرَهُ .

٨ سَلَوَتُهُمْ : نِسْيَانُهُمْ إِيَّاكَ وَتَسْلِيهِمْ بِسَوَاكَ .

٩ تَبَرُّمُهُمْ : تَفْضِيحُهُمْ .

١٠ زَايَلْتَهُمْ : فَارَقْتَهُمْ .

١١ تَسْتَأْمَرُهُمْ : تَشَاوَرُهُمْ .

١٢ بَلَاوُكَ : جَرَبُوكَ .

١٣ جَلَدُوكَ : قَوِيّاً شَدِيداً .

اِثْمَنُوكَ ، تَشْكُرُهُمْ وَلَا تُكَلِّفُهُمُ الشُّكْرَ ، بَصِيرًا بِأَهْوَائِهِمْ مُؤَثِّرًا
لِمَنَافِعِهِمْ ، ذَلِيلًا إِنْ ظَلَمُوكَ ، رَاضِيًا إِنْ أَسْخَطُوكَ ؛ وَإِلَّا فَاِلبُعْدَ مِنْهُمْ كُلِّ
الْبُعْدِ ، وَالْحَذَرَ كُلِّ الْحَذَرِ .

باب الصديق

معاملة الناس

أَبْدُلْ لَصَدِيقِكَ دَمَكَ وَمَالَكَ ، وَلِمَعْرِفَتِكَ^١ رِفْدَكَ^٢ وَمَحْضَرَكَ^٣ .
وَالْعَامَّةَ بِشْرَكَ وَتَحَنُّنَكَ . وَلِعَدْوِكَ عَدْلَكَ . وَاضْنِنْ^٤ بِدِينِكَ وَعِزِّضْكَ
عَنْ كُلِّ أَحَدٍ .

التحال الكلام

إِنْ سَمِعْتَ مِنْ صَاحِبِكَ كَلَامًا أَوْ رَأَى بِعُجْبِكَ ، فَلَا تَتَّحِلْهُ تَزِينًا
بِهِ عِنْدَ النَّاسِ ؛ وَاسْتَفِ مِنْ التَّزِينِ بِأَنْ تَجْتَنِي الصَّوَابَ ، إِذَا سَمِعْتَهُ ،
وَتَنَسَّبَهُ إِلَى صَاحِبِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ اتِّحَالَكَ ذَاكَ سَخَطُهُ لَصَاحِبِكَ ، وَأَنَّ
فِيهِ ، مَعَ ذَلِكَ ، عَارًا ، فَإِنْ بَلَغَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تُشِيرَ بِرَأْيِ الرَّجُلِ وَتَتَكَلَّمَ
بِكَلَامِهِ ، وَهُوَ يَسْمَعُ ، جَمَعْتَ ، مَعَ الظُّلْمِ ، قِلَّةَ الْحَيَاءِ ؛ وَهَذَا مِنْ سُوءِ
الْأَدَبِ الْفَاشِي بَيْنَ النَّاسِ . وَمِنْ تَمَامِ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالْأَدَبِ أَنْ تَسْخُوَ

• • • • •

١ معرفتك : أي من تعرفه من الناس .

٢ رِفْدَكَ : عطائك .

٣ محضرِكَ : حضوركَ .

٤ واضنن : واجمل .

نَفْسُكَ لِأَخِيكَ بِمَا انْتَحَلَ مِنْ كَلَامِكَ وَرَأْيِكَ ، وَتَنْسِبَ إِلَيْهِ رَأْيَهُ وَكَلَامَهُ ،
وَتُزَيِّنَهُ ، مَعَ ذَلِكَ ، مَا اسْتَطَعْتَ .

حسن الاستماع

تَعَلَّمْ حُسْنَ الاسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْكَلَامِ . وَمِنْ حُسْنِ
الاسْتِمَاعِ إِهْمَالُ الْمُتَكَلِّمِ حَتَّى يَقْضِيَ حَدِيثَهُ ، وَقِلَّةُ التَّلَفُّتِ إِلَى الْجَوَابِ ،
وَالْإِقْبَالُ بِالْوَجْهِ وَالنَّظَرُ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ ، وَالْوَعْيُ لِمَا يَقُولُ .

من ادب المجالس

وَإِذَا كُنْتَ فِي جَمَاعَةٍ قَوْمٍ أَبْدَأْ ، فَلَا تَعْمَنْ جِيلًا مِنْ النَّاسِ أَوْ أُمَّةً
بِشْتَمٍ وَلَا ذَمٍّ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي ، لَعَلَّكَ تَتَنَاوَلُ بَعْضَ أَعْرَاضِ جُلَسَائِكَ
وَلَا تَعْلَمُ^١ . وَلَا تَذُمَّنَّ ، مَعَ ذَلِكَ ، اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ أَوْ النِّسَاءِ بِأَنْ
تَقُولَ : إِنَّ هَذَا لَقَبِيحٌ مِنْ الْأَسْمَاءِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي ، لَعَلَّ ذَلِكَ مُوَافِقٌ
لِبَعْضِ جُلَسَائِكَ فِي بَعْضِ أَسْمَاءِ الْأَهْلِينَ وَالْحُرِّمْ^٢ . وَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ مِنْ
هَذَا شَيْئًا ، فَكُلُّهُ يَجْرَحُ فِي الْقَلْبِ ، وَجَرَحُ النَّاسِ أَشَدُّ مِنْ جَرَحِ الْيَدِ .

الاخلاق المحمودة

إِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ صَاحِبٍ كَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ فِي عَيْنِي . وَكَانَ رَأْسُ
مَا أَعْظَمَهُ عِنْدِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ . كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانٍ بَطْنِيهِ ،
فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ ، وَلَا يُكَبِّرُ إِذَا وَجَدَ . وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانٍ

.....

١ الوعي : الحفظ .

٢ ولا تعلم : جملة حالية أي حال كونك غير عالم بذلك .

٣ الحرم : الحريم .

الجهالة ، فلا يُقدِّمُ إلا على ثقة أو منفعة . وكان أكثر دهره صامتاً ،
 فإذا قال بَدْءُ القائلين . كان يُرى مُتَضَعِّفًا^٢ مُسْتَضْعَفًا^٣ ، فإذا جاء الجِدُّ^٤ ،
 فهو كاللَّيْثِ عَادِيًا^٥ . وكان لا يَدْخُلُ في دَعْوَى ، ولا يَشْرِكُ^٦ في مِرَاءٍ^٧ ،
 ولا يُدلي بِحُجَّةٍ ، حتى يَجِدَ قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً . وكان لا يَلُومُ
 أحداً على ما قد يَكُونُ العُدْرُ في مثله ، حتى يَعْلَمَ ما اعتذاره . وكان لا يَشْكُو
 وجعاً إلا إلى مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبَرَّ^٨ ، ولا يَصْحَبُ إلا مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ
 النَّصِيحَةَ لهما^٩ جميعاً . وكان لا يَتَبَرَّمُ^{١٠} ، ولا يَتَسَخَطُ ، ولا يَتَشَتَّى ،
 ولا يَتَشَكَّى ، ولا يَسْتَقِيمُ مِنْ الْوَلِيِّ^{١١} ، ولا يَغْفُلُ عَنِ الْعَدُوِّ ، ولا يَخُصُّ
 نفسه ، دون إخوانه ، بشيء من اهتمامه بِحِيلَتِهِ^{١٢} وقُوَّتِهِ . فعَلَيْكَ بهذه
 الأخلاقِ ، إن أظنَّ ، ولن تُطِيقَ ، ولكن أخذ القليل خيراً مِنْ تَرْكِ
 الجميعِ ، وبالله التوفيقُ .

.....

- ١ بلد : غلب .
- ٢ المتضعف : من تضعفه الناس أي عدوه ضميماً وتجبروا عليه .
- ٣ المستضعف : المملود ضعيفاً .
- ٤ الجِد : ضد الهزل .
- ٥ عاديّاً : ساطياً .
- ٦ يشارك : يشترك .
- ٧ مرأ : جدال .
- ٨ لهما : أي للوجع والبرء .
- ٩ الولي : الصديق .
- ١٠ الحيلة : السياسة والتدبير .

المصر المباسي الثاني

البحري (٨٣٠-٨٩٧ م و ٢١٥-٢٨٤ هـ)

ابن الرومي (٨٣٥-٨٩٦ م و ٢٢١-٢٨٣ هـ (٢))

الجاحظ (٧٧٥ (٢)-٨٦٨ م و ١٥٩ (٢)-٢٥٥ هـ)

البعري

المدح

وصف الموكب

قال يمدح المتوكل ، ويصف موكبه في عيد الفطر :

أُخْفِي هَوَى لِكَ فِي الضَّلُوعِ ، وَأُظْهِرُ ، وَالْأَمُّ فِي كَمَدٍ عَلَيْكَ ، وَأَعْدَرُ
وَأَرَاكَ نَحْنُ ، عَلَى النَّوَى ، مَنْ لَمْ يَخُنْ عَهْدَ الْهَوَى ، وَهَجَرَتْ مَنْ لَا يَهْجُرُ
وَطَلَبْتُ مِنْكَ مَوَدَّةً لَمْ أُعْطَهَا ، إِنَّ الْمُعْنَى طَالِبٌ لَا يَنْظُرُ
هَلْ دَيْنٌ عُلُوَّةً يُسْتَطَاعُ فِيَقْتَضَى ، أَوْ ظُلْمٌ عُلُوَّةً يَسْتَفِيقُ فِيَقْصُرُ ٢
بَيْضَاءُ يُعْطِيكَ الْقَضِيبُ قَوَامَهَا ، وَيُزِيكُ عَيْنِيهَا الْغَزَالُ الْأَحْوَرُ ٣
تَمْشِي فَتَحْكُمُ فِي الْقُلُوبِ بِدَلَّتْهَا ، وَتَمِيسُ ، فِي ظِلِّ الشَّبَابِ ، وَتَخْطِرُ ٤
وَتَهْمِلُ مِنْ لَيْنِ الصَّبِيِّ ، فِيُقِيمُهَا قَدْ ، يُؤْتَتْ تَارَةً ، وَيُدَكَّرُ ٥
إِنِّي ، وَإِنْ جَانِبْتُ بَعْضَ بَطَالَتِي ، وَتَوَهَّمِ الْوَاشُونَ أَنِّي مُقْصِرُ ٦

١ المعنى : المهموم المتعب ، من عناء الأمر : أنصبه .

٢ علوة الحليية : صاحبة الشاعر . يَقْصُرُ وَيُقْصِرُ : يَنْتَبِي .

٣ الأحور : هو الذي يكون في عينه حور ، والحور اشتداد سواد العين وبياضها ، واستدارة حدقتها ورقة جلونها .

٤ تخطر : ترفع يديها في مشيتها وتضعهما .

٥ جعل أنوفة قدها في ميله وتثنيه وذكرته في استقامته .

٦ البطالة : الهزل في الحديث .

لَيْشَوْقُنِي سِحْرُ الْعُيُونِ الْمُجْتَلَى ،
 اللَّهُ مَكَنَّ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ
 نَعْمَى مِنْ اللَّهِ اصْطَفَاهُ بِفَضْلِهَا ،
 فَاسْلَمَ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَزَلْ
 صَمَتْ فَوَاضِلُكَ الْبَرِّيَّةَ ، فَالتَقَى
 بِالْبِرِّ صُمْتَ ، وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ ،
 فَانْعَمَ يَوْمَ الْفِطْرِ عَيْنًا ، لِأَنَّهُ
 أَظْهَرْتَ عِزَّ الْمُلْكِ ، فِيهِ ، بِجَحْفَلٍ
 خَلَيْنَا الْجِبَالَ تَسِيرُ فِيهِ ، وَقَدْ غَدَدَتْ
 فَالْخَيْلُ تَصْهَلُ ، وَالْفَوَارِسُ تَدْعِي ،
 وَالْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا ،
 وَالشَّمْسُ مَاتِعَةٌ ، تَوْقَدُ بِالضُّحَى ،
 حَتَّى طَلَعَتْ بَضْوَاءَ وَجْهِكَ ، فَانْجَلَتْ
 وَافْتَبَنَ فِيكَ النَّظَارُونَ ، فَلَا صَبْعَ

وَيَرَوْقُنِي وَرَدُ الْخُدُودِ الْأَحْمَرِ
 مُلْكًا ، يُحَسِّنُهُ الْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ
 وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْدُرُ
 تُعْطَى الزِّيَادَةُ فِي الْبَقَاءِ وَتَشْكُرُ
 فِيهَا الْمُقِيلُ ، عَلَى الْغِنَى ، وَالْمَكْثَرُ
 وَبُسْنَةُ اللَّهِ الرَّضِيَّةِ تُفْطِرُ
 يَوْمَ أَغْرَ ، مِنْ الزَّمَانِ ، مُشْهَرُ
 لَسَجِبَ ، يُحَاطُ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ
 عُدَدًا ، يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ
 وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ ، وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ
 وَالْجَوَّ مُعْتَكِرُ الْجَوَانِبِ أَغْبَرُ
 طَوْرًا ، وَيُطْفِئُهَا الْعَجَاجُ الْأَكْدَرُ
 تِلْكَ الدَّجَى ، وَالنَّجَابُ ذَاكَ الْعِثِيرُ
 يَوْمًا إِلَيْكَ بِهَا ، وَعَيْنٌ تَنْظُرُ

- ١ المجتل : الذي ينظر إليه .
- ٢ جعفر : اسم المتوكل على الله .
- ٣ يقدر : يقسم ، أي يقسم الرزق .
- ٤ في عجز البيت تلميح إلى آية القرآن : لئن شكرتم لأزيدنكم .
- ٥ جحفل لحب : جيش كثير ذو جلبة .
- ٦ تدعي : تذكر أنسابها زهواً وفخراً ، فيقول الفارس منهم : أنا فلان ابن فلان . تزهو : تتلذذ وتلعب .
- ٧ تميد : تتحرك مضطربة . بثقلها : بحملها الثقيل ، أي موكب الخليفة . والجو معتكر الجوانب أغبر : أي من الغبار المنعقد .
- ٨ مائة : مرتفعة . العجاج : الغبار .
- ٩ انجباب : انكشف . العثير : الغبار .
- ١٠ افتن : بمعنى تفنن . وفي رواية : ورفا إليك : أي أدام النظر إليك بسكون الطرف .

يَتَجِدُونَ رُوَيْتَكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النَّبِيِّ ، فَهَلَّلُوا
حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الْمُصَلَّى لِابْسَ
وَمَشَيْتَ مِشْيَةً خَاشِعٍ ، مُتَوَاضِعٍ
فَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا
أَبَدْتَ مِنْ فَصْلِ الْخِطَابِ بِحِكْمَةٍ ،
وَوَقَفْتَ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ مُذَكَّرًا
وَمَوَاعِظُ شَقَّتِ الصَّدُورَ مِنَ الَّذِي
حَتَّى لَقَدْ عَلِمَ الْجَهْلُولُ ، وَأَخْلَصَتْ
صَلُّوا وَرَاءَكَ ، آخِذِينَ بِعِصْمَةٍ ،
فَاسْلَمُوا بِمَغْفِرَةِ إِلَهِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ
اللَّهُ أَعْطَاكَ الْمَحَبَّةَ فِي الْوَرَى ،
وَلَأَنْتَ أَمْلَأُ لِلْعُيُونِ لَدَيْهِمْ ،

مِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصَّفُوفِ وَكَبَّرُوا
نُورَ الْهُدَى ، يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُظْهِرُ
لِلَّهِ ، لَا يُزْهِى وَلَا يَتَكَبَّرُ
فِي وَسْعِهِ ، لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنِيرُ
تُنْبِي عَنْ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَتُخْبِرُ
بِاللَّهِ ، تُنْذِرُ تَارَةً ، وَتُبَشِّرُ
يَعْتَادُهَا ، وَشِفَاوَهَا مُتَعَدِّرُ
نَفْسُ الْمُرُوي ، وَاهْتَدَى الْمُتَحَيِّرُ
مِنْ رَبِّهِمْ ، وَبَذِمَةً لَا تُخْفَرُ
يَهَبُ الذَّنُوبَ ، لَمَنْ يَشَاءُ ، وَيَغْفِرُ
وَحَبَّكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ
وَأَجَلٌ قَدَرًا ، فِي الصَّدُورِ ، وَأَكْبَرُ

- ١ المصل : مكان الصلاة ، والمراد المسجد .
- ٢ الوسع : الجهد والطاقة ، يشير إلى آية القرآن : « لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعًا » .
- ٣ فصل الخطاب : أي الفصل بين الحق والباطل ، وعليه آية القرآن : « وَأَتَيْنَاهُ (أَي سُلَيْمَانَ) الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ » .
- ٤ كَانَ الْخُلَفَاءُ يَلْبَسُونَ الْبُرْدَةَ النَّبَوِيَّةَ فِي الْمَدِينِ الْكُبْرَى .
- ٥ يَعْتَادُهَا : يَلْتَأَمُهَا ، أَي مَا يَلْتَأَمُهَا مِنَ الشُّكِّ وَالْخَيْرَةِ .
- ٦ الْمُرُوي : مَنْ يَفْكُرُ فِي نَفْسِهِ ، وَيُزَوِّرُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .
- ٧ لَا تُخْفَرُ : لَا يَنْقُصُ عَهْدُهَا .
- ٨ وَهَبَ لَهُ الذَّنْبَ : سَاعَهُ بِهِ .
- ٩ لَدَيْهِمْ : أَي لَدَى الْوَرَى . وَقَوْلُهُ : أَمْلَأُ وَأَجَلٌ وَأَكْبَرُ : أَي مِنْ سِوَاكَ ، فَلَمَّا صَارَتْ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ اسْتَغْنَى عَنْ مَنْ لَقِيَ الْخَبَرَ ، وَخَرَجَتْ مَخْرَجَ أَكْبَرِ الْمُبَالَغَةِ وَالْمُعْظَمِ .

وصف البركة

قال يمدح المتوكل ، ويصف ركنه :

ميلوا إلى الدار . من ليلي ، نُحيتيها ،
يا دمنة . جاذبتُها الريحُ بهجتها ،
لا زلت في حُللٍ ، للغيثِ ، ضافيةٍ ،
تروحُ بالوايلِ الداني روائِحُها ،
إنَّ البَخيلةَ لم تُنعمْ لسائليها ،
مرتْ تأودُ ، في قُربٍ ، وفي بُعْدٍ ،
نعم ، ونسألُها عن بعضِ أهليها^١
تبيتُ تنشرُها ، طوراً ، وتطويها^٢
يُنيرُها البرقُ ، أحياناً ، ويسديها^٣
على رُبوعِكِ ، أو تغدو غوادِيها^٤
يومَ الكُثيبِ ، ولم تسمعْ لداعيها^٥
فالهجرُ يُبعِدُها ، والدَّارُ تُدنيها^٦

• • •

يا مَنْ رأى البركةَ الحسنةَ رويَتها ،
بحسبِها أنها ، في فضلِ رُبَّتِيها ،
ما بالُ دجلةَ كالغَيْرِ ثنائِسُها^٧
أما رأيتُ كالياءِ الإسلامِ يَكلِّوُها^٨
والآنِساتِ ، إذا لاحَتْ مغانِيها^٩
تُعدُّ واحدةً ، والبحرُ ثانيها^{١٠}
في الحُسْنِ ، طوراً ، وأطواراً ثبَاهيها^{١١}
مِنْ أَنْ تُعَابَ ، وباني المجدِ يَبْنِيها^{١٢}

... ..

- ١ من ليلي : أي الخالية من ليلي .
- ٢ الدمنة : ما أسود من آثار الدار بالبر والرماد وغيرها . يقول : إن الريح تهب عليها من جهات مختلفة ، فحيناً تكشف التراب عن رسومها ، وحيناً تغطيها .
- ٣ الحلل : الثياب لها بطانة ، مفردة حلة ، والمراد هنا بالثياب : الغيوم . ينيرها : يمدخيوطها عرضاً . يسديها : يمدخيوطها طولاً .
- ٤ الروائح : غيوم المساء . الغوادي : غيوم الصباح .
- ٥ البخيلة : حبيبة . الكُثيب : المرتفع من التل ، وقوله : يوم الكُثيب : أي يوم رآها هناك .
- ٦ تأود : تثنى .
- ٧ رويَتها : فاعل الحسناء . المعاني : المنازل ، واحدها معنى . والظاهر أنه كان حول البركة بيوت لاغتسال الجوارى .
- ٨ الكالياء : المانع والحارس . وكالياء الإسلام : الخليفة .

كَأَنَّ جِنَّ سُلَيْمَانَ الَّذِينَ وَلَّوْا
فَلَوْ تَمَرَّتْ بِهَا بِلَقِيسُ عَنْ عَرْصٍ .
تَنْصَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُعْجَلَةً ،
كَأَنَّمَا الْفَضَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةٌ
إِذَا عَلَتْهَا الصَّبَا ، أَبَدَتْ لَهَا حُبُكًا
فَحَاجِبُ الشَّمْسِ ، أحيانًا ، يُضَاحِكُهَا ،
إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا
لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمُحْصُورُ غَايَتَهَا ،
يَعْمُنُ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجَنَّنَحَةٍ ،
لَهْنٌ صَحْنٌ رَحِيبٌ فِي أَسْفَلِهَا ،
صُورٌ إِلَى صُورَةٍ الدُّلْفَيْنِ ، يُؤَنِّسُهَا
إِبْدَاعُهَا ، فَادْقُوا فِي مَعَانِيهَا^١
قَالَتْ : « هِيَ الصَّرْحُ » تَمْثِيلًا وَتَشْبِيهًا^٢
كَالْحَبْلِ جَارِيَةٍ مِنْ حَبْلِ مُجَرَّبِهَا
مِنْ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِبِهَا
مِثْلَ الْجَوَاشِينِ ، مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا^٣
وَرَيِّقُ الْغَيْثِ ، أحيانًا ، يُبَاكِهَا
لَيْلًا ، حَسِبَتْ سَمَاءَ رُكْبَتِهَا فِيهَا
لِبُعْدِ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا^٤
كَالطَّيْرِ تَنْقَضُ فِي جَوْرِ خَوَافِيهَا^٥
إِذَا انْحَطَطْنَ ، وَبَهْرٌ فِي أَعَالِيهَا^٦
مِنْهُ الْزَوَاءُ بَعَيْنَيْهِ ، يُوَازِيهَا^٧

١ الذين : خبر كان لا لمت الجن . ولوا : من ولي الأمر أي تولاه .

٢ بلقيس : ملكة سبأ وكانت معاصرة لسليمان الحكيم . وفدت عليه من اليمن لتسبع حكيمته . وتقول الرواية العربية إن سليمان كان يسخر الجن فتطيعه . فأمرهم أن يبنوا له صرحاً يستقبلها فيه . فبنوا صرحاً من قوارير أخضر ، وجعلوا له طوابيق (قطع الحجر الكبير) من قوارير كأنها الماء . وجعلوا في باطن الطوابيق صوراً من أجناس سمك البحر ودوايه . ثم أطبقوه . فلما دخلت بلقيس ، حسبت بلجة وماء فرفعت لهاها . فالشاعر يشبه بركة المتوكل في جمالها ودقة صنعها بصرح سليمان . عن عرص : من جانب .

٣ الحبك : تجمد الماء وتكسره ، واحدها حبيكة . الجواشن : الدروع ، مفردها جوشن .

٤ غايتها : نهايتها .

٥ الخوافي : الريش الصفار في جناح الطائر بعد القوادم ، مفردها خافية . شبه أجنحة السمك النابتة في أوساطها بخوافي الطير حين تنقض كاسرة أجنحتها للانحدار .

٦ الصحن : الساحة . البهر : البيت الواسع .

٧ صور : مائلة بوجهها وأعناقها . الدلفين : دابة بحرية ، كان يعتقد القدمون أنها صديقة للإنسان تنجيه من الغرق . الزواء : الانحراف . يوازيها : يجاريها . يقول : إن السمك تمر مائلة بأنظارها إلى صورة الدلفين المنقوشة على جدار البركة خشية منه أن يسطر عليها . ولكنها تستأنس في مرورها ، لأن نظره منحرف عنها يرافقها في انحرافه ، فلا يقع عليها .

تَغْنَى بِسَاتِنُهَا الْقُصُوى بِرُؤْيَتِهَا ،
 * كَأَتْهَا ، حِينَ لَجَّتْ فِي تَدَفَّقِهَا ،
 ١ وِزَادَهَا رُبَّةً ، مِّنْ بَعْدِ رُبَّتِهَا ،
 ٢ مَحْفُوفَةً بِرِيَاضٍ ، لَا تَزَالُ تَرَى
 ٣ وَدَكَّتَيْنِ كَمِثْلِ الشَّعْرَتَيْنِ ، غَدَّتْ
 إِذَا مَسَاعِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَدَّتْ
 ٤ إِنَّ الْخِلَافَةَ ، لَمَّا اهْتَزَّ مِنْبَرُهَا
 أَبْدَى التَّوَضُّعَ ، لَمَّا نَالَهَا ، دَعَا
 إِذَا تَحَلَّكَ لَهُ الدُّنْيَا بِحِلْيَتِهَا ،
 يَا ابْنَ الْأَبَاطِحِ ، مِنْ أَرْضٍ ، أَبَاطِحُهَا ،
 مَا ضَيَّعَ اللَّهُ ، فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ ،
 رَعِيَّةً ، أَنْتَ بِالْإِحْسَانِ رَاعِيهَا

- ١ العزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء من القرية . يقال : أنزلت السماء عزاليها ، إشارة إلى شدة المطر على التشبيه بنزوله من أفواه القرب . وقوله : منحلا عزاليها ، أي منحلا عقدها فتدقق ماؤها .
- ٢ واديا : التفسير يعود إلى يد الخليفة . والوادي هنا كناية عن باطن الكف . وقوله : سال ، أي سال بالمطاء .
- ٣ اسم المتوكل جعفر ، ومعنى جعفر : النهر . فاسم البركة مشرف باسم الخليفة على اعتبار أنها نهر .
- ٤ الدكة : بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه . الشعريان : كوكبان متقابلان يقال لأحدهما الشعري العبور ، ولثاني الشعري الغميصاء . بإزا الأخرى ، أي بإزائها : بمقابلها . يقول : إن بجالبي البركة دكتين للجلوس متقابلتين كالشعريين ، تتنافسان بالاثقان والجمال . وقوله : ودكتين : معطوفة على رياض .
- ٥ المساعي : المكارم والمعالي في أنواع المجد ، مفردا مسعاة .
- ٦ دعة عنها : أي سعة وغنى .
- ٧ أي رأت الدنيا محاسنها مساوى أمام محاسنه .
- ٨ الأباطح : جمع الأبطح ، ومؤنثه البطحاء ، وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى ، أو الأرض المبللة مما جرت السيل من التراب . ومن ذلك قالوا : قريش البطاح ، وهم الذين ينزلون في أبطاح مكة أو بطحائها ، وهم أشرف قريش ، والعباسيون منهم . ودونهم قريش الظواهر ، وهم الذين ينزلون بظهر مكة حيث تغلظ الأرض وترتفع . ولذلك قال الشاعر : أباطحها في ذروة المجد أعلى من روايبها .

وأمة ، كان قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطُهَا دَهْرًا ، فأَصْبَحَ حُسْنُ العَدْلِ يُرْضِيهَا
بَثَّتْ فِيهَا عَطَاءً ، زادَ في عَدَدِ العَلْيَا ، ونَوَّهَتْ بِاسْمِ المَجْدِ تَنْوِيهَا
ما زِلْتَ بَحْرًا لِعَافِيَا ، فكَيْفَ وَقَد قَابَلْتُنَا ، ولكَ الدُّنْيَا وما فِيهَا
أَعْطَاكَهَا اللهُ عَن حَقٍّ ، رَأَى لَهُ أَهْلًا ، وَأَنْتَ بِحَقِّ اللهِ تُعْطِيهَا

وصف الكامل

من قصيدة يمدح بها المعتز بن المتوكل ، ويصف قصره « الكامل » :

لَمَّا كَمَلْتَ رَوِيَّةً وَعَزِيْمَةً ، أَعْمَلْتَ رَأْيَكَ فِي ابْتِنَاءِ الكَامِلِ
وَعُدُوْتَ ، مِنْ بَيْنِ المُلُوكِ ، مَوْفَقًا مِنْهُ لِأَيْمَنِ حِلَّةٍ وَمَنَازِلِ ٣
ذُعِرَ الحَمَامُ ، وَقَدْ تَرْتَمَ فَوْقَهُ ، مِنْ مَنَظَرٍ خَطِيرِ المَزَلَةِ هَائِلِ
رُفِعَتْ لِمُخْتَرَقِ الرِّيَاحِ سُمُوكُهُ ، وَزَهَتْ عَجَائِبُ حُسْنِهِ المُتَخَايِلِ ٤
وَكَانَ حِيطَانُ الزَّجَاجِ ، بِجَوِّهِ ، لُجَجٌ يَمُجُّ عَلَى جُنُوبِ سَوَاحِلِ
وَكَانَ تَقْوِيفَ الرِّخَامِ ، إِذَا التَّقَى تَأْلِفُهُ بِالْمَنْظَرِ المُتَقَابِلِ ٥
حُبُّكَ النِّعَامِ ، رُصِيفَ بَيْنِ مُنَمَّرٍ ، وَمُسَيَّرٍ ، وَمُقَارِبٍ ، وَمُشَاكِلِ ٦
لَبِستُ ، مِنَ الذَّهَبِ الصَّقِيلِ ، سَقُوفَهُ نَوْرًا ، يُضِيءُ عَلَى الظَّلَامِ الحَافِلِ ٧

١ العاني : طالب المعروف .

٢ قوله : وَأَنْتَ بِحَقِّ اللهِ تُعْطِيهَا ، أي أن عطايها لا يبلها في سبيل التبذير والإسراف ، بل هي في سبيل الله ، زكوات وصدقات يفيد منها ذور الحاجات .

٣ الحلة : هيئة الحلول ، وجماعة بيوت الناس ، والمجلس والمجتمع .

٤ سموكة : السقوف ، مفردا سمك . المتخايل : المتكبر .

٥ التقويف : التوشية والتزخرف ، أصله من الغوف وهو نقط بياض في أظفار الأحداث ، الواحدة فوفة .

٦ حبك النعم : تجمده ، وأحدته حبيكة ، والفاعل في رصيفن يرجع إلى حبك . منمر : منقط . مسير : له خطوط . مقارب : أي بين المنمر والمسير . مشاكيل : مشابه بمائل .

٧ الحافل : المجتمع .

فَرَى الْعَيُونَ يَجْلُنَ فِي ذِي رَوْنَقٍ ، مُتَلَهَّبِ الْعَالِي ، أُنِيقِ السَّافِلِ
وَكَأَنَّمَا نُشْرَتُ عَلَى بُسْتَانِهِ سِيرَاءُ وَشِي الْيُمْنَةِ الْمُتَوَاصِلِ^١
أَغْنَتْهُ دِجْلَةٌ ، إِذْ تَلَّاحَقَ فَيْضُهَا ، عَنْ صَوْبِ مُنْسَجِمِ الرَّبَابِ الْهَاطِلِ^٢
وَتَنَفَّسَتْ فِيهِ الصَّبَا ، فَتَعَطَّفَتْ أَشْجَارُهُ ، مِنْ حَوْلِ وَحَوَامِلِ^٣
مَشْيِ الْعَدَارَى الْغَيْدِ ، رُحْنِ عَشِيَّةٍ مِنْ بَيْنِ حَالِيَةِ الْيَدَيْنِ وَعَاطِلِ^٤

وصف الأسد

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان وزير المتوكل ، ويذكر مبارزته للأسد :

غَدَاةً لَقِيتَ اللَّيْثَ ، وَاللَّيْثُ مُخْدِرٌ ، يُحَدِّدُ نَابَأً لِلْقَاءِ ، وَمِخْلَبًا^٥
يُحَصِّنُهُ ، مِنْ نَهْرٍ نَبَزَكَ ، مَعْقِلٌ مَنِيْعٌ . تَسَامَى رَوْضُهُ ، وَتَأَشَّبَا^٦
يَرُودُ مَغَارًا بِالظُّوَاهِرِ مُكْتَبًا ، وَيَحْتَلُّ رَوْضًا بِالْأَبَاطِيحِ مُعْشِبًا^٧
يُلَاعِبُ فِيهِ أَقْحُوَانًا مُفَضَّضًا يَبِصٌ ، وَحَوَذَانًا ، عَلَى الْمَاءِ ، مُدْهَبًا^٨

١ السيراء : نوع من البرود فيه خطوط . اليمنة : البرد اليمني . المتواصل : نمت وشي . يشبه أزهار البستان بالبرود اليمنية الموشاة .

٢ أغنته : ضمير النصب يعود إلى البستان . الصوب : مجيئ السماء بالمطر . المنسجم : القاطر السائل الرباب : السحاب ، واحده ربابة . الهاطل : المتتابع من المطر ، العظيم القدر .

٣ الحول : الشجر الذي لا يحمل ، واحدها : حائل .

٤ مشي : نائب عن المفعول المطلق من قوله : وتعطف أشجاره . العاطل : ضد الحالية . شبه تعطف الأشجار بمشي العدارى الغيد ، والشجرة الحاملة بالعادة الحالية اليدين ، والشجرة الحائل بالعادة العاطل من الحل .

٥ المخدر بفتح الدال وكسرها : الأسد الممتنع في عرينه . المخلب : ظفر كل سبع من الماشي والطائر .

٦ تأشب : أي التف شجر الروض .

٧ يرود : يطلب . المغار : المغارة . الظواهر : الأراضي الغليظة المرتفعة . وقوله : مكتباً أي مكتباً صيده . يقال : أكتبك الصيد : دنا منك وأمكنك لترمي . والمراد أن هذا المكان متوفر فيه الصيد للأسد . الأباطح ، جمع الأبطح : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى أو الأرض السهلة مما جرت السيول من التراب .

٨ الأقحوان : نبت أصفر الزهر في وسطه وحواليه ورق أبيض . يبص : يبرق ويلسع . الحوذان : نبت زهره أصفر . مذهب : أي بلون الذهب ، من أذهبه : طلاه بالذهب .

إذا شاءَ غادِي عَانَةً ، أو غَدَا على
يَجْرُ إلى أَشْبَالِهِ ، كلُّ شَارِقٍ ،
وَمَنْ يَبْغِ ظُلْمًا في حَرِيمِكَ ، يَنْصَرِفُ
شَهِدْتُ ، لَقَدْ أَنْصَفْتَهُ يَوْمَ تَنْبَرِي ،
فَلَمْ أَرْ ضِرْغَامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُمَا
هَزَبَرٌ مَشَى يَبْغِي هَزَبَرًا ، وَأَغْلَبٌ ،
أَدَلَّ بِشَعْبٍ ، ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلَةٌ ،
فَأَحْجَمَ ، لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا ؛
فَلَمْ يُغْنِهِ أَنْ كَرَّرَ نَحْوَكَ مُقْبِلًا ؛
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ ، لَا عِزْمَكَ انْثَى ،
وَكُنْتُ ، مَنِ تَجَمَّعَ يَمِينُكَ ، تَهْتِ

عَقَائِلِ سِرْبٍ ، إِنْ تَقَنَّصَ رَبْرَبًا
عَيْيَطًا مُدْمَى ، أو رَمِيلًا مُخَضَّبًا
إلى تَلَفٍ ، أو يُنَّ خَزْيَانِ أَخِيَبًا
لهُ ، مُصْلِتًا عَضْبًا مِنْ الْبَيْضِ مِقْضَبًا
عِيرَاكًا ، إِذَا الْهَيْبَةُ النُّكْسُ كَذَبًا
مِنْ الْقَوْمِ ، يَغْشَى بِاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبًا
رَاكَ لَهَا أَمْضَى جَنَانًا وَأَشْغَبًا
وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا
وَلَمْ يُنْجِهْ أَنْ حَادَ عَنْكَ مُسْكَبًا
وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ ، وَلَا حَدُّهُ نَبَا
لِكَ الضَّرْبَةِ ، أَوْ لَا تُبْقِ لِلْسَيْفِ مَضْرِبًا

- ١ غادى : باكر . المانة : القطيع من حمر الوحش . العقائل : جمع عقيلة : وهي الكريمة من كل شيء
السرب : القطيع . تقنص : تصيد . الربرب : القطيع من بقر الوحش .
- ٢ العييط : اللحم الطري بدمه . الرميل : المخضب بالدم ، والمراد وحش مخضب بالدم .
- ٣ الحريم : كل شيء تحميه وتدافع عنه . يريد أن هذه الوحوش التي افترسها الأسد كانت في حصى الفتح .
- ٤ البرى له : اعترض . مصلتاً : مجرداً . العضب : السيف . البيض : السيوف ، واحدها أبيض .
مقضب : السيف القطاع . وقوله : لقد أنصفته : يريد أن الأسد له سلاح من أنيابه وبرائه ، فمن
الانصاف أن يبارزه خصمه بالسيف .
- ٥ ضرغامين : أسدين . النكس : الضعيف الدنيء المقصر عن غاية المجد والكرم . كذب : جبن فلم
يقدم على القتال .
- ٦ الهزبر : الأسد ، ويريد به المدحوح . الأغلب : الأسد . يغشى : يأتي . الباسل : الكريه ، والمراد
وجه الأسد .
- ٧ أدل : يقال أدل على أقرانه : جاءهم من عل . الشعب : تهيج الشر وكثرة الجلبة . الصولة : السطوة .
الجنان : القلب .
- ٨ منكباً : متتحياً .
- ٩ تجمع يمينك : أي تجمع أصابعها وتضمها على قبضة السيف . هتك : شق وفضح . الضريبة : الرجل
المضروب بالسيف . المضرب : حد السيف .

الرثاء

رثاء المتوكل

من قصيدة يرثي بها المتوكل على الله ويذكر مصرعه سنة ٨٦١ م :

صَبْرِيْعٌ تَقَاضَاهُ السَّيُوفُ حُشَّاشَةً ، يَجُودُ بِهَا ، وَالْمَوْتُ حُمْرٌ أَظَاغِرُهُ
أَدَاغِيحُ عَنَّهُ بِالْيَدَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَيْسَنِي الْأَعَادِي أُعْزَلُ اللَّيْلِ حَاسِرُهُ^١
وَلَوْ كَانَ سَيْفِي ، سَاعَةً الْفَتَكِ ، فِي يَدِي ، دَرَى الْفَاتِكُ الْعَتَجْلَانُ كَيْفَ أُسَاوِرُهُ^٢
حَرَامٌ عَلَيَّ الرَّاحُ بَعْدَكَ ، أَوْ أَرَى دَمًا بِدَمٍ ، يَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ مَائِرُهُ^٣
وَهَلْ أُرْتَجِي أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَ وَاتِرٌ ، يَدَ الدَّهْرِ ، وَالْمَوْتُورُ بِالْدَمِ وَاتِرُهُ^٤
أَكَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ أَضْمَرَ غَدْرَةً ، فَمِنْ عَجَبٍ أَنْ وَلِيَّ الْعَهْدِ غَادِرُهُ^٥
فَلَا مُلِّيَ الْبَاقِي تَرَاثَ الَّذِي مَضَى ، وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدَّعَاءَ مَتَابِرُهُ^٥

١ الاعزل : من لا سلاح معه . حاسر : منكشف لا مغفر معه ولا درع ولا ترس .

٢ اساوره : اوائبه .

٣ دمًا بدم : الباء باء البدل أي دمًا يراق بدلًا من دم أريق . المائر : السائل من الدم .

٤ الواتر : من أوقع يديه مكروهاً وأصابه بشار . وفي رواية يطلب الدم طالب . يد الدهر : في رواية

مدى الدهر والمعنى واحد . الموتور : من قتل له حميم فلم يدرك بدسه . ويريد بالموتور الواتر

المنتضر ولي العهد .

٥ ملِّي : منح به . الدعاء : أي الدعاء للخليفة على المنابر .

اغراض مختلفة

من قصيدة يفتخر بها ، ويصف ذنباً لقيه في البادية :

وليلٍ ، كأنَّ الصَّبحَ ، في أخريَّاته ، حُشاشةٌ نصلٍ ، ضمَّ إفرندهُ غمد^١
تسرَّبلتهُ ، والدَّنبُ وَّسنانُ هاجعٌ ، بعينِ ابنِ ليلٍ ما له بالكُرى عهد^٢
أثيرُ القِطا الكُدريِّ عَن جِثمَّاته ، وتألَّفُني فيه الثَّعالبُ والرُّبْد^٣
وأطلَسَ ملءِ العينِ ، يَحْمِلُ زورَهْ وأضلَّعَهْ ، من جانبيَّه ، شوى نهد^٤
له ذَنْبٌ مثلُ الرِّشاءِ يَجْرُهْ ، ومَن كَمَتِ القوسُ أعوجُ مُنَاد^٥
طَواه الطَّوى ، حتى استمرَّ مريرَهْ ، فما فيه إلَّا العَظْمُ والروحُ والجِلْد^٦

- ١ الأخریات : هنا بمعنى الآخر . تقول : جاء في أخريات الناس أي في أواخرهم ، من غير نظر إلى معنى الصفة لأن أخريات في الأصل جمع أخرى . حشاشة فصل : أي بقيته . الإفردة : جواهر السيف وشبهه . يقول : إن أوائل غيظ الصبح في يباغيه ، يحيط به ظلام الليل ، يشبه بقية فصل سيف ضمه الغمد .
- ٢ تسربل الليل : ليس ظلامه ساريًا فيه . ابن الليل : العس . أي سرى ضارباً بعين لص ألفت الظلمة ، ولا تعرف النوم ليلا في حين يكون الذئب نائمًا .
- ٣ القِطا : طير تسير جماعات . وهي أسرع الطيور وأهداها إلى الماء . الكُدري : ضرب من القِطا ، غير الألوان ، رقص الظهور ، صفر الخلق ، قصار الأرجل ، سود بواطن الأجنحة ، في ذنب كل منها ريشتان أطول من سائر ريشه . الجِثمات : جمع الجِثمة : الأكمة ، أي المكان الذي تجثم فيه القِطا ، أي تلزمه ساكنة . وتألفني فيه : أي في الليل . الربد : الحيات الخبيثة ، واحدها الأربد .
- ٤ الأطلَس : الذئب الأمع ، في لونه غبرة ضاربة إلى السواد . الزور : وسط الصدر ، والمراد هنا الصدر على الإطلاق . الشوى : اليدان والرجلان . النهد : المرتفع . أي أن هذا الذئب يحمل جسمه قوائم مرتفعة ، فيملأ عين من رآه .
- ٥ الرشاء : الحبل ، أو حبل الدلو . المتن : الظهر . مناد : منحن .
- ٦ الطوى : الجوع . وطواه الطوى : جعله الجوع هزيعاً مطوي البطن . استمر مريره : استحكمت عزمته وقويت شكيبته ، أي ازداد صراوة لشدة الجوع .

يَقْضِيْضُ عُصْلًا ، فِي أَسْرِتِهَا الرَّدَى ، كَقَضِيْضَةِ الْمَقْرُوْرِ أُرْعَدَهُ الْبَرْدُ^١ ،
 سَمَا لِي ، وَبِي مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مَا بِهِ ، بَيْدَاءَ لَمْ تُعْرِفْ بِهَا عَيْشَةً رَغْدُ^٢ ،
 كِلَانَا بِهَا ذَيْبٌ ، يُحَدِّثُ نَفْسَهُ ، بِصَاحِبِهِ ، وَالْجَدُّ يُتَعِسُهُ الْجَدُّ^٣ ،
 عَوَى ، ثُمَّ أَقْبَى ؛ فَارْتَجَزْتُ ، فَهَيْجَتُهُ ؛ فَأَوْجَرْتُهُ خَرَقَاءَ ، تَحْسَبُ رِيْشَهَا^٤ ،
 فَمَا أَزْدَادَ إِلَّا جُرْأَةً وَصَرَامَةً ، وَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْأَمْرَ مِنْهُ هُوَ الْجِدُّ^٥ ،
 فَأَتْبَعْتُهُ أُخْرَى ، فَأُضِلَّتْ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرَّعْبُ وَالْحَقْدُ^٦ ،
 فَخَرَّ ، وَقَدْ أَوْرَدَتْهُ مَنَهْلَ الرَّدَى ، عَلَى ظَمْمٍ ، لَوْ أَنَّهُ عَذَبُ الْوَرْدِ^٧ ،

- ١ يقضيض : يكسر العظام ، فيخرج لها صوت . العصل : الأنياب العوج ، واحدها أعصل . والمراد هنا أنه يصك أنيابه بعضها على بعض لفيظه ، فيسمع لها صوت تكسر العظام . الأسرة : الخطوط ، واحدها سرار ؛ أي الموت كامن في خطوط أنيابه . المقرور : الذي أصابه البرد . والمراد : أنه يشبه مقروراً يرتعد من البرد فتصطك أسنانه .
- ٢ الجد : الخط . يقول : كلانا في هذه البيداء ذئب جائع يحدث نفسه بأفئراس صاحبه ، ومن كان له الخط أتمس حفظ الآخر .
- ٣ أقبى : تعد على إيتيه ، فعل ذلك هنا مستعداً للوثوب . ارتجز : أنشد الرجز ليحمس نفسه على عادة البدو عند مباشرتهم الحرب . فاهتاج الذئب لسماع الصوت ، فأقبل على الشاعر بسرعة البرق ، وأخرج صوتاً كالرعد الذي يأتي بعد البرق .
- ٤ أوجره : طعنه ؛ أي أرسل إليه نبلة تطعنه . الخرقاء : الطائشة الهوجاء ؛ أي نبلة طائشة لم تصبه . الريش : هو ريش السهم يلزق على جانبيه لينطلق مستقيماً . يقول : كأن ريش هذه النبلة المنقضة على الذئب لامة في الليل ، قد وضع على كوكب منقض في الظلام ، وبين السهم الريش والكوكب المتساقط وجه للشبه تمثيل لا انطلاق السهم في أواخر الليل .
- ٥ الجد : ضد الهزل .
- ٦ اللب : العقل ؛ وكان العرب يعتقدون أن القلب مركز العقل . فالنبلة وقعت في قلب الذئب ، حيث يكون العقل والرعب والحقد .
- ٧ المنهل : المورد . وقوله : على ظم ؛ لأن الذئب كان به ظمأ لدم الشاعر ، فأورده منهل الموت ، فشفى ظمأه ، ولكن لم يكن مورده عذباً .

١٠ وقُمتُ فجمعتُ الحصى ، فاشتويتهُ ، وعليه ، وللرمضاءِ مِن تَحتهِ وقدُ
١١ ونِلْتُ خَسِيساً منه ، ثم تَرَكْتُهُ ، وأقلعتُ عنه ، وهو مُنعَقِرٌ فردُ

قال يصف إيوان كسرى في المدائن :

١٢ صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي ، وترَفَعْتُ عن جَدَا كُلِّ جَبَسٍ ٣
١٣ وتَمَاسَكْتُ حَيْثُ زَعَزَعَا ، في الدَّهْرِ التِّمَاسُكُ منه لتعسي ونُكْسِي ٤
١٤ بُلُغَ مِن صُبَابَةِ الْعَيْشِ عِنْدِي ، طَفَفَتْهَا الْأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ ٥
١٥ وَبَعِيدَ مَا بَيْنَ وَارِدِ رِفْهِ ، عَلَلِ شُرْبُهُ ، وَوَارِدِ خِمْسٍ ٦
١٦ وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ مَحْمُومًا ، لَا هَوَاهُ مَعَ الْأَخْسِ الْأَخْسِ ٧
١٧ وَاشْتَرَايَ الْعِرَاقَ خِطَّةَ غَبْنٍ ، بَعْدَ بَيْعِي الشَّامَ بَيْعَةَ وَكْسٍ ٨
١٨ لَا تَرُزْنِي مُزَاوِلًا لاختياري ، عِنْدَ هَذَا الْبَلَوَى ، فَتُنْكِرَ مَسِي ٩

- ١ الرمضاء : شدة حرارة الرمل ، ورمل البادية يخاطله حصى صغير إذا جبع وأغرمت عليه النار اتقد جمرًا ، وأمكن أن يشوى عليه .
- ٢ خسيساً : أي قليلاً حقيراً ، لأن الذئب كان مهزولاً فلم يستطع الشاعر لحمة . منعقر : أي متعقر بالتراب .
- ٣ الجدا : المطاء . الجبس : اللثيم والجبان .
- ٤ نُكْسِي : إذلالِي .
- ٥ البلغ ، جمع البلغة : ما يكفي من العيش ، وليس فيه فضلة . الصبابة : البقية من الماء والبن ، والمراد بقية من المال يعيش بها . طَفَفَتْهَا : أنقصتها . البخس : الظلم وهضم الحقوق .
- ٦ وارد ره : أي يرد الماء كل يوم متى يشاء . علل شربه : أي يشرب تبعاً لشربة بعد أخرى . وارد خمس : أي يشرب في اليوم الرابع بعد ظمأ ثلاثة أيام .
- ٧ محمولاً هو : أي يميل إلى الأخساء فيصانهم دون الكرام .
- ٨ واشترائي العراق : معطوفة على بلغ . يتابع ذكر أحواله ، فيرى الخسارة في بيعته إلى العراق بعد تركه الشام . الخطة : الأرض التي يحتفلها الإنسان لنفسه لينزل بها . الوكس : الخسارة في المتاجرة .
- ٩ لا ترزني : يقال راز الشيء يروزه جربه وقدره وامتحنه لينظر ثقله . مزاولاً : محاولاً ، يريد أن أحداث الدهر عبرت حاله فأصبح ينكره من يحاول معرفته حين يراه .

وقديماً عهدتني ذا هنات
ولقد رابني نُبُو ابن عمي ،
وإذا ما جُفيتُ ، كنتُ حريّاً
حضرت رجليّ الموم ، فوجهه
أتسلى عن الحُطوطِ ، وآسى
ذكرتنيهم الخطوبُ التوالي ،
وهمُ خافضون في ظلّ عالٍ
مُغلقي بابهُ ، على جبل القبة
حليلٌ ، لم تكن كأطلالٍ سَعدي ،
ومساعٍ ، لولا المُحابةُ مِنّي ،
نَقَلَ الدهرُ عهدَه من عنِ الجِ
آياتٍ ، على الدّثّياتِ ، شمسٍ^١
بعدَ لينٍ من جانبيه وأنسٍ^٢
أن أرى غيرَ مُصبحٍ حيثُ أمسي
تُ إلى أبيضِ المدائنِ عَنسي^٣
لمَحَلٍّ من آلِ ساسانِ دَرسٍ^٤
ولقد تُذكرُ الخطوبُ وتُنسي
مُشرفٍ ، يُحسرُ العيونَ ويُخسي^٥
قِ ، إلى دارتي خِلاطٍ ومكسٍ^٦
في قِفارٍ من البَسابِسِ ملْسٍ^٧
لم تُطِقْها مَسعاةُ عَنسٍ وعَبَسٍ^٨
دقةٍ ، حتى غَدَوَ أنضاءَ لُهبسٍ^٩

- ١ الهنات : الخصال ، وتعمل في الشر والأذى ، واحدا هنت . وقيل واحدا هنة ، تأنيث هن وهو كناية عن كل اسم جنس . شمس : جمع شمس ، أي صعب المراس على من عالده .
٢ النبو : التجاني والخشونة .
٣ حضرت رجلي الموم : أي جعلته حاضراً وأعدته للرحيل . أبيض المدائن : أي القصر الأبيض لكسرى ، والمدائن : عاصمة الأكاسرة قرب بغداد وفيها الإيوان . سميت بالجمع لأنها سبع مدن قائمة على ضفتي دجلة . علي : ناقي .
٤ آل ساسان : أي ملوك الفرس من نسل اردشير حفيد ساسان ، مؤسس الدولة الساسانية . درس : بال .
٥ خافضون : عائشون برفاهة ودعة . يحسر : يعيي ويكل . يخسي : مهمل يخسي ، أي يكل ويحمر .
٦ دارتي خِلاط ومكس : مكانان ؛ والدارة كل أرض واسعة بين جبال .
٧ حلل : جمع حلة وهي المحلة . البسابس : جمع البسبس وهو القفر الخالي . الملْس : جمع أملْس وملساء وهي الغلاة ليس بها ثبات .
٨ المساعي : جمع مسعاة وهي المكرمة والمعلقة . علس : قبيلة قحطانية من اليمن . عبس : قبيلة عدنانية من نجد . يقول : لولا محاباتي للعرب لأني عربي ، لقلت إن مساعي الفرس لم تستطيع بلوغها قبائل العرب من قحطانية وعدنانية .
٩ الجدة : حالة الشيء الجديد . الأنضاء : جمع نفوس وهو المهزول . اللبس : الاختلاط والإشكال . يقول : غير الدهر حالة هذه الحلل والمساعي ، فأصبحت بعد جدتها هزيلة بالية يشكل أمرها على الناظر إليها ، وتلبس عليه حقيقتها ؛ فما يكاد يتبينها ويمرّفها .

فَكَانَ الْجِرْمَازَ ، مِّنْ عَدَمِ الْأُذِّ
لَوْ تَرَاهُ ، عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي
وَهُوَ يُنْبِئُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ ،
فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا
وَالْمَتَايَا مَوَائِلُ ، وَأَلُوشَرُ
فِي اخْضِرَارٍ مِنَ الثَّيَّاسِ ، عَلَى أَصْ
وَعِيرَاكَ الرُّجَالِ ، بَيْنَ يَدَيْهِ ،
مِنْ مُشِيحٍ ، يُهْوِي بِعَامِلِ رُوحٍ ،
تَصِفُ الْعَيْنُ أَتْلُهُمْ جِدُّ أَحْيَا
يَغْتَنِي فِيهِمْ أَرْثِيَابِي ، حَتَّى
قَدْ سَقَانِي ، وَلَمْ يُصَرِّدْ ، أَبُو الْغَوِّ
سِرِّ وَإِخْلَاقِهِ ، بَنِيَّةُ رَمْسٍ^١
جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَمًا ، بَعْدَ عُرْسٍ
لَا يُشَابُ الْبَيَانُ فِيهِمْ بَلْبَسٍ^٢
كَيْتَ ارْتَعَتَ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسٍ
وَأَنْ يُزْجِي الصَّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفْسِ^٣
فَرَّ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةِ وَرْسٍ^٤
فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِعْمَاضِ جَرَسٍ^٥
وَمُلِيحٍ ، مِّنَ السَّتَانِ ، بِثُرْسٍ^٦
لَهُمْ ، بَيْنَهُمْ ، إِشَارَةُ خُرْسٍ^٧
تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايَ يَلْمَسُ^٨
ثِ ، عَلَى الْعَسْكَرَيْنِ ، شُرْبَةُ خُلْسٍ^٩

- ١ الجرماز : أحد أهباء القصر . إخلاقه : بلاءه ؛ ورويت لإخلاقه .
- ٢ لا يشاب : لا يخلط . اللبس : الاختلاط والإشكال ، وقسم لاه . يقول : إن ما بقي من آثار الجرماز حقيق بأن يحدثك عن عجائبهم بكلام واضح البيان ليس فيه التباس .
- ٣ يزجي : يسوق . الدرفس : راية الفرس المقدسة ، رمز تحرير بلادهم على يد بطلهم الأسطوري أفريدون ، أي راية الحداد كاوي « درفش كاوياني » وكانت محلاة بالجوهر الكريمة .
- ٤ يختال : يتبختر تكبراً . الورس : نبات كالسم أصفر يصبغ به ، وقيل صبغ أحمر . قد تكون هذه الألوان تمثل ثياب كسرى المصبغة . وقد يكون قوله : على أصفر ، أي على جواد أصفر .
- ٥ الخفوت : السكوت . الجرس : الصوت الخفي .
- ٦ المشيح : المقبل عليك والمافع لما وراء ظهره . حامل الرمح : صدره . مليح : محاذر خولاً .
- ٧ يقول : تخدع العين بدقة الرسم فتنتهم بالأحياء يتبادلون إشارة خرس .
- ٨ يغني : يظم . تتقراهم : تتبهم . يقول : يزيد ارتياحي فيهم ، فأتبهم بالمس لأتحقق أصدور مرسومة هم أم أشخاص أحياء يتحاربون ؛ يريد المبالغة في دقة الرسم وبراعته .
- ٩ لم يصرد : لم يقلل . أبو الفوت : ابن البهري . على العسكرين : حل منظر العسكرين . الخلس : الاختلاس . أي شربة مختلصة سريعاً .

مِنْ مُدَامٍ ، تَقُولُهَا هِيَ نَجْمٌ
وَتَرَاهَا ، إِذَا أُجِدَّتْ سُرُوراً
أَفْرِغَتْ فِي الزَّجَاجِ ، مِنْ كُلِّ قَلْبٍ ،
وَتَوَهَّمَتْ أَنَّ كِسْرَى أَبْرُوِي
حُلُمٌ مُطْبِيقٌ عَلَى الشَّكِّ عَيْنِي ،
وَكَأَنَّ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنَةِ
يُسْتَظَنِّي ، مِنَ الْكَاتِبَةِ ، أَنَّ يَبَّ
مُزْعَجاً بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِ الْفِ ،
عَكَسَتْ حَفْظَهُ اللَّيَالِي ، وَبَاتَ الْ
فَهْوُ يُبْدِي تَجَلُّداً ، وَعَلَيْهِ
أَضْوَاءُ اللَّيْلِ ، أَوْ مُجَاجَةً شَمْسٍ
وَارْتِيحاً لِشَارِبِ الْمُتَحَسِّي
فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ
زَ مُعَاطِي ، وَبَلَهْبَذُ أَنْسِي
أَمْ أَمَانٍ غَيْرِنَ ظَنَنِي وَحْدَسِي ؟
هَتَّةَ جَوْبٍ ، فِي جَنْبِ أَرَعْنَ جَلَسٍ
لِدَوِّ لَعَيْنِي مُصْبِحٍ أَوْ مُمَسِّ
عَزَّ . أَوْ مُرْهَقاً بِتَطْلِيْقِ عِرْسٍ
مُشْتَرِي فِيهِ ، وَهُوَ كَوَكَبٌ نَحْسٍ
كَكَلِّلٍ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسٍ

- ١ تقولها : تظنها . مجاجة الشمس : ريقها أي شعاعها . يقال : بحت الشمس ريقها : رمت بشعاعها .
- ٢ و تراها : وتظنها . أجدت : جددت . المتحسي : المتجرع جرعة بعد أخرى .
- ٣ أفرغت : الجملة مفعول ثانٍ ل تراها .
- ٤ كسرى أبرويز : حفيد كسرى أنوشروان ، ملك من سنة ٥٩٠ إلى سنة ٦٢٨ م . وقد سماه الشاعر قبلاً أنوشروان ، فالظاهر أنه يخلط بين الاسمين . و زرح أن صورة أنطاكية تمثل أبرويز في المعركة التي انكسرت فيها جيوش هرقل سنة ٦١٤ م ففتحت للفرس الطريق إلى القدس ، فاستولوا على سوريا حتى سنة ٦٢٨ . معاطي : أي يعاطيه الشراب ، يعني يشاربه . البلهيز ويقال الفلهيز : من كبار المغنين عند الفرس . أنسي : أي يؤنسه بصوته .
- ٥ الجوب : الترس . أروعن : أحقق . جلس : غليظ أحقق . يشبه شكل الإيوان وهيئته بترس في جنب رجل غليظ أحقق ، أي أنه مستدير على شكل الترس ، قائم في جنب بناء عظيم ، أو في جنب جبل يشبه الرجل الجلس في غلاظته .
- ٦ يتظنى : يعمل الظن فيه ، أي يظن فيه .
- ٧ مرهقاً : مكلفاً . العرس : الزوجة . يقول : يظن من ينظر إليه عند الصباح والمساء أنه يبدو من كآبته ، عاشقاً مزعجاً أبعد الفراق صاحبه فمز عليه أن يصل إليه ؛ أو زوجاً كلفته الأيام تطليق زوجته فطلقها على كره منه .
- ٨ المشتري : نجم من السيارات ، ويقال له بالفارسية برجيس ، وطالع برجه سعد عند الأقدمين .
- ٩ الكلكل : الصدر . مرس : ثابت .

لم يَعْبَهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسْطِ الدِّيَةِ
مُشْمَخِرٌ ، تَعْلُو لَهُ شَرَفَاتٌ ،
لَابِسَاتٌ مِنَ الْبَيَاضِ ، فَمَا تُبْ
لَيْسَ يَدْرِ : أَصْنَعُ لِنَسِ الْجِنِّ
غَيْرَ أَنْتِي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ
فَكَأَنْتِي أَرَى الْمَرَاتِبَ وَالْقَوُ
وَكَأَنَّ الْوُفُودَ ضَاحِينَ حَسَرَى ،
وَكَأَنَّ الْقِيَانَ ، وَسَطَ الْمَقَاصِي
وَكَأَنَّ اللَّقَاءَ أَوَّلُ مِنْ أَمِّ
وَكَأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ اتِّبَاعًا ،
عَمَرَتْ لِلشَّرُورِ دَهْرًا ، فَصَارَتْ

بَاجٍ ، وَاسْتُلَّ مِنْ سَتُورِ الدِّمَقْسِ^١
رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ^٢
صِرُّ مِنْهَا إِلَّا فَلَاثِلَ بُرْسِ^٣
سَكَنُوهُ ، أَمْ صُنْعُ جَنِّ لِإِنْسِ ؟
يَلِكُ بَانِيهِ ، فِي الْمُلُوكِ ، بَنِيكَسِ^٤
مَ ، إِذَا مَا بَلَغْتَ آخِرَ حَيْسِي^٥
مِنْ وَقُوفٍ خَلْفَ الزَّحَامِ ، وَخُنْسِ^٦
رِ ، يُرَجِّحَنَّ بَيْنَ حَوٍّ وَلُعْنِ^٧
سِ ، وَتَشْكُ الْفِرَاقِ أَوَّلُ أَمْسِ
طَامِعٌ فِي لُحُوقِهِمْ صُبْحَ خَمْسِ^٨
لِلتَّعَزِّي ، رَبَاعُهُمْ ، وَالتَّاسِي

- ١ بز : سلب . الديباج : الحرير . استل : أخرج وعري . الدمقس : الحرير الأبيض .
- ٢ مشمخر : طويل عال . شرفات : مثلثات تبنى متقاربة في أعلى القصر ، واحدها شرفة . رضوى : جبل بالمدينة . قدس : جبل وهو قدس الأسود وقدس الأبيض . يقول : إن هذه الشرفات عالية كأنها بنيت على رؤوس الجبال .
- ٣ فلاثل : جمع فلية وهي الشعر المجتمع . البرس : القطن أو شبيه به . يقول : إن هذه الشرفات يكسوها البياض ولكن العين لا تتيبها جيداً لعلوها فتحسبها فلاثل من القطن مجتمعا بعضها إلى بعض .
- ٤ النكس : المقصر عن غاية الكرم .
- ٥ إذا ما بلغت آخر حسي : أي إذا تمالى بي الحس والخيال .
- ٦ ضاحين : بارزين للشمس ، نصبت على الحال . حسرى : متلهفين معينين . خنس : متأخرين .
- ٧ يرجحن : يملن بالأرجوحة . حو : جمع حواء وهي السراء الشفة . لعس : جمع لساء وهي الجارية التي بها لعس ، وهو سواد مستحسن في الشفة .
- ٨ صبح خمس : أي خمس لبال . يريد أنه يستطيع اللحاق بهم بعد سفر خمس ليال لما دخل إليه من قرب عهدهم بالرحيل ؛ أو هي صبح خمس : أي يصل إليهم في اليوم الرابع ، مأخوذ من إلقاء الإبل ، وهو أن ترضى ثلاثة أيام وترد الرابع .

فلها أن أعينها بدُموعٍ موقوفاتٍ على الصَّبابةِ حُبسٍ^١
 ذاكَ عندي ، وليستِ الدَّارُ داري ، باقترابٍ منها ، ولا الجَنسُ جُنسي
 غيرَ نَعَمي لأهلها عندَ أهلي ، غَرَسوا مِن ذَكَائِها خيرَ غَرَسٍ
 أيَّدوا مُلكنا وشَدَّوا قُواهُ بكُماةٍ ، تحتَ السَّنورِ ، حُمسٍ^٢
 وأعانوا على كَتائبِ أربا طَـ بَطَعنَ على النَحورِ ، ودَعَسٍ^٣
 : وأراني ، من بَعْدُ ، أَكَلَفُ بِالْأَشْ رافٍ طُراً ، من كلِّ سِنخٍ وإس^٤

وصف الربيع

من قصيدة يمدح بها المهيم الغنوي ، ويصف الربيع مزيناً للممدوح فقد مجلس لهُ وشراب :

أناكَ الرِّبيعُ الطَّلُقُ يَخْتالُ ضَباحكاً ، من الحُسْنِ ، حتى كادَ أن يَتَكَلَّمَ
 - وقد نَبَّهَ النُّورُوزُ ، في غَلَسِ الدَّجَى ، أوائلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا
 يُفَتِّقُها بَرْدُ النَّدَى فَكَانَتْ يَنْثُ حَديثاً ، كانَ ، قَبْلُ ، مُكْتَمًا^٥
 ٦. وَمِنْ شَجَرٍ ، رَدَّ الرِّبيعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ ، كما نَشَرَتْ وَشياً مُنَمَّمًا^٧

- ١ يقول : إنه يبكي على ربيع الأكاسرة مع أنه وقف دموعه وجسبها ، وما تعود أن يبكي إلا شوقاً إلى الأحبة المغارقين .
- ٢ الكماة : جمع الكمي وهو الشجاع اللابس السلاح . السنور : نوع من الدروع . يشير إلى مساعدة الفرس للين في حروبها مع الحبشة ، وردهم الملك إلى عاهلها سيف بن ذي يزن .
- ٣ أرياط : قائد جيش الحبش . الدعس : الوطء الشديد والطنن بالرمح .
- ٤ السنخ : الأصل . الإمس وتضم همزته : أصل كل شيء . يقول : إنه يشغف بالأشراف جميعاً من أي أصل كانوا ، من بعد مساعدة الفرس للين .
- ٥ النوروز ، ويقال له النيروز : عيد فارسي الأصل ، يقع في الشرق في أول آذار ، فيوافق ظهور نور الربيع ؛ ويقع في الأندلس في الأيام الأولى من كانون الثاني فيوافق رأس السنة والغطاس . الفلاس : ظلمة آخر الليل .
- ٦ يلبث الحديث : يبوح به ويفشيه .
- ٧ منمماً : مزخرفاً منقوشاً .

أَحَلَّ ، فَأَبْدَى للعيونِ بِشَاشَةً ،
وَرَقَّ نَسِيمُ الرُّوضِ ، حَتَّى حَسِبْتُهُ .
وَمَا يَحْبِسُ الرِّاحَ الَّتِي أَنْتَ خِلْتُهَا ،
وَمَا يَمْنَعُ الْأَوْتَارَ أَنْ تَتَرْتَمَا ؟
وَكَانَ قَدَى اللَّعِينِ ، إِذْ كَانَ مُحْرِمًا
يَحْيِي بِأَنْفَاسِ الْأَحْبَةِ نُعْمًا

غزل

قال يتغزل بعلوة بنت زريقة الحلبية :

يَا عُلُو ، لَوْ شِئْتَ ، أَبَدْتَ الصَّدُودَ لَنَا
هَلْ لِي سَبِيلٌ إِلَى الظُّهْرَانِ مِنْ حَكَبٍ ،
إِذْ أَقْبَلَ الرِّاحَ ، وَالْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ ،
أَمْدٌ كَفَتِي لِأَخَذِ الْكَأْسِ مِنْ رَشْلٍ ،
بِزَّرْدِ أَنْفَاسِهِ أَشْفَى الْغَلِيلَ ، إِذَا
وَصَلَا ، وَلَانَ لَصَبٍ قَلْبُكَ الْقَاسِي
وَنَشْوَةٌ بَيْنَ ذَاكَ الْوَرْدِ وَالْآسِ ؟
مِنْ أَهْيَفِ خَنَثِ الْعِطْفَيْنِ مَيَّاسٍ^١ ،
وَحَاجَتِي ، كُلُّهَا ، فِي حَامِلِ الْكَاسِ^٢ ،
دَنَا ، فَقَرَّبَهَا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي^٣

- ١ أحل : أخرج من إحرامه . المحرم : من دخل في الحرم ولبس المحرم وهو لباس الإحرام ، ذلك بأن المسلمين إذا جاؤوا مكة وأرادوا أن يدخلوا الحرم خلعوا ما عليهم من الثياب المصبغة والمخيطه : كالقمصان والبرانس والسراويلات والمئاتم ، وألقوا على أجسامهم ثياب الإحرام غير مخيطة ولا مصبغة . فالشاعر يقول : إن الشجر كان محرماً في الشتاء أي عارياً من ثيابه المصبغة ، فلما جاء الربيع خرج من حرمة ، ولبس أوراقه وأزهاره الملونة ، فأبدى بشاشة للعيون بعد أن كان قلى لها .
- ٢ الظهران : اسم موضع .
- ٣ الأهيف : الرقيق الخصر . الخنث : مثني المطف لينه . المطفين : مثني المطف ، وهو أحد الجانبين من الرأس إلى الورك .
- ٤ الرشأ : ولد الظبية وهو هنا على سبيل الاستعارة .
- ٥ الغليل : حرارة الحب .

ابن الرومي

المدح

مدح القاسم

من قصيدة يمدح بها القاسم بن عبيد الله الوهبي وزير المتضد . وينحلل المدح عتاب وتهديد وه ر
وشكوى وسؤال واستعطاف :

أيها القاسمُ القَسِيمُ رُوءَا ، والذي ضَمَّ وُدَّهُ الأهْوَاءُ^١
والذي سَادَ ، غيرَ مُسْتَنْكَرِ السَّوْ دَدٍ ، في النَّاسِ . واعتلى كيفَ شَاءَ
قَمَرًا ، نَجْتَلِيهِ ، مِلءَ عُيُونٍ وَصُدُورٍ ، بِرَاعَةِ ضِيَاءِ^٢
لم يَزَلْ يَجْعَلُ الْمَسَاءَ صَبَاحًا ، كُلَّمَا بُدِّلَ الصَّبَاحُ مَسَاءً^٣
قَتَلَ الْيَأْسَ ، وَهُوَ مُسْتَحْكِمُ الْأَمْرِ رِ . وأحينا المَطَامِعَ الْأَنْصَاءُ^٤
أَنَا مَوْلَاكَ ، أَنْتَ أَعْتَقْتَ رِقِّي ، بَعْدَمَا خِفْتُ حَالَةَ نَكَرَاءِ^٥
فَعَلَامَ انْصِرَافِ وَجْهِكَ عَنِّي ، وَتَنَاسِيكَ حَاجَتِي لِغَيَاءِ^٦

.....

- ١ القسم : الجليل . الرواء : المنظر . الأهواء : أي أهواء الناس على اختلافها .
- ٢ نجتليه : فنظر إليه .
- ٣ يريد أنه يضيء ظلام النفوس اليائسة .
- ٤ الأنصاء : الهزيمة ، واحدها نضو ، أي قتل اليأس المستحكم ، وأحبا الإمال الهزيمة .
- ٥ رقي : عبودي .
- ٦ الغاء : تحييباً .

كَانَ يَأْتِيَنِ الرَّسُولُ ، فِيْهِدِي ١
 فَقَطَعْتَ الرَّسُولَ عَنِّي ، ضَنْبًا ٢
 إِنَّ أَكُنْ غَيْرَ مُحْسِنٍ كُلِّ مَا نَط ٣
 فَمَتَى مَا أَرَدْتَ صَاحِبَ فَحْصٍ ، ٤
 وَمَتَى مَا أَرَدْتَ قَارِضَ شِعْرِ ، ٥
 وَمَتَى مَا خَطَبْتَ مِنِّي خَطِيْبًا ، ٦
 وَمَتَى حَاوَلَ الرَّسَائِلَ رَسَلِي ، ٧
 يَا لِقَوْمِي ! أَثْقَلَ الْأَرْضَ شَخْصِي ، ٨
 أَنَا مِّنْ خَفِّ وَاسْتَدَقَّ ، فَمَا يُش ٩
 إِنَّ أَكُنْ عَاطِلًا ، لَدَيْكَ ، مِنْ آ ١٠
 فَلَا أَكُنْ عُوْذَةً لِّمَجْلِسِكَ الْمُو ١١
 أَنَا مَوْلَاكَ بِالْمَحَبَّةِ وَالْمِي ١٢
 وَأَنَا الْمَرءُ ، لَا يُحْمَلُ إِلَّا ١٣

.....

- ١ يكبت : يذل .
- ٢ يقول : قطعت رسوأك عني بخلا بان اتخذه لغيراً وبهاء ، اي ارفع رأسي به امام الناس .
- ٣ فحص : اي بحث وثقيق في الامور .
- ٤ خطبت : اي دعوت . خطبي : أمري .
- ٥ الرسل : سهولة الترسل في الشر .
- ٦ يقول : أم شكت الأرض امتلاء من غلاظة خلقتي وضخامتها .
- ٧ الغباء : قلة الفطنة كالغباءة ، أصله الغبا مد لضرورة الشعر . يقول : إن أكن عاطلا من الوسائل التي تجعلني صالحاً لعمل من الاعمال ، وحاشاك ان تجور علي غباوة . جواب إن في البيت التالي .
- ٨ العوذة : الرقية . المولق : المعجب . يطلب الى الوزير ان يجعله رقية لمجلسه ، فيرد عنه الأذى والمهلك .
- ٩ المواق : جميع عائق وهو ما بين المنكب والمنقب . الاعباء : الاحمال الثقيل ، واحدها عب .
- ١٠ الآلاء : النعم .

أَدْنِ شَخْصِي ، إِذَا شَدَّتْ لَكَ بَسْتَانُ نَ ، وَغَنَّتْ غِنَاءَهَا غِنَاءُ^١
 فَاسْتَثَارَتْ مِنَ اللَّحُودِ الْمُغَنِّيَةِ نَ ، فَأُضْحَى أَمَوَاتُهُمْ أَحْيَاءُ^٢
 يَا لِإِحْضَارِهَا ، مَعَ ابْنِ سُرَيْجٍ ، مَعْبَدًا وَالْغَرِيضَ وَالْمِيلَاءُ^٣
 وَتَلَّتْهَا عَجَائِبُ ، فَتَفَنَّتْ مُشَبَّهَاتِ اسْمِهَا صَيَابًا وَلَاءُ^٤
 فَحَكَّتْ هَذِهِ وَتِلْكَ يَمِينِي لَكَ ، إِذَا مَا تَبَارَتَا لِإِعْطَاءِ^٥
 وَاهَوْ قُرْبِي ، إِذَا شَرَعْتَ عَلَى دِجْ لَمَّةَ ، فِي ظِلِّ لَيْلَةٍ قَمَرَاءُ^٦
 + وَحَكَّتْ دِجْلَةٌ أَنْهَلَكَ بَالِنَا ثَلِ وَالْعِلْمِ ، وَاكْتَسَتْ لَأَلَاءُ^٧
 + وَأَعَارَتْ هَوَاءَ دَارِكَ ثَوْبًا ، مِنْ نَدَاها ، فَكَانَ مَاءَ هَوَاءِ^٨
 فَحَكَّى مِنْكَ نَعْمَةَ الْخُلُقِ النَّا عِمِ ، فِي كُلِّ حَالَةٍ ، لِإِنَاءِ^٩
 وَأَجَابَ الْمَلَّاحُ ، فِي بَطْنِهَا ، الْمَلَّاحُ حَ ، يَسْتَحْتُّ بِالسَّفِينِ الْحِدَاءِ^{١٠}

- ١ بستان : اسم مغنية كان الشاعر يهواها . غناء : من بها غنة ، وهي خروج الصوت من الخيشوم ، والنون أشد الحروف غنة .
- ٢ استثارت المغنين من اللحدود : أي بعثهم من القبور أحياء بحسن صوتها . والمراد أنها جددت أصواتهم جميعاً .
- ٣ يا لإحضارها : اللام للتعجب بعد حرف النداء ، ابن سريج ومعبد والغريضة : أشهر المغنين في العصر الأموي ، وكذلك كانت عزة الميلاء من أشهر المغنيات . يقول : إن بستان تحضر بصوتها هؤلاء المغنين الأموات لأنها تحسن تمثيلهم .
- ٤ عجائب : اسم مغنية أخرى كانت تغني للوزير . مشبهات اسمها : أي أغاني تشبه اسمها ، يعني عجائب الأغاني . الصيابة : الخالص والصميم والخيار من كل شيء . ولأه : متابعة دون انقطاع .
- ٥ يمينيك : على تغليب اليمين على اليسار والمراد يداك . يقول : إن بستان وعجائب تتنافسان في الغناء كما تتنافس يداك في العطاء .
- ٦ شرعت : أي رفعت شراع السفينة لتتمخر .
- ٧ النائل : العطاء . الأللاء : الضوء والفرح التام . يريد أنها ضاءت وابتهجت بالوزير .
- ٨ فحكى : الضمير يعود إلى الماء الهواء . النعمة : التمتع . إثناء : أي مدحاً لك ، من أثنى عليه .
- ٩ في بطنها : الضمير يعود إلى دجلة . احتت : ساق وحض على السرعة . السفين : السفن ، جمع سفينة . وقوله : يبحث بالسفين الحداء : من القلب ، ووجه الكلام يبحث السفين بالحدا . أو أراد أن هذه السفن الماخرة في دجلة كانت تستثير غناء الملاحين .

واذكّرني ، إذا استثرت سحاباً ، ذات يوم : عشيّة أو ضحاه^١
 فتعلّلت فوّارة* ، تحسّد الخضمّ راءُ لإغداق مائها الغبراء^٢
 كلّما أخلفت سماء زماناً ، خلقت فيه ديمة هطلاء^٣
 سحسحت ماءها على كل أرض ، بعدما صافحت به الجوزاء^٤
 فحكّت كفك التي تخلف المز ن ، علينا ، فترغم الأنواء^٥
 قد بغى قبلك الدعي ، فلم أح فمل بأن كان باغياً بغاء^٦
 بل تصبّرت ، وانتظرت من الله نآداً ، نصيبه ، دهيا^٧
 فاعتبر بابل بلبل ، إن فيه عيرة لامرئ أعد وعاء^٨
 والعلاء بن صاعيد ، قبل هذا ، قد حمى دون رائدي الأحماء^٩
 فارم بالطرف شخصه ، هل تراه ؟ وادعه الدهر ، هل يجيب دُعاء ؟
 ليس إلا لآتني كنت شمساً ، قابلت منه مقلة عشواء^{١٠}

- ١ واذكرني : واذكرني . استثرت سحاباً : أي رفعت ونشرته ليمطر . وأراد بالسحاب المطر الفوّارة التي يرتفع ماؤها كالسحاب ثم يهبل على الأرض ، وسيأتي ذكرها . الضحاه : دنو انقضاء النهار .
 ٢ الخضر : السماء . الغبراء : الأرض . وقوله : السماء تحسد الأرض ، لأنها نافستها في المطر .
 ٣ أخلفت السماء : لم تأت بالمطر . خلقت : عوضت . الديمة : المطر الذي يتوّم بلا برق ولا رعد . هطلاء : متابعة المطر .
 ٤ سحسحت : صبت مائها وأفاخته . الجوزاء : برج في السماء .
 ٥ ترغم : تذل . الأنواء : جمع نوء وهو سقوط نجم في المغرب وطلوع آخر في المشرق ، وكان العرب ينوطون نزول المطر بهذه الأنواء . والمعنى : أن يد المدوح تغني عن المطر . وأن الفوّارة تحكي كفه في أهلاطها .
 ٦ الدعي : يريد به اسماعيل بن بلبل وزير المعتمد وكان ينتسب إلى شيبان ، وقيل إن في نسبة ريباً .
 ٧ النّاد : الداهية . الدهيا : الشديدة .
 ٨ الوعاء : هنا الصدر ؛ أي أعد صدره وعاء للعب .
 ٩ أبو عيسى العلاء بن صاعد : كان من وزراء الدولة . الرائد : الذي يرسله القوم ليطلب لهم المرعى ، ويريد به شعره . الأحماء : جمع حمى .
 ١٠ العشواء : الضميمة البصر . والمعنى : أن هذا الوزير لم يهلك إلا لأنه أنكر فضل الشاعر كما تنكر المقلة العشواء نور الشمس .

فأرانيسه ناصري وأباه^١ ، وله الحمد^٢ ! مثله شواه^٣
 أنا عبد^٤ الإنصاف^٥ ، قرن^٦ التعدي^٧ ؛ فاسلك^٨ القصد^٩ بي ، وعد^{١٠} العداء^{١١}
 أنا ذو صفحتين^{١٢} : مكنساء^{١٣} حسنا^{١٤} ؛ وأخرى^{١٥} تمسها^{١٦} خشناء^{١٧}
 خاشع^{١٨} تارة^{١٩} ، وجبار^{٢٠} أخرى^{٢١} ؛ فتراني أرضاً ، وطوراً^{٢٢} سماء^{٢٣}

مدح أحمد بن ثوابه

من قصيدة مدح بها أحمد بن ثوابه ، ويمتلئ من السفر اليه خوفاً من البر والبحر في الصيف والشتاء ، ويطلب اليه ان يميزه دون ان يركبه هذا المركب الخشن :

ولما دعاني للمثوبة^١ سيد^٢ ، يرى المدح عاراً قبل^٣ بدل^٤ المثاروب^٥
 تنازعني رغب^٦ ورهب^٧ ، كلاهما^٨ قوي^٩ ، وأعياي^{١٠} اطلع^{١١} المغايب^{١٢}
 فقدمت^{١٣} رجلاً^{١٤} ، رغبة^{١٥} في رغبة^{١٦} ، رهبة^{١٧} للمعاطيب^{١٨}
 أخاف^{١٩} على نفسي^{٢٠} ، وأرجو^{٢١} مفازاها^{٢٢} ، وأستار^{٢٣} غيب^{٢٤} الله^{٢٥} دون^{٢٦} العواقيب^{٢٧}
 ألا من^{٢٨} يريني غايي^{٢٩} قبل^{٣٠} مذهبي^{٣١} ؟ ومن أين^{٣٢} ؟ والغايات^{٣٣} بعد^{٣٤} المذهاب^{٣٥}
 ومن^{٣٦} لنكبة^{٣٧} لاقيتها^{٣٨} ، بعد^{٣٩} نكبة^{٤٠} ، رهبت^{٤١} اعتساف^{٤٢} الأرض^{٤٣} ذات^{٤٤} المناكب^{٤٥}

- ١ ناصري : يريد به الله . المثلة : التنكيل ، ورجل مثله : منكل به ، وهو أن تقطع بعض أعضائه أو يسود وجهه . الشواه : القبيحة . يقول : أرانيه الله وأراني أباه مثله شواه .
- ٢ القصد : الاعتدال . عد : تجاوز . العداء : الظلم والعدوان .
- ٣ الصفحة : جانب الشيء .
- ٤ المثوبة : الثواب ، أي المكافأة ، وجميعها المثاروب ؛ استعمل هذه اللفظة قصداً لأن ثوابه نسب المملوح مشتق منها . والشاعر يعني بمثل هذه الاشتقاقات .
- ٥ أعياي اطلع المغايب : أي أعجزه عرفان الغيب ليعلم ما هو مقدر له في هذا السفر .
- ٦ الرغبة : العطاء الكثير .
- ٧ المفاز : الفوز .
- ٨ غايي : أي نهاية سفري قبل ذهابي . من أين : أي من أين لي ذلك .
- ٩ الاعتساف : اللهاب في الأرض على غير هداية . المناكب : النواحي ، واحداً منكب .

وصبري على الإفتارِ أيسرُ مَحْمِلًا^١ عليّ من التفريرِ بَعْدَ التَّجَارِبِ^٢
لَقِيتُ منَ البرِّ التَّباريحَ ، بَعْدَما لَقِيتُ منَ البَحْرِ اِبْيَضاضَ الدَّوَابِّ^٣
سُقِيتُ على رِيٍّ بِهِ أَلْفَ مَطَرَةٍ ، شَغِيتُ لِبُغْضِهَا بِحُبِّ المَجَادِبِ^٤
ولم أَسْقِها ، بل ساقها لِمَكِيدَتِي ، تَحَامُقُ دَهْرٌ ، جَدَّ بِي كالمُلاصِبِ^٥
إلى الله أَشْكُو سُخْفَ دَهْرِي ، فَإِنَّهُ يَحَايِشِي ، مُدَّ كُنْتُ ، غَيْرَ مُطَالِبِي^٦
أَبَى أَنْ يُغِيثَ الأَرْضَ ، حَتَّى إِذَا ارْتَمَتْ بِرَحْلِي ، أَنَاها بِالغُيُوثِ السَّوَائِبِ^٧
سقى الأَرْضَ ، من أَجْلِي ، فَأَضْحَتْ مَزَلَّةً ، تَمَائِلَ صَاحِبِهَا تَمَائِلَ شَارِبِ^٨
لَتَعْوِيقِ سِيرِي أَوْ دُحُوضِ مَطِيَّتِي ، وَإِخْصَابِ مُزَوَّرٍ ، عَنِ المَتَجِدِ ، نَاكِبِ^٩
فَمِلْتُ إلى حَانَ مَرِثٍ بِنَاوَهُ ، مَمِيلَ غَرِيقِ الثَّوبِ ، لَهْفَانٍ ، لَأَغْبِ^{١٠}
فَلَمْ أَلْقَ فِيهِ مُسْتَرَاحًا لِمُتَعَبٍ ، وَلَا نُزُلًا ، أَيَّانَ ذَاكَ ، لَسَاغِبِ^{١١}

- ١ الافتار : ضيق العيش . التفرير : تعريض النفس للمخاطر .
٢ التباريح : شدة الأذى ، واحدها تبريح . الدواب : النواصي ، واحدها ذؤابة .
٣ المجادِب : جمع المجداب وهي الأرض التي لا تكاد تخبص . يقول : هطل علي مطر كثير وأنا مسافر في البر ، على غير حاجة بي إلى الري ؛ حتى أصبحت لبغض هذه الأمطار أحب الأراضي المجربة التي لا تمطرها السماء .
٤ يقول : لم تنزل هذه الأمطار لأرتوي منها ، بل ساقها الدهر الأحبق لمكيدتي ، فكان كأنه يلاصبي بيحده .
٥ ارتمت برحلي : أي أخرجه إلى السفر .
٦ المزلة : موضع الزلل أي الزلق . صاحبا : الضمير يعود إلى الأرض .
٧ الدحوض : الزلق . المزور : المنحرف . الناكب : المتنجي . يقول : سقى الأرض لتعويق سيرتي ، وزلق مطيتي ، ولكي يخصب القاعدين عن طلب المجد في الترحال .
٨ الحان : محل نزول المسافرين . المرث : البالي . ميل : ميل ، أي ملت ميل . غريق الثوب : أي غرق ثوبه في الماء لكثرة ما أصابه من المطر . اللفان : المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر . اللاغب : الذي أعياه السير وأتعبه تعباً شديداً .
٩ النزول : قرى الضيف . أيان ذاك : هنا بمعنى حين ذاك ؛ والمشهور أن أيان تأتي بمعنى أي حين للسؤال ، وبمعنى متى لتعظيم الأهمية ، وتضمن معنى الشرط فتجزم المضارع . والأرجح أنها مصحفة عن إبان أي حين . فقوله : إبان ذاك أي حين ذاك . الساغب : الجائع .

فما زلتُ في خوفٍ وجوعٍ ووحشةٍ ، وفي سَهَرٍ ، يَسْتَغْرِقُ اللَّيْلَ ، واصِيبُ^١
يُورَقُنِي سَقْفُ ، كَأَنِّي نَحْتُهُ ، منَ الوَكْفِ ، نَحْتِ المَدَجِنَاتِ الهَوَاضِبِ^٢
تَرَاهُ ، إِذَا ما الطَّيْنُ أَثْقَلَ مَتْنَهُ ، تَصِيرُ نَوَاحِيهِ صَرِيرَ الجَنَادِ^٣
وكم خانٍ سَفَرٍ خانٍ ، فأنقَضَ فوقهم ، كما انقَضَ صَقْرُ الدَّجَنِ فوق الأَرَانِبِ^٤
ولم أنسَ ما لاقَيْتُ ، أَيَّامَ صَحْوِهِ ، منَ الصَّرِّ فيه ، والثَّلُوجِ الأشَاهِبِ^٥
وما زالَ ضاحي البَرِّ يَضْرِبُ أَهْلَهُ ، بِسَوَاطِي عَذَابٍ : جامِدٍ بعدَ ذائِبِ^٦
فإنَّ فَاتَهُ قَطْرٌ وَثَلَجٌ ، فَإِنَّهُ رَهِينٌ بِسَافٍ ، تَارَةً ، أو بِحَاصِبِ^٧
فَلَدَاكَ بَلَاءُ البَرِّ عِنْدِي شَاتِيًا ، وكم ليَ منَ صَيْفٍ ، بِهِ ، ذِي مَثَالِبِ^٨
ألا رُبَّ نَارٍ بِالقَضَاءِ اصْطَلَبَتْهَا ، منَ الضُّحَى ، يُوْدِي لَتَفْحُهَا بِالحَوَاضِبِ^٩
إِذَا ظَلَّتِ البَيْدَاءُ تَطْفُو إِكَامُهَا ، وترسُبُ في غَمْرِ مِينَ الآلِ نَاضِبِ^{١٠}

١ واصب : دائم ثابت .

٢ الوكف : قطر الماء من سقف البيت . المدجنات : السحابة الكثيرة المطر . الهواضب : المواطر .

٣ مئنه : ظهره . وقوله : أثقل مئنه ، لأن اختلاط تراب السقف بماء المطر يجعله طيناً ثقيلاً .

٤ السفر : المسافرين . الدجن : الظلمة . وصقر الدجن : أي الذي يصيد في الظلام .

٥ صحوه : أي صحو البر في الشتاء . الصر : شدة البرد . الأشاهب : جمع أشهب ، يقال : يوم أشهب أي ذو ريح باردة وصقيع ، والأشهب الأبيض يتخلله سواد .

٦ ضاحي البر : ما كان منه منكشفاً بادياً لا ظل له . السوط الجامد : ما تحمله الريح من تراب وحصى . السوط الذائب : المطر والثلج . وسيشرح ذلك في البيت التالي .

٧ بساف : أي بهواء ساف ، وهو الذي يحمل التراب ويدره . الحاصب : ريح شديدة تحمل الحصباء ، أي صفار الحصى ، وتذررها .

٨ المثالب : المايب ، وأحدثها مثلبة وتضم اللام .

٩ الضحى : حرارة الشمس . يودي : يقال أودى به الموت : ذهب به . اللفح : الحر المحرق . والمعنى : حرها يحرق الحواجب .

١٠ تطفو : تملو . الإكام : جمع أكمة ، وهي التل من الحجارة . ترسب : تنزل سفلاً . الغمر : الماء الكثير . الآل : ما يرى كالماء في أول النهار وآخره ، ويرتفع على الأرض حتى يصير كأنه بين الأرض والسماء . الناضب : السائل الجاري وهو صفة للآل في تحركه وجريانه .

فَدَعْ عَنْكَ ذِكْرَ الْبَرِّ ، لِأَنِّي رَأَيْتُهُ ، لِمَنْ خَافَ هَوَلَ الْبَحْرِ ، شَرَّ الْمَهَابِ ١
 كَيْلَا نُزُلَيْهِ : صَيْفُهُ وَشِتَاوُهُ خِلَافٌ لِمَا أَهْوَاهُ . غَيْرُ مُصَاقِبٍ ٢
 لُهُاتٍ مُمَيَّتٍ ، تَحْتَ بَيْضَاءَ سُخْنَةٍ . وَرِيٌّ مُفَيِّتٌ ، تَحْتَ أَسْحَمَ صَائِبٍ ٣
 يَجِفُّ ، إِذَا مَا أَصْبَحَ الرِّيقُ عَاصِباً ، وَيُغْدِقُ لِي ، وَالرِّيقُ لَيْسَ بِعَاصِبٍ ٤
 فَيَسْمَنُ مَنِّي الْمَاءُ ، وَاللُّوْحُ جَاهِدٌ ، وَيُغْرِقُنِي ، وَالرِّيُّ رَطْبُ الْمُحَالِبِ ٥
 وَمَا زَالَ يَبْغِينِي الْخُتُوفَ مُوَارِباً ، يَحُومُ عَلَى قَتْلِي ، وَغَيْرَ مُوَارِبٍ ٦
 فَطَوْرًا يُغَادِينِي بِلِصٍّ مُصَلَّتٍ ، وَطَوْرًا يُمَسِّتُنِي بَوَرْدٍ الشَّوَارِبِ ٧
 إِلَى أَنْ وَقَانِي اللَّهُ مَحْذُورَ شَرِّهِ ، بِعِزَّتِهِ ، وَاللَّهُ أَغْلَبُ غَالِبِ ٨
 فَأَفَلْتُ مِنْ ذُؤْبَانِهِ وَأَسُودِهِ . وَحُرَّابِهِ ، إِفْلَاتٍ أَتُوبُ تَائِبٍ ٩

- ١ المهاب : جمع مهب وهو الشيء الذي يهابه الناس والمكان الذي يهاب فيه ، أخذ من قولهم : هوب الرجل ، بمعنى هيب : أي خيف جانبه . نقلوا من الياء إلى الواو والمراد أن البر أشد هولاً من البحر .
- ٢ النزل : الفضل والعطاء . المصاقب : المواجه والمداني .
- ٣ اللهاث : حر العطش في الجوف . البيضاء : الشديدة الحرارة ، أي شمس شديدة الحرارة محرقة . يقال بيضاء القيظ : أي صميم الحر . الري : ما يروي العطش . المفيت : اسم فاعل من أفاته الأمر : جعله يذهب عنه . الأسحم : السحاب . الصائب : الماطر . يقول : إنه يعطش في البر وهو تحت سماء محرقة ، فلا يجد ما يبرد عطشه ؛ ويذهب عنه العطش ، وهو تحت سحاب ماطر . فريه في ذلك الوقت يفيته الماء أي يجعله يذهب عنه دون أن يستفيد منه .
- ٤ يجف : الضمير يعود إلى السحاب الماطر . الريق العاصب : الذي جف في الفم .
- ٥ اللوح : العطش وتضم اللام . المحالب : جمع المحلب وهو الإثاء الذي يحلب فيه . يقول : ينرقني ماء المطر والري وافر عندي . وقوله : رطب المحالب ، أي الأواني حافلة بالماء أو اللبن .
- ٦ الختوف : جمع الختف وهو الموت . موارباً : مخاتلاً ومخادعاً .
- ٧ المصلت : هنا بمعنى الصلت والمصلت ، ولم تذكره المعاجم التي بين أيدينا ؛ يقال : رجل صلت ومصلت ، أي شجاع ، والذي يصل على الناس ، يعني يأتي عليهم في حوائجهم ؛ ومنه : الصلت بكسر الصاد ، وهو اللص ، وقد يكون المصلت بكسر اللام وتشديدها بمعنى المصلت أي المجرد سيفه . الورد : الضارب لونه إلى الحمرة وهو من صفات الأسد ؛ يقال : أسد ورد . الشوارب : الشعر النابت فوق الفم ؛ فقله ورد الشوارب : أراد به الأسد .
- ٨ الذؤبان : جمع ذئب . الحراب : جمع حارب وهو الذي يسلب أموال الناس في الطريق . أتوب تائب : أي أعظم تائب عن سفر البر .

وأما بلاءُ البحرِ عِندي ، فإنه
ولو ثابَ عَقلي لم أدعُ ذِكرَ بعضِهِ ،
ولم لا ، ولو أَلقيتُ فيهِ وصخرةً ،
ولم أتعلَّم قطَّ من ذي سِباحةٍ
فأيسرُ لإشفاقي مِنِ الماءِ أني
وأخشى الردى منه على كلِّ شارِبٍ ،
أظَلُّ ، إذا هزته رِيحٌ ، ولأَلاتُ
كأنني أرى فيهنَّ فرسانَ بُهمةٍ ،
فلن قلتُ لي : « قد يُركَبُ اليمُّ طامياً ،
فلا عُلرَ فيها لامرئٍ هابٍ مثلها ،
فلن احتِجاجي عنك ليسَ بنائِمٍ ،
لدِجلةٍ خبٌ ، ليسَ لييمٌ ، لأنها

طَواني على رَوَعٍ معَ الرُّوحِ ، واقبِ
ولكينه ، مِن هَوَلِهِ ، غيرُ ثائِبٍ
لَوافيتُ منه القَمَرَ أوَّلَ راسِبٍ
سوى الغوصِ ، والمضغوفِ غيرُ مُغالِبٍ
أمرُّ بهِ ، في الكُوزِ ، مرَّ المُجانِبِ
فكَيْفَ بأمنيه على كلِّ راكِبٍ
لهُ الشَّمسُ أمواجاً طِوالَ الغوارِبِ
يلُيِّحونَ ، نحوي ، بالبُسيوفِ القواضبِ
ودِجلةٌ ، عندَ اليمِّ ، بعضُ المَذائِبِ
وفي السُّجَّةِ الخَضراءِ عُدُرٌ لِهائِبِ
وإنَّ بَياني ليسَ عَنِّي بعازِبِ
تُراني بِحِلْمٍ تحتَهُ جَهْلٌ وائِبِ

- ١ الروح : الفزع . الواقب : الداخل . والمراد : فزع داخل فيه مع روحه .
- ٢ ثاب : رجع . يقول : إن عقله ثرد عنه من فزع البحر ، ولذلك لا يستطيع أن يصف إلا بعض بلاءه ، ولو رجع إليه عقله لما كان أهمل وصف بعضه الآخر ولكن عقله من هوله غير راجع .
- ٣ لم لا : سكنت الميم للشعر وهي في الأصل مفتوحة . والمعنى : لم لا أفزع من البحر ويذهب عقلي من هوله ، ولو ألقيت فيه وألقيت معي صخرة لسيقتها إلى قمره .
- ٤ سوى الغوص : أي سوى الفرق . المضغوف : الضميف . غير مغالب : أي لا يغالب القوي .
- ٥ الإشفاق : الخوف . يقول : أقل خوئي من الماء أني إذا رأيته في الكوز مررت به متجنباً إياه .
- ٦ أمنيه : أي أمني إياه . أي كيف آمنه على كل راكب ، أي كل مسافر فيه .
- ٧ لألات : لأعبت . الغوارب : أعالي الموج .
- ٨ فيهن : أي في الأمواج . البهمة : البهيم . يليحون : يلوحون . القواضب : القواطع .
- ٩ اليم : البحر . طامياً : زائحاً عالياً . المذائِب : جمع مذنب وهو مسيل الماء والجداول .
- ١٠ السُّجَّة الخضراء : عرض البحر ومعظم مائه .
- ١١ العازب : الغائب .
- ١٢ الحب : الخداع والخبث . تراني : تري خلافاً ما هي عليه .

تَطَامَنُ حَتَّى تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ، وَتَغْضَبُ مِنْ مَرَحِ الرِّيحِ اللِّوَاعِبِ^١ ،
وَأَجْرَافُهَا رَهْنٌ بِكُلِّ خِيَانَةٍ ، وَغَدِيرٌ ، فَفِيهَا كُلُّ عَيْبٍ لِعَائِبِ^٢ ،
تَرَانَا ، إِذَا هَاجَتْ بِهَا الرِّيحُ هَيْجَةً ، نَزَلْزَلُ^٣ ، فِي حَوَامِيهَا ، بِالْقَوَارِبِ^٤ ،
نُؤَائِلُ^٥ مِنْ زِلْزَالِهَا نَحْوَ خَسْفِهَا ، فَلَا خَيْرَ فِي أَوْسَاطِهَا وَالْجَوَائِبِ^٦ ،
زَلْزِلُ^٧ مَوْجٍ فِي غِيَامٍ زَوَاحِيرٍ ، وَهَدَاتُ^٨ خَسْفٍ فِي شُطُوطِ خَوَارِبِ^٩ ،
وَاللِّيمِ^{١٠} أَعْدَارُ^{١١} بَعْرَضٍ مُتَّوْنِهِ ، وَمَا فِيهِ مِنْ آذِيَةٍ الْمُتْرَاكِيبِ^{١٢} ،
وَلَسْتَ تَرَاهُ فِي الرِّيحِ مُزْلَزَلًا ، بِمَا فِيهِ ، إِلَّا فِي الشَّدَادِ الْغَوَالِبِ^{١٣} ،
وَلِنْ خَيْفَ مَوْجٍ ، عَيْدَ^{١٤} مِنْهُ بِسَاحِلٍ ، خَلِيٍّ مِنْ الْأَجْرَافِ ذَاتِ الْكَبَاكِيبِ^{١٥} ،
وَيَلْفِظُ مَا فِيهِ ، فَلَيْسَ مُعَاجِلًا ، غَرِيقًا بَغْتٍ ، يُزْهَقُ النَّفْسَ ، كَارِبِ^{١٦} ،
يُعَلِّلُ^{١٧} غَرَقَاهُ إِلَى أَنْ يُغِيثَهُمْ ، بِصُنْعٍ لَطِيفٍ مِنْهُ ، خَيْرِ مُصَاحِبِ^{١٨} ،
فَتُلْفَى^{١٩} الدَّلَافِينَ الْكَرِيمُ طِبَاعُهَا ، هُنَاكَ ، رِعَالًا ، عِنْدَ تَكْبِ النَّوَائِبِ^{٢٠} ،

- ١ تطامن : تظهر السكون والاطمئنان .
- ٢ الأجراف : جمع الجرف وهو الخالب الذي أكله الماء من حاشية النهر .
- ٣ بها : الضمير يعود إلى دجلة . حوامتها : أي أواسطها التي يعظم الماء فيها ويشد شطرها .
- ٤ نوايل : نلجاً . خسفها : أي أجرافها التي تخسف ويأكلها الماء .
- ٥ الغمار : المياه الكثيرة . الهدات : الهدات .
- ٦ المتون : جمع المتن وهو الظهر . الآذي : الموج . المتراكب : الذي يركب بعضه بعضاً . والمعنى أنه يعدر البحر إذا زلزلت فيه السفن لأنه عظيم واسع متكاثر الأمواج .
- ٧ بما فيه : أي مع ما فيه من سفن ومسافرين . الشداد الغوالب : أي العواصف الشديدة الغالبة التي لا تقاوم .
- ٨ هيد : يلجئ . الكباكب : جمع الككب وهو الطين المتجمع كتلا . والمراد أن ساحل البحر ليس عرضة للانهيار كساحل النهر .
- ٩ يلفظه : يرمي به . الفت : النفط في الماء . كارب : محزن . والمراد : يلفظ البحر الفريق فلا يبتلعه بل يتركه طافياً ، ولا يعاجله بالإغراق كالنهر .
- ١٠ يقول : إن البحر يعمل غرقاه بالنجاة ، إذ يتركهم عائمين على وجهه إلى أن ينجدهم بعمل لطيف منه خير مصاحب للرقى ؛ يشير بذلك إلى الدلافين في البيت التالي .
- ١١ الدلافين ، جمع دلفين : دابة بحرية كان يعتقد الأقدمون أنها صديقة للإنسان تنجيه من الفرق . الرعال : جمع رعل وهو القطعة من الخيل أو البقر تأتي في المقدمة ، استعيرت هنا للدلافين ، ويكون عددها من العشرين إلى الخمسة والعشرين .

مَراكِبَ للِقَومِ الدِّينِ كَتابِهِمْ ، فَهَمُّ وَسَطَهُ غَرَقَى ، وَهَمٌ فِي مَراكِبِ^١
وَيَتَقَضُّ أُلُوحَ السَّفِينِ ، فَكُلُّهَا مُنَجِّجٌ ، لَدَى نَوْبٍ ، مِنَ الْكَسْرِ ، نَائِبِ^٢
وَمَا أَنَا بِالرَّاضِي عَنِ الْبَحْرِ مَرَكَبًا ، وَلَكِنِّي عَارَضْتُ شَغَبَ الْمُشَاغِبِ^٣

الهجاء

هجاء البحري

من قصيدة يهجو بها البحري :

قَدْ قُلْتُ ، إِذْ نَحَلُّوهُ الشَّعْرَ : حَاشَ لَهُ^١ إِنَّ الْبُرُوكَ بِهِ أَوَّلِي مِّنَ الْخَبَبِ^٢
أَلْبَحْرِيُّ ذُنُوبَ الْوَجْهِ نَعْرِفُهُ ، وَمَا رَأَيْنَا ذُنُوبَ الْوَجْهِ ذَا أَدَبِ^٣
أَنْتَى يَقُولُ مِّنَ الْأَقْوَالِ أَتَقَبَّهَا ، مِّنْ رَّاحَ يَحْمِلُ وَجْهًا سَابِغَ الدَّنَبِ^٤
لَتَهْفِي عَلَى أَلْفِ مُوسَى فِي طَوِيلَتِهِ ، إِذَا ادَّعَى أَنَّهُ مِّنْ سَادَةِ الْعَرَبِ^٥
أَوْ قَالَ : « إِنِّي قَرِيعُ النَّاسِ كُلِّهِمْ^٦ » فِي الشَّعْرِ ، وَهُوَ سَقِيمُ الشَّعْرِ وَالنَّسَبِ^٧

١ كُتِبَ بِهِمْ : أَيِ الْقَلْبِ الْبَحْرِ بِهِمْ .

٢ يَقُولُ : إِنَّ الْبَحْرَ يَفْكَكُ أُلُوحَ السَّفِينَةِ إِذَا نَزَلَتْ بِهَا نَائِبَةٌ فَكَسَرَتْهَا ، فَتَكُونُ هَذِهِ الْأُلُوحُ مُنَجِّجَةً لِلْفَرَقِيِّ .

٣ عَارَضْتُ شَغَبَ الْمُشَاغِبِ : أَيِ عَارَضْتُ مَنْ يَشَاغِبُ ، أَيِ يَهِيجُ الشَّرَّ فِي زَعْمِهِ أَنَّ السَّفَرَ فِي دَجَلَةٍ أَهْوَنَ مِنَ السَّفَرِ فِي الْبَحْرِ .

٤ الْبُرُوكَ : لِلْجَمَلِ كَالْجُلُوسِ لِلْإِنْسَانِ . الْخَبِبُ : ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَهُوَ خَطِرٌ فَسِيحٌ ، يَنْقُلُ فِيهِ الْفَرَسُ أَيَامَهُ جَمِيعًا وَأَيَّامَهُ جَمِيعًا . وَالْخَبِبُ عِنْدَ أَهْلِ الْعَرُوضِ بَحْرٌ مِنْ بَحُورِ الشَّعْرِ ، وَهُوَ فَعْلُنٌ ثَمَانِي مَرَّاتٍ ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا بِصُورَةِ التَّوْرَةِ . شَبَّ الْبَحْرِيُّ بِالْجَمَلِ يَصْلُحُ لِلْبُرُوكِ ، وَلَا يَصْلُحُ لِسِيرِ الْخَبِبِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْخَبِبَ لِيُورِي بِهِ عَنِ الشَّعْرِ مُسْتَعْمِلًا الْجُزْءَ لِلْكُلِّ .

٥ ذُنُوبُ الْوَجْهِ : أَيِ لَهُ ذُنُوبٌ فِي وَجْهِهِ ، وَيُرِيدُ لِحْيَتَهُ .

٦ أَتَقَبَّهَا : أَتَفْلَحُهَا . سَابِغٌ : طَوِيلٌ .

٧ الْقَرِيعُ : الْمَقَارِعُ أَيِ الْمَغَالِبِ .

أَلْحَظْ أَعْمَى ، وَلَوْ لَا ذَاكَ لَمْ تَرَهُ
قُبْحًا لِأَشْيَاءَ يَأْتِي الْبُحْتَرِيُّ بِهَا !
كَأَنَّهَا ، حِينَ يُصْغِي السَّامِعُونَ لَهَا ،
رُقَى الْعَقَارِبِ ، أَوْ هَدَرُ الْبُنَاةِ ، إِذَا
وَقَدْ يَجِيءُ بِخِلْطٍ ، فَالْتِّحَاسُ لَهُ ،
سَمِينُ مَا نَحْلُوهُ ، مِنْ هُنَا وَهَنَا ،
يُسَيِّءُ عَقًّا ، فَإِنْ أَكَدَتْ وَسَائِلُهُ ،
إِنْ الْوَلِيدَ لَمِغْوَارٌ ، إِذَا نَكَكَلَتْ
عَبْدٌ ، يُغَيِّرُ عَلَى الْمَوْتَى ، فَيَسْلُبُهُمْ
مَا إِنْ تَزَالَ تَرَاهُ لَا يَسَا حُلَلًا ،

لِلْبُحْتَرِيِّ ، بَلَا عَقْلٍ وَلَا حَسَبٍ^١
مِنْ شِعْرِهِ الْغَثِّ ، بَعْدَ الْكَدِّ وَالْتَّعَبِ^٢
مِمَّنْ يُمَيِّزُ بَيْنَ النَّبْعِ وَالْغَرْبِ^٣
أَضْحَوْا عَلَى شَعَفِ الْجِدْرَانِ فِي صَمْعٍ^٤
وَلِلْأَوَائِلِ مَا فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ^٥
وَالْغَثُّ مِنْهُ صَرِيحٌ غَيْرُ مُجْتَلَبٍ^٦
أَجَادَ لِيَصَا شَدِيدَ الْبَاسِ وَالْكَلْبِ^٧
نَفْسُ الْجَبَانِ ، بِعَمِيدِ الْهَمِّ وَالسَّرْبِ^٨
حَرُّ الْكَلَامِ بِجَيْشٍ غَيْرِ ذِي بَلَبٍ^٩
أَسْلَابَ قَوْمٍ مَضَوْا فِي سَالِفِ الْحَقْبِ^{١٠}

.....

- ١ بلا عقل ولا حسب : المراد بذلك الخط .
- ٢ الغث : الضعيف الهزيل .
- ٣ النبع : شجر صلب تصنع منه القمي . الغرب : شجر هث رخو . يكنى بهما عن السمين والغث من الأمور .
- ٤ رقى المقارب : ما يرقى به من تلذغه المقارب ؛ حيث يتكلم الراقي كأنه نر مفهوم . الهدر : سقط الكلام . البناة : البنائون . شعف الجدران : أعاليها ، واحداً شعبة .
- ٥ بخلط : أي بخلط من نحاس وذهب ، والمراد يجيء بشعر مختلط فيه القبيح والحسن .
- ٦ نحلوه : نسبوا إليه من الشعر . من هنا وهنا : أي مجتلب من هنا وهنا . صريح : أي خالص له .
- ٧ يسيء عفاً : أي يأتي بالسيء من الشعر إذا عف عن السرة . أكدت : عجزت وقصرت . الكلب : شدة الإلحاح والحرص على الشيء .
- ٨ نككلت : نكست وجبلت . الهم : العزم على عمل الشيء . وقوله : بعيد الهم ، أي عزوم على الأشياء البعيدة المرام . السرب : الدهاب في الأرض . وهذا الهجو تهكمي في معرض المدح ، يفسره البيت التالي .
- ٩ اللجب : الصوت والجلبة . يقول : إن البحتري يثير على شعر الموتى من الشعراء فيسلبهم معانيهم الجليلة .
- ١٠ الحلل : الثياب . الحقب : الدهر والسنون .

قُلْ لِلْعَلَاءِ أَبِي عَيْسَى الَّذِي نَصَلْتْ بِهِ الدَّوَاهِي ، نُصُولَ الْأَلِّ فِي رَجَبٍ^١
 وَأَمَّنَ اللَّهُ لَيْلَ الْخَائِفِينَ بِهِ ، بَلَّهَ النَّهَارَ ، وَضَمَّ الْأَمَرَ ذَا الشُّعْبِ^٢ ،
 أَيْسَرِقُ الْبُحْتَرِي النَّاسَ شِعْرَهُمْ ، وَأَنْتَ نَكَالُ اللَّصِّ ذِي الرَّيْبِ^٣ ؟
 وَتَارَةً يُتَرَزُّ الْأَرْوَاحَ مَنَطِقُهُ ، فَالْخَلْقُ مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمُغْتَصَبٍ^٤ ،
 نَكَلُهُ ، إِنْ أَنْسَأَ قَبْلَهُ رَكِبُوا ، بِدُونِ مَا قَدْ أَتَاهُ ، بِاسِقَ الْخَشَبِ^٥ ،
 وَالْحُكْمُ فِيهِ مُبِينٌ غَيْرُ مُلْتَبِسٍ ، لَوْ رِيمَ فِيهِ خِلَافُ الْحَقِّ لَمْ يُصَبِّ^٦ ،
 إِذَا أَجَادَ ، فَأَوْجِبْ قَطْعَ مِقْوَلِهِ ، فَقَدْ دَهَى شُعْرَاءَ النَّاسِ بِالْحَرْبِ^٧ ،
 وَإِنْ أَسَاءَ ، فَأَوْجِبْ قَتْلَهُ قَوْدًا بِمَنْ يُمِيتُ ، إِذَا أَبْقَى عَلَى السَّلْبِ^٨

اللمحة الطويلة

إِنْ تَطُلْ لَحْيَةً عَلَيْكَ ، وَتَعْرُضْ ، فَالْمَخَالِي مَعْرُوفَةٌ لِلْحَمِيرِ
 عَلَّقَ اللَّهُ فِي عِذَارَيْكَ مِخْلًا ، وَلَكِنَّهَا بَغِيرَ شَعِيرٍ

- ١ أبو عيسى العلّاء بن صاعد وزير الدولة . نصلت : خرجت أي ذهبت . الأل : السلاح . وكان العرب يمتنعون من الحرب في رجب فكانهم يزعمون سلاحهم فيه .
- ٢ بله : اسم فعل بمعنى دع . الأمر ذا الشعب : أي النواحي المتفرقة ، واحداً شعبة . يقول : إن الله آمن بالوزير ليل الخائف ، دع النهار فهذا من تحصيل الحاصل ، وجمع به (أي بالوزير) نواحي الأمر المتفرق .
- ٣ أيسرق البحتري : يرجع إلى قوله قل للعلّاء . . . النكال : ما نكلت به غيرك ، أي أنزلت به من العقاب ما يحذر الآخريين . الريب : جمع الريبة وهي التهمة .
- ٤ يترز الأرواح : أي يزهاقها ، يقال : أترز الشيء : أيبسه فلا روح فيه .
- ٥ يقول : أنزل به القصاص ، فإن قبله أنسأ صلبوا على الخشب العالي وكانت جرائمهم أقل من الجريمة التي اقترنوا بها .
- ٦ مبين : واضح . ريم : أريد . لم يصب : أي لم يدرك خلاف الحق .
- ٧ المقول : اللسان . الحرب : سلب المال ، والمراد سلب الأشعار .
- ٨ القود : القصاص ، يقال : قتله قوداً بالقتيل . بمن : الباء تبدل . يقول : إن البحتري إذا لم يسلب الشعراء حر كلامهم يأتي بشعر رديء سيء يقتل الناس ، لذلك يجب قتله قوداً بمن يقتلهم .
- ٩ عذاريك : جانبي وجهك المحاذيين للأذن .

لو غدا حُكْمُهَا إِلَيَّ ، لَطَارَتْ
أَلْقِيهَا عَنْكَ ، يَا طَوِيلَةُ ! أَوْ لَا ،
أَرْعَ فِيهَا الْمُوسَى ، فَإِنَّكَ مِنْهَا ،
أَيُّمَا كَوَسَجَ يَرَاهَا ، فَيَلْقَى
هُوَ أَحْرَى بِأَنْ يَشْكُ ، وَيَغْرَى
مَا تَلَقَّاكَ كَوَسَجَ قَطَّ ، إِلَّا
لَحِيَّةٌ أَهْمِلَتْ ، فَسَالَتْ وَفَاضَتْ ،
مَا رَأَتْهَا عَيْنُ امْرِئٍ ، مَا رَأَاهَا
رَوْعَةٌ تَسْتَخِفُّهُ ، لَمْ يَرَعْهَا
فَاتَّقِ اللَّهَ ذَا الْجَلَالِ ، وَغَيْرِ
أَوْ فَقَصِّرْ مِنْهَا ، فَحَسْبُكَ مِنْهَا
لَوْ رَأَى مِثْلَهَا النَّبِيُّ ، لِأَجْرَى

فِي مَهَبِ الرِّيحِ كُلِّ مَطِيرٍ
فَاحْتَبَسَهَا شَرَارَةٌ فِي السَّعِيرِ
يَشْهَدُ اللَّهُ ، فِي إِثْمٍ كَبِيرٍ
رَبَّهُ ، بَعْدَهَا ، صَحِيحَ الضَّمِيرِ
بِاتِّهَامِ الْحَكِيمِ فِي التَّقْدِيرِ
جَوَرَ اللَّهُ أَيُّمَا تَجْوِيرِ
فَالْيَا يُشِيرُ كُلُّ مُشِيرٍ
قَطَّ ، إِلَّا أَهْلَ التَّكْبِيرِ
مَنْ رَأَى وَجْهَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ
مُنْكَرًا فِيكَ ، مُمَكِّنَ التَّغْيِيرِ
نِصْفُ شَيْءٍ عِلَامَةٌ التَّذْكِيرِ
فِي لِحَى النَّاسِ سُنَّةُ التَّقْصِيرِ

- ١ قوله يا طويلة : التفات إلى اللحية ، ولا يخلو من غرابة في الاستعمال . فاحتبسها : فاحتبسها ، أي اجعلها وقفاً للنار ، يريد بذلك أنه في إثم منها . وهذا يفسره البيت التالي .
- ٢ أَرعَ : سرح ، أي سرح فيها موسى لتأكل منها ، كما تسرح الماشية في المرعى . الإثم : الإثم .
- ٣ الكوسج : الخفيف اللحية الذي لا يثبت الشعر على عارضيه ، وإنما على ذقنه .
- ٤ يغرى بالشيء : يولج به . الحكيم : من الأسماء الحسنَى . التقدير : تقسيم الأرزاق .
- ٥ جوره : نسب إليه الجور . والمراد أن الكوسج يكفر ويقول بأن الله غير عادل في تقسيم الأرزاق ؛ فيكون صاحب اللحية العلوية مسؤولاً لدى الله عن كفره .
- ٦ أهل : رفع صوته . التكبير : القول الله أكبر .
- ٧ الروعة : الفرعة . استخفه الفزع : حركه وأخرجته عن رباطة جأشه . منكر ونكير : هما ، عند المسلمين ، ملكان يقومان بفتنة الموتى في قبورهم ، أي بامتحانهم واختبارهم ، ويكون لهم في هذه الفتنة أشد الهول والعذاب . ومن الدعاء : أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات .

واستَحَبَّ الإحْفَاءَ فِيهِنَّ وَالْحَلَاةَ قَى ، مَكَانَ الإِعْفَاءِ وَالتَّوْفِيرِ

وجه عمرو

قال يهجو عمرأ النصراني ، ويستدل من أهاجيه له أنه كان حاجب الوزير ، وكان يمع ابن الرومي فلا يأذن له بالدخول :

وَجْهُكَ ، يَا عَمْرُو ، فِيهِ طُولٌ ؛ فِي وَجْهِهِ الْكِلاِبِ طُولٌ
مَقَابِيحُ الْكَلْبِ فِيكَ طُرًّا ، يَزُولُ عَنْهَا ، وَلَا تَزُولُ^٢
وَفِيهِ أَشْيَاءُ صَالِحَاتٌ ، حَمَّاكَهَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ^٣ ؛
فَالْكَلْبُ وَافٍ ، وَفِيكَ غَدْرٌ ، فَفِيكَ عَنْ قَدْرِهِ سَفُولٌ
وَقَدْ يُحَامِي عَنِ الْمَوَاشِي ، وَمَا تُحَامِي وَلَا تَصُولُ^٤
وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ سَوْءٍ ، قِصَّتُهُمْ قِصَّةٌ تَطُولُ^٥ ؛
وَجُوهُهُمْ لِلْوَرَى عِظَاتٌ ، لَكِنَّ أَقْفَاءَهُمْ طَبُولُ^٥
نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . قَدْ فَعَلْنَا مَا يَفْعَلُ الْمَائِقُ الْبُجْهُولُ^٦
مَا إِنْ سَأَلْنَاكَ مَا سَأَلْنَا ، إِلَّا كَمَا تُسَالُ الطُّلُولُ^٧

١ الإحفاء : هو أن يبالغ في قص الشوارب والأخذ منها . فيهن : أي في اللحي . الإعفاء : ترك اللحي تطول فلا يؤخذ منها . وفي الحديث النبوي ، إنه أمران : تحفى الشوارب ، وتعفى اللحي . التوفير : أي توفير شعر اللحية ، وهو الإعفاء . والمراد أنه لو رأى النبي مثل هذه اللحية لجعل الإحفاء في اللحي سنة مكان الإعفاء .

٢ طرأ : جميعاً . يزول عنها ولا تزول : أي يترك الكلب هذه المقابيح وأنت لا تتركها .

٣ حماكها : منعهك إياها .

٤ سوء : شر .

٥ الأقفاء ، جمع القفا : مؤخر العنق . يقول : إن وجوههم لقبها تعظ الناس فتدعوهم إلى الزهد في الدنيا وملذاتها . ولكن أقفاهم تدعوهم إلى اللهو بصفعها فكأنها طبول يضرب عليها . وصفع القفا : يدل على لوم المصنوع وذله .

٦ المائق : الأحمق .

٧ ما سألنا : أي ما سألنا من حاجة .

صَتَّ وَعَيَّتْ ، فلا خِطَابُ ، ولا كتابُ ، ولا رَسُولُ
مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ فَعُولُ ، مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ فَعُولُ
بَيْتُ كَمَعْنَاكَ ، لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى ، سِوَى أَنَّهُ فُضُولُ^١

المدح المردود

وقال يهجو شخصاً كان قد مدحه ، فرد إليه الشعر ، وقال له امدح به غيري :
رَدَدْتَ عَلَيَّ مَدْحِي بَعْدَ مَطْلٍ ، وقد دَنَسْتَ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَ
وقلت : « امدح به من شئت غيري » ومن ذا يَقْبَلُ المَدْحَ الرَّدِيدَ ؟
ولا سِيما ، وقد أُعْبِتَ فِيهِ مَخَازِيكَ اللّوَايِ لَنْ تَبِيدَ^٢
وما للحَيِّ ، في أَكْفَانٍ مَيِّتٍ ، لَبُوسٌ ، بَعْدَ مَا امْتَلَأَتْ صَدِيدَ^٣

الفضول : جمع فضل وهو الزيادة . ويستعمل الجميع استعمال المفرد في الزيادة التي لا خير فيها .
كما استعمل هنا .

لا سيما : مخفف لا سيما . أعقب : هنا بمعنى عقب أي نشر الرائحة ، ولم نجد له ذكراً في المعاجم
التي وقفنا عليها ؛ وهذه رواية الديوان . وفي معاهد التنصيص : أعلقت ، أي أنشبت أو علقت .
٣ الصديد : ماء الجرح الرقيق إذا سال ، أو هو القيح المختلط بالدم . والمراد هنا ما يسيل من جثة الميت .
والمعنى : أن المدح بعد أن عبقت فيه مخازي الممدوح ، صار مثل كفن الميت سال عليه الصديد ،
فأي شيء يلبسه من بعده حتى يمدح به غيره ؟

الرثاء

رثاء ولده الأوسط

بُكَاءُكُمْ كَمَا يَشْفِي ، وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِي ،
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْمَنَايَا وَرَمَيْهَا ،
تَوَخَّى حِمَامُ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صَيِّتِي ،
عَلَى حِينَ شِمْتُ الْخَيْرَ مِنْ لِمَحَاتِي ،
طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي ، فَأُضْحِي مَزَارَهُ
لَقَدْ أَنْجَزْتَ فِيهِ الْمَنَايَا وَعَيْدَهَا ،
لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ لَبِثُهُ ،
أَلَحَّ عَلَيْهِ النَّزْفُ ، حَتَّى أَحَالَهُ
وِظْلَ عَلَى الْأَبْدِي تَسَاقَطُ نَفْسُهُ ،
فَيَا لَكَ مِنْ نَفْسٍ ، تَسَاقَطُ أَنْفُسًا
عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ ،
وَمَا سَرَرَنِي أَنْ بَعَثَهُ بِثَوَابِهِ ،
فَجُودًا ، فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمْ عِنْدِي^١
مِنَ الْقُومِ ، حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ، عَلَى عَمْدِي^٢
فَلَيْلَهُ ! كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعَقْدِ^٣ !
وَأَلَسْتُ مِنْ أَعْمَالِهِ آيَةً الرُّشْدِ^٤ !
بَعِيدًا عَلَى قُرْبٍ ، قَرِيبًا عَلَى بُعْدٍ
وَأَخْلَفْتَ الْأَمَالَ مَا كَانَ مِنْ وَعْدٍ
فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ الْمَهْدِ ، إِذْ ضُمَّ فِي اللَّحْدِ
إِلَى صُفْرَةِ الْجَادِي عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ^٥ .
وَيَلْدُوِي كَمَا يَلْدُوِي الْقَضِيبُ مِنَ الرَّنْدِ^٦
تَسَاقَطَ دُرٌّ مِنْ نِظَامٍ بَلَا عَقْدِ^٧
وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ^٨
وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ^٩

١ بكاءكم : خطاب لعينيه .

٢ الحيات : جمع حية ؛ رحية القلب ؛ سويداؤه ، وهي هنة سوداء ليه .

٣ واسطة العقد : الجوهرة التي في وسطه .

٤ شئت : نظرت ، آلتست : نظرت وعلمت . الآية : العلامة .

٥ الجادي : الزعفران .

٦ يلدوي : يذبل . الرند : شجر طيب الرائحة يشبه الآس .

٧ يقول : إن ولده تلاشى شيئاً فشيئاً ، فكان نفسه تتساقط أنفاساً مجزأة كما يتساقط الدر من سلك غير معقود .

٨ ينفطر : ينشق . الصلد : الصلب .

٩ بعته بثوابه : أي بدلا مما يلقاه من أجر أو جزاء .

ولا بعته طوعاً ، ولكن غصينه ،
 وإنني ، وإن متعت بابني بعده ،
 وأولادنا مثل الجوارح ، أيها
 لكل مكان لا يسد اختلاله
 هل العين ، بعد السمع ، تكفي مكانه ؛
 لتعمري ! لقد حالت بي الحال بعده ،
 ثكلت سروري كله ، إذ ثكلته ،
 أريحانة العينين والأنف والحشا ،
 سأسقيك ماء العين ، ما أسعدت به
 أعيني ، جوداً لي ، فقد جدت للثرى
 كائني ما استمتعت منك بضممة ،
 ألام لما أبدي عليك من الأسي ،
 محمد ! ما شيء تؤهم سلوة
 أرى أخويك الباقيين كليهما

وليس على ظلم الحوادث من معد^١
 لذكيره ما حنت النيب في نجد^٢
 فقدناه ، كان الفاجع البين فقد^٣
 مكان أخيه من جزوع ولا جلد^٤
 أم السمع ، بعد العين ، يهدي كما تهدي^٥
 فيا ليت شعري ، كيف حالت به بعدي^٦
 وأصبحت في لذات عيشي أخا زهد
 ألا ليت شعري ، هل تغيرت عن عهدي^٧
 وإن كانت السقيم من العين لا تجدي^٨
 بأنفس مما تسألان من الرقد^٩
 ولا شمة في متعب لك ، أو مهد
 وإنني لأخفي منك أضعاف ما أبدي
 لقلبي ، إلا زاد قلبي من الوجد
 يكونان للأحزان أوري من الرند^٩

١ معد : معين ؛ من أعلى فلاناً على الأمر أهاله ونصره .

٢ النيب : جمع الناب ، وهي الناقة المسنة .

٣ الجوارح : أعضاء الإنسان التي تكتسب كالعين والأذن والأنف .

٤ الجزوع : الذي لا يصبر ، ضد الجلد . يقول : لكل من الجوارح مكان في جسم الإنسان ، فإذا اختل عضو منها ، لا يسد خله العضو الآخر سواء كان في جسم شخص جزوع أو شخص جلد .

٥ مكانه : أي مكان السمع .

٦ حالت بي الحال : أي تغيرت .

٧ ما أسعدت به : أي ما أسعفت بالدمع .

٨ الرقد : الجود والعتاء . يقول لعليه : جوداً لي بالدمع واسعفاني به ، فإني جدت لثراب بشي أنف من الدمع الذي أسألكما أن تجودا به .

٩ أوري : أكثر اتقاداً . الرند : العود الأعلى الذي تقدح به النار .

إذا لعبنا في مكعب لك ، لَدَعَا
فَوَادِي بِمِثْلِ النَّارِ ، عَنْ غَيْرِ مَا قَصِدِ
فَمَا فِيهِمَا لِي سَكُوتٌ ، بِلِ حَرَارَةٍ ،
يَهِيْجَانِيهَا دُونِي ، وَأَشْقَى بِهَا وَحْدِي
وَأَنْتِ ، وَإِنْ أَفْرِدْتِ فِي دَارٍ وَحْشَةٍ ،
فَلَأْتِي ، بِذَارِ الْأُنْسِ ، فِي وَحْشَةِ الْفَرِ
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مِنِّي تَحِيَّةٌ ،
وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرَقِ وَالرَّعْدِ

للغزل

وحيد المغنية

من قصيدة يتنزل إليها بالمغنية وحيد ، ويصفد، غناهها :

يَا خَلِيلِيَّ ! تَيْمَنِي وَحِيدُ فَصَوَادِي بِهَا مُعَنَى عَمِيدُ
غَادَةً ، زَانِهَا مِنَ الْغُصْنِ قَدْ ، وَمِنْ الظَّهْنِ مُفْلَتَانِ وَجِيدُ
وَزَاهَا ، مِنْ فَرْعِهَا وَمِنْ الْخَدَّيْ نِ ، ذَلِكَ السَّوَادُ وَالتَّوْرِيدُ
فَهِيَ بَرْدٌ بِحَدِّهَا وَسَلَامٌ ، وَهِيَ لِلْعَاشِقِينَ جَهْدٌ جَهِيدُ

* * *

تَتَغَنَّى ، كَأَنَّهَا لَا تُغَنِّي ، مِنْ سَكُونِ الْأَوْصَالِ ، وَهِيَ تُجِيدُ

١ دوني : نحوي .

٢ تيمني : استعبدني بحبا . المعنى : المحزون ، المكلف ما يشق عليه . العميد : الشديد الحزن الذي هذه العشق .

٣ الغادة : المرأة الناعمة اللينة الأعطاف .

٤ الفرع : الشعر التام .

٥ الجهد : التعب والمشقة ، وجهد جهيد : للمبالغة ، أي جهد جاهد .

٦ يقول : تفني ولا تتحرك أوصالها كثيرا من المغنين ، لتستعين بالحركة على الغناء ، ومع ذلك فهي تجيد .

لا تراها ، هُناكَ ، تَجَحَّظُ عَيْنٌ
 من هُدُوءٍ ، وليسَ فيه انْقِطَاعٌ ،
 مَدَّةٌ في شَأْوٍ صَوْتِهَا نَفَسٌ كا
 وأرقَّ الدَّلَالُ والغِنَجُ منه ،
 فتراهُ يَمُوتُ طَوْرًا ، وَيَحْيَا ؛
 فيه وَشْيٌ ، وفيه حَلِيٌّ من النَغْدِ
 لكَ ، مِنِهَا ، ولا يَدِرُّ وَرِيدٌ^١
 وسُجُوءٌ ، وما بهِ تَبْلِيدٌ^٢
 فِ ، كَأَنفَاسٍ عاشِقِهَا مَتِيدٌ^٣
 وبَراهُ الشَّجَا ، فَكَادَ يَبِيدُ^٤
 مُسْتَلَدٌ بِسَيْطُهُ والنَّشِيدُ^٥
 مَصُوعٌ ، يَخْتَالُ فِيهِ الْقَصِيدُ^٦

قمر يقبل عارض الشمس

ومُهَفِّفٍ كَمَلَّتْ مَحَاسِنُهُ ،
 تَصْبُو الكُؤُوسُ إلى مَرَاشِفِهِ ،
 أَبْصَرَتْهُ ، والكأسُ بَيْنَ قَسَمٍ ،
 فَكَانَتْهَا ، وَكَمَانَ شَارِبَهَا
 حتى تَجَاوَزَ مُنِيَّةَ النَّفْسِ^٧
 وَتَضَيَّجَ في يَدِهِ منَ الْحَبْسِ^٨
 منه ، وَبَيْنَ أُنَامِيلٍ خَمْسِ
 قَمَرٌ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ^٩

- ١ يقول : إذا غنت لا تجحظ عينها من التمتع . يدر : يظهر ويتوتر ويتحرك . الوريد : عرق في العنق .
- ٢ السجو : مد الصوت بالحنين وهنا مده بالغناء . تليد : تردد وتغير .
- ٣ الشأو : الغاية والمضى . كأنفاس عاشقها مديد : أي في حنينهم المتواصل إليها .
- ٤ براه : أضعفه . الشجا : يريد ما يعترض الصوت من الغصة المستحبة في الغناء .
- ٥ البسيط : ما يمتد به الصوت ويرق . النشيد : رفع الصوت والترنيم .
- ٦ الوشي : نقش الثوب ، أو خلط لون بلون . يريد أنها تتفتن في غنائها فتمزج أصواتاً بأصوات . حلي : زينة . يختال : يتزين .
- ٧ المهفف : الضامر البطن ، النقيص الحصر . حتى تجاوز منية النفس : أي تجاوز بحسنه ما تتمناه النفس .
- ٨ تصبو : تشتاق . مراشفه : شفاها ، واحدها مرشف . من الحبس : أي إذا حبسها في يده فمجت لشوقها إلى مراشفه .
- ٩ فكانها : أي كأس الحمرة ، وخبرها محذوف دل عليه ما بعده وهي الشمس . العارض : صفحة اللحد .

الوصف

حديقة الشعر

من قصيدة طويلة قالها في مدح اسماعيل بن بلبل وزير المعتمد ، وصدرها بوصف المرأة :

أَجْنَتْ لَكَ الْوَجْدَ أَغْصَانٌ وَكُثْبَانٌ ، فِيهِنَّ نَوَعَانٍ : تَفْقَاحٌ وَرُمْتَانٌ^١
وَفَوْقَ ذَيْنِكَ أَعْنَابٌ مُهْدَلَّةٌ ، سُودٌ ، لَهْنٌ ، مِنْ الظَّلَامِ ، أَلْوَانٌ^٢
وَتَحْتَ هَاتِيكَ عُنَابٌ ، تَلُوحُ بِهِ أَطْرَافُهُنَّ ، قُلُوبُ الْقَوْمِ قِنَوَانٌ^٣
غُصُونٌ بَانَ ، عَلَيْهَا ، الدَّهْرُ ، فَكَهَّةٌ ، وَمَا الْفَوَاكِهُ مِمَّا يَحْمِلُ الْبَانَ^٤
وَنَرَجِسٌ بَاتَ سَارِي الطَّلِّ يَضْرِبُهُ ، وَأَقْحُوَانٌ مُنِيرُ النُّورِ ، رِيَانٌ^٥

... ..

١ أجنّت : أعطت جناها . الوجد : الحزن . أغصان : على سبيل الاستعارة ، والمراد القدود . كُثبان : جمع كُثيب وهو تل الرمل ؛ والمراد هنا الردف الثقيل . تفّاح : أي خلود . رمان : أي نهود .

٢ ذينك : مثنى ذا ، اسم إشارة ، والكاف حرف خطاب . والمراد : وفوق هذين النوعين ، أي التفاح والرمان . الأعناب : جمع عنب ، ويريد بها الشعر المقصود المعقرب على الزي الغلامي ، فهو يشبه عناقيد العنب في تهمله . مهدة : مدلاة .

٣ هاتيك : أي هاتيك الأعناب . العناب : أي أطراف الأصابع المخضبة بالحناء . تلوح : قبلو . أطرافهن : أي أطراف الأصابع . القنوان : جمع قنو وهو الملق من النخل كالعنقود من العنب . يقول : إن قلوب الناس أشبه بالعناقيد لهذه الفواكه ، تحملها لشغلها وهيامها بها .

٤ يقول : هذه الغصون التي أجنّت لك الوجد ، هي غصون من البان ، لحسن قاماتها ، وحسن اهتزازها ، ومن الغريب أن تكون عليها فاكهة طول الدهر ، مع أن البان لا يحمل الفواكه .

٥ نرجس : أي عيون . الساري : ما جاء ليلاً . الطل : الندى أو المطر الخفيف . يشبه عيون الحسنان بالنرجس الريان الذي سقاه الطل فتفتح وغض . الأقحوان : ثبت أصفر الزهر ، في وسطه وحواليه ورق أبيض ؛ يشبه به الأسنان . منير : يخرج نوره . النور : الزهر الأبيض . ريان : مرتو . يشبه الأسنان في بياضها ومائها بالأقحوان الريان .

أَلْفَنَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ حَسَنٍ ، فَهَنْ فَاكِهَةً شَتَّى ، وَرِيحَانٌ^١
 نِمَارٌ صِدْقٍ ، إِذَا عَايَنْتَ ظَاهِرَهَا ، لَكِنَّهَا ، حِينَ تَبْلُو الطَّعْمَ ، خُطْبَانٌ^٢
 بَلْ حُلُوةٌ مُرَّةٌ ، طَوْرًا يُقَالُ لَهَا : شَهْدٌ ، وَطَوْرًا يَقُولُ النَّاسُ : ذَيْفَانٌ^٣

* * *

تَغْدُو الْفَتَاةُ ، لَهَا خَيْلٌ ، وَإِنْ غَدَرَتْ ، رَاحَتْ يُنَافِسُ فِيهَا الْخَيْلُ خَيْلَانٌ^٤
 مَا لِلْحِسَانِ مُسِيئَاتٍ بِنَا ، وَلَنَا : إِلَى الْمُسِيئَاتِ ، طَوْلَ الدَّهْرِ ، تَحْنَانٌ ؟
 يُصْبِحْنَ وَالْغَدْرَ بِالْخُلَصَانِ فِي قَرْنٍ ، حَتَّى كَأَنَّ لَيْسَ غَيْرَ الْغَدْرِ خُلَصَانٌ^٥
 فَإِنْ تُبْعِنَ بَعْدَهُ ، قُلْنَ : مَعْدِرَةٌ ، إِنَّا نَسِينَا ، وَفِي النَّسْوَانِ نِسْيَانٌ^٦
 يَكْفِي مُطَالِبَنَا بِالذِّكْرِ نَاهِيَةً ، أَنْ أَسْمَنَا الْغَالِبَ الْمَشْهُورَ نِسْوَانٌ^٧
 لَا نُلْزِمُ الذِّكْرَ ، إِنَّا لَمْ نُسَمَّ بِهِ ، وَلَا مُنِحْنَاهُ ، بَلْ لِلذِّكْرِ ذُكْرَانٌ^٨

قوس السحاب.

وَقَدْ نَشَرَتْ أَيْدِي الْجَنُوبِ مَطَارِفًا عَلَى الْجَوِّ دُكْنًا ، وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ^٩

١ ألفن : الضمير يعود إلى الأغصان .

٢ تبلو : تختبر . خطبان : ضرب من الخنظل . يقول : إذا نظرت إلى الحسناء من حيث الظاهر ، خلتها حلوة الطعم كالثمار الصادقة في حسن ظاهرها وباطنها ، ولكن حين تختبر هذه الحسناء أو هذه الثمار التي تظنها صادقة ، تجدها مرة كالخنظل .

٣ شهد : غسل . الذيفان : السم القاتل .

٤ الخلصان : الخالص من الأصحاب ، يستوي فيه الواحد والجمع . القرن : الحبل الذي يجمع فيه البعيران . يقول : يصبحن مجموعات مع الغدر بالأصحاب في حبل واحد حتى كأن ليس لمن صاحب خالص الصحبة غير الغدر لطول اجتماعهن معه .

٥ تبعن بعده : أي طولبن به .

٦ بالذكر : أي بذكر العهد . ناهية : أي ناهية تنهاه عن هذه المطالبة .

٧ الذكران : جمع ذكر ضد الأنثى . والمراد أن النسوان لا تطالب بالذكر لأن اسمهن مشتق من النسيان ، وإنما تطالب الذكور به لأن اسمهم مشتق منه .

٨ الجنوب : أي ريح الجنوب . المطارف : جمع مطرف : رداء من غز مربع ذو أعلام ، وهو مستعار للغيوم . الدكن : ما كان لونها يضرب إلى السواد ، واحدها أدكن ودكناء .

يُطَرِّزُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِأَخْضَرٍ ، عَلَى أَحْمَرٍ ، فِي أَصْفَرٍ ، لِأَثَرِ مُبَيِّضٍ^١
كَأَذْيَالِ خَوْدٍ ، أَقْبَلَتْ فِي غَلَاثِلِ مُصَبَّغَةٍ ، وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضٍ^٢

البنفسج^٣

بَنَفْسَجٌ ، جُمِعَتْ أَوْرَاقُهُ ، فَحَكَى كُحْلًا تَشْرَبَ دَمْعًا ، يَوْمَ تَشْتِيتُ^٤
وَلَا زَوْرَدِيَّةٍ تَزْهُو نَزْرَقَتِهَا ، وَسَطَ الرِّيَاضِ ، عَلَى حُمْرِ الْيَوَاقِيتِ^٥
كَأَنَّهَا ، وَضِعَافُ الْقُضْبِ تَحْمِلُهَا ، أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتٍ^٦

روضة الصباح

حَيْتَكَ عَنَّا شَمَالٌ ، طَافَ طَائِفُهَا بِجَنَّةٍ ، نَفَسَحَتْ رَوْحًا وَرِيحَانًا^٧
هَبَّتْ سُحَيْرًا ، فَنَاجَى الْغُصْنُ صَاحِبَهُ مُوسَوِسًا ، وَتَدَاعَى الطَّيْرُ لِإِعْلَانًا^٨
وَرُقٌّ تُغْنِي عَلَى خُضْرِ مُهْدَلَّةٍ ، تَسْمُو بِهَا ، وَتَمَسُّ الْأَرْضَ أَحْيَانًا^٩

.....

- ١ يطرزها : الضمير يعود إلى المطارف أي الغيوم .
- ٢ الخود : الشابة الناعمة . غلاثل : جمع غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب . وقوله البعض أقصر من بعض : يريد بذلك إظهار ألوانها المختلفة فيتألف منها قوس السحاب .
- ٣ رويت هذه الأبيات في معاهد التنصيص ، وليست من رواية الديوان .
- ٤ يوم تشتيت : أي يوم فراق . المعنى أن فتاة مكحلة بكّت يوم الفراق ، فمازج الدمع كحل عينيها ، فازرق لونه وصار بنفسجياً ، وقشيت فبدت عيناها كمجموعي بنفسج .
- ٥ لازوردية : أي بنفسجة بلون حجر اللازورد وهو معدن يتولد بجبال أرمينية وفارس ، وأجوده الصافي الشفاف الأزرق الضارب إلى حمرة وخضرة ، يتخذ للحل ، وله منافع في الطب . حمر اليواقيت : أراد بها قضبان البنفسج ، وهي حمر بلون الياقوت .
- ٦ القضب : جمع قضيب . الكبريت : مادة بسيطة معدنية صفراء اللون يوقد بها ، فإذا أوقد عودها بدت أوائل ناره بلون أزرق لازوردي ويظل كذلك حتى يشتعل ما عليه من الكبريت .
- ٧ الروح : الراحة والرحمة والسرور .
- ٨ الموسوس : المتكلم بكلام خفي . تداعى : دعا بعضه بعضاً .
- ٩ الورق : جمع ورقاء وهي الحماة التي يضرب لونها إلى خضرة الورق .

تَخَالُ طَائِرَهَا نَشْوَانَ مِنْ طَرَبٍ ، وَالْغُصْنَ ، مِنْ هَزِهِ عِطْفِيهِ ، نَشْوَانًا

روضة المساء

من قصيدة وصف بها الصيد ، وتطرق إلى ذكر غروب الشمس :

وقد رنقت شمسُ الأصيلِ ، ونقضتْ على الأفقِ الغربيِّ ورْساً مُرْعَزَعاً^١
 وودعتِ الدنيا ، لتقضيَ نحبها ؛ وشولَ باقي عُمريها ، فتشعشعاً^٢
 ولا حظتِ النُّوَّارَ ، وهيَ مريضَةٌ ؛ وقد وضعتْ خدّاً إلى الأرضِ أضرعاً^٣
 كما لاحظتْ عُوَادَهُ عَيْنُ مُدَنِّفٍ ، توجَّعَ من أوصابهٍ ما توجَّعاً^٤
 وظلّتْ عيونُ النُّورِ تخضِّلُ بالتدنى ، كما اغرورقتْ عَيْنُ الشَّجِيِّ لتدمعاً^٥
 يُراعينها صُوراً إلى رَوانِيَا ، ويكحظنَ ألحاظاً من الشَّجْرِ خُشَعاً^٦
 وبَيْنَ إغضاءِ الفِراقِ عليهما ، كأنَّهما خيلاً صفاءِ تودعاً^٧
 وقد ضربتْ في خُضرةِ الرُّوضِ صُفرةً^٨ ، من الشمسِ اخضراراً مُشعشعاً^٩

- ١ رنقت : ضعف بصرها وجسمها . الأصيل : العشي . الورس : لبات كالسهم أصفر ، يزرع باليمن ، ويصطبغ به . والمراد هنا الصفرة التي تكثرها الشمس عند الغروب . مززعجاً : مقلقلًا محركاً . وقد يكون محرفاً عن ملدع ، بالذال ، أي مبدد مفرق .
- ٢ شول : ارتفع . باقي عمرها : أي الشفق الذي تتركه مرتفعاً فوقها وهي تنحدر إلى الغروب . تشعشع : بقي منه قليل ، من قولهم تشعشع الشهر .
- ٣ النوار : الزهر الأبيض . إلى الأرض : لأن الشمس تغيب على البر في بغداد . الأضرع : هنا أفعل للمبالغة لا للتفصيل ، أي الأذل الأخضع . ويقال : ضربت الشمس : أشرفت على المغيب .
- ٤ العواد : زوار المريض . وقوله : عواده : أرجع الضمير إلى متأخر لفظاً ورتبة . المدنف : المريض المشرف على الموت . الأوصاب : الأمراض ، واحداً وصب .
- ٥ النور : الزهر أو الأبيض منه . تخضِّل : تبطل . الشجي : المهموم الحزين .
- ٦ يراعينها : أي عيون النور تراعي الشمس . صوراً : واحداً أصور وصوراء ، يقال رجل أصور إلى كذا : إذا مال عنقه ووجهه إليه . روانياً : مديمة إليها النظر يسكون الطرف . الشجو : الحزن . خسماً : ضاربة ذليلة .
- ٧ الإغضاء : الإغلام ، يقال : أغضى الليل عليه ، أي ألبسه ظلامه ، استعاره للفراق .
- ٨ ضربت : مالت . مشعشعاً : مزوجاً ، أي مزوجاً بالصفرة .

وأذكى نسيمُ الروضِ ريعانَ ظِلِّهِ ؛ وغنّى مُغنّي الطيرِ فيه ، وسجّعا
وغرّدَ ربّعي الدّبابِ خِلالَهُ ، كما حثّحت النّشوانُ صنجا مُشرّعا
فكانت أرائين الدّبابِ هناكمُ ، على شدّواتِ الطيرِ ، ضرباً موقّعا
وفاضت أحاديثُ الفُكاهاتِ بَيْننا ، كأحسنَ ما فاضَ الحديثُ وأمتعا

الزلاية

ومُستقِرّ على كُرسِيهِ ، تعبٍ ، رُوحِي الفِداءُ لهُ من مُنصبٍ تعبٍ
رأيتُهُ سَحَرًا يَلْقِي زَلَايِسَهُ ، في رِقّةِ القشِرِ والتّجويفِ ، كالقَصَبِ
كانما زَيْتُهُ المَقْلِي ، حينَ بَدَا ، كالكِيَمِاءِ الّتي قالوا ، ولم تُصَبِ
يَلْقِي العَجِينَ لُجِينًا مِن أنامِيهِ ، فيستَحِيلُ شَبَابِيكًا من الدّهَبِ

عباز الرقاق

ما أنسَ ، لا أنسَ خَبَازًا مَرَرْتُ بِهِ يَدْحُو الرُقَاقَةَ ، وشكَّ اللَّمَحَ بالبَصْرِ

- ١ أذكاه : جعل رائحته ذكية ساطعة . الريان : أول الشيء وأفضله . ظله : أي ظل الاخضرار المشتمع ؛ مزج الرائحة باللون . سجع : ردد صوته .
- ٢ الربعي : نسبة إلى الربيع . حثّحت : حرك . الصنيج : شيء يتخذ من النحاس الأصفر ، ويكون زوجين يضرب أحدهما على الآخر ، وآلة بأوتار يضرب بها ، وهي المقصودة هنا . المشرع : المشدود الأوتار .
- ٣ الأرائين : الأصوات لهارفة كثرة القوس . هناكم : أي هناك ألحق بها ميم الجماعة .
- ٤ المنصب : المعبي .
- ٥ الكيمياء : يريد بها البحث عن الحجر الفلسفي الذي يحول كل معدن ذهباً ، وكان في هذا العصر قد ظهر بطلان هذا الزعم ، فلذلك قال : ولم تصب .
- ٦ اللجين : الفضة . يقول : كأن زيت قالي الزلاية الكيمياء التي يحولونها كل معدن ذهباً ؛ فإن القالي يلقي المعجين الأبيض كالفضة في زيتة المغلي ، فإذا هله الفضة تتحول ذهباً .
- ٧ يدحو : يبسط . الرقاقة : الواحدة من الخبز الرقيق . الوشك : السرعة .

ما بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كَفِّهِ كُرَّةٌ ، وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا قَوْرَاءٌ كَالْقَمَرِ^١
إِلَّا بِمِقْدَارٍ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةُ^٢ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ ، يَرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ^٣

العنب

١ وِرَازِقِي مُخْطَفِ الْخُصُورِ ، كَأَنَّهُ مَخَازِنُ الْبَلْتُورِ^٤
٢ لَمْ يُبْقِ مِنْهُ وَهَجُ الْحُرُورِ إِلَّا ضِيَاءٌ فِي ظُرُوفِ نُورٍ^٥
لو أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى الدَّهْوِ ، قَرَطَ آذَانَ الْحِسانِ الْخُورِ^٦
لَهُ مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ ، وَنَكْهَةُ الْمِسْكِ مَعَ الْكَافُورِ^٧
وَبَرْدُ مَسِّ الْخَصِيرِ الْمَقْرُورِ^٨

الأحداق

قَصُرَتْ أَخَادِعُهُ ، وَغَارَ قَدْالُهُ ، فَكَأَنَّهُ مُتَرَبِّصٌ أَنْ يُصَفَّعَا^٩
وَكأَنَّمَا صُفِّعَتْ قَفَاهُ مَرَّةً ، وَأَحَسَّ ثَانِيَةً لَهَا ، فَتَجَمَّعَا^{١٠}

١ قوراء : واسعة مستديرة .

٢ تنداح : تلبسط متسعة .

٣ الرازقي ويقال له الملاحي : عنب أبيض طويل . مخطف الخصر : منطويه .

٤ الحرور : الحر وجمعه أو هي الحرور بالفتح أي حر الشمس أو الحر الدائم .

٥ قرط الأذن : زينها بالقرط ، وهي الخلية التي تعلق في شحمتها . الحور : جمع حوراء ، وهي التي في عيها حور ، أي أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها ، وتستدير حدقتها ، وترق جفونها .

٦ المشور : المستخرج من خلاياه ، من شاره يشوره : اجتثاه . الكافور : نبت طيب الرائحة ، نوره كنور الأقحوان ؛ والكافور أيضاً : طيب يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين ، وخشبه أبيض هش خفيف جداً ويوجد في أجوافه الكافور .

٧ الخصر : البارد . المقرور : الذي أصابه القر أي برد الشتاء .

٨ الأخادع : جمع أخدع ، وهو عرق في صفحة العنق ، وهما أخدعان . القدال : جماع مؤخر الرأس . متربص : منتظر . وفي رواية : وطال قداله ، وعليها اعتمد دارسو شعر ابن الرومي في عصرنا ، ولكننا لم نطعن إليها ، بل فضلنا رواية معاهد التنصيص ، لأنها أصدق في تصوير الأحداق .

٩ القفا : مؤخر العنق .

اغراض مختلفة

ذكریات الشباب

قال من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

يُدَكِّرُنِي الشَّبَابَ هَوَانُ عَتَبِي ، وَصَدُّ الغَايَاتِ لَدَى عِتَابِي^١
يُدَكِّرُنِي الشَّبَابَ سِهَامُ حَتَفٍ ، يُصِيبُنْ مَقَاتِلِي دُونَ الْإِهَابِ^٢
رَمَتْ قَلْبِي بَيْنَ ، فَأَقْصَدْتُهُ طَلُوعُ النَّبْلِ مِنْ خَلَلِ النَّقَابِ^٣
فَرَاخَتْ ، وَهِيَ فِي بَالٍ رَخِيٍّ ؛ وَرُحْتُ بَلَوَعَةٍ مِثْلَ الشَّهَابِ^٤
وَلَوْ شَهِدَ الشَّبَابُ ، إِذْنُ لِرَاخَتْ وَإِنْ بَهَا ، وَعَيْشِيكَ ، ضِعْفَ مَا بِي^٥
يُدَكِّرُنِي الشَّبَابَ جِنَانُ عَدْنٍ ، عَلَى جَنَبَاتِ أَنْهَارٍ عِدَابِ^٦
تُفْسِيءُ ظِلِّهَا نَفْسَاتُ رِيحٍ ، تَهْزُؤُ مَتُونِ أَغْصَانِ رِطَابِ^٧
إِذَا مَاسَتْ ذَوَائِبُهَا ، تَدَاعَتْ بِوَاسِكِي الطَّيْرِ ، فِيهَا ، بِانْتِخَابِ^٨

.....

- ١ يقول : يذكره الشباب قلة احتفاء الحسان به ، فقد هان عليهن عتابه ، وإذا عاتبهن ، أعرضن عنه .
- ٢ الحتف : الموت . الإهاب : الجلد . والمراد بسهام الحتف ما ترسله الحسان من نظراتها ، فتصيب منه موضع القتل في قلبه ، دون أن تخترق جلد البدن .
- ٣ أقصده السهم : أصابه فقتله في مكانه . طلوع : كثيرة الطلوع ، وهو فاعل رمت . الخلل : المنفرج ما بين الشئنين . النقاب : القناع على طرف الأنف تستر به المرأة وجهها ، وتبدي عينيها . المعنى : أن لبال عينيها تطلع من خلل نقابها أي من فرجته بين الأنف وأعلى الرأس .
- ٤ لبال الرخي : أي الحال الحسنة المتسعة السهلة . الشهاب : شعلة النار الساطعة .
- ٥ شهد : حضر .
- ٦ جنان عدن : أي جنان إقامة يعني حيث تعلب الإقامة ؛ يقال عدن بالمكان عدناً ؛ أقام ؛ وجنة عدن في الأصل : هي الموضع الذي وضع الله فيه آدم ، ولا يعلم مكانها .
- ٧ تفسئ ظلها : تحركه ، يقال نأى الريح الزرع والشجر : حركتهما ؛ وقوله تفسئ ظلها : لأن الريح تحرك الأغصان فيتحرك ظلها معها . المتون : الظهور .
- ٨ ذوائبها : أي أعالي الأغصان .

يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ رِيَاضُ حَزْنٍ ، تَرَكَّمُ ، بَيْنَهَا ، زُرْقُ الدَّابَابِ^١
 إِذَا شَمَسُ الْأَصَابِلِ عَارَضَتَهَا ، وَقَدْ كَرَبَتْ تَوَارَى بِالْحِجَابِ^٢
 وَأَلَقَتْ.، جُنَحَ مَغْرِبِهَا ، شُعَاعًا مَرِيضًا مِثْلَ الْخَاطِرِ الْكَعَابِ^٣
 يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ سَرَاةً نِهْيَ نَمِيرِ الْمَاءِ ، مُطَرِّدِ الْحَبَابِ^٤
 قَرَّتُهُ مُزْنَةً بِكُرٍّ ، وَأُضْحَى تَرْقِرُقُهُ الصَّبَا مِثْلَ السَّرَابِ^٥
 عَلَى حَصْبَاءَ ، فِي أَرْضٍ هِجَانٍ ، كَأَنَّ تَرَابِهَا ذَفِيرُ الْمَلَابِ^٦
 لَهُ حُبُّكَ ، إِذَا اطَّرَدَتْ عَلَيْهِ ، قَرَأَتْ بِهَا سَطُورًا فِي كِتَابِ^٧
 تُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ صَبَاً بَلِيلٌ ، رَسِيسُ الْمَسِّ ، لَاغِبَةُ الرِّكَابِ^٨

.....

- ١ الحزن : ضد السهل من الأرض . زرق الدباب : هي ضرب من الدباب المدني ، أزرق اللون يألف الرياض والكلا ويلحق بالقوافل ليغمس خراطيمه في لحم الإبل ، فيخرق الجلود الغلاظ حتى ينزف الدم نزفاً ؛ ويقال له الشعراء ؛ ومنه أحمر اللون . ومن أقوال أهل القوافل : بادروا قبل أن تتحرك ذهان الرياض والكلا .
- ٢ الأصائل ، جمع الأصيل : العشي . عارضتها : قابلتها ، وضمير النصب يرجع إلى الرياض . كربت : كادت . الحجاب : الألق ، أي كادت الشمس تختفي بالألق . والمراد أن الرياض تذكره الشباب إذا شمس الأصائل عارضتها عند المغيب .
- ٣ جنح مغربها : أي أوله . الكعاب : الناهد . يقال لأخاط الحسان مريضة وضعيفة لانكسار أجفانهن ، ورقة نظراتهن .
- ٤ السراة : أعلى الطريق ووسطه ، والمراد هنا : الطريق على الإطلاق . النهي : الفدير . النمير : الماء العذب الناجع . مطرد : متتابع . الحباب : لفافات الماء التي تعلوه .
- ٥ قرته : جسمته ، يقال قرى الماء في الخوض : أي جمعه . المزنة : القطعة من السحاب فيها ماء . البكر : السحابة الغزيرة . ترقرقه : تحركه حتى ييجي ويلهب ويتلأأ ويلع . الصبا : الريح الشرقية . السراب : ما تراه في نصف النهار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالأرض ؛ يقال : ترقرق السراب .
- ٦ الهجان : الأرض الكريمة . الذفر : ذو الرائحة الطيبة . الملاب : ضرب من الطيب .
- ٧ له : أي للنهي . الحبك : تجعد الماء وتكسره ، واحدها حبيكة . اطردت : تتابعت ، والفاعل يعود إلى الصبا . بها : أي هذه الحبك .
- ٨ الصبا : الريح الشرقية . البليل : التي ابتلت بالماء وبردت . رسيس المس : لينة المس ، يقال ربح رسيس . لاغبة : تمبة . الركاب : الإبل ، واحدها راحلة . يقال من المجاز : الرياح اللواغب ، أي المتعبة لطول سيرها ، ولأن الرياح تشبه بالإبل ، فيقال لها ركاب السحاب .

أَتَتْ مِنْ بَعْدِ مَا انْسَحَبَتْ مَلِيًّا ، عَلَى زَهْرِ الرَّبِّي ، كُلَّ انْسِحَابٍ ١
 وَقَدْ عَبَيْتُ بِهَا رِيًّا الْخُزَامِي ، كَرَبًا الْمِسْكِ ، ضُوعَ بَانْتِهَابٍ ٢
 يُلْدَكُرُنِي الشَّبَابَ وَمِيضُ بَرْقٍ ، وَسَجْعُ حَمَامَةٍ ، وَحَنِينُ نَابٍ ٣
 فَيَا أَسْقَا ، وَيَا جَزَعَا عَلَيْهِ ٤
 أَفْجَعُ بِالشَّبَابِ وَلَا أُعَزِّي ٥
 لَقَدْ غَقَلْتُ الْمُعَزِّي عَنْ مُصَابِي

ذكر الموت

نَبْلُ الرَّدَى يَقْصِدُنَ قَصْدَكَ ، فَأَجِدُ قَبْلَ الْمَوْتِ جِدَكَ ١
 قَدْ عَدَّ قَبْلَكَ مَنْ رَأَى ، وَلَسْتُ تَلَبُّثُ أَنْ يَعُدَّكَ ٢
 فَدَعِ الْبَطَالََةَ وَالْغَوَا ، يَتَ جَانِبًا ، وَعَلَيْكَ رُشْدَكَ ٣
 فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نُعِيتَ ، وَقَدْ بَكَّى الْبَاكُونَ فَقَدَكَ ٤
 وَتَرَكْتَ مَتْرَلَكَ الْمَشِي ، لَدَى مُعْطَلًا ، وَسَكَنْتَ لَحْدَكَ ٥
 وَخَلَوْتَ فِي بَيْتِ الْبَلِي ، وَخَلَا بِكَ الْمَلَكُانِ وَحْدَكَ ٦
 وَسَلَاكَ أَهْلُكَ كَلُّهُمْ ٧

.....

- ١ ملياً : زمناً طويلاً .
- ٢ الريا : الرائحة الطيبة . الخزامى : نبت أو خيري البر ، زهره أطيب الأزهار نفحة . والخيري : المنثور الأصفر . ضوع : هيجت رائحته . والمراد : انبثت الأيدي هذا المسك فهيجت رائحته . يقال ضاعت الرائحة : سطمت وانتشرت .
- ٣ الناب : الناقة المسنة . والمراد : وميض البرق مبشراً بالمطر والخضرة وشباب الطبيعة ، وسجع الحمامة إلى إلهاها ، وحنين الناقة إلى أولادها .
- ٤ يوم الحساب : يوم القيامة .
- ٥ عليك : اسم فعل للامر بمعنى الزم
- ٦ الملكان : أي منكر ونكير . وهما عند المسلمين ملكان يقومان بفتنة الموق أي بامتحانهم واختبارهم . ويكون لهم في ذلك أشد الهول والعذاب .

- يَتَمَتَّعُونَ بِمَا جَمَعْتَ وَلَا يَرْوْنَ عَلَيْهِ حَمْدَكَ
- يَتَمَهَّدُونَ وَأَنْتَ تَحْذَرُ
قد سَلَمَوْكَ إِلَى الضَّرْبِ
كم قد دَفَنْتَ أَحِبَّةً
أَنْظَرُ إِلَى أَهْلِيهِمْ
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ مَكْمَلًا
وَمَا يَرْوْنَ عَلَيْهِ حَمْدَكَ
تَا الرَّمْسِ يَرعى الدَّودُ جُلْدَكَ
حِجْرٍ وَوَسَدُوا بِالشَّرْبِ خَدَّكَ
حَلَّتْ مَحَلَّ النَّفْسِ عِنْدَكَ
فَكَذَلِكَ الْبَاقُونَ بَعْدَكَ
فِي مَا يُحِبُّ اللَّهُ ، جُهِدَكَ

تحليل الخمر

أَحَلَّ الْعِرَاقِيُّ النَّبِيذَ وَشُرْبَهُ ،
وَقَالَ الْحِجَازِيُّ : « الشَّرَابَانِ وَاحِدٌ »
سَأَخُذُ مِنْ قَوْلَيْهِمَا طَرَفَيْهِمَا ،
وَأَشْرَبُهَا ، لَا فَرْقَ الْوَازِرَ الْوِزْرُ ١

لا تكثر من الأصحاب

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ ،
فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصَّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَسْرَاهُ
يَحُولُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ ٢

١ العراقي : أبو حنيفة .

٢ الحجازي : الشافعي .

٣ الوزر : مقترف الإثم . الوزر : الإثم . قوله سأخذ من قوليهما طرفيهما : أي أنه يأخذ تحليل النبيذ من قول أبي حنيفة ، ويترك تحريمه للخمر ؛ ثم يأخذ من الشافعي قوله : إن النبيذ والخمر واحد ، ويترك تحريمه لها . ثم يشرب النبيذ على مذهب أبي حنيفة ، ويشرب الخمر أيضاً لأنها هي والنبيذ واحد في مذهب الشافعي ، فتكون قد حلت له كما حل له النبيذ على مذهب العراقي . ولا يعد نفسه مذنباً في ذلك ما دام الإمامان مختلفين ، بل يدعو على المذنب أن لا يفارقه ذنبه .

٤ يحول : يأتي ، وفي رواية : يكون . يقول : إن عدوك يأتيك من صديقك ، فلا تكثر الأصحاب ، فهم أشبه بالطعام والشراب ، فإن الإنسان يجهم ويصادقهما ، فإذا أكثر معاشرتهما ، جاهد الداء منهما .

الجامع

كتاب الحيوان

باب الكلب والديك

وفاء الكلب

وَأَنْشَدَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ خَالَوَيْهِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ لِبَعْضِ الشَّعْرَاءِ :
يُعَرِّدُ عَنْهُ جَارُهُ وَشَقِيقُهُ ، وَيَنْبُشُ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهُ^١

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّ رَجُلًا خَرَجَ إِلَى الْجَبَانِ^٢ ، يَتَنَظَّرُ
رِكَابَهُ^٣ ، فَاتَّبَعَهُ كَلْبٌ كَانَ لَهُ ، فَضَرَبَ الْكَلْبَ وَطَرَدَهُ ، وَكَرِهَ أَنْ
يَتَّبِعَهُ ، وَرَمَاهُ بِحَجَرٍ . فَأَبَى الْكَلْبُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَهُ . فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَوْضِعِ
الَّذِي يُرِيدُ فِيهِ الْإِنْتِظَارَ ، رَبَضَ الْكَلْبُ قَرِيبًا . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ أَتَاهُ
أَعْدَاءُ لَهُ يَطْلُبُونَهُ بِطَائِلَةٍ^٤ لَهُمْ عِنْدَهُ . وَكَانَ مَعَهُ جَارٌ لَهُ وَأَخُوهُ دُنْيَاهُ ،

١ يعرد : يحجم ويفر .

٢ الجبان : المقبرة والصحراء .

٣ الركاب : الإبل .

٤ الطائلة : العداوة والثأر .

٥ دنيا : لاصق اللب ، دالي القرابة . وأخوه هنا بمعنى قريبه ، لأنه يقال : هو ابن عم أو عمة ،
أو ابن خال أو خالة ، أو ابن أخ أو أخت دنيا . وإذا ضمت دالها ، منعت من الصرف لأن الألف
قد تميئت للتأنيث على الأصل ، وتكون منصوبة على الحال . وإذا كسرت دالها جاز فيها الصرف ،
فإذا نونت صارت منصوبة على المصدرية .

فَأَسْلَمَاهُ وَهَرَبَا عَنْهُ . فَجُرِّحَ جَرَاحَاتٌ ، وَرُمِيَ بِهِ فِي بَيْتٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ الْقَعْرِ ؛
ثُمَّ حُسِّيَ عَلَيْهِ التُّرَابُ ، ثُمَّ غُطِّيَ رَأْسُهُ ، ثُمَّ كُتِمَ^٢ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْهُ^٣ ؛
وَالْكَلْبُ فِي ذَلِكَ يَرْخَمُ^٤ وَيَهْرُ . فَلَمَّا انْصَرَفُوا أَتَى رَأْسَ الْبَيْتِ ؛ فَمَا زَالَ
يَعْوِي ، وَيَنْبُشُ عَنْهُ ، وَيَحْنُو التُّرَابَ بِيَدِهِ ، وَيَكْشِفُهُ عَنْ رَأْسِهِ ،
حَتَّى أَظْهَرَ رَأْسَهُ فَتَنَفَّسَ ، وَرُدَّتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ ، وَقَدْ كَادَ يَمُوتُ ، وَلَمْ يَبْقَ
مِنْهُ إِلَّا حُشَاشَةٌ^٥ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ مَرَّ نَاسٌ ، فَأَنْكَرُوا مَكَانَ الْكَلْبِ ،
وَرَأَوْهُ كَأَنَّهُ يَحْفِرُ عَنْ قَبْرِ . فَتَنَظَرُوا ، فَإِذَا هُمْ بِالرَّجُلِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ،
فَاسْتَشَالُوهُ^٦ ، فَأَخْرَجُوهُ حَيًّا ، وَحَمَلُوهُ ، حَتَّى أَدَّوهُ إِلَى أَهْلِهِ . فَرَعِمَ أَنْ
ذَلِكَ الْمَوْضِعَ بُدِعِيَ الْكَلْبِ ، وَهُوَ مُتِيَامٍ^٧ عَنِ النَّجْفِ^٨ .
وَهَذَا الْعَمَلُ يُدَلُّ عَلَى وَقَاءٍ طَبِيعِيٍّ ، وَإِلْفٍ غَرِيزِيٍّ ، وَمُحَامَاةٍ شَدِيدَةٍ ،
وَعَلَى مَعْرِفَةٍ وَصَبْرٍ ، وَعَلَى كَرَمٍ وَشُكْرِ ، وَعَلَى غَنَاءٍ عَجِيبٍ ، وَمَنْفَعَةٍ
تَفُوقُ الْمَنَافِعَ . لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ كَانَ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَلَا تَصَنُّعٍ .

أعمار الكلاب

وَذِكْرَةُ السَّلَاقِيَةِ تَعِيشُ عَشْرَ سِنِينَ ، وَالْإِنَاثُ تَعِيشُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
سَنَةً ، وَأَكْثَرُ أَجْنَاسِ الْكِلَابِ تَعِيشُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَبَعْضُ الْأَجْنَاسِ
تَبْقَى عَشْرِينَ سَنَةً .

- ١ حُسِّيَ عَلَيْهِ : رُمِيَ التُّرَابُ عَلَيْهِ .
- ٢ كُتِمَ : غُطِيَ ؛ وَلَعَلَّهَا كُومٌ .
- ٣ مِنْهُ : أَيُّ مِنَ التُّرَابِ .
- ٤ يَرْخَمُ : يَرْقُ لَهُ وَيَشْفُقُ عَلَيْهِ .
- ٥ الْحُشَاشَةُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ .
- ٦ اسْتَشَالُوهُ : رَفَعُوهُ .
- ٧ مُتِيَامٍ : أَيُّ آخَذَ ذَاتَ الْيَمِينِ .
- ٨ النَّجْفُ : مَوْضِعٌ يَظْهَرُ الْكُوفَةُ فِيهِ لُحْلٌ كَثِيرٌ ، وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ قَبْرُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .
- ٩ الْفَنَاءُ : النِّفْعُ .

قال : وإناث الكلاب أطول أعماراً من الذكور ، وكذلك هي في الحملّة
وليس يلقي الكلب من أسنانه شيئاً ما خلا النّابيّين ، وإنّما يلقيهما إذا كان
ابن أربعة أشهر . قال : ومن أجل أن الكلاب لا تلقي غير هذين النّابيّين
يشكّ بعض الناس أنّها لا تلقي شيئاً البتّة

كلب يحسب لصاً

قال بشر بن سعيد : كان بالبصرة شيخ من بني نهشل^١ يقال له
عروة بن مرثد ، نزل ببني أخت له في سكة^٢ بني مازن^٣ وبنو خته من
قريش . فخرج رجالهم إلى ضياعهم ، وذلك في شهر رمضان ، وبقيت
النساء يصليّين في مسجدهم ، فلم يبق في الدار إلا كلب يعس^٤ ، فرأى
بيئاً ، فدخل ، وانصفق^٥ الباب ، فسمع الحركة بعرض الإمام ، فظنوا^٦
أنّ لصاً دخل الدار ، فذهبت إحداهن إلى أبي الأعز^٧ ، وليس في الحي
رجل غيره ، فأخبرته ، فقال أبو الأعز : ما يبتغي اللص منا ؟ ثم أخذ عصاه
وجاء حتى وقف على باب البيت ، فقال : إيه^٨ يا ملائمان^٩ ! أمّا والله إنك
بي لعارف^{١٠} ، وإنني بك أيضاً لعارف ، فهل أنت إلا من لصوص بني مازن ،
شربت حامضاً خبيثاً^{١١} ، حتى إذا دارت الأقداح في رأسك ، منثك نفسك

١ نهشل بن دارم : بطن من تميم .

٢ السكة : الموضع فيه دور ومنازل لقوم يسكنونها وفي خلالها طريق وسبيل لهم .

٣ بنو مازن بن عمرو : من بني تميم .

٤ يعس : يطوف ليلاً .

٥ انصفق : انقلب .

٦ فظنوا : هكذا وردت وجه الكلام فظنن .

٧ أبو الأعز ، وفي رواية : أبو الأغر .

٨ إيه يسكون الماء : كلمة زجر بمعنى حسبك .

٩ يا ملائمان بالنداء : أي يا لئيم .

١٠ حامضاً خبيثاً : أي الحامض من الخمر ، ويقال له المسطار .

الأماني^١ ، وقُلتَ : دُور^٢ بني عمرو^٣ ، والرجالُ خُلُوف^٤ ، والنساءُ يُصَلِّينَ في مَسْجِدِهِنَّ ، فأسْرَقُهُنَّ^٥ . سَوَاءٌ وَاللهِ ! ما يَفْعَلُ هذا الأحرارُ ! لَبِئْسَ ، والله ، ما مَنَّتْكَ نَفْسُكَ ! فَاخْرُجْ ، وإِلَّا دَخَلْتُ عَلَيْكَ ، فَصَرَمْتُكَ مِنِّي الْعُقُوبَةُ^٦ ! لا يَمُ الله^٧ ، لَتَخْرُجَنَّ ، أو لَأَهْتَفَنَّ هَتَفَةً مَشْوُومَةً عَلَيْكَ ، يَلْتَقِي فِيهَا الْحَيَّانِ عَمْرُو وَحَنْظَلَةُ^٨ ، وَيَصِيرُ أَمْرُكَ إِلَى تَبَابٍ^٩ . وَيَجِيءُ سَعْدُ^{١٠} بَعْدَدَ الْحَصَى ، وَيَسِيلُ عَلَيْكَ الرِّجَالُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا ! وَلَتَنُ فَعَلْتَ^{١١} ، لَتَكُونَنَّ أَشَامَ مَوْلُودٍ فِي بَنِي تَمِيمٍ !

فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ ، أَخَذَ بِاللَّيْنِ ، وَقَالَ : اخْرُجْ يَا بُنَيَّ ، وَأَنْتَ مَسْتَوْرٌ ؛ إِنِّي ، وَالله ، مَا أُرَاكَ تَعْرِفُنِي ، وَلَوْ عَرَفْتَنِي ، لَقَدْ قَنِعْتَ بِقَوْلِي ، وَاطْمَأْنَنْتَ لِي . أَنَا عَرُوةُ بْنُ مَرْثَدٍ أَبُو الْأَعَزِّ الْمَرْثَدِيُّ ، وَأَنَا خَالُ الْقَوْمِ ، وَجِلْدَةٌ مَا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ^{١٢} لَا يَعْصُونَنِي فِي أَمْرٍ ؛ وَأَنَا لَكَ بِاللِّمَّةِ كَقِيلٍ خَفِيرٍ^{١٣} ، أَصِيرُكَ بَيْنَ شَحْمَةٍ أَذُنِي وَعَاتِقِي^{١٤} لَا تُضَارُ^{١٥} . فَاخْرُجْ ، فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي ،

..

١ مَنَّتْ : يقال مَنَّا الأماني وبالأمانى : أي جعلها له .

٢ دور : مفعول للفعل عُلُوف تقديره أقصد .

٣ بني عمرو : أي عمرو بن تميم .

٤ خُلُوف : ذاهبون عن الحي ، واحدها خلف .

٥ فأسرقهن : أي أسرق العور .

٦ صرم : قطع ؛ وعقوبة صارمة : أي قاطعة .

٧ لايم الله : قسم ، أي ليمين الله .

٨ حنظلة : حي من بني تميم .

٩ التباب : الخسار والهلاك .

١٠ سعد : هم بنو سعد بن زيد مناة ، من تميم .

١١ لئن فعلت : أي لئن لم تخرج وأردت السرقة .

١٢ يقال هو جلدة ما بين العين والأنف : أي هو مثلها في العزة والقرب .

١٣ الخفير : المجير والمحامي والمحافظ .

١٤ العاتق : ما بين المنكب والعنق .

١٥ لا تضار : لا تصاب بضرر .

ولاً ، فإنّ عندي قوصرتين^١ : إحداهما إلى ابنِ أخي البارِّ الوصول^٢ ، فخذُ إحداهما ، فانتبذها^٣ حللاً^٤ من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وكان الكلبُ إذا سمعَ الكلامَ ، أطرق^٥ ، وإذا سكّتْ ، وتبَّ يربغ^٦ المخرَج . فتهاثف^٧ الأعرابيُّ ، أي تضحك ، ثم قال : يا أُمّ الناسِ وأرضعتهم ، ألا يأتيك^٨ أنا منذُ اللَّيلةِ في وادٍ ، وأنت في آخرَ ! إذا قلتُ لك السوداء والبيضاء^٩ ، تسكُت وتطرقُ ؛ فإذا سكّت عنك ، تُربغُ المخرَج ! والله ، لتخرُجنَ بالعقوي عنك ، أو لأجلنَ عليك البيتَ بالعقوبة ! فلمّا طال وقوفهُ ، جاءَتْ جاريةٌ من إمامِ الحيِّ ، فقالت : أعرابيٌّ متجنونٌ ! والله ما أرى في البيتِ شيئاً ! ودفعَت البابَ ، فخرجَ الكلبُ شداً^{١٠} ، وحادَ عنه أبو الأعزّ مُستلقياً ، وقال : الحمدُ لله الذي مسّخلكَ كلباً ، وكفاني منك حرباً ! ثم قال : تالله ، ما رأيتُ كاللَّيلةِ ، ما أراه إلا كلباً ، أما ، والله ، لو علمتُ بحالِهِ ، لويلحتُ عليه .

صباح الديك

قالوا : قد أخطأ من زعم أن الديكَةَ إنما تتجاوبُ ، بل إنما ذلك منها شيءٌ يتوافقُ في وقتٍ ، وليسَ ذلك بتجاوبٍ كنباحِ الكلابِ ؛ لأنَّ

١ القوصرة : وعاء من قصب يجعل فيه التمر .

٢ الوصول : الكثير المواصل ، أي لا يقاطع صاحبه ، والكثير العطاء .

٣ التلبذا : أي أصنمها لبيداً من التمر ؛ أي لبيداً محلاً لا محرماً .

٤ أطرق : سكت .

٥ سكّت : الضمير يعود إلى الأعرابي .

٦ يربغ : يطلب بشدة .

٧ تهاثف : ضحك باستهزاء ؛ ذكرها الأساس على الإطلاق ، وخصها القاموس بالمرأة . وقد وردت في الأصل : تهاقت ، وهو تحريف .

٨ يأتيك : يحين لك ، وظاهر الكلام يدك على أنه يريد أن يقول : ألا يأتيك أن تعرف .

٩ السوداء والبيضاء : أي كلمة ما .

١٠ شداً : علواً .

الكلب لا وقت له وإنما هو صامت ساكت ما لم يحس بشيء يفزع منه ؛
 فإذا أحس به ، نبح ، وإذا سمع نباح كلب آخر ، أجاب ، ثم أجاب
 ذلك آخر ، ثم أجابهما الكلب الأول ، وتبين أنه المجاب لجميع الكلاب .
 والديك ليس من أجل أنه أنكر شيئاً ، إذا استجاب ؛ أو سمع صوتاً ،
 إذا صقع^١ ؛ وإنما يتصقع^٢ لشيء في طبعه ، إذا قابل ذلك الوقت من الليل ،
 هيبة^٣ . فعند أصواته ، في الوقت الذي يظن أنه تتجواب فيه الديكة^٤ ،
 كعدد أصواته في القرية ، وليس في القرية ديك غيره ، وذلك هو في
 المواقيت . والعلته التي لها يتصقع في وقت بعينه ، شائعة فيها في ذلك الوقت ؛
 وليس كذلك الكلاب . قد تنبح الكلاب في الحرية^٥ ، و كلاب في بني سعد
 غير نابجة ؛ وليس يجوز أن تكون ديكة المهالبة تصقع ، وديكة
 المسامعة ساكنة .

أعرابي يقسم الدجاج

قال أبو الحسن : حدثني أعرابي كان ينزل بالبصرة قال : قدِمَ
 أعرابي من البادية ، فأنزله ، وكان عندي دجاج كثير ، ولي امرأة وابنتان
 وابنتان منها . فقلت لامرأتي : بادري واشوي لنا دجاجة ، وقدّمها إلينا
 نتغداها . فلمّا حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتي وابنتي وابنتاي والأعرابي .
 قال : فدعنا إليه الدجاجة ، فقلنا له : اقسمها بيننا — نريد أن نضحك
 منه — فقال : لا أحسن القسمة ؛ فإن رضىتم بقيسمتي ، قسمتها بينكم .

١ صقع الديك : صاح .

٢ فيها : أي في الديوك .

٣ الحرية : موضع في البصرة يسمى البصرة الصغرى .

٤ بنو سعد : قبيلة . والظاهر أنهم من سكان البصرة .

٥ المسامعة : محلة بالبصرة تنسب إلى بني مسمع بن شهاب . والظاهر أن المهالبة محلة بالبصرة أيضاً تنسب
 إلى بني المهلب بن أبي صفرة .

قُلْنَا : إِنَّا نَرْضَى . فَأَخَذَ رَأْسَ الدَّجَاجَةِ فَقَطَعَهُ ، فَنَاولَتْهُ ، وَقَالَ :
الرَّأْسُ لِلرَّأْسِ . وَقَطَعَ الْجَنَاحَيْنِ ، وَقَالَ : الْجَنَاحَانِ لِلْبَيْنَيْنِ . ثُمَّ قَطَعَ
السَّاقَيْنِ ، فَقَالَ : السَّاقَانِ لِلْبَيْتَيْنِ . ثُمَّ قَطَعَ الزَّمِكِيَّ^١ وَقَالَ : الْعَجُزُ^٢
لِلْعَجُزِ^٣ . وَقَالَ : الزَّوْرُ^٤ لِلزَّائِرِ . قَالَ : فَأَخَذَ الدَّجَاجَةَ بِأَسْرِهَا ، وَسَخِرَ بِنَا .
قَالَ : فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، قُلْتُ لَامْرَأَتِي : اشْوِي لَنَا خَمْسَ دَجَاجَاتٍ .
فَلَمَّا حَضَرَ الْغَدَاءُ ، قُلْتُ : اقْسِمِ بَيْنَنَا . قَالَ : إِنِّي أَظُنُّ أَنَّكُمْ وَجَدْتُمْ^٥
فِي أَنْفُسِكُمْ . قُلْنَا : لَا ، لَمْ نَجِدْ فِي أَنْفُسِنَا ، فَاقْسِمِ . قَالَ : اقْسِمِ شَفْعًا^٦
أَوْ وِترًا^٧ ؟ قُلْنَا : اقْسِمِ وَتِرًا . قَالَ : أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ، ثُمَّ
رَمَى إِلَيْنَا بَدَجَاجَةً . ثُمَّ قَالَ : وَابْنَاكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِمَا
بَدَجَاجَةً . ثُمَّ قَالَ : وَابْنَتَاكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِمَا بَدَجَاجَةً .
ثُمَّ قَالَ : أَنَا وَدَجَاجَتَانِ ثَلَاثَةٌ ، وَأَخَذَ دَجَاجَتَيْنِ وَسَخِرَ بِنَا . قَالَ :
فَرَأْنَا وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى دَجَاجَتَيْهِ ، فَقَالَ : مَا تَنْظُرُونَ ! لَعَلَّكُمْ كَرِهْتُمْ^٨
قِسْمَتِي ، الْوِترُ لَا يَحْيِي إِلَّا هَكَذَا ، فَهَلْ لَكُمْ فِي قِسْمَةِ الشَّفْعِ ؟ قُلْنَا :
نَعَمْ . فَضَمَّتْهُنَّ^٩ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتَ وَابْنَاكَ وَدَجَاجَةٌ أَرْبَعَةٌ ، وَرَمَى
إِلَيْنَا بَدَجَاجَةً . ثُمَّ قَالَ : وَالْعَجُوزُ وَابْنَتَاهَا وَدَجَاجَةٌ أَرْبَعَةٌ ، وَرَمَى إِلَيْهِنَّ
بَدَجَاجَةً . ثُمَّ قَالَ : أَنَا وَثَلَاثُ دَجَاجَاتٍ أَرْبَعَةٌ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الثَّلَاثَ .
وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : اأَلْهُمَّ ، لَكَ الْحَمْدُ ! أَنْتَ فَهَمْتَنِيهَا !

١ الزمكي : مؤخر الطائر أو أصل ذنبه .

٢ العجز : مؤخر الشيء .

٣ العجز : جمع عجوز ويريد بها امرأة الرجل . وفي رواية : للعجوز .

٤ الزور : الصدر .

٥ وجدتم : غضبتم .

٦ الشفع : الزوج .

٧ الوتر ، وتفتح الواو : الفرد .

٨ فضمتهن : أي ضم الدجاجات .

باب القول في أجناس الذباب

إلحاح الذباب وقاضي البصرة

كانَ لنا بالبصرة قاضٍ يُقالُ له عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَوَّارٍ ، لم يَرَ النَّاسُ حَاكِمًا قَطُّ ، ولا زِمْتِيًّا^١ ، ولا رَكِينًا^٢ ، ولا وَقُورًا حَكِيمًا ضَبَطَ من نَفْسِهِ ، ومَلَكَ من حَرَكَتِهِ مِثْلَ الَّذِي ضَبَطَ ومَلَكَ . كانَ يُصَلِّيُ الغَدَاةَ في مَنَزِلِهِ ، وهوَ قَرِيبُ الدَّارِ من مَسْجِدِهِ ، فيَأْتِي مَجْلِسَهُ فيَحْتَجِي^٣ ولا يَتَكَيَّءُ . فلا يَزَالُ مُتَّصِبًا لا يَتَحَرَّكُ لَهُ عُضْوٌ ، ولا يَلْتَفِتُ ، ولا يَحُلُّ حُبُوتَهُ ، ولا يُحَوِّلُ رِجْلًا عن رِجْلٍ ، ولا يَتَعَمِّدُ على أَحَدٍ شِقِيهِ^٤ ، حتَّى كَانَهُ بِنَاءً مَبْنِيًّا أو صَخْرَةً مَنْصُوبَةً . فلا يَزَالُ كَذَلِكَ حتَّى يَقُومَ إلى صَلَاةِ الظَّهِيرِ ؛ ثُمَّ يَعودُ إلى مَجْلِسِهِ . فلا يَزَالُ كَذَلِكَ ، حتَّى يَقُومَ إلى العَصْرِ^٥ ؛ ثُمَّ يَرْجِعُ لِمَجْلِسِهِ . فلا يَزَالُ كَذَلِكَ حتَّى يَقُومَ لَصَلَاةِ المَغْرِبِ ؛ ثُمَّ رُبَّمَا عادَ إلى مَحَلِّهِ ، بل كَثِيرًا ما كانَ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُ ، إذا بَقِيَ عَلَيْهِ من قِرَاءَةِ العُهُودِ والشُّرُوطِ والوُثَائِقِ . ثُمَّ يُصَلِّيُ العِشَاءَ الأَخِيرَةَ^٦ ، وَيَتَصَرَّفُ . فالحَقُّ يُقالُ : لم يَقُمْ في طُولِ تلكَ المُدَّةِ والوَلَايَةِ مَرَّةً واحِدَةً إلى الوُضوءِ ، ولا احتِاجَ إلَيْهِ ، ولا شَرِبَ ماءً ولا غَيْرَهُ من الشَّرَابِ . كَذَلِكَ كانَ شَأْنُهُ في طِوَالِ الأَيَّامِ وفي قِصَارِها ، وفي صَيْفِها وفي شِتَائِها . وكانَ ، معَ ذَلِكَ ،

١ الزميت : العظيم الوقار .

٢ الركين : الرزين .

٣ يحتجي : أي يجمع بين ظهره وساقيه إذا جلس ليصير كالمتنهد . وذلك أن يقيم ركبتيه في جلوسه فيضع عليهما سيفًا ، أو يدير بهما ثوبًا ، أو يعتمد عليهما يديه ، ويستريح إليهما ؛ والاسم منه الحبوته ، يقال حل حبوته : أي قام . وعقد حبوته : أي قعد ، وهو من باب الكناية .

٤ الشق : الجانب .

٥ العصر : أي صلاة العصر .

٦ يصلي العشاء : أي صلاة العشاء .

لا يُحَرِّكُ يَدَهُ ، ولا يُشِيرُ بِرَأْسِهِ . وليسَ إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ ثُمَّ يُوجِزَ
وَيَبْلُغَ بِالْكَلَامِ الْيَسِيرِ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةَ .

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، ذَاتَ يَوْمٍ ، وَأَصْحَابُهُ حَوَالِيهِ ، فِي السَّمَاطَيْنِ^١ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، إِذْ سَقَطَ عَلَى أَنْفِهِ ذُبَابٌ فَأُطَالَ الْمَكْثَ ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى مُوقٍ^٢ عَيْنِهِ .
فَرَامَ الصَّبْرَ فِي سُقُوطِهِ عَلَى الْمُوقِ ، وَعَلَى عَضْبِهِ وَنَفَازِ خُرْطُومِهِ ، كَمَا رَامَ
مِنَ الصَّبْرِ عَلَى سُقُوطِهِ عَلَى أَنْفِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحَرِّكَ أَرْبَبَتَهُ^٣ ، أَوْ يُغَضِّنَ
وَجْهَهُ^٤ ، أَوْ يَدْبُ^٥ بِإَصْبَعِهِ . فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّبَابِ ، وَشَغَلَتْهُ
وَأَوْجَعَتْهُ وَأَحْرَقَتْهُ ، وَقَصَدَ إِلَى مَكَانٍ لَا يَحْتَمِلُ التَّغَافُلَ ، أَطْبَقَ جَفْنَهُ^٦
الْأَعْلَى عَلَى جَفْنِهِ الْأَسْفَلِ ، فَلَمْ يَنْهَضْ^٧ . فَدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ^٨ وَالْإِطْبَاقِ
وَالْفَتْحِ ، فَتَنَحَّى رِيشًا سَكَنَ جَفْنَهُ . ثُمَّ عَادَ إِلَى مُوقِهِ بِأَشَدِّ
مِنْ مَرَّتِهِ الْأُولَى ، فَغَمَسَ خُرْطُومَهُ فِي مَكَانٍ كَانَ قَدْ أَوْهَاهُ^٩ قَبْلَ ذَلِكَ .
فَكَانَ احْتِمَالُهُ لَهُ أَوْجَعُ ، وَعَجْزُهُ عَنِ الصَّبْرِ فِي الثَّانِيَةِ أَقْوَى ، فَحَرَّكَ
أَجْفَانَهُ وَزَادَ فِي شِدَّةِ الْحَرَكَةِ ، وَفِي فَتْحِ الْعَيْنِ ، وَفِي تَتَابُعِ الْفَتْحِ وَالْإِطْبَاقِ .
فَتَنَحَّى عَنْهُ بِقَدَرٍ مَا سَكَنَتْ حَرَكَتُهُ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَمَا زَالَ
يُلِجُّ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَفْرَغَ صَبْرَهُ وَبَلَغَ مَجْهُودَهُ^{١٠} . فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ
يَدْبُ^٥ عَنْ عَيْنَيْهِ بِيَدِهِ ، فَفَعَلَ ، وَعُيُونُ الْقَوْمِ إِلَيْهِ^{١١} تَرْمُقُهُ ، وَكَأَنَّهُمْ
لَا يَرَوْنَهُ . فَتَنَحَّى عَنْهُ بِقَدَرٍ مَا رَدَّ يَدَهُ ، وَسَكَنَتْ حَرَكَتُهُ . ثُمَّ عَادَ

١ السماط : الصف .

٢ الموق : وتخفف الهززة فيقال موق : طرف العين مما يلي الأنف ، وهو مجرى الدمع منها .

٣ الأربطة : طرف الأنف .

٤ غضن وجهه : جعل به غصوناً أي ثنيات ، من انقباض جلده .

٥ يدب : ينفذ الدباب .

٦ لم ينهض : الضمير يعود إلى الدباب .

٧ والى : تابع .

٨ أواه : أضعفه .

٩ بلغ مجهوده : أي أجهد .

١٠ إليه : أي ناظرة إليه ، أو ما أشبه .

إلى موضعيه . ثم ألقاهُ إلى أن ذبَّ عن وجهه بطرفِ كُمه . ثم ألقاهُ إلى أن تابعَ بينَ ذلكَ ، وعلمَ أن فعله كُلهُ بعينِ من حَصْرَه من أمثاله وجلّسائه . فلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ ، قالَ : أشهدُ أن الدّبابَ ألج من الخنفساء^١ ، وأزهى من الغراب^٢ ! وأستغفرُ اللهَ فما أكثرَ من أعجبته نفسه ، فأرادَ اللهُ ، عزَّ وجلَّ ، أن يُعرِّقه من ضُغفه ما كانَ عنه مَسْتوراً ! وقد علّمتُ أنيَ عندَ النَّاسِ من أزمَتِ النَّاسِ^٣ ، فقد غلبني وفَضَحَني أضعفُ خلقه ! ثم تلا قوله تعالى : « وإنْ يَسْلُبْهُمُ الدّبابُ شَيْئًا ، لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطّالِبُ وَالمُطْلُوبُ » .

وكانَ بينَ اللسانِ ، قَلِيلَ فضولِ الكلامِ ؛ وكانَ مَهيباً في أصحابيه ؛ وكانَ أَحَدَ مَنْ لم يُطعَنَّ عليه في نفسه ، ولا في تعريضِ أصحابيه للمُتَالَةِ^٤ .

حيلة الحية

حدَّثنا أبو جَعْفَرٍ المَكْفُوفُ^٥ النَحْوِيُّ العَنَبَرِيُّ ، وأخوه رُوْحُ الكاتبِ ، ورجالٌ من بَنِي العَنَبَرِ : أنَّ عندهم ، في رِمالِ بَلْعَنَبَرِ^٦ ، حِيَّةٌ تَصِيدُ العَصَافِيرَ وَصِغَارَ الطَّيْرِ بأعجبِ صيدٍ . زَعَمُوا أَنَّهَا إذا انْتَصَفَ النَّهَارُ واشتدَّ

... ..

١ الخنفساء : حشرة سوداء منتنة الرائحة . ومن أمثال العرب : ألج من الخنفساء ؛ لأنها تقبل نحو الإنسان فيدفعها فتبعد بقدر تلك الدفعة ، ثم تعود أيضاً . ويتكرر منه ذلك وهي لا تتحول بل تلج في النودة كلما دفعت .

٢ أزهى : أفعل التفضيل من زهي : أي تكبر وتاه . يقال أزهى من الغراب ، لأنه إذا مشى اختال ونظر في عطفه . ويقال أزهى من ذباب ؛ لأنه يسقط على أنف الملك الجبار ، وعلى موق عينه ، فيغمس خرطومَه فيه فيؤذيه ؛ ويطرده فلا ينطرد .

٣ أزمَتِ النَّاسِ : أشدهم وقاراً ورزاة .

٤ فضول الكلام : ما لا قيمة له ولا خير فيه .

٥ المتألة : السباب وتهشم الأعراس .

٦ المكفوف : الأعمى .

٧ بلعنبر : أي بني العنبر .

الحرّ في رمالٍ بَلَعَتَبَرٍ ، وامْتَنَعَتِ الأرضُ على الحافي والمستَعِيلِ ، ورَمِضَ^١
الجُنْدُبُ ، غَمَسَتْ هذه الحَيَّةُ ذَنَبَهَا في الرَّمْلِ ، ثمَّ انتَصَبَتْ كأنَّها رُمَحٌ
مَرَكُوزٌ أو عودٌ ثابتٌ . فيَجِيءُ الطَّائِرُ الصَّغِيرُ أوِ الجَرَادَةُ ، فإذا رأى عوداً
قائماً ، وكَرِهَ الوقوعَ على الرَّمْلِ لشِدَّةِ حرِّهِ ، وَقَعَ على رأسِ الحَيَّةِ ، على
أَنفِها عودٌ ، فإذا وَقَعَ على رأسِها ، قَبَضَتْ عَلَيْهِ . فإنَّ كَانَ جَرَادَةً أوِ جُعَلًا^٢
أو بَعْضَ ما لَا يُشْبِعُهَا مِثْلُهُ ، ابْتَلَعَتْهُ وَبَقِيَتْ على انْتِصَابِها ، وإنَّ كَانَ الواقِعُ
على رأسِها طائِراً يُشْبِعُهَا مِثْلُهُ ، أَكَلَتْهُ وانصَرَفَتْ . وأنَّ^٣ ذَلِكَ دَأْبُهَا ما مَنَعَ
الرَّمْلُ جانِبَهُ في الصَّيْفِ والقَيْظِ في انْتِصَافِ النَّهَارِ والهاجِرَةِ^٤ . وذلكَ أَنَّ
الطَّائِرَ لَا يَشْكُ أَنَّ الحَيَّةَ عودٌ ، وَأَنَّهُ سَيَقُومُ لَهُ مَقَامَ الجِذْلِ^٥ لِلحِرْبَاءِ ،
إلى أَنَّ يَسْكُنَ الحرَّ وَوَمَجَّ الرَّمْلِ .

وفي هذا الحديث من العَجَبِ أَنَّ تَكُونَ هذه الحَيَّةُ تَهْتَدِي لِمِثْلِ هذه
الحَيَّةِ ؛ وفيهِ جَهْلُ الطَّائِرِ بِفَرْقِ ما بَيْنَ الحَيَّوانِ والعودِ ؛ وفيهِ قِلَّةُ
اِكْتِرَافِ الحَيَّةِ للرَّمْلِ الَّذِي عادَ^٦ كالحَمِيرِ ، وَصَلَحَ أَنَّ يَكُونَ مَلَكَةً^٧ وَمَوْضِعاً
لِلخُبْزَةِ^٨ ؛ ثُمَّ أَنَّ يَشْتَمِلَ ذَلِكَ الرَّمْلُ على ثُلْثِ الحَيَّةِ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ ،
والرَّمْلُ على هذه الصَّفَةِ . فهذه أَعْجُوبَةٌ من أَعْجَابِ ما في الحَيَّاتِ .

.....

- ١ رمض : آله الرمض وأحرقه ؛ والرمض : شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه .
- ٢ الجعل : دويبة سوداء ، له جناحان أسودان يطير بهما ؛ قيل إنه يموت من ريح الورد ، ويعيش إذا أعيد إلى الزبل ونحوه .
- ٣ وأن : بفتح همزة أن : مطوقة على قوله حدثنا أبو جعفر . . . أن .
- ٤ القَيْظُ : صميم الصيف حيث يشتد الحر .
- ٥ الهاجرة : انتصاف النهار وشدة الحر .
- ٦ الجذل : أصل الشجرة بعد ذهاب الفرع .
- ٧ عاد : صار .
- ٨ الملة : الرماد الحار الذي أوقد فيه النار .
- ٩ الخُبْزَةُ : الطلعة ، وهي عجينة يوضع في الملة حتى ينضج .

الترياق والانقلاب الأفعى

وكنْتُ يَوْمًا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ^١ ، وَكَانَ عِنْدَهُ سَلْمُويَه
وَابْنُ مَاسُويَه وَبَخْتِيشُوعُ بْنُ جَبْرِيلَ^٢ فَقَالَ^٣ : هَلْ يَنْفَعُ التَّرْيَاقُ مِنْ نَهْشَةِ
أَفْعَى ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ^٤ : إِذَا عَضَّتِ الْأَفْعَى فَأَدْرِكْتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَلِبَ ،
نَفَعَ التَّرْيَاقُ . وَإِنْ لَمْ تُدْرِكْ لَمْ يَنْفَعْ ، لِأَنَّهُمْ إِنْ قَتَلُوا مِنَ التَّرْيَاقِ ،
قَتَلَهُ السَّمُ ، وَإِنْ كَثُرُوا مِنْهُ ، قَتَلَهُ الْفَاضِلُ عَنْ مِقْدَارِ الْحَاجَةِ .
قُلْتُ : فَإِنَّ ابْنَ الْعَجُوزِ خَبَّرَنِي بِأَنَّهَا لَيْسَتْ تَنْقَلِبُ لِمَجِّ السَّمِّ وَإِفْرَاجِهِ ،
وَلَكِنَّ الْأَفْعَى فِي نَايِهَا عَصَلٌ^٥ ؛ وَإِذَا عَضَّتِ اسْتَفْرَغَتْ إِدْخَالَ النَّابِ كُلَّهُ ،
وَهُوَ أَحَجَنُ^٦ أَعْصَلُ^٧ ، فِيهِ مُشَابِهٌ مِنَ الشَّصِّ^٨ ؛ فَلِذَا انْقَلَبَتْ ، كَانَ أَسْهَلَ
لِنَزْعِهِ وَآلَهُ^٩ . فَأَمَّا لَصَبِ السَّمِّ وَإِفْرَاجِهِ فَلَا . قَالَ : وَاللَّهِ ، لَعَلَّهُ مَا قُلْتُ !
قُلْتُ : مَا أَسْرَعَ مَا شَكَّكَتَ !

ثُمَّ تَلَّه^{١٠} : فَكَأَنَّمَا وَضَعُوا التَّرْيَاقَ ، وَاجْتَلَبُوا الْأَفْعَى وَضَنُوا^{١١} ،
وَعَزَمُوا لِي أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا بِدَرَكِ^{١٢} الْأَفْعَى قَبْلَ أَنْ تَنْقَلِبَ ! وَكَيْفَ صَارَ
التَّرْيَاقُ بَعْدَ الانْقِلَابِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي إِحْدَى مَتَرِلَتَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَقْتُلَ

١ أحمد بن أبي دُوَادٍ : كَانَ مَتَوَلِيَّ الْقَضَاءِ ، اتَّصَلَ بِهِ الْخَاطِطُ فِي زَمَنِ الْمُتَوَكِّلِ .

٢ هُوَلَاءُ الثَّلَاثَةِ مِنَ السَّرِيانِ السَّاطِرَةِ ، وَهُمْ أَشْهُرُ الْأَطْبَاءِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ .

٣ قَالَ : الْفَسِيرُ يَمُودُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ .

٤ بَعْضُهُمْ : أَيُّ بَعْضِ هُوَلَاءِ الْأَطْبَاءِ الثَّلَاثَةِ .

٥ قَتْلُهُ : أَيُّ قَتْلِ الْمَفْضُوضِ .

٦ ابْنُ الْعَجُوزِ : أَحَدُ الْخَوَاتِينِ . وَفِي رِوَايَةٍ : ابْنُ أَبِي الْعَجُوزِ .

٧ الْمَجْ : رَمَى الرِّيقَ مِنَ الْعَمِّ .

٨ الْعَصَلُ : الْأَعْوِجَاجُ .

٩ أَحَجَنُ : أَعْقَفُ .

١٠ الشَّصُّ : حَدِيدَةٌ عَقْفَاءُ يَصَادُ بِهَا السَّمَكُ .

١١ السَّلْ : انْتِرَاعُ الشَّيْءِ وَاسْتِخْرَاجُهُ فِي رَفْقٍ .

١٢ وَضَنُوا : أَيُّ وَضَنُوا بِهَا ، أَيُّ بِالْأَفْعَى .

١٣ الدَّرَكُ : الْإِذَاقُ ، أَيُّ إِدْرَاكِ الْأَفْعَى قَبْلَ أَنْ تَنْقَلِبَ .

مُكْتَرَبِهِ ، وإِمَّا أَلَا يَنْفَعَ بِقِلَّتِهِ ! فكأنَّ الترياقَ لَيْسَ نَفْعُهُ إِلَّا فِي الْمُنَزَّلَةِ
الْوُسْطَى التي لَا تَكُونُ فَاضِلَةً^١ وَلَا نَاقِصَةً^٢ ! ولكنِّي أَقُولُ لَكَ : كَيْفَ يَكُونُ
نَفْعُهُ ، إِذَا كَانَ الترياقُ جَيِّدًا قَوِيًّا ، وَعُوجِلَ فسُقِيَ^٣ الْمِقْدَارَ الْأَوْسَطَ ،
قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ^٤ الصَّمِيمَ ، وَيَغُوصَ فِي الْعُمُقِ^٥ . وَعَلَى هَذَا وَضِعَ^٦ . وَهَمَّ كَانُوا
أَحْزَمَ وَأَحْذَقَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا شَيْئًا ، وَمِقْدَارُهُ مِنْ النَّفْعِ لَا يَوْصَلُ إِلَى
مَعْرِفَتِهِ .

وَيَقُولُ بَعْضُ الْخُذَّاقِ : إِنَّ سَقْيَ الترياقِ ، بَعْدَ النَّهْشِ بِسَاعَةٍ أَوْ
سَاعَتَيْنِ ، مَوْتُ الْمُنْهَوِّشِ^٧ .

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : وَمَا عَلَّمَكَ ؟ وَبِأَيِّ سَبَبٍ أَيقَنْتَ أَنَّهَا تَمْجُجُ مِنْ جَوْفِ نَاحِيهَا
شَيْئًا ؟ ! وَلَعَلَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا مُخَالَطَةُ جَوْهَرِ ذَلِكَ النَّابِ لِدَمِ الْإِنْسَانِ .
أَوَلَسْنَا قَدْ نَجِدُ مِنْ الْإِنْسَانِ مَنْ يَعْصُ صَاحِبَهُ ، فَيَقْتُلُهُ ، وَيَكُونُ مَعْرُوفًا
بِذَلِكَ ؟ وَقَدْ تُقَرِّوْنَ أَنَّ الْهِنْدِيَّةَ^٨ وَالشَّعْبَانَ^٩ : إِمَّا بِمُخَالَطَةِ الرِّيقِ
الدَّمِّ ، وَإِمَّا بِمُخَالَطَةِ السِّنِّ الدَّمِّ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَدَّعُوا أَنَّ أَسْنَانَهُمَا مُجَوِّفَةٌ .
وَقَدْ أَجْمَعَ جَمِيعُ أَصْحَابِ التَّجَارِبِ أَنَّ الْحَيَّةَ تُضْرَبُ بِقُصْبَةٍ فَتَكُونُ
أَشَدَّ عَلَيْهَا مِنَ الْعَصَا . وَقَدْ يُضْرَبُ الرَّجُلُ عَلَى جَسَدِهِ بِقُضْبَانِ اللَّوْزِ وَقُضْبَانِ
الرَّمَانِ ؛ وَقُضْبَانِ اللَّوْزِ أَعْلَكَ^{١٠} وَأَلْدَنُ^{١١} ، وَلَكِنَّهَا أَسْلَمُ ؛ وَقُضْبَانِ الرَّمَانِ

.....

١ فاضلة : زائدة .

٢ وعوجل فسقي : فائب الفاعل يعود إلى المنهوش المعهود .

٣ يبلغ : فاعله السم المعهود .

٤ في العمق : أي في عمق البدن .

٥ وضع : أي وضع الترياق .

٦ يريد بذلك أن السم يكون قد بلغ العمق .

٧ الهندية : ضرب من الأفاعي القاتلة ، يوجد منها في البيوت والاصطبلات والخرابات .

٨ الشعبان : الحية الضخمة الطويلة ، وهي من الأفاعي القواثل .

٩ أعلك : أمتن وألين ، ينطوي ولا ينكسر .

١٠ ألدن : ألين وأكثر تليًا .

أَخَفُّ وَأَسْخَفُ^١ ، وَلَكِنَّهَا أَعْطَبُ .

وَقَدْ يَطُّ الْإِنْسَانُ عَلَى عَظَمِ حَيَّةٍ أَوْ لِبَرَةٍ عَقْرَبٍ ، وَهُمَا مَبِيتَانِ ،
فِيَلْقَى الْحَدَّ . وَقَدْ يُخْرَجُ السَّكِينُ مِنَ الْكَبِيرِ^٢ ، وَهُوَ مُحَمَّى ، فَيُغْمَسُ^٣
فِي اللَّبَنِ ، فَمَتَى خَالَطَ الدَّمَ ، قَامَ مَقَامَ السَّمِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مَسَّجٌ فِي الدَّمِ
رُطُوبَةً غَلِيظَةً أَوْ رَقِيْقَةً .

وَبَعْضُ الْحِجَارَةِ يَكْوَى بِهَا ، وَهُوَ^٤ رِخْوٌ ، الْأَوْرَامُ حَتَّى يُفَرِّقَهَا^٥
وَيَحْمُصَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ نَقْدًا إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْهُ ، وَلَيْسَ إِلَّا الْمَلَأَقَةُ^٦ .

قُلْتُ : وَلَعَلَّ قَوِيَّ قَدْ انْفَصَلَتْ مِنْ أَنْيَابِ الْأَفْعَى إِلَى دِمَائِ النَّاسِ . وَقَدْ
رَوَوْا أَنَّهُ قِيلَ لِجَالِينُوسَ^٧ : إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا يَرْقِي الْعَقَارِبَ ، فَتَمُوتُ أَوْ تَنْحَلُّ^٨
فَلَا تَعْمَلُ ، فَرَأَاهُ يَرْقِيهَا وَيَتَفَلُّ عَلَيْهَا ، فَدَعَا بِهِ بِحَضْرَةِ جَمَاعَةٍ ، وَهُوَ عَلَى
الرَّيْقِ ، وَدَعَا بِغَدَائِهِ فَتَغَدَّى مَعَهُ ، ثُمَّ دُعِيَ لَهُ بِالْعَقَارِبِ ، فَتَقَلَّ عَلَيْهَا ،
فَلَمْ يَجِدْ لُعَابَهُ يَصْنَعُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رِيقًا . وَهُوَ حَدِيثٌ يَدُورُ بَيْنَ
أَهْلِ الطَّبِّ ، وَأَنْتَ طَبِيبٌ . فَلَمْ أَرَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ قَالَ شَيْئًا إِلَّا مِنْ طَرِيقِ
الْحَزَرِ^٩ وَالْحَدَسِ^{١٠} وَابْتِلَاغَاتِ^{١١} .

١ أسخف : أضعف وأقل متانة .

٢ الكبير : ما ينفخ فيه الحداد .

٣ وهو : راجع إلى بعض .

٤ وفي رواية : يفرقها .

٥ يحمصها : يسكن الأورام ويقللها ؛ يقال انحص الجرح : سكن ورمه وقل . وحمصه الدواء .

٦ إلا الملافة : أي ملاقاتها للحجر .

٧ جالينوس : طبيب يوناني قديم ترجمت كتبه إلى العربية في بني العباس .

٨ الحزر : التقدير .

٩ الحدس : الظن والتخمين .

١٠ البلاغات : التبليلات ، أي ما وصل إليه من الحديث .

الحية ذات الرأسين

وقد زعمَ صاحبُ المنطِقِ^١ أنه قد ظَهَرَتْ حَيَّةٌ لها رأسانِ . فسألتُ أعرابياً عن ذلك ، فزعمَ أن ذلكَ حقٌّ . فقلتُ له : فَمِنْ أَيِّ جِهَةِ الرَّاسَيْنِ تَسْعَى ، ومنْ أَيْهِمَا تَأْكُلُ وتَعَضُّ ؟ فقالَ : فأما السَّعْيُ فلا تَسْعَى ، ولكنها تَسْعَى إلى حاجتيها بالتَّقَلُّبِ كما يَتَقَلَّبُ الصَّبِيانُ على الرَّمْلِ ؛ وأما الأكلُ فإنَّها تَتَعَشَّى بِفَمٍ وتَتَغَدَّى بِفَمٍ ؛ وأما العَضُّ فإنَّها تَعَضُّ بِرَأْسَيْهِمَا مَعاً ، فإذا بهِ أَكَلَدُ الْبَرِيَّةِ ! وهذه الأحاديثُ كُلُّها مما يَزِيدُ في الرَّعْبِ مِنْهَا وفي تَهْوِيلِ أَمْرِهَا .

الأفعى والناقة والفصيل

ومن عَجِيبِ سَمِّ الْأَفَاعِي ما أَخْبَرَنِي بَعْضُ مَنْ يُخْبِرُ بِشَأْنِ الْأَفَاعِي قَالَ : « كُنْتُ بِالْبَادِيَةِ ، ورَأَيْتُ نَاقَةً ، وفَصَّلْتُهَا بِرَتَضْعٍ مِنْ أَخْلَافِهَا^٢ ، إِذْ نَهَشَتْ النَّاقَةَ عَلَى مَشَافِرِهَا^٣ ، فَبَقِيَتْ واقِفَةً سَادِرَةً^٤ ، والفَصِيلُ يَرْتَضِعُ^٥ . فَبَيْنَا هُوَ يَرْتَضِعُ ، إِذْ خَرَّ مَيِّتاً^٦ . فَكَانَ مَوْتُهُ ، قَبْلَ مَوْتِ أُمِّهِ ، من الْعَجِيبِ ! وَكَانَ مُرُورُ السَّمِّ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الْقَصِيرَةِ ، أَعْجَبَ ! وَكَانَ ما صَارَ مِنْ فُضُولِ^٦ سُمِّهَا فِي لَبَنِ الضَّرْعِ ، حَتَّى قَتَلَ الْفَصِيلَ قَبْلَ أُمِّهِ ، عَجَباً آخِراً .

١ صاحب المنطق : يعنى أرسطو .

٢ منها : أي من الحية .

٣ الأخلاف : جمع خلف وهو للناقة كالضرع للشاة .

٤ المشافر : جمع مشفر وهو للبعر كالشفة للإنسان .

٥ سادرة : متحيرة البصر لا تكاد تبصر .

٦ الفضول : البقايا ، جمع فضل .

كتاب البخلاء

أهل خراسان^١

نبدأ بأهل خراسان لإكثار الناس في أهل خراسان ، ونخص بذلك أهل مرو^٢ ، بقدر ما خصصوا به .
قال أصحابنا : يقول المروزي^٣ للزائر ، إذا أتاه ، وللجليس ، إذا طال جلوسه : تَغَدَّيتَ الْيَوْمَ ٢ فإِنْ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : لَوْلَا أَنْكَ تَغَدَّيتَ ، لَتَغَدَّيْتُكَ بِغَدَاءٍ طَيِّبٍ . وَإِنْ قَالَ : لَا ، قَالَ : لَوْ تَغَدَّيْتُ ، لَسَقَيْتُكَ خَمْسَةَ أَقْدَاحٍ . فَلَا يَصْبِرُ فِي يَدِهِ ، عَلَى الْوَجْهَيْنِ ، قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ .

ديكة مرو

وقال ثُمَامَةُ^٤ : لَمْ أَرِ الدِّيكَ فِي بَلَدَةٍ قَطَّ إِلَّا وَهُوَ لَا قِطَّ ، يَأْخُذُ الْحَبَّةَ بِمِنْقَارِهِ ، ثُمَّ يَلْفِظُهَا قُدَّامَ الدَّجَاجَةِ^٥ ؛ إِلَّا دِيكَةً مَرَوَ ، فَلِئَنِّي رَأَيْتُ دِيكَةً مَرَوَ تَسْلُبُ الدَّجَاجَ مَا فِي مَنَاقِيرِهَا مِنَ الْحَبِّ ! قَالَ : فَعَلِمْتُ أَنَّ بُخْلَهُمْ شَيْءٌ فِي طَبْعِ الْبِلَادِ ، وَفِي جَوَاهِرِ الْمَاءِ . فَمِنْ ثَمَّ عَمَّ جَمِيعَ حَيَوَانِهِمْ .

..

١ بدأ بذكر أهل خراسان بعد إيراد رسالة سهل بن هارون في تحسين البخل .

٢ مرو : بلد من خراسان .

٣ المروزي : نسبة إلى مرو في الأناضول على غير قياس ، ومروي في غير ذلك .

٤ هو ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ النَّمِيرِيِّ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمُعْتَزَلَةِ .

٥ ثم : ظرف بمعنى هناك .

صبيان مرو

فحدّثت بهذا الحديث أحمد بن رشيد ، فقال : كنت عند شيخ من أهل مرو ، وصبي له صغير يلعب بين يديه ، فقلت له إنا عابثاً وإنا ممتحناً : أطعني من خبزكم ، قال : « لا تُريدُهُ ، هو مُرٌّ . » فقلت : « فاسقني من مائِكُم » قال : « لا تُريدُهُ ، هو مالِحٌ . » قلت : « هات من كذا وكذا » قال : « لا تُريدُهُ ، هو كذا وكذا . . . إلى أن عدت أصنافاً كثيرة ، كل ذلك يمتنعني ويُبغضه إليّ . فضحك أبوه وقال : « ما ذببنا ؟ هذا من علمه ما تسمع . » يعني أن البخل طبع فيهم ، وفي أعراقهم^١ وطبيعتهم .

٢ السراج والعود

وقال خاقان بن صبيح : دخلت على رجل من أهل خراسان ، ليلاً ، وإذا هو قد أتنا بمسرجة فيها فتيلة في غاية الدقة ، وإذا هو قد ألقى في دهن المسرجة شيئاً من ملح^٢ ، وقد علق على عمود المنارة^٣ ، عوداً بحيط ، وقد حرّ فيه ، حتى صار فيه مكان للرباط . فكان المصباح إذا كاد ينطفئ ، أشخص^٤ رأس الفتيلة بذلك . قال ، فقلت له : « ما بال العود مربوط ؟ » قال : « هذا عود قد تشرب الدهن ، فإن ضاع ولم يُحفظ ، احتجنا إلى واحد عطشان . فإذا كان هذا دأبنا ودأبه ، ضاع من دهننا في الشهر بقدر كفاية ليلة . »

قال : فبينما أنا أتعجب في نفسي ، وأسأل الله ، جلّ ذكره ، العافية

١ ملح : ينقل الجاحظ كلام الصبي ، وإنما يقال : ملح ، وأما مالِح فلغة رديئة .

٢ الأعراق ، جمع عرق : الأصل .

٣ الظاهر أنهم كانوا يعتقدون أن الملح يخفف من استهلاك الدهن .

٤ المنارة : موضع المسرجة .

٥ أشخص : رفع .

والسَّترَ ، إذ دخلَ شَيْخٌ من أهلِ مَرَوْ ، فنظَرَ إلى العودِ ، فقالَ : « يا أبا فلانٍ ، فررتَ من شيءٍ ، ووقعتَ في شَيْبِهِ به . أمّا تعلمُ أنَ الرِّيحَ والشمسَ تأخذانِ من سائرِ الأشياءِ ؟ أو ليسَ قد كانَ الباريحةَ عندَ إطفاءِ السَّراجِ أروى ، وهو ، عندَ إسراجِكَ اللَّيلةَ ، أعطشُ ؟ قد كنتُ جاهلاً مثلكَ ، حتى وفَّقني اللهُ إلى ما هوَ أرشدُ . اربطُ ، عافاك اللهُ ، بَدَلِ العودِ إبرَةً ، أو مِسْلَةً صَغِيرَةً . وعلى أنَ العودَ والحِلالَ^٢ والقِصْبَةَ^٣ ربُّما تعلقتُ بها الشَّعْرَةُ^٤ من قُطْنِ الفَتِيلَةِ ، إذا سَوَّيْنَاهَا بها ، فتشخصُ^٥ مَعَهَا . وربُّما كانَ ذلكَ سَبَباً لانطفاءِ السَّراجِ . والحديدُ أملتسُ ، وهو ، معَ ذلكَ ، غيرُ نَشَافٍ^٦ . »
قالَ خاقانُ : ففي تلكَ اللَّيلةِ عرفتُ فضلَ أهلِ خُرَّاسانَ على سائرِ النَّاسِ ، وفضلَ أهلِ مَرَوْ على سائرِ أهلِ خُرَّاسانَ .

كذب بكذب

ومثلُ هذا الحديثِ ما حدَّثني به مُحَمَّدُ بنُ يَسِيرٍ^١ عن والٍ كانَ بفارسَ ، إمّا أنَ يَكُونَ خالِداً أخا مَهْرَوِيَه ، أو غيرَه . قالَ : بَيْنَا هُوَ يَوْماً في مَجْلِسٍ ، وهو مشغولٌ بحِسابِهِ وأمرِهِ ، وقد احتجَبَ جُهدَه^٧ ، إذ نجمَ^٨ شاعرٌ من بَيْنِ يَدَيْهِ ، فأنشدَه شِعراً مدَّحَه فيه وقرَّظَه ومجَّدَه . فلمّا فرغَ ، قالَ : « قد أحسنتَ » ثمَّ أقبلَ على كاتِبِهِ ، فقالَ : « أعطِه عَشْرَةَ

١ السائر : الباقي ، وربما استعمل بمعنى الجميع كما استعمل هنا .

٢ الحلال : عود دقيق تخلل به الاسنان .

٣ تشخص : تذهب ؛ الفاعل يرجع إلى الفتيلة .

٤ معها : أي مع هذه الأشياء ، أي العود والحلال والقصبَة .

٥ نشاف : بمنص ، صيغة مبالغة .

٦ محمد بن يسير : شاعر بصري .

٧ احتجب جهده : أي احتجب عن الناس على قدر ما أمكنه .

٨ نجم : ظهر .

آلاف درهم . « ففرح الشاعر فرحاً قد يُستطار له ^١ . فلما رأى حاله ، قال : « ولاني لأرى هذا القول قد وقع منك هذا الموضع ! اجعلها عشرين ألف درهم . » وكاد الشاعر يخرج من جليده . فلما رأى فرحه قد تضاعف قال : « وإن فرحك ليتضاعف على قدر تضاعف القول ! أعطيه يا فلان أربعين ألفاً . » فكاد الفرخ يقتله . فلما رجعت إليه نفسه ، قال له : « أنت ، جعلت فداك ، رجل كريم ، وأنا أعلم أنك كلما رأيتني قد ازددت فرحاً ، زدتنني في الجائزة . وقبل هذا منك لا يكون إلا من قلة الشكر له ^٢ . » ثم دعا له وخرج .

قال : فأقبل عليه كاتبه ، فقال : « سبحان الله ! هذا كان يرضى منك بأربعين درهماً ، تأمر له بأربعين ألف درهم ! » قال : « ويلك ! وتريد أن تعطيه شيئاً ؟ » قال : « ومن إنفاذ أمرك بئد ؟ » قال : « يا أحمق ، إنما هذا رجل سراً بكلام ، وسررناه بكلام ! هو حين زعم أنني أحسن من القمر ، وأشد من الأسد ، وأن لساني أقطع من السيف ، وأن أمري أنفذ من السنان ، جعل في يدي من هذا شيئاً أرجع به إلى شيء ؟ ألسنا نعلم أنه قد كذب ؟ ولكنّه قد سراً حين كذب لنا ^٣ . فتحن أيضاً نسره بالقول ، وتأمر له بالجوائز ، وإن كان كذباً ، فيكون كذب بكذب ، وقول بقول . فأما أن يكون كذب بصدق ، وقول بفعل ، فهذا هو الخسران الذي ما سمعت به ! »

.....

١ يسطار له : أي يحمل على الطيران لأجله .

٢ قبول هذا : أي قبول هذا العمل ، أي مضاعفة الجائزة له ؛ والمراد أنه يؤثر أن يخرج من مجلسه لثلاث تسمر هذه الزيادات في الجائزة ، فيكون كمن وجد العطاء قليلاً ، فأقل من الشكر له لينال الزيادة فيه .

٣ لنا : أي لأجلنا .

قصة أسد بن جاني

فأما أسد^١ بن جاني فكان يجعل سريره في الشتاء من قصب مفسر^٢ ، لأن البراغيث تزلق^٣ عن ليط^٤ القصب ، لفرط لينه وملاسته . وكان ، إذا دخل الصيف وحر عليه بيته^٥ ، أثارة^٦ ، حتى يغرق المسحاة^٧ ثم يصب عليه جيراً كثيراً من ماء البئر ، ويتوطؤه^٨ حتى يستوي . فلا يزال ذلك البيت بارداً ، ما دام ندياً . فإذا امتد به الندى ، ودام برده بدوامه ، اكتفى بذلك التبريد صيفته^٩ . وإن جف قبل انقضاء الصيف ، وعاد عليه الحر عاد عليه بالإثارة والصب . وكان يقول : « خيشتي أرض ، وماء خيشتي من بئري . وبتي أبرد^{١٠} ، وموتني^{١١} أخف . وأنا أفضلهم^{١٢} أيضاً بفضل الحكمة وجودة الآلة^{١٣} . وكان طبيباً ، فأكسد^{١٤} مرة ، فقال له قائل : « السنة وبنة^{١٥} ، والأمراض فاشية^{١٦} ، وأنت عالم ، ولك صبر وخدعة^{١٧} ، ولك بيان ومعرفة^{١٨} . فمن أين تؤتى^{١٩} في هذا الكساد ؟ » قال : أما واحدة^{٢٠} ، فإنني عندهم

١ الليط : جمع ليطه وهي قشرة القصب الملازمة لها ، أي ظاهرها اللامع الأملس .

٢ أثارة : نكشه ورفع ترابه .

٣ المسحاة : المجرفة . وقوله أغرق المسحاة : أي أنه حفر بمق طولها .

٤ يتوطؤه : يدوسه برجليه ، أي أنه يدوس البيت برجليه بعد أن يعيد عليه التراب .

٥ خيشتي ، في محيط المحيط : مروحة الخيش : نسج خشن من الكتان كثر أعراغ السفينة يملقها أهل العراق في سقف البيت ويعملون لها حبلاً تجر به مبلولة بالماء . فإذا أراد الرجل أن ينام جذب حبلها فيهب منها نسيم بارد يذهب أذى الحر ، ويستطاب معه النوم .

٦ أبرد : أي أبرد من بيوت أصحاب المراح .

٧ الموتة : الكلفة .

٨ الآلة : أي آلة التبريد التي اخترعها بحكته .

٩ أكسد الرجل : كسدت سوقه .

١٠ وبنة : كثيرة الأمراض .

١١ فمن أين تؤتى : أي من أي وجه يأتيك البلاء في هذا الكساد .

١٢ واحدة : أي أولاً .

مَسْلِمٌ ، وقد اعتقد القوم ، قبل ان اتطبيب في بل بل بل ، أن المسلمين لا يفلحون في الطب . واسمي أسد ، وكان ينبغي أن يكون اسمي صليبا ، ومرايل^٢ ، ويوحنا ، وبيرا^٣ . وكنتي أبو الحارث ، وكان ينبغي أن تكون أبو عيسى وأبو زكريا وأبو إبراهيم^٤ . وعلي رداء قطن أبيض ، وكان ينبغي أن يكون رداء حرير أسود . ولفظي لفظ عربي ، وكان ينبغي أن تكون لغتي لغة أهل جنديسابور^٥ .

٢ كل الرؤوس

ثم رجعت الحديث إلى أعاجيب عبد الرحمن^٦ :
وكان أبو عبد الرحمن يعجب بالرؤوس ، ويحسدّها ويصفها . وكان لا يأكل اللحم إلا يوم أضحي ، أو من بقية أضحيته^٧ ، أو يكون في عرس ، أو دعوة ، أو سفرة^٨ . وكان سمي الرأس عرسا ، لما يجتمع فيه من الألوان الطيبة ، وكان يسميه مرة الجامع ، ومرة الكامل .
وكان يقول : الرأس شيء واحد ، وهو ذو ألوان عجيبة ، وطعموم مختلفة . وكل قدر^٩ ، وكل شواء فلانما هو شيء واحد . والرأس فيه

.....

- ١ أطلب : أي أعالج علم الطب وأعالجه .
- ٢ مرايل أي مورائل : من أسماء الملائكة .
- ٣ بيرا : لعله مصحف عن بيرا : الصخرة أو بطرس .
- ٤ أبو : رفع أبو في الكنى الثلاث على الحكاية .
- ٥ جنديسابور : أراد بها مدرسة جنديسابور التي أنشأها كسرى أنوشروان وأنشأ بجانبها مستشفى يعرف بالبيمارستان ، فكان علماء النساطرة يدرسون فيها علوم اليونان باللغة السريانية ، ومنها تخرج أشهر الأطباء النصارى في بني العباس كابناء بختيشوع .
- ٦ هو أبو عبد الرحمن الثوري .
- ٧ الأضحية : الشاة التي تذبح يوم الأضحي .
- ٨ السفرة : طعام السفر .
- ٩ قدر : أي ما يطبخ في القدر .

الدِّمَاغُ ، فَطَعَمُ الدِّمَاغِ عَلَى حِدَةٍ ؛ وَفِيهِ الْعَيْنَانِ ، وَطَعَمُهُمَا عَلَى حِدَةٍ ؛
وَفِيهِ الشَّحْمَةُ الَّتِي بَيْنَ أَصْلِ الْأُذُنِ وَمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ ، وَطَعَمُهَا عَلَى حِدَةٍ .
عَلَى أَنَّ هَذِهِ الشَّحْمَةَ ، خَاصَّةٌ ، أَطْيَبُ مِنَ الْمَخِّ ، وَأَنَعَمُ مِنَ الزُّبْدِ ،
وَأَدْسَمُ مِنَ السَّلَاءِ ٢ .

وَفِي الرَّأْسِ اللِّسَانُ ، وَطَعَمُهُ شَيْءٌ عَلَى حِدَةٍ ؛ وَفِيهِ الْخَيْشُومُ وَالْغُضْرُوفُ ٣
الَّذِي فِي الْخَيْشُومِ ، وَطَعَمُهُمَا عَلَى حِدَةٍ ؛ وَفِيهِ لَحْمُ الْخَدَّيْنِ ، وَطَعَمُهُ
شَيْءٌ عَلَى حِدَةٍ . حَتَّى يُقَسَّمِ اسْقَاطُهُ ٤ الْبَاقِيَّةُ . وَيَقُولُ : الرَّأْسُ سَيِّدُ
الْبَدَنِ ؛ وَفِيهِ الدِّمَاغُ ، وَهُوَ مَعْدِنُ الْعَقْلِ ، وَمِنْهُ يُتَمَرَّقُ الْعَصَبُ الَّذِي فِيهِ
الْحَيَاةُ ، وَبِهِ قِيَامُ الْبَدَنِ . وَإِنَّمَا الْقَلْبُ بَابُ الْعَقْلِ ، كَمَا أَنَّ النَّفْسَ
هِيَ الْمُدْرِكَةُ ، وَالْعَيْنَ هِيَ بَابُ الْأَلْوَانِ ، وَالنَّفْسَ هِيَ السَّامِعَةُ الدَّائِمَةُ ؛
وَإِنَّمَا الْأَنْفُ وَالْأُذُنُ بَابَانِ . وَلَوْلَا أَنَّ الْعَقْلَ فِي الرَّأْسِ ، لَمَّا ذَهَبَ الْعَقْلُ
مِنَ الضَّرْبَةِ تُصِيبُهُ . وَفِي الرَّأْسِ الْحَوَاسُ الْخَمْسُ ؛ وَكَانَ يُنْشِدُ قَوْلَ
الشَّاعِرِ ٥ :

إِذَا ضَرَبُوا رَأْسِي ، وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي ؛ وَغُودِرَ ، عِنْدَ الْمُلتَقَى ، ثُمَّ سَائِرِي ٦

وَكَانَ يَقُولُ : النَّاسُ لَمْ يَقُولُوا : هَذَا رَأْسُ الْأَمْرِ ، وَفُلَانُ رَأْسُ الْكَتَيْبَةِ ،
وَهُوَ رَأْسُ الْقَوْمِ ، وَهُمْ رُؤُوسُ النَّاسِ وَخَرَاطِيمُهُمْ ٧ وَأَنْفُهُمْ ٨ ؛ وَيَشْتَقُّوهُ ٩

.....

١ المخ : الدماغ ، ونقي العظم ، وهو ما يمص ويخرج من داخل العظم .

٢ السلاء : السمن ذهب ما فيه من أثر اللبن .

٣ الغضروف : كل عظم رخص يؤكل .

٤ الأسقاط : جمع سقط أي الأشياء النافذة التي لا تستحق الذكر .

٥ هو الشنفرى .

٦ الملتقى : مكان التقاء المتحاربين . ثم : هناك ، سائري : بقية جسمي .

٧ الخراطيم : الأنوف ، وخراطيم الناس ساداتهم ، سوا بذلك لثرف الأنف في الرأس ، ومنه اشتقوا الأنفة .

٨ ويشتقوا : معطوف على لم يقولوا .

مِنْ الرّأْسِ الرّئاسَة ، والرّئيس ، وقد رأسَ القومَ فلانٌ ، إلّا والرّأسُ هو المثلُّ ، وهو المُقدّمُ .

وكانَ إذا فرَغَ من أكلِ الرّأسِ ، عَمَدَ إلى القِحفِ^١ ، وإلى الجَبينِ ، فوضَعَهُ^٢ بقُرْبِ يَبُوتِ النَّمْلِ والدَّرِّ ؛ فإذا اجتمَعَتَ فيه ، أخذَهُ فنَقَضَهُ^٣ في طَسَّتْ^٤ فيها ماءٌ ، فلا يَزَالُ يُعِيدُ ذلكَ في تلكَ المَواضِعِ ، حتى يَقلَعَ أصلَ النَّمْلِ والدَّرِّ من دارِهِ . فإذا فرَغَ من ذلكَ ، ألقاهُ في الحَطَبِ ، ليوقَدَ بِهِ^٥ سائرَ الحَطَبِ .

وكانَ ، إذا كانَ يومُ الرّؤوسِ ، أقعدَ ابنتَهُ مَعَهُ على الخِوانِ^٥ ؛ إلّا أنْ ذلكَ بَعْدَ تَشَرُّطِ طَوِيلٍ ، وبعْدَ أنْ يَقيِفَ بِهِ على ما يُريدُ ؛ وكانَ فيما يَقُولُ لَهُ : إِيّاكَ ونَهَمَ^٦ الصَّبِيانِ ، وشَرَهُ^٧ الزُّراعِ^٧ ، وأخلاقَ النّواثِحِ^٨ . ودَعَى عَنكَ خَبَطَ^٩ المَلاحينَ^٩ والفِعلَةَ^{١٠} ، ونَهَشَ^{١١} الأعرابَ^{١١} والمَهَنَةَ^{١٢} . وكلَّ ما يَينَ يَديكَ ، فإنّما هو حَقُّكَ الذي وَقَعَ لَكَ وصارَ أَقربَ إِلَيْكَ . واعلَمَ أَنَّهُ ، إذا كانَ في الطَّعامِ شيءٌ طَريفٌ ولُقْمَةٌ كَرِيمَةٌ ومُضْغَةٌ شَهِيَّةٌ ،

١ القحف : العظم فوق الدماغ وما انفلق من الجمجمة فبان ، ولا يدعى قحفاً حتى يبين وينكسر منه شيء .

٢ فوضعه : ارجع ضمير المفعول المفرد إلى شيء مذكور ، وهذا كثير في كلامهم .

٣ الطست : مؤنثة وقد تذكر .

٤ ليوقد به : لأنه سريع الاشتعال .

٥ الخوان : ما يوضع عليه الطعام .

٦ النهم : إفراط الشهوة في الطعام .

٧ شره الزراع : يأكلون بجمش لأنهم أهل كد وتعب .

٨ النواثح : أي المستأجرات للنوح والندب ، فإذا حضر الطعام أقبلن عليه بشره .

٩ الخبط : الضرب الشديد .

١٠ الملاحين ، جميع الملاح : سائق السفينة ، والمراد لا تحبط بيدك الطعام على غير روية فتأكل من هنا وهناك كما تحبط الملاحون مجاذيفهم في الماء ، والفلة معاوهم ومجارفهم ؛ يوصيه بالترفق والاكتفاء بما يجد قربه من الطعام .

١١ يوصف الأعراب بالجمش لكثرة ما يعانون من الحرمان والجوع ، فإذا وقع لهم اللحم ، نهشوه بوحشية غريبة .

١٢ المهنة ، جمع الماهن : العبد والخادم ، وهذا ينهش الطعام بلهله أدب المائدة .

فلَمَّا ذلِكَ لِلشَّيْخِ الْمُعَظَّمِ ، وَالصَّبِيِّ الْمُدَلَّلِ ؛ وَلَسْتَ وَاحِدًا مِنْهُمَا . فَأَنْتَ
قَدْ تَأْتِي الدَّعَوَاتِ وَالْوَلَائِمَ ، وَتَدْخُلُ مَنَازِلَ الْإِخْوَانِ ، وَعَهْدُكَ بِاللَّحْمِ
قَرِيبٌ ، وَإِخْوَانُكَ أَشَدَّ قَرَمًا^١ إِلَيْهِ مِنْكَ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ رَأْسٌ وَاحِدٌ ، فَلَا
عَلَيْكَ^٢ أَنْ تَتَجَافَى^٣ عَنْ بَعْضٍ ، وَتُصِيبَ بَعْضًا . وَأَنَا ، بَعْدُ ، أَكْرَهُ لَكَ
الْمُؤَالَاةَ^٤ بَيْنَ اللَّحْمِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ أَهْلَ الْبَيْتِ اللَّحْمِينَ^٥ .

٥ قصة أهل البصرة من المسجدين

قَالَ أَصْحَابُنَا مِنْ الْمَسْجِدَيْنِ : اجْتَمَعَ نَاسٌ فِي الْمَسْجِدِ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ^٦
الِاِقْتِصَادَ^٦ فِي النِّفَقَةِ ، وَالتَّنْمِيَةَ لِلْمَالِ ، مِنْ أَصْحَابِ الْجَمْعِ وَالْمَنْعِ^٧ .
وَقَدْ كَانَ هَذَا الْمَذْهَبُ صَارَ عِنْدَهُمْ كَالنَّسَبِ الَّذِي يَجْمَعُ عَلَى التَّحَابِّ ،
وَكَالْحِلْفِ^٨ الَّذِي يَجْمَعُ عَلَى التَّنَاصُرِ . وَكَانُوا إِذَا اتَّفَقُوا فِي حَلْقِهِمْ^٩ تَدَسَّكَّرُوا
هَذَا الْبَابَ ، وَتَطَارَحَوْهُ^{١٠} وَتَدَارَسُوهُ .

قَالَ شَيْخٌ مِنْهُمْ : مَا بِيْرْنَا ، كَمَا عَلِمْتُمْ ، مِلْحُ أَجَاجٍ^{١١} لَا يَقْرَبُهُ
الْحِمَارُ ، وَلَا تُسَيِّغُهُ^{١٢} الْإِبِلُ ، وَتَمُوتُ عَلَيْهِ النَّخْلُ . وَالنَّهْرُ مِنَّا بَعِيدٌ .

.....

١ القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .

٢ لا عليك : أي لا بأس عليك .

٣ تتجافى : تبتعد .

٤ المؤالاة : المتابعة .

٥ اللحمين : الذين يكثرُونَ أَكْلَ اللحم ويدمنونه . وقوله إِنَّ اللَّهَ الْخ . . . حديث نبوي .

٦ ينتحل الاقتصاد : يتخذ مذهباً .

٧ الجمع : جمع المال . المنع : منعه من الخروج .

٨ الحلف : العهد .

٩ الحلق : جمع حلقة أي حلقة مجلسهم .

١٠ تطارحوه : أي طرح كل واحد منهم آراءه على أصحابه .

١١ أجاج : ملح مر .

١٢ تسيفه : تقبله وتسهل بلمه .

فيها كفاية^١. قالوا : وما هي ؟ قال : زَوَّجَت ابنتَها ، وهي بنتُ اثنتي عشرة^٢ ، فحلَّتْها الدَّهَبَ والفضَّةَ ، وكسَّتْها المَرْوِيَّ^٣ والوَشِيَّ والقَزَّ والخَزَّ^٤ ، وعَلَقَتِ المَعْصِفَ^٥ ، ودَقَّت الطَّيْبَ ، وعَظَّمَت أَمْرَها في عَيْنِ الحَسَنِ^٦ ، ورَفَعَت مِن قَدْرِها عندَ الأَحْمَاءِ^٧ .

فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا : أَتَيْ هَذَا يَا مَرْيَمُ ؟ قَالَتْ : هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ . قَالَ : دَعِي عَنكَ الْجُمْلَةَ ، وَهَاتِي التَّفْسِيرَ . وَاللَّهِ ، مَا كُنْتُ ذَاتَ مَالٍ قَدِيمًا ، وَلَا وَرِثَتِهِ حَدِيثًا ، وَمَا أَنتِ بِخَائِنَةٍ فِي نَفْسِكَ وَلَا فِي مَالٍ بَعْلِكَ ؛ إِلَّا أَنْ تَكُونِي قَدْ وَقَعْتَ عَلَى كَثْرٍ^٨ وَكَيْفَ دَارَ الْأَمْرِ ، فَقَدْ أَسْقَطْتَ عَنِّي مُؤْنَةً^٩ ، وَكَفَيْتَنِي هَذِهِ النَّائِبَةَ^{١٠} .

قَالَتْ : أَعْلَمَ أَتَيْ ، مُنْذُ يَوْمَ وَلَدْتُهَا إِلَى أَنْ زَوَّجْتُهَا ، كُنْتُ أَرْفَعُ مِنْ دَقِيقٍ كُلِّ عَجْنَةٍ حَفْنَةً^{١١} . وَكُنَّا ، كَمَا قَدْ عَلِمْتَ ، نَخْبِزُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً^{١٢} . فَلِذَا اجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ مَسْكُوكٌ^{١٣} ، بَعَثَهُ .

قَالَ زَوْجُهَا : ثَبَتَ اللَّهُ رَأْيَكَ وَأَرْشَدَكَ ! وَلَقَدْ أَسْعَدَ اللَّهُ مَنْ كُنْتَ لَهُ سَكَنًا^{١٤} ، وَبَارَكَ لِمَنْ جُعِلَتْ لَهُ الْإِلْفُ ! وَلِهَذَا وَشَبَّهَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ الدَّوْدِ إِلَى الدَّوْدِ إِبِلٌ^{١٥} » . وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَخْرُجَ وَلَدُكَ^{١٦} عَلَى عِرْقِكَ الصَّالِحِ ، وَعَلَى مَذْهَبِكَ المَحْمُودِ . وَمَا

١ المروي : أي المروي من الثياب ، نسبة إلى مرو .

٢ الخز : الحرير أو ما نسج من الصوف والحرير .

٣ المعصفر : أي الثوب المصبوغ بالمعصفر ، وهو نبات يصنع بزهره صبغ أصفر . وقوله علقت المعصفر : أي المعصفر من السائل .

٤ الخن : الصهر ، زوج ابنة الرجل .

٥ الأحماء : جمع حم وهو أبو زوج المرأة وأبو امرأة الرجل ، ويطلق على من كان من قبله .

٦ أني : اسم استفهام بمعنى من أين .

٧ المسكوك : مسكوك عند أهل العراق يسع من نصف رطل إلى ثمانين أوقية .

٨ السكن : ما يسكن إليه ويستأنس به من أهل ومال .

٩ د : من النوق ما فوق الاثنين ودون العشر ؛ مؤنثة جمعها أدواد . والمعنى إذا جمعت إبل من الدود إلى القليل منها صار إبلًا كثيرة . والأرجح أن هذا مثل لا حديث .

١٠ الود : يكون مفرداً وجمعاً .

فَرَحِي بِهَذَا مِنْكَ بِأَشَدِّ مِنْ فَرَحِي بِمَا يُثَبِّتُ اللَّهُ بِكَ فِي عَقِيٍّ^١ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمَرْصُوبَةِ .

فَنَهَضَ الْقَوْمُ إِلَى جَنَازَتِهَا ، وَصَلُّوا عَلَيْهَا . ثُمَّ انْكَفَوْا^٢ إِلَى زَوْجِهَا ، فَعَزَّوهُ عَلَى مُصِيبَتِهِ ، وَشَارَكُوهُ فِي حُزْنِهِ .

ثُمَّ انْدَفَعَ شَيْخٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : لَمْ أَرَ فِي وَضْعِ الْأُمُورِ مَوَاضِعَهَا ، وَفِي تَوَفِّيَتِهَا غَايَةَ حَقُوقِهَا كَمُعَاذَةِ الْعَبْرِيَّةِ . قَالُوا : وَمَا شَأْنُ مُعَاذَةِ هَذِهِ ؟ قَالَ : أَهْدَى إِلَيْهَا ، الْعَامَ ، ابْنُ عَمِّ لَهَا أَصْحَبِيَّةٌ^٣ ، فَرَأَيْتُهَا كَثِيْبَةً حَزِيْنَةً ، مُفَكَّرَةً مُطْرِقَةً . فَقُلْتُ لَهَا : « مَا لَكَ يَا مُعَاذَةُ ؟ » قَالَتْ : « أَنَا امْرَأَةٌ أَرْمَلَةٌ ، وَلَيْسَ لِي قِيَمٌ^٤ ، وَلَا عَهْدٌ لِي بِتَدْبِيرِ لَحْمِ الْأَضْحَايِ . وَقَدْ ذَهَبَ الَّذِينَ كَانُوا يُدَبِّرُونَهُ وَيَقُومُونَ بِحَقِّهِ . وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَضْغَعَ بَعْضُ هَذِهِ الشَّاةِ ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ وَضْعَ جَمِيعِ أَجْزَائِهَا فِي أَمَاكِينِهَا . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ فِيهَا وَلَا فِي غَيْرِهَا شَيْئًا لَا مَنَفْعَةَ فِيهِ ، وَلَكِنَّ الْمَرْءَ يَعْجِزُ ، لَا مَحَالَةَ^٥ . وَلَسْتُ أَخَافُ مِنْ تَضْيِيعِ الْقَلِيلِ ، إِلَّا أَنَّهُ يُجَرَّرُ تَضْيِيعَ الْكَثِيرِ . أَمَّا الْقَرْنُ فَالْوَجْهُ فِيهِ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ كَالْخُطَافِ^٦ ، وَيُسَمَّرَ فِي جِدْعٍ^٧ مِنْ جُدُوعِ السَّقْفِ ، فَيُعَلَّقَ عَلَيْهِ الزُّبُلُ^٨ وَالْكَيْرَانُ^٩ وَكُلُّ مَا خِيفَ عَلَيْهِ مِنْ

١ العقب : الولد وولد الولد .

٢ انكفؤوا : رجعوا .

٣ الأصحابية : شاة يضحى بها ، جمعها الأضاحي . وعند المسلمين : الشاة التي تذبح يوم الأضحية .

٤ القيم : من يقوم بأمرها .

٥ ذهب : أي مات الذين كانوا يدبرونه من أهلها .

٦ هذا مثل ذكره الميداني وشرحه بقوله : أي لا تضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز .

٧ الخطاف : حديدة ملوثة .

٨ الجلدع : ساق النخلة والشجرة . وعلى الجلودع يبني سقف البيت .

٩ الزبل ، جمع الزبيل : القفلة أو الجراب أو الوعاء .

١٠ الكيران ، جمع كور : الرسل وهو كل شيء يعد للرحيل من وعاء للامتعة ؛ ومركب البعير . وفي

رواية : الكيزان ، جمع كوز .

الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان^١ والحيات ، وغير ذلك . وأما المصران^٢ فإنه لأوتار المندقة^٣ ؛ وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة . وأما قحف الرأس والليحان^٤ وسائر العظام فسبيله أن يكسر بعد أن يعرق^٥ ، ثم يطبخ ؛ فما ارتفع من الدم^٦ كان للمصباح وللإدام^٧ وللعصيدة^٨ ، ولغير ذلك . ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها ؛ فلم ير الناس وقوداً^٩ قط أصفى ولا أحسن لها منها . وإذا كانت كذلك ، فهي أسرع في القدر^{١٠} ، لقلة ما يخالطها من الدخان . وأما الإهاب^{١١} فالجلد نفسه جراب ، وللصوف وجوه لا تدفع . وأما الفرث^{١٢} والبعر فحطب ، إذا جفف ، عجيب .
ثم قالت : « بقي علينا الانتفاع بالدم ؛ وقد علمت أن الله عز وجل ، لم يحرم من الدم المسفوح^{١٣} إلا أكله وشربه ؛ وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها . وإن أنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به . صار كية في قلبي ، وقدئى في عيني ، وهماً لا يزال يعاودني . »
فلم ألبث أن رأيتها قد تطلعت^{١٤} وتبسمت ، فقلت : ينبغي أن يكون

- ١ بنات وردان : الصراير .
- ٢ المصران : جمع المصير وهو المي ، وجمع الجمع : مصارين وهو هنا مأخوذ بمعنى المفرد أو اسم الجمع .
- ٣ المندقة : آلة التدف .
- ٤ القحف : العظم فوق الدماغ .
- ٥ الليحان ، مثنى لحي : عظم الحنك الذي عليه الأسنان ، وموضع منبت الحية من الرجل .
- ٦ يعرق : يجرّد من اللحم .
- ٧ أي فما ارتفع من الدم على وجه المرق في القدر .
- ٨ الإدام من الطعام : ما يؤتد به مع الخبز فيطبخه ، فيلتذ به الأكل ، وهو عام في المائع وغيره .
- ٩ العصيدة : طعام يتخذ من الدقيق والسنن والسكر .
- ١٠ الوقود : ما يوقد به كالفحم والحطب .
- ١١ أسرع في القدر : أي أسرع في إحماؤها وإنضاج ما فيها من الطعام .
- ١٢ الإهاب : الجلد .
- ١٣ الفرث : ما في الكرش من الزبل .
- ١٤ المسفوح : السائل ؛ والدم المسفوح محرم في القرآن .
- ١٥ تطلعت : أشرق وجهها وانبسط ؛ ذكره الأساس .

قَدَرِ انْفَتَحَ لَكَ بَابُ الرَّأْيِ فِي الدَّمِ . قَالَتْ : « أَجَلٌ ، ذَكَرْتُ أَنْ عِنْدِي قُدُوراً شَامِيَةً جَدُوداً . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْبَغَ ، وَلَا أَزِيدَ فِي قُوَّتِهَا ، مِنْ التَّلَطُّيخِ بِالدَّمِ الْحَسَارِ الدَّسِيمِ . وَقَدَرِ اسْتَرَحْتُ الْآنَ ، إِذْ وَقَعَ كُلُّ شَيْءٍ مَوْقِعَهُ . »

قَالَ : ثُمَّ لَقِيتُهَا بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فَقُلْتُ لَهَا : كَيْفَ كَانَ قَدِيدُ^١ تِلْكَ الشَّاةِ ؟ قَالَتْ : « بِأَبِي أَنْتَ^٢ ! لَمْ يَجِءْ وَقْتُ الْقَدِيدِ بَعْدُ . لَنَا فِي الشَّحْمِ وَالْأَلْيَةِ وَالْجُنُوبِ^٣ وَالْعَظْمِ الْمَعْرُوقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَعَاشٌ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ إِبْتَانٌ^٤ ! » فَقَبَضَ صَاحِبُ الْحِمَارِ وَالْمَاءِ الْعَذْبِ قَبْضَةً مِنْ حَصَى ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ^٥ ، ثُمَّ قَالَ : لَا تَعْلَمُ أَنَّكَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ ، حَتَّى تَسْمَعَ بِأَخْبَارِ الصَّالِحِينَ !

قصة زبيدة بن حميد

وَأَمَّا زُبَيْدَةُ^١ بِنْتُ حُمَيْدِ الصَّبْرِيِّ ، فَإِنَّهُ اسْتَلَفَ مِنْ بَقَالٍ ، كَانَ عَلَى بَابِ دَارِهِ ، دِرْهَمَيْنِ وَقِيرَاطًا . فَلَمَّا قَضَاهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، قَضَاهُ دِرْهَمَيْنِ وَثَلَاثَ حَبَّاتٍ شَعِيرٍ^٢ . فَاغْتَاظَ الْبَقَالُ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَنْتَ رَبِّ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَنَا بَقَالٌ لَا أُمْلِكُ مِائَةَ فُلْسٍ ، وَإِنَّمَا أَعِيشُ بِكَدِّي ، وَبِاسْتِفْضَالِ^٣ الْحَبَّةِ وَالْحَبَّتَيْنِ . صَاحَ عَلَى بَابِكَ حَمَالٌ ، وَالْمَالُ لَمْ يَحْضُرْكَ ، وَغَابَ وَكَيْلُكَ ؛ فَتَقَدَّتْ عَنْكَ دِرْهَمَيْنِ وَأَرْبَعَ شَعِيرَاتٍ ،

١ القديد : اللحم المملوح المجفف في الشمس .

٢ بأبي : الباء للتفدية .

٣ الجنوب : جمع جنب أي جنب الشاة .

٤ الإبتان : الحين .

٥ ضرب بها الأرض لتأثره بعدما عرف أنه مبذر مسرف بالإضافة إلى معاذة .

٦ ثلاث حبات شعير : أي مقدار وزنها فضة .

٧ استفصال : استبقاء وادخار ؛ أي ادخار الحبة والحبتين من القيراط .

فَقَضَيْتَنِي ، بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، دِرْهَمَيْنِ وَثَلَاثَ شَعِيرَاتٍ ! فَقَالَ زَبِيدَةُ :
يَا مَجْنُونُ ! أَسَلَفْتَنِي فِي الصَّيْفِ ، فَقَضَيْتُكَ فِي الشِّتَاءِ . وَثَلَاثُ شَعِيرَاتٍ
شَتَوِيَّةٌ ! نَدِيَّةٌ أَرْزَنُ مِنْ أَرْبَعِ شَعِيرَاتٍ يَابِسَةٍ صَيْفِيَّةٍ . وَمَا أَشْكُ أَنْ
مَعَكَ فَضْلًا^٢ .

البيان والتبيين

آراء في النقد الأدبي

عيوب الخطيب

ثمّ اعلم ، أبقاك الله ، أن صاحب التشديد والتفكير والتقميع^٣ من الخطباء
والبلغاء مع سماجة التكلف ، وشئنة التزيد أعدل من عيب يتكلف الخطابة ، ومن
حصير يتعرض لأهل الاعتياد والدربة . ومدارُ اللاتمة ومستقرُ الملامة حيث رأيت
بلاغةً يحالطها التكلف ، وبياناً يمازجه التزيد ، إلا أن تعاطي الحصر المنقوص
مقام الدرب التام ، أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ، ومن تشادق الأعرابي القُحَّ
وانتحالُ المعروف ببعض الغزارة في المعاني والألفاظ ، وفي التحجير والارتجال ، أنه

...

١ شتوية : نسبة إلى شتوة .

٢ فضلاً : زيادة .

٣ التشديد : تكلف البلاغة . والتقميع : الكلام بأقصى قعر الفم . والتقميع : أن يخرج الكلام وقد
جعل فمه كالقمع .

البحر الذي لا يُترج ، والغمر الذي لا يُسبر ، أيسر من انتحال الحَصير المنخوب^١ أنه في مِسالخ^٢ التام الموفر ، والجامع المحكك ، وإن كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد قال : « لِيَتَايَ وَالتَّشَادُقَ » وقال : « أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ الثَّرَثَارُونَ الْمُتَفَيِّهُونَ^٣ » وقال « مَنْ بَدَأَ جَفَا » وعاب الفدادين^٤ والمتزידين في جهارة الصوت ، وانتحال سعة الأشداق ، ورُحْبُ الغلاصم ، وهَدَلُ الشفاه . وأعلمنا أن ذلك في أهل الوبر أكثر ، وفي أهل المدر أقل . فلذا عاب المدرى بأكثر مما عاب به الوبري^٥ ، فما ظنك بالمولد القروي والمتكلف البلدي ، فالحصير المتكلف والعبي المتزيد ، ألوم من البليغ المتكلف لأكثر مما عنده ، وهو أعذر ، لأن الشبهة الداخلة عليه أقوى . فَمَنْ أسوأ حالا ، أبقاك الله ، مِمَّنْ يكون ألوم من المتشدين ومن الثرثارين المتفهيقين ، ومِمَّنْ ذكره النبي ، صلى الله عليه وسلم ، نصّاً ، وجعل النهي عن مذهبه مفسراً ، وذكر مقتله له وبغضه لِمَا ه ؟ !

ولمّا علِمَ واصل^٥ بن عطاء أنه ألغى فاحش اللُغِ ، وأن مخوج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ كان داعية مقالة ، ورئيس نِحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النُحَل ، وزعماء الملل ، وأنه لا بدّ من مقارعة الأبطال ، ومن الخطب الطّوَال ، وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة ، وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف ، وإقامة الوزن ، وأن حاجة المنطق إلى الخلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجلالة والفخامة ، وأن ذلك من أكثر ما تُستمال به القلوب ، وتُثنى به الأعناق ، وترى به المعاني . وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام ، واللسان المتمكّن ، والقوة المتصرّفة ، كنحو ما أعطى الله ، تبارك وتعالى ، نبيّه موسى ، عليه السلام ، من التوفيق

.....

- ١ المنخوب : الجبان الضعيف القلب .
- ٢ في مِسالخ : المِسالخ الجلد . يعني أنه في هيئته ومقامه .
- ٣ المتفهيقون : الذين يفتحون أفواههم بالكلام ويتوسمون به .
- ٤ الفدادون : أصحاب الأصوات الخافية .
- ٥ واصل بن عطاء من شيوخ المنزلة وصاحب الفرقة الواسلية .

والتسديد مع لباس التقوى وطابع النبوة ، ومع المحنة والاتساع في المعرفة ،
ومع هدي النبيين وسمت المرسلين وما يُغشِيهِمُ اللهُ به من القبول والمهابة ، ولذلك
قال بعض شعراء النبيّ . صَلَّى اللهُ عليه وسلم :

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ كَانَتْ بَدَاهَتُهُ تُنْيِكَ بِالْخَبَرِ

ومع ما أعطى الله ، تبارك وتعالى ، موسى ، عليه السلام ، من الحجّة البالغة ،
ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة ، إلى أن حلّ الله تلك العقدة ، واطلق
تلك الحُبسة ، وأسقط تلك المحنة .

ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان ، وإعطاء الحروف حقوقها من
الفصاحة .- رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه ، وإخراجها من حروف
منطقه . فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ، ويناضله ويساجله ، ويتأني لسره والراحة
من هُجْنَتِهِ . حتى انتظم له ما حاول . واتسق له ما أمّل ، ولولا استفاضة هذا
الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلاً . ولظرافته معلماً . لما استعجزنا
الاقرار به والتأكيد له . ولست أعني خطبه المحفوظة . ورسائله المخلدة ، لأن ذلك
يغتمل الصنعة . وإنما عنيت مُحَاجَّةَ الخصوم ، ومُنَاقَلَةَ الأكفء ، ومفاوضة
الإخوان .

واللغة في الراء تكون بالغين والذال والياء ، والغين أقلّها قبحاً ، وأوجدها في
كبار الناس وبلغائهم وأشرفهم وعلمائهم .

لغة اهل الامصار

وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النّازلة فيهم من العرب . ولذلك تجد
الاختلاف في ألفاظ من الناطق أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر .

حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن رَوْح قال : قال أهل مكتة لمحمد بن

المُناذر الشاعر^١ : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة . فقال ابن المناذر : أمّا ألفاظنا فأحكي الألفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم : أنتم تسمّون القِدْرَ بُرْمَةً ، وتجمعون البرمة على بَرَام ، ونحن نقول : قِدْرٌ ونجمعها على قُدُور . وقال الله عزّ وجلّ « وَجِفَانِ كَابِجُوا بِرَاقٍ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ » . وأنتم تسمّون البيت إذا كان فوق البيت عُلْيَةً . وتجمعون هذا الاسم على عَلَالِيٍّ ونحن نسمّيه غُرْفَةً . ونجمعها على غُرْفَاتٍ وَغُرَفٍ ، وقال الله تبارك وتعالى « غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ » وقال : « وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ آمِنُونَ » . وأنتم تسمّون الطلّيع الكافور ، والإغريض ، ونحن نسمّيه الطلّيع ، وقال الله تبارك وتعالى « وَنَخْلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ » . فعديّ عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلاّ هذه .

ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر عَلِقُوا بِالْفَاصِلِ مِنَ الْفَاصِلِ؟ ولذلك يسمّون البَيْطِخَ الْخِزْبِيزَ ، ويسمّون السِّمِيطَ^٢ الرِّزْدَقَ^٣ ، ويسمّون المَصُوصَ^٤ المَزُوزَ ، ويسمّون الشَّطْرَنْجَ الْأَشْتَرَنْجَ ، إلى غير ذلك من الأسماء ؟

وكذلك أهل الكوفة فإنّهم يسمّون المِسْحَاجَةَ^٥ بِالْ ، وبال بالفارسيّة . ولو علّق ذلك لغة أهل البصرة ، إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب ، كان ذلك أشبه إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النَّبَطِ وأقصى بلاد العرب . ويسمّي أهل الكوفة الحوكَ الْبَاذَرُوجَ ، والبَاذَرُوجَ بالفارسيّة ، والحوك كلمة عربيّة .

١ هو أبو جعفر محمد بن المناذر . كان من الموالي ، وكان شاعراً فصيحاً مقدماً في العلم باللغة إماماً فيها ، وكان في أول أمره يتنفسك ثم عدل عن ذلك فهجأ الناس وتهتك وخلع ، وكان معاصراً لأبي نواس .

٢ السِّمِيط : الآجر القائم بفضه فوق بعض .

٣ الرِّزْدَق : السطر والصف من النخل وغيره .

٤ المَصُوص : طعام يتخذ من اللحم فيطبخ ثم ينقع في الخل .

٥ المسحاة : المجرفة التي يحرف بها الطين والأوحال .

٦ الحوك : البقلة الحمقاء (الرجل) .

وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مُربَّعة ، ويسمّيها أهل الكوفة الجِهارسوك، والجِهارسوك بالفارسيّة . ويسمّون السوق والسويقة وازار، والوازار بالفارسيّة. ويسمّون القِثاء خياراً، والخيار بالفارسيّة . ويسمّون المجلوم ويّذي بالفارسيّة .

وقد يستخفّ النَّاسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحقّ بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلاّ في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقّيع والعجز الظاهر ؟ والناس لا يذكرون السَّغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسَّلامة ، وكذلك ذِكر المطر لأنّك لا تجد القرآن يلفظ به إلاّ في موضع الانتقام ، والعامة وأكثر الخاصّة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث . ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنّه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين ، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين ولا السمع أسماعاً ؟ والجاري على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقّدون من الألفاظ ما هو أحقّ بالذِّكر وأولى بالاستعمال .

مخارج الألفاظ

وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الألفاظ وصور الحركات والسكون . فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكّنت في الألسنة خلاف هذا الحكم . ألا ترى أن السندي إذا جُلب كبيراً فإنّه لا يستطيع إلاّ أن يجعل الجيم زايّاً ولو أقام في عليّا تميم وسُفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاماً ؟ وكذلك النبطيّ القحّ خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، لأن النبطيّ القحّ يجعل الزاي سيناً ، فإذا أراد أن يقول : زورك ، قال : سورك . ويجعل العين همزة ، فإذا أراد أن يقول : مُشمّعل^١ ، قال : مُشمّئل . والنخاس يمتحن لسان البخارية إذا ظنّ

..

١ هذه هي القبائل المشهورة بالفصاحة المعروفة بصحة الإعراب .

أنتها روميّة وأهلها يزعمون أنّها مولدة بأن تقول : ناعمة ، وتقول : شمس .
ثلاث مرّات متواليات .

. والذي يعتري اللسان ممّا يمنع من البيان أمور : منها اللشعة التي تعتري الصبيان إلى أن ينشأوا . وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم المّاجّ المسترخي الحنك المرتفع اللثة ، وخلاف ما يعتري أصحاب اللّكن من العجم ومن ينشأ من العرب مع العجم . فمن اللّكن ، ممّن كان خطيباً أو شاعراً أو كاتباً داهياً : زيادُ بنُ سلمى أو أمّامة ، وهو زيادُ الأعجم^٢ ، قال أبو عبّيدّة : كان يُنشد قوله :

فَتَيَّ زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْوُدِّ رِفْعَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ^٣

قال : فكان يجعل السين شيئاً ، والطاء تاء ، فيقول :

فَتَيَّ زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْوُدِّ رِفْعَةً

ومنهم سُحَيْمٌ^٤ عبد بني الحسّاحس ، قال له عمر بن الخطّاب . رضي الله تعالى عنه . وأنشده قصيدته التي أولها :

عُمَيْرَةٌ وَدَّعَ إِنِّ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزّتك ، قال : ما سعرت ، يريد ما شعرت ، فجعل الشين المعجمة شيئاً غير معجمة .

ومنهم عبّيدُ الله بنُ زيادٍ والي العراق ، قال ليهانئ بن قبيصة : أهروري

.....

١ المّاج : السائل اللّاب من الكبر والهرم .

٢ هو زياد بن سلمى ويقال سليمان ، وفي الأصل : ابن سلمى ، كان مولى عبد القيس ، وكان ينزل إصطخر فغلبت المعجمة على لسانه . وكان شاعراً جزل الشعر فصيح العبارة .

٣ في رواية في الخير رغبة ، بدل في الود رفعة .

٤ كان سميم عبداً أسود شديداً السواد وهو من الشعراء المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام

سائر اليوم ؟ يريد : أحَرُّورِي^١ .

ومنهم صُهَيْبُ بْنُ سِنَانِ التَّمَرِيِّ صاحب رسول الله ، صَلَّى الله عليه وسلّم ، كان يقول : إنَّكَ لَهَائِن ، يريد : إنَّكَ لَهَائِن^٢ . وصهيب بن سنان يرتضخ لُكْنَةً رومية وعبيد الله بن زياد يرتضخ لُكْنَةً فارسيّة . وقد اجتماعا على جعل الحاء هاء . وَأَزْدًا نَقَّازًا لُكْنَةً لُكْنَةً نبطية ، وكان مثلهما في جعل الحاء هاء . وبعضهم يروي أنّه أملى على كاتب له فقال : اكتب . الهاصل ألف كُرَّ^٣ . فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها ، فأعاد عليه الكلام ، فأعاد الكاتب . فلما فطن لاجتماعهما على الخطأ قال : أنت لا تهنّسن أن تكتب . وأنا لا أهسين أن أملي ، فاكتب : الجاصل ألف كرّ . فكتبها بالجيّم معجمة .

البلاغة

حدثني صديق لي قال : قلت للعتّابي : ما البلاغة ؟ قال : كلّ من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبْسة ولا استعانة فهو بليغ . فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة^٤ ، ويفوق كلّ خطيب فإظهار ما غمض من الحقّ وتصوير الباطل في صورة الحقّ . قال : فقلت له : قد عرفتُ الإعادة والحُبْسة فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع كلامه : يا هناءُ ، يا هذا ، يا هيه ، واسمع منّي . واستمع إليّ ، وافهم عني ، أولست تفهم ؟ أولست تعقل ؟ فهذا كلّهُ وما أشبهه عيّ وفساد .

قال عبد الكريم بن رَوْح الغِفَّارِيّ : حدثني عمر الشّمري قال : قيل

١ أحروري : أي أخارجي ، نسبة إلى حروراء .

٢ هائِن : هالك . وكان سبب لُكْنَةٍ صهيب أن الروم أسرتَه صغيراً ونشأ فيهم فمرته هذه اللُكْنَةُ فقيل له الرومي .

٣ الكر : كيل يكال به الطعام ، والكر ستون قفيزاً والقفيز ثمانية مكاكيل والمكوك صاع ونصف ، قال الأزهري : فالكر على هذا الحساب اثنا عشر وسقاً .

٤ يروق الألسنة : أي يفضلها ، ويمدّى بعل .

لَعَمْرُؤِ بْنِ عَبِيدٍ : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار ، وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيئك . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ بِكَاءٌ »^٢ قال السائل : ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون من فتنه القول ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنه السكوت ومن سقطات الصمت . قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكأنك إنما تريد تحيّر اللفظ في حسن الإفهام ؟ قال : نعم . قال : إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤثنة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الأذان المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستحققت على الله جزيل الثواب .

طبقات الكلام

وكلام الناس في طبقات ، كما أن الناس أنفسهم في طبقات . فمن الكلام : الجزل^١ والسخيف والمليح والحسن^٢ والقيبح والسميع والخفيف والثقيل ، وكله عربي وبكل قد تكلموا وبكل قد تماردوا وتعابوا . فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت ، فلم ذكروا العيى والبكى^٣ والخصير والمفحتم^٤ والخطيل^٥ والمسهب^٦ والمتشدق والمتفهيق والمهمار^٧ والثرثار والمكثار^٨ والهمار^٩ ؟

١ عمرو بن عبيد : من شيوخ المعتزلة .

٢ أي قليلو الكلام ، ومنه قيل رجل بكى .

٣ الخطل : الفاسد الكلام .

٤ المسهب : الكثير الكلام .

٥ المهمار : الكثير الكلام .

٦ الهمار : الكثير الكلام .

ولم ذكروا الهُجْرَ والهِدْرَ والهِذْيَانِ والتخليط ؟ وقالوا : رجل تَلِقَاعَةٌ^١ وفلان يَتَلَهَيْعُ^٢ في خطبته . وقالوا : فلان يخطيء في جوابه ويحيل في كلامه وينافض في خبره . ولولا أن هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعضُ والبعض الآخر بهذه الأسماء .

وأنا أقول : إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا ألق ولا ألد في الأسماع ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويماً للبيان ، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفُصحاء ، والعلماء البُلغاء . وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا ، إلا أنني أزعم أن سخيْف الألفاظ مشاكل لسخيْف المعاني ، وقد يُحتاج إلى السخيف في بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعاني ، كما أن النادرة الباردة جداً قد تكون أطيب من النادرة الحارة جداً ، وإنما الكرب الذي يَخْتِمُ^٣ على القلوب ويأخذ بالأنفاس النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا هي باردة ، وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط . وإنما الشأن في الحار جداً والبارد جداً .

وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مُغْنٍ وسط ، وأبغض من ظريف وسط .

ومتى سمعت ، حفظك الله ، بنادرة من كلام الأعراب فليأتك وأن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل^٤ كبير ، وكذلك إذا سمعت بنادرة من نواذر العوام ومُلْحَة من مُلَح الحشوة والطَّغام فليأتك وأن تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخير لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً^٥ فإن

١ تلقاعة : كثير الكلام .

٢ يتلهيع : يفرط في الكلام .

٣ يختم على القلب : أي لا يفهم شيئاً .

٤ الفضل : البقية من الشيء .

٥ سرياً : فحماً شريفاً .

ذلك يُفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويُذهب استطابتهم إيتاها واستملاحهم لها .

ثمّ اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط^١ والجهورة والتفخيم ، وأقبح من ذلك لحن الأعراب النازلين على طرق السابلة وبقر مجامع الأسواق .

ولأهل المدينة ألسنة ذَلِيقَة^٢ وألفاظ حسنة وعبارة جيّدة واللحن في عوامتهم فاشٍ وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب .

واللحن من الجوّاري الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشوابّ الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر أيسر . وربّما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف ، ولكن إذا كان اللحن على سجية سكان البلد . وكما يستملحون اللثغاء إذا كانت حديثة السنّ ومقدودة مجدولة^٣ ، فإذا أسنّت واكتهلت تغيّر ذلك الاستملاح ، وربّما كان اسم الجارية غُلَيْسَم^٤ أو صُبَيْيَة^٥ ، أو ما أشبه ذلك ، فإذا صارت كهلة جزلة^٦ وعجوز أشهلة^٧ وحملت اللحم وتراكم عليها الشحم ، وصار بنوها رجالاً وبناتها نساء ، فما أقبح حينئذ أن يقال لها : يا غُلَيْسَم كيف أصبحت ؟ ويا صُبَيْيَة كيف أمسيت ؟ ولأمر ما كنّت العرب البنات فقالوا : فعلت أم الفضل ، وقالت أم عمرو ، وذهبت أم حكيم ، نعم حتى دعاهم ذلك إلى التقدّم في تلك الكُنَى .

١ التمطيط : أي المط ، وهو مد الحروف في الكلام .

٢ مجدولة : لطيفة القصب محكمة القتل .

٣ جزلة : تامة الخلق .

٤ الشهلة : العجوز ، أو العجوز العاقلة .

العصر المباسي الثالث

المتنبي (٩١٥ - ٩٦٥ م و ٣٠٣ - ٨٣٥٤)

أبو فراس (٩٣٢ - ٩٦٧ م و ٣٢٠ - ٨٣٥٧)

الشريف الرضي (٩٦٩ - ١٠١٥ م و ٣٥٩ - ٨٤٠٦)

أبو العلاء المعري (٩٧٩ - ١٠٥٨ م و ٣٦٣ - ٨٤٤٩)

بدیع الزمان الحمداني (٩٦٧ (؟) - ١٠٠٧ م و ٣٥٧ (؟) - ٨٣٩٨)

أبو الفرج الاصبهاني (٨٩٧ - ٩٦٦ م و ٢٨٤ - ٨٣٥٦)

المتبي

المدح

وصف الاسد

من قصيدة يمدح بها أبا الحسين بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني وهو يومئذ يتولى حرب طبرية من قبل أبي بكر محمد بن رائق ، سنة ٩٣٩ م (٣٢٨ هـ) . وكان قد خرج إلى أسد ، فهاجه عن بقرة افترسها ، بعد أن شبع وثقل ، فوثب إلى كفل فرسه ، فأعجله عن استلال سيفه ، فضربه بالسوط ، ودار به الجيش . ثم خرج بعده إلى أسد آخر ، فلما رآه الأسد هرب منه ، فقال أبو الطيب يمدح بدرأ ويذكر ذلك :

أَمْعَصَرَ اللَّيْثِ الْهَزْبِرِ بِسَوْطِهِ ، لَمَنْ اذْخَرَتِ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا ؟
وَقَعَّتْ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ ، نُضِذْتُ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تُلُولَا ؟
وَرَدُّ ، إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِبًا ، وَرَدَ الْفُرَاتِ زَمِيرُهُ ، وَالنَّيْلَا ؟
مَتَخَضَّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَابَسٌ ، فِي غَيْلِهِ ، مِنْ لِبْدَتَيْهِ ، غَيْلَا ؟
مَا قُوِيلَتْ عَيْنَاهُ ، إِلَّا ظُنُنْتُ ، نَحْتَ الدُّجَى ، نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولَا ؟
فِي وَحْدَةِ الرُّهْبَانِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا

.....

- ١ عفره : مرغه في التراب . الهزبر : الشديد ، من صفات الأسد .
- ٢ نضذت : جمع بعضها فوق بعض . الهام : الرؤوس ، واحدها هامة . الرفاق ، جمع الرفقة : الجماعة في السفر .
- ٣ الورد : صفة للأسد الذي يضرب لونه إلى الحمرة . البحيرة : أي بحيرة طبرية .
- ٤ الغيل : غاب الأسد . البيدة : الشعر المجتمع على كتف الأسد ؛ وفي الأمثال : أعز من لبدة الأسد .
- ٥ الفريق : الجماعة من الناس . حلولا : نازلين في موضع ، وهي حال من الفريق .

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِّنْ تِيهِهِ ، فَكَأَنَّهُ أُسِرَ يَجُوسُ عَتِيلًا^١
وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إِلَى يَأْفُوخِهِ ، حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ لِكِيلًا^٢

مدح سيف الدولة

قال يمدحه ويهتبه بعيد الأضحي ، ويذكر معركة انتصر فيها سيف الدولة على البرنطين وأسر قسطنطين ابن الهمستق (Domesticus) أي كبير قواد الروم أنشه إياها في ميدان حلب وهما على فرسيهما سنة ٩٥٣ م (٨٣٤٢) :

لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا ، وَعَادَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي الْعِدَى
وَمُسْتَكْبِرٍ ، لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ سَاعَةً ، رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ ، فَتَشْهَدَا^٣
هُوَ الْبَحْرُ ، غُصٌّ فِيهِ ، إِذَا كَانَ سَاكِنًا ، عَلَى الدَّرِّ ، وَاحْذَرُهُ ، إِذَا كَانَ مُزِيدًا
فَلَمَّا رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَعْتَرُّ بِالْفَتَى ، وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّدًا^٤
تَظَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ ، تُفَارِقُهُ هَلَكَى ، وَتَلْقَاهُ سُجَّدًا^٥
وَصُورًا إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ ، فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً ، لِأُورِدَا^٦
لِلدَّكَ سَمَى ابْنُ الدُّمُسْتَقِ يَوْمَهُ ، مَمَاتًا ، وَسَمَاهُ الدُّمُسْتَقُ مَوْلِدًا^٧

.....

١ الآسي : الطيب .

٢ العفرة : شعر مؤخر الرأس من الأسد . أي إذا غضب ، ردها إلى يافوخه ، فتصير كالإكيل .

٣ تشهد : قال أشهد أن لا إله إلا الله . يقول : رب متكبر عن الإيمان بالله رآه ، وسيفه في كفه ، يجاهد في سبيل الله ، ويؤتيه الله النصر ، فآمن خوفًا أو اعتداء .

٤ يعثر بالفتى : أي يهلك راكبه عن غير قصد . يأتي الفتى متعمدًا : أي يهلك عدوه عن قصد وتعمد .

٥ المراد : من فارقه وخالفه من الملوك هلك ، ومن أتاه مسلماً خضع وسجد له .

٦ قرن الشمس : أول ما يبدو منها عند الطلوع . لأوردا : أي لأورد خيله من ذلك الماء .

٧ يقول : لكون سيف الدولة يصل بخيله إلى أصعب الغايات ، فإن أسر ابن الهمستق ، على مناعته ، كان سبباً ليأسه من الحياة فعد يومه مماتاً ، وعد الهمستق يومه مولداً جديداً لأنه تمكن من الفرار فنجا بنفسه .

سَرَيْتَ إِلَى جَيْحَانَ، مِنْ أَرْضِ آمِدٍ ،
 فَوَلَّيْ ، وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجِيُوشَهُ
 عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرَفِهِ ،
 وَمَا طَلَبْتَ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ غَيْرَهُ ،
 فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ مَخَافَةً ،
 وَيَمَشِي بِهِ الْعُكَازُ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا ،
 وَمَا تَابَ . حَتَّى غَادَرَ الْكَرَّ وَجْهَهُ
 فَلَوْ كَانَ يُنْجِي مِنْ عَلَيٍّ تَرَهَّبَ ،
 وَكُلُّ أَمْرٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، بَعْدَهُ ،
 هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ ،
 وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لِبُسْكَ ، بَعْدَهُ ،
 ثَلَاثًا ، لَقَدْ أَدْنَاكَ رَكْضًا ، وَأَبْعَدَا
 جَمِيعًا ، وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا
 وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللَّهِ ، مِنْكَ ، مُجَرَّدَا
 وَلَكِنْ قُسْطَنْطِينَ كَانَ لَهُ الْفِدَى
 وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدَّلَاصَ الْمُسَرَّدَا
 وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشِيَّ أَشْقَرًا أَجْرَدَا
 جَرِيحًا ، وَخَلَّتِي جَفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا
 تَرَهَّبَتِ الْأَمْلَاكُ مَشْنَى وَمَوْحَدَا
 يُعِيدُ لَهُ ثُوبًا ، مِنَ الشَّعْرِ ، أَسْوَدَا
 وَعِيدٌ لَنْ سَمْتِي ، وَضَحْتِي ، وَعَيْدَا
 تُسَلِّمُ مَخْرُوقًا ، وَتُعْطِي مُجَدَّدَا

١ جيجان : نهر ببلاد الروم . آمد : أعظم مدن ديار بكر . ثلاثا : أي ثلاث ليال . أبعد : أي أبعدك عن آمد . يصف سرعة الوصول إلى العدو مع بعد المسافة .

٢ فولى : فاعله الدمشق .

٣ يقول : اعترضت بينه وبين حياته ونظره ، فأيقن بدنو الأجل ، واستوليت على طرفه ، فلم ير أحدا سواك لعظمتك في نفسه ، وأبصر منك سيف الله مجرداً عليه .

٤ يجتاب : أي يلبس . المسوح ، جمع المسح : ثوب من الشعر ، والمراد ثوب الرهبان . مخافة : أي مخافة منك . الدلاص : الدرع اللينة البراقة . المسرد : المسوح بعرضه في بعض . وذكر الصفة على لغة من يذكر الدرع .

٥ العكاز : أي عكاز الراهب . الأشقر : صفة الجواد المحلوف . الأجرد : القصير الشعر ؛ والجواد الأشقر موصوف بالسرعة .

٦ النقع : غبار الخوافر ؛ والمراد غبار الحرب .

٧ الأملاك : الملوك ، جمع ملك .

٨ هنيئاً : حال من العيد وأصله : ثبت العيد لك هنيئاً ، فحذف الفعل ؛ وقامت الحال مقامه فرفعت العيد كما يرفع الفعل . وعيد لمن سمي : أي للمسلمين الذين يذكرون اسم الله عند ذبح الضحايا . ضحى المسلم : ذبح أضحيته في العيد .

٩ اللبس : ما يلبس من الثياب ، بعده أي بعد هذا العيد . المخروق : الثوب البالي ، استعار اللبس للأعياد ، فجعل ما يمضي منها بالياً ، وما يأتي جديداً .

رَأَيْتُكَ مَحْضَ الْحِلْمِ ، فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ ،
وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ ؛
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ ، مَلَكَتَهُ ،
وَوَضَعَ النَّدَى ، فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ ، بِالْعُلَى
أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَيْبِهِمْ ،
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمْ ،
وَمَا أَنَا إِلَّا سَمَهْرِي حَمَلَتْهُ ،
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوءَاةٍ قَصَائِدِي ،
فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ ، مُشْمَرًا ؛
أَجِزْنِي ، إِذَا أَنْشِدْتَ شِعْرًا ، فَإِنَّمَا
وَدَعَ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي ، فَإِنِّي
تَرَكْتُ السَّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ؛
وَلَوْ شِئْتَ ، كَانَ الْحِلْمُ ، مِنْكَ ، الْمُهَنْدَا^١
وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا^٢
وَلَنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ ، تَمَرَّدَا
مُضِرٌّ ، كَوَضَعَ السَّيْفُ فِي مَوْضِعِ النَّدَى^٣
فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدَا^٤
ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغَمَّدَا^٥
فَزَيْنَ مَعْرُوضًا ، وَرَاعَ مُسَدَّدَا^٦
إِذَا قُلْتُ شِعْرًا ، أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا
وَعَنَى بِهِ مَنْ لَا يُغْنِي ، مُغَرَّدَا^٧
بَشِيرِي أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مُرْدَدَا^٨
أَنَا الطَّائِرُ الْمُحَكِّيُّ ، وَالْآخِرُ الصَّدَى^٩
وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسَجَدَا

.....

- ١ المحض : الخالص .
- ٢ كالعفو : الكاف بمعنى مثل وهي فاعل قتل . ومن لك بالحر : أي ومن يكفل لك به . اليد : النعمة .
- ٣ الندى : الجود .
- ٤ يكبتهم : يذلهم .
- ٥ حسن رأيك فيهم : أي في إذلالهم .
- ٦ السمهري : الرمح . معروضاً : محمولاً بالعرض . راع : أخاف . مسدداً : موجهاً لظن العدو .
- ٧ مشمراً : جاداً .
- ٨ الطائر المحكي : الذي يحكي صوته ، كصوت الصائغ يحكيه الصدى ، وفي رواية : أنا الصائغ المحكي .
- ٩ السرى : السير ليلاً . العسجد : الذهب .

موقعة الحدث

من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر موقعة الحدث ، وهي ثغرين ملطية وسيساط ، وكانت قد استسلمت للروم سنة ٩٤٨ م (٨٣٣٧) ، فجامها سيف الدولة سنة ٩٥٤ م (٨٣٤٣) ليبي قلعتهما ويجعلها حصناً منيعاً . وكان الدمستق فردس قد جمع جيشاً عظيماً من الروم والأرمن والروس والصقلب ، بعد الهزيمة التي لحقت في مرعش ، وكان ابنه قسطنطين قد مات في حبس سيف الدولة ، فزول بجيشه على الحدث . فلما اشرف امير حلب على الأحيدب ، وهو جبل مطل عليها ، هال المسلمين ما رأوا من كثرة العدد وسامت فلنهم ، وتسلى بعضهم هارباً ، واحاط الجيش البرنطي بمسكر سيف الدولة ، فكانت موقعة حامية الوطيس ، انتهت بانتصار العرب على البرنطين ، وهرب الدمستق ، وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من جيشه . وقيل إن سيف الدولة بدأ يوم وصوله ببناء القلعة ، والحرب قائمة ، فوضع الأساس وحفر أوله بيده . فقال المتنبي في ذلك :

على قَدَرِ أَهْلِ الْعَزَمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ، وَتَأْتِي ، عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ ، الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ ، فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ ، صِغَارُهَا ؛ وَتَصْغُرُ ، فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ ، الْعِظَائِمُ
يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ ، وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجَيُوشُ الْخُضَارِمُ^١
هَلْ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا ، وَتَعْلَمُ ، أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ^٢ ؟
سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُّ ، قَبْلَ نَزْوِلِهِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا ، سَقَتْهَا الْجَمَاجِمُ^٣
بَنَاهَا ، فَأَعْلَى ، وَالْقَنَا يَفْرَعُ الْقَنَا ، وَمَوْجُ الْمَنَايَا ، حَوْلَهَا ، مُتَلَاظِمُ^٤
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ ، فَأَصْبَحَتْ ، وَمِنْ جُثَّتِ الْقَتْلَى ، عَلَيْهَا تَمَائِمُ^٥

١ همه : همته ، أي ما تطلب همته من الفزوات والغارات . الخضارم : جميع الخضرم : العظيم الكثير من كل شيء .

٢ الحمراء : أي تلطخها بالدماء . لونها : أي لونها الأول . أي الساقيين الغمام : مبتدأ وخبر سدا مسد مفعولي تعلم . والمراد هل تعلم الحدث أي الساقيين لها هو الغمام ؟ أجماع الروم التي سقتها بالدم أم السحاب التي سقتها قبل ذلك بالمطر ؟

٣ الغمام : جميع الغمامة ، يؤنث لأنه جمع ، ويذكر لأنه ليس بينه وبين مفردة إلا التاء القصيرة الفر : البيض .

٤ وكان بها مثل الجنون : أي ، كان يحدث فيها من الاضطرابات والفتن لوجود الروم فيها . فلما يطش سيف الدولة بالروم سكن جنونها . فكان جثث القتلى التي علقت على حيطانها تمام شفتها من الجنون . التمام : جمع التميم : وهي العوذة تعلق في العنق ليتوقى بها من الجن .

وكَيْفَ تُرْجِي الرُّومَ والرُّوسَ هَدَمَهَا ،
 أَتَوَكَّ يَجْرُونَ الحَدِيدَ ، كَأَنَّمَا
 إِذَا بَرَقُوا ، لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ ؛
 خَمِيسٌ ، بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ ،
 تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ ،
 وَقَفَتْ ، وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ ،
 تَمَرَّتْ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَتِي هَزِيمَةً ،
 تَجَاوَزَتْ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهْيِ ،
 ضَمَمْتَ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَةً ،
 وَذَا الطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا ، وَدَعَائِي
 سَرَوْا بِجِيَادٍ ، مَا لَهْنُ قَوَائِمٍ^٢
 ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا ، وَالْعَمَائِمُ^٣
 وَفِي أَذُنِ الْجَوَازِ ، مِنْهُ ، زَمَازِمُ^٤
 فَمَا يُفْهِمُ الْحُدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ^٥
 كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى ، وَهُوَ نَائِمٌ^٦
 وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ ، وَتَغْرُكَ بِاسِمٍ^٧
 إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ : أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^٨
 تَمُوتُ الْخَوَافِي ، تَحْتَهَا ، وَالْقَوَادِمُ^٩

١ هدمها : أي هدم قلعة الحدث .

٢ سرّوا : ساروا ليلاً . قوائم الخيل : أيديها وأرجلها . يقول : أتاك الأعداء يحرون الحديد لما عليهم من السلاح ، حتى احتجبت قوائم الخيل بالدرع والتجانيف . التجانيف ، جمع تجفاف : آلة كالدرع يلبسها الفرسان ، ويلبسونها خيولهم وقاية لهم ولها في الحرب .

٣ البيض : السيوف . يقول : إذا برقوا تحت أشعة الشمس لم يعرف الفرق بينهم وبين سيوفهم في القمعان ، لأن ثيابهم وعمالهم من جلس سيوفهم ت برق بريقها ؛ وأراد بذلك ما عليهم من الدروع والخذ الحديديّة .

٤ الخميس : الجيش ، وهو خمس فرق : المقدمة ، والساقة أو المؤخرة ، والقلب ، والجناحان أو الميمنة والميسرة . الجوّاز : نبحان معترضان في جواز السماء أي وسطها ، وهما من البروج . الزمازم ، جمع زمزمة : صوت الرعد ؛ والمراد بها جلبة الجيش .

٥ اللسن : اللغة . الحداث : المتحدثون ، جمع بلا واحد ؛ وقيل هو جمع حادث حملا على نظيره سامر وسار .

٦ الردى : الموت . وهو نائم : أي نائم عنك لا يراك .

٧ كلمى : جرحى ، واحدها كلم . هزيمة : التاء للجمع على مذهب البصريين .

٨ النهى : العقل . وقوله أنت بالغيب عالم : أي تعلم عواقب الأمور قبل حلولها ؛ ولذلك كنت باسم الثغر في أشد ساعات الخطر ، مستبشراً بالظفر .

٩ الخوافي : الريش الصغار التي في جناح الطائر بعد القوادم ، مفردة الخافية . القوادم : عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ، وهي كبار الريش ؛ استعار القوادم للقواد ، والخوافي لسائر الفرسان ، لأن الخميس يشبه الطائر في ترتيبه خمس فرق . والمعنى أن سيف الدولة هاجم الميمنة والميسرة وعصرهما فأوقع الضغط على القلب ، فأهلك جميع الفرسان والقواد .

بضرب، أتى الهامات، والنصر غائب،
 حقرت الردينيات، حتى طرحتها ؛
 ومن طلب الفتح الحليل، فإنما
 نشرتهم فوق الأحديب كله،
 تدوس بك الخيل الوكور، على الدرى،
 تظن فراخ الفتح أنك زرتها
 إذا زلقت، مشيتها ببطونها،
 وصار إلى اللبات، والنصر قادم^١
 وحتى كأن السيف للرمح شاتم^٢
 مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم^٣
 كما نُثرت، فوق العروس، الدراهم^٤
 وقد كثرت، حول الوكور، المطاعم^٥
 بأمتها، وهي العناق الصلادم^٦
 كما تتمشى، في الصعيد، الأراقم^٧

* * *

- ١ بغرب : الباء متعلقة بضممت . الهامات : الرؤوس ، واحدها هامة . والنصر غائب : أي لم يعرف بعد النصر لمن . اللبات : أعالي الصدور ، واحدها البة ؛ وقوله والنصر قادم : أي ما كادت السيوف تزل من الهامات فتصل إلى اللبات حتى لاح النصر للأمير ؛ يبين سرعة الانتصار .
- ٢ الردينيات : الرماح ، واحدها الرديني ؛ وقوله حقرت الردينيات : أي أنك لم تستعملها في هذه المعركة احتقاراً لها ، بل استعملت السيوف ، لأن المعركة كانت التحاماً بين الجيشين فلا يصلح لها إلا السيف ، في حين أن الرمح هو سلاح المطاردة والكر والفر .
- ٣ البيض : السيوف . الصوارم : القواطع .
- ٤ الأحديب : جبل الحدث . كله : وتروى نثرة .
- ٥ الوكور ، جمع الكور : أي وكور جوارح الطير . الدرى : أعالي الجبال . المطاعم : أي مأكلات هذه الطيور من جثث القتلى .
- ٦ الفتح ، جمع الفتحاء : العقاب الينة الجناح . الامات : جمع الأم لغير العاقل . العناق : كرام الخيل . الصلادم ، جمع صلدم : الصلب والشديد الحافر . يقول : ظنت فراخ العقاب أنك زرتها مع أمتها حاملة إليها هذه المطاعم ، وما درت أن التي جاءت معك هي الخيول الكريمة الشديدة .
- ٧ الصعيد : وجه الأرض . الأراقم ، جمع الأرقم : الحية فيها سواد وبياض . وقوله إذا زلقت : أي زلقت خيلك في منحدرات ذلك الجبل ، مشيتها زحفاً على بطونها كالحيات .

مدح كافور

من قصيدة مدح بها كافوراً ، وهي أول قصيدة له فيه بعد أن ترك أمير حلب مغاضباً وقصد إلى مصر .
وفيها يمدح الشاعر مثقالاً على نفسه يتمنى الموت ويؤنب قلبه لأنه ما برح يحن إلى سيف الدولة . أنشده إياها
سنة ٩٥٧ م (٨٣٤٦) :

كَفَيْتْ بِكَ دَاءَ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا ، وَحَسْبُ الْمَنَابِلِ أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
تَمْتِيَّتُهَا ، لَمَّا تَمْتَيَّتْ أَنْ تَرَى ^(النفق) صَدِيقًا ، فَأَعْيَا ، أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا
إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بَدَلَةً ، فَلَا تَسْتَعِدِّنَ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا
وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرَّمَاحَ لِفَارَةٍ ، وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَدَاكِيَا
فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى ^{الجموع} ، وَلَا تُنْقَى ، حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا
حَبِيبَتِكَ ، قَلْبِي ، قَبْلَ حَبْلِكَ مَنْ نَأَى ، وَقَدْ كَانَ غَدَارًا ، فَكُنْ ، أَنْتَ ، وَافِيَا
وَأَعْلَمْ أَنَّ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ ، بَعْدَهُ ، فَلَسْتَ فُؤَادِي ، إِنَّ رَأْيَتِكَ شَاكِيَا
لِإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غَدْرٌ بِرَبِّهَا ، إِذَا كُنَّ ، لِأَثَرِ الْغَادِرِينَ ، جَوَارِيَا

- ١ كفى بك : يخاطب نفسه على سبيل التجريد . الباء زائدة ، ووجه الكلام : كفالك . داء : تميز .
أن ترى : فاعل كفى ، أي رؤيتك .
- ٢ تمتيتها : ضمير النصب يعود على المنايا . فأعيا : أي فأعجزك أن تراه . المداجي : المسائر للعداوة ،
لا يجاهر بها .
- ٣ استعده : أخذه عدة له .
- ٤ استطال الرماح : أي اتخذ الطوال منها . استجاد العتاق : اتخذ الجليد منها . العتاق : الخيل الكريمة .
المداكبي : الخيل التي تمت أسنانها .
- ٥ الطوى : الجموع .
- ٦ حبيبك : لغة في أحببتك . قلبي : منادى . من نأى : أي سيف الدولة . وافيًا : أي وافيًا لي ؛
وفي رواية : فكن لي وافيًا .
- ٧ البين : البعد . يشكيك : يزيدك أذى وشكاية .
- ٨ غدر : جمع غدور ، من غدر به ؛ وأصله بضم الدال ، وإسكانه لغة . برها : أي بصاحبها .

إذا الجود لم يُرزق خلاصاً من الأذى ، فلا الحمد مكسوباً ، ولا المال باقياً^١
 وللنفس أخلاق تدل على الفقى ، أكان سخاء ما أتى ، أم تساخياً^٢
 أقل اشتياقاً ، أيتها القلب ، ربّما خلقت ألوا ، لو رجعت إلى الصبى ،
 ولكن بالفسطاط بحرّاً ، أزرتة وجرداً ، مددنا ، بين أذانها ، القنا ،
 قواصداً كافور ، توارك غيره ، فجماعت بنا لإنسان عین زمانه ،
 أبا المسك ، ذا الوجه الذي كنت تائقاً ، وذا اليوم الذي كنت راجياً^٣

- ١ يقول ، إذا الجود لم يتخلص من الأذى ، فصاحبه يخسر ماله ، ولا يكسب عليه الحمد ، لأن الأذى يفسد العطاء ؛ يشير بذلك إلى عطايا سيف الدولة ؛ وما لحقه معها من الأذى في بلاطه ، وهذا من أمثاله السائرة مأخوذ من قول الحكيم اليوناني : إذا لم تجرد الأعمال من الدم ، كان الإحسان إساءة .
- ٢ أتى : أي فعل . التساخي : تكلف السخاء عن غير طبع . وقوله أكان سخاء ، لضرورة الوزن ، ووجهه أساء كان ، لأن الاستفهام بالهمزة واقع على السخاء والتساخي ، لا على الكون وعدمه .
- ٣ أقل اشتياقاً : أي كف عن الاشتياق .
- ٤ الفسطاط : مدينة مصر قبل القاهرة . البحر : أي كافور . أزرتة حياطي الخ . : حملتها على زيارته .
- ٥ وجرداً : أي وأزرتة جرداً ، وهي الخيل القصيرة الشعر . القنا : الرماح . العوالي : جمع العالية وهي صدر الرمح مما يلي السنان . يقول : مددنا رماحنا بين أذان الخيل ، فبانت تقيمها خفاً ، أي أن هذه الخيل لكرمها وقوة إحساسها ، باتت تتبع في سيرها حركة الرماح بين أذانها فتشفي إلى الأمام أو تنعطف إلى اليمين أو إلى اليسار ، دون أن يحتاج أصحابها إلى دفعها بالأرجل والأعنة .
- ٦ قواصد : حال من الخيل .
- ٧ إنسان العين : سوادها . المآقي : جميع مآق وهو طرف العين عند ملتقى الجفنين . شبه كافوراً بإنسان العين وهو أشرف ما فيها وأنفع ، وكفى بذلك أيضاً عن سواده ، وشبه غيره من الملوك ببياض العين ومآقيها ، فأظهر انحطاط منزلتهم عن منزلة كافور . قال ابن الشجري : ما مدح أسود بأحسن من هذا .
- ٨ أبو المسك : كنية كافور ، لسواد لون المسك وطيبه . تائق : مشتاق . ذا اليوم : يوم لقي كافوراً .

٤ إذا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَّ بِالنَّدَى ، فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَّ
بِهِمْ وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ ، فِيرْجِعْ مَلَكًا لِلْعِرَاقَيْنِ ، وَالْيَا

الرثاء

رثاء جدته

قل ورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه دخول الكوفة فالتجدر إلى بغداد . وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه ، وحثت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها :

ألا ، لا أرى الأحداثَ مَدْحًا ، وَلَا ذَمًّا ، فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا . وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا^١
إلى مثلٍ ما كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى ، يَعُودُ كَمَا أَبْدَى ، وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى^٢
لَكَ اللَّهُ مِنْ مَقْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا ، قَتِيلَةٍ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصَمًا^٣
أَحِينَ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتَ بِهَا ، وَأَهْوَى لِمَتَوَاهَا التَّرَابُ ، وَمَا ضَمَمًا^٤
بَسَكَيْتُ عَلَيْهَا ، خَيْفَةً ، فِي حَيَاتِهَا ، وَذَاقَ كِلَانَا تُكُلَ صَاحِبِهِ ، قِدَمًا^٥

١ الندى : الجود .

٢ الراجل : الماشي على رجله ، والمراد : أنه لا يملك مطية يركب عليها . الملك : الملك ، وهذا

اللفظ يشمل في كلام العرب الخليفة والامراء والولاة . العراقان : أي العراق العربي والعراق العجمي .

٣ الأحداث : نوب الدهر . كفها : أي كفها عن البطش بنا .

٤ أبدى : خلق ، والأصل أبدىء ، فحففت الهمزة ، والمراد : أنه يعود إلى التراب كما خلق من التراب ، فليس ذلك من عمل نوب الدهر ، لتستحق ذمًا أو مدحًا . يكري : ينقص . أرمى : زاد .

٥ الوصم : العيب . يقول : ماتت شوقاً إلى حبيبها ، ولكن لا يلحقها شوقها عيباً ، لأن حبيبها ابن بنتها .

٦ الكأس : أي كأس الموت . المثوى : المقام ، والمراد القبر . وما ضمما : أي وما ضم من ميت دفن فيه .

٧ قداماً : قديماً . يقول : كنت أبكي عليها في حياتها خوفاً عليها من الموت ، ولكنني تغربت وطلت غربتي ، فشكل كل منا صاحبه قبل الموت .

ولو قتلَ الهجرُ المحبينَ كلَّهم^١ ،
 عرفتُ اللياليَ قبلَ ما صَنَعْتُ بنا ،
 متنافعُها ما ضَرَّ في نفعِ غيرِها ،
 أتاها كتابي بَعْدَ يأسٍ وترَحٍّ ،
 حرامٌ على قلبي السرورُ ، فإنني
 هبيني أخذتُ الثَّأْرَ ، فيك ، من العدى ،
 وما انسَدَّتِ الدنيا عليَّ لضيقِها ،
 فوا أسفًا ! ألاَّ أكِبَ مُقَبَّلًا^٢
 وألاَّ أُلَاقِي روحَكَ الطيِّبَ الذي ،
 ولو لم تكوني بنتَ أكرمٍ والدٍ .
 لَشِئْنٍ لَدَ يَوْمِ الشَّامِتِينَ يَومِها .
 مضى بَلَدٌ باقٍ ، أجدتُ له صَرَمًا^٣
 فلمَّا دَهَتْنِي ، لم تَزِدْنِي ، بها ، عِلْمًا
 تَغْذِي وتَروى أن تجوعَ ، وأن تَظْمَأَ^٤
 فَمَاتَتْ سروراً بي ، فَمِتُ بها غَمًّا^٥
 أعدُّ الذي مَاتَتْ بهِ ، بَعْدَها ، سُمًّا^٦
 فكيفَ بأخذِ الثَّأْرِ ، فيك ، من الحُمَى ؟^٧
 ولكنَّ طَرَفًا ، لا أراكِ بهِ ، أعمى
 لرأسِكَ والصِّدْرِ اللَّذِي مِلِّئًا حَزَمًا^٨
 كأنَّ ذَكِيَّ المِسكِ كانَ لَهُ جِسمًا
 لَكَانَ أبَاكَ الضَّخَمَ كَوْنُكَ لي أُمًّا^٩
 لَقَدْ وَلَدَتْ ، مِنِّي . لأنفِيسِهِم رَغَمًا^{١٠}

١ أجدت : جددت . الصرم : البعد والقطيعة . يقول : لو قتل الهجر كل المحبين مات البلد الذي فارقه لأنه كان يحيا .

٢ يقول : عرفت الليالي قبل أن تصيبني بجدتي فرأيت أن منافعي قائمة على مضرة منافع غيرها ، فغداؤها ورأيها في أن تجوع أيها المخاطب وأن تظما . أو غداؤها ورأيها في جوعها المستمر لافتراس البشر ، وعطشها لشرب الدماء . وقوله تغذى : أي تتغذى . ويروى : أن تجوع وأن تظما .

٣ الترس : الاسم من الترح ، وهو الحزن والحلم . فمت : حركت الميم بالكسر على لغة القرآن ، لأن أصل المضارع من هذا الفعل في لغة قريش : يمات كخاف يخاف فأبقيت الكسرة دلالة على الأصل المتروك ، ويمكن تحريكها بالضم باعتبار أن المضارع المصطلح عليه يموت .

٤ يقول : أعد بعدها السرور الذي ماتت به ساء .

٥ هبيني : احسبيني . بأخذ الثأر : متعلق بمحذوف تقديره أكفل . يقول : احسبيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو أنهم قتلوك ، فكيف أخذ ثأرك من هذه العلة .

٦ اللذي : لغة في اللذين . وعليه قول الأخطل :

أبني كليب ، إن عمي هذا قتل الملوكة ، وفككا الأغللا

٧ الضخم : العظيم . يقول : لو لم يكن أبوك أكرم والد ، لكانت ولادتك ليأي بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه ، إذا قيل لك أنت أم أبي الطيب .

٨ لد : طاب . مني : تجريد .

تَغْرَبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ؛ وَلَا قَابِلًا ، إِلَّا لَخَالِقِهِ ، حُكْمًا
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فَوَادَ عَجَاجَةٍ ؛ وَلَا وَاجِدًا ، إِلَّا لِمَكْرُمَةٍ ، طَعْمًا
يَقُولُونَ لِي : مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ ؟ وَمَا تَبْتَغِي ؟ : مَا أَبْتَغِي ؟ ! جَلَّ أَنْ يُسَمَّى !
وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ ، فِي يَدَيَّ ، بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ . وَالْفَهْمَا
وَلَأَنِّي لَمِنْ قَوْمٍ ، كَأَنَّ نَفُوسَهُمْ ، بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
كَذَا أَنَا ، يَا دُنْيَا ! إِذَا شَتَّ ، فَادْهَبِي ! وَيَا نَفْسَ ، زِيْدِي ، فِي كِرَائِيهَا ، قُدِّمْنَا
فَلَا عَبَّرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي ! وَلَا صَحِيبَتِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَا !

رثاء اخت سيف الدولة

من قصيدة يرثي بها خولة اخت سيف الدولة الكبرى ؛ توفيت بميفارقين ، وورد خبرها إلى الكوفة ، وأبو الطيب فيها بعد خروجه من مصر ، فنظم مرثاه هذه ، وأرسل بها إلى أخيها سنة ٩٦٣ م (٣٥٢ هـ) :

طوى الجزيرة . حتى جاءني خبرٌ . فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملًا ، شرتُ بالدمع ، حتى كاد يشرق بي
تعثرتُ به في الأفواه السُنْها ، والبرد في الطرُق ، والأقلام في الكتبِ

.....

- ١ المجاعة : الفبرة ، والمراد غيرة الحرب .
- ٢ يقول : كأن نفوسهم تأنف أن تسكن المادة كبقية النفوس ، فهي لذلك تقتحم المخاطر لتتخلص من ماديها .
- ٣ كرائيها : نوازها المكروهة ، والضبير للدنيا . القدم : التقدم .
- ٤ تعزلي : تجعلني عزيزاً . المهجة : الروح .
- ٥ الجزيرة : ما بين دجلة والفرات ، وهي الطريق من حلب إلى الكوفة . خبر : فاعل جاءني أو طوى على التنازع . فزعت : إلى الكذب : أي أملت أن يكون كاذباً .
- ٦ شرت : غصصت . كاد يشرق بي : أي أحاطني الدمع حتى غمرني فكاد يفص بي لأنني صرت ضمنه .
- ٧ به : اختلس حركة الهاء من به ، وهذا من عيوب الوزن . البرد وسكنت الراء على لغة تميمية : جمع البريد وهو الرسول . يقول : تلجلجت بذكره الألسنة في الأفواه ذعراً ، وتمثرت الرسل الحاملة له في الطرق ، ورجعت أيدي الكتاب في كتابته .

كَأَنَّ فَعْلَةً لَمْ تَمَلَأْ مَوَاقِبَهَا دِيَارَ بَكْرٍ ، وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ
وَلَمْ تَرُدَّ حَيَاةً ، بَعْدَ تَوَلِيَةٍ ، وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيًا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ
أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ ، مُذْنُعِيَّتْ ، فَكَيْفَ لَيْلُ فِتْيَانٍ فِي حَلَبٍ ؟
يَظُنُّ أَنَّ فُؤَادِي غَيْرُ مُلْتَهَبٍ ، وَأَنَّ دَمْعَ جَفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبٍ ؟
بَلَى ، وَحُرْمَةٍ مَنِ كَانَتْ مُرَاعِيَةً لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ ، وَالْقُصَادِ ، وَالْأَدَبِ
وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلَالِيقِهَا ، وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثةَ النَّشَبِ
وَهَمُّهَا فِي الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةٌ ، وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ
وَلَنْ تَكُنْ خُلِقْتُ أَنِّي ، لَقَدْ خُلِقْتُ كَرِيْمَةٍ غَيْرِ أَنِّي الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ
وَلَنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغُلَبَاءُ عُنُصْرَهَا ، فَإِنْ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى ، لَيْسَ فِي الْعِنَبِ

تَخَالَفَ النَّاسُ ، حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ ، إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ

.....

- ١ فعلة : كناية عن اسم المريئة وهو خولة ، ولم يذكر اسمها لإجلالها .
- ٢ التولية : مصدر ولي ، أي ذهب وأدبر . الحرب : ذهاب المال . المعنى : كالت ترد حياة الخائف والمحروب بالإغاثة والبلد .
- ٣ يظن : على حذف حرف الاستفهام أي أظن .
- ٤ النشب : المال .
- ٥ ناشئة : أي صبية ، وهي حال من الضمير في ههنا . الأتراب : الأمثال في العمر ، واحدها ترب للمذكر والمؤنث .
- ٦ الحسب : ما يثبته الإنسان لنفسه من الشرف والمآثر .
- ٧ تغلب : قبيلة الحمدانيين . الغلباء : العزيزة الممتنعة . فإن : الفاء هي الفصيحة الدالة على جواب الشرط المحذوف أي فلا عجب . يقول : إن يكن عنصرها من تغلب الغلباء ، وفاقت قبيلتها في الفضل ، فلا عجب فإن الخمر من العنب ، ولكن فيها من فضل القوة ، وطيب الطعم والريح ما ليس في العنب .
- ٨ حتى : ابتدائية . الشجب : الهلاك . الخلف : الاختلاف . يقول : تخالف الناس في كل شيء ، فلم يتفقوا إلا على أن الموت لا مهرب منه لكل حي ، ثم اختلفوا في حقيقة الموت ومصير النفس بعده .

٥ فقيلَ : تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً ، وَقِيلَ : تَشْرَكَ جِسْمُ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ
٦ وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهِجَتِهِ ، أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ

الهجاء

هجاء ابن كيفلغ

من قصيدة يهجو بها اسحق بن ابراهيم الأعور ابن كيفلغ محافظ طريق طرابلس . وكان جاهلاً ، وبينه وبين ابي الطيب عداوة قديمة ، فاتفق ان مرّ به المتنبي سنة ٩٤٧ م (٣٣٦ هـ) يريد أنطاكية ، فسأله أن يمدحه ، فأبى الشاعر مترفعاً ، فاعتاقه المحافظ مدة عن سفره ، فلما ابتعد عن طرابلس ، قال يهجو :

لِيَهْوَى النَّفْسُ سَرِيرَةً لَا تُعْلَمُ ، عَرَضًا نَظَرْتُ ، وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ ٢
يَا أُخْتُ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى ، لَأُخَوِّكَ ، ثُمَّ ، أَرْقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ ٣

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى ، فِي النَّعِيمِ ، بِعَقْلِهِ ، وَأَخُو الْجَهْلَةِ ، فِي الشَّقَاوَةِ ، يَنْعَمُ ٤
وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاطَ ، فَمُطْلَقٌ يَنْسَى الَّذِي يُؤْلِي ، وَعَافٍ يَنْدَمُ ٥

.....

- ١ المهجة : الروح .
- ٢ السريرة : السر . عرضاً : فجأة ، واعتراضاً عن غير قصد ؛ وهو منصوب على الحال . يقول : سر الحب مجهول لا يدري كيف يدخل القلوب ؛ فقد نظرت عرضاً إلى فتاة ، وخلصت أني أسلم من حبها ، فلم أسلم .
- ٣ يقول : أخوك شجاع يعتنق الفرسان في الحرب ، أي يتلاحم وإياهم . ثم : هناك ، أي في الحرب . أرق منك وأرحم : أي يرحم الفوارس أكثر مما ترحم العشاق .
- ٤ يقول : العاقل يشقى ، وإن كان في نعمة ، لتفكيره في قلب الأحوال ؛ والجاهل ينعم بشقائه لنفله ، وقلة تفكيره في العواقب .
- ٥ نبذوا : طرخوا . الحفاظ : المحافظة على المهود وغيرها . مطلق : مبتدأ محذوف الخبر أي فمنهم فمطلق . يؤلي : يحسن . العافي : من يعفو عن الإساءة . يقول : المطلق من الأسر يلى إنعام من أحسن إليه بالمعفو ، والعافي يندم لأنه أحسن إلى من لا يحفظ جميله .

لا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوِّ دَمْعُهُ ، وَاَرْحَمَ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوِّ تَرْحَمُ^١
 لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى ، حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ^٢
 يُؤْذِي الْقَلِيلُ مِنَ النَّثَامِ ، بِطَبْعِهِ ، مَنْ لَا يَقِلُّ ، كَمَا يَقِلُّ وَيَكُونُ^٣
 وَالظُّلْمُ مِنَ شَيْسَمِ النَّفُوسِ ، فَلَنْ تَجِدَ ذَا عِفَّةٍ ، فَلَعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ^٤

* * *

وَمِنْ الْبَلِيَّةِ عَدْلُ مَنْ لَا يَرَعُو عَنِ غِيَةِ ، وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ^٥

* * *

يَقْبَلُ مُفَارَقَةَ الْأَكْفِ قَدَالَهُ ، حَتَّى يَكَادَ عَلَى بَدَنِ يَتَعَمَّمُ^٦
 وَجُفُونُهُ لَا تَسْتَقِرُّ ، كَأَنَّهَا مَطْرُوفَةٌ ، أَوْ فُتَّ فِيهَا حِصْرُ^٧
 وَإِذَا أَسَارَ مُحَدَّثًا ، فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقَهِّقُهُ ، أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ^٨
 وَتَرَاهُ ، أَصْغَرُ مَا تَرَاهُ ، نَاطِقًا ، وَيَسْكُونُ ، أَكْذَبُ مَا يَكُونُ ، وَيُقَسِّمُ^٩

١ من عدو ترحم : أي من عدو ترجمه ، لأنه إذا ظفر بك لا يرحمك .
 ٢ القليل : الخسيس الحقير . يقول : من طبع الخسيس اللئيم أن يؤذي الكريم الذي لا يشاكله في الحقارة واللوم .
 ٣ ذا عفة : أي يعف عن الظلم .

٤ العدل : اللوم . يرعوي : يكف ويقلع . غيه : ضلاله ، وروى : جهله .
 ٥ يقبل ويقل : يبنفس . القدال : مؤخر الرأس . يقول : هو لئيم دنيء تعود أن يصفح ، فلذلك يكره قذاله أن تفارقه الأكف ويكاد هذا الصنفان يتمم على يد صافعة حبه لها .

٦ يقول : يستعين بإشارات اليدين ، إذا حدث ، لحي لسانه ، ويتشنج وجهه في أثناء الحديث لمعجزه عن الإفصاح ، فيجتمع له التشنج والقيح والكلام غير المفهوم والإشارات ، فيصبح أشبه شيء بقرد يقهقه أو عجوز تولول ؛ ودل على الولولة بلفظة تلطم ، لأن لطم النساء لوجوههن لا بد أن يصحبه صوت هو ولولة في الغالب .

٧ حرك المكبري أصغر وأكذب بالفتح مستنداً إلى هبة الله الشجري في أماليه إذ قال إن فعل الرؤية من العين يعدى إلى مفعول واحد ، وأصغر وأكذب منصوبان على المصدر أي في موضع المفعول المطلق لأنهما أضيفا إلى ما المصدرية . ويكون : تامة لا خبر لها . ناطقاً ويقسم : أي وهو يقسم ، في محل نصب على الحال ، والتقدير وتراه ناطقاً أصغر رؤيتك إياه ، ويوجد ، وهو يقسم ، وجوداً أكذب وجوده . على أن الشيخ إبراهيم البازجي يرى في ذلك تعسفاً ويرجح رفع أصغر وأكذب على أنهما في محل الابتداء ، وأن الحال في ناطقاً ويقسم سدت مسد الخبر ، والجملة في محل نصب بالناسخ ، أي أولاً على أنها مفعول ثان لترى ، وثانياً على أنها خبر يكون . وروى آخرون أصغر وأكذب بالنصب على أنهما معمولان للفعلين قبلهما . والمعنى : هو أحقر ما يكون إذا نطق لحي لسانه ، وأكذب ما يكون إذا حلف ، لأنه يأتي بالحلف تأييداً لأكاذيبه .

وداع كافور

قال يهجو في يوم عرفة ، أي في أس عيد الأضحى ؛ قبل مسيره من مصر يوم واحد في أواخر سنة ٩٦١ م (٥٣٥٠ هـ) :

عيدٌ ! بأية حالٍ عُدتَ ، يا عيدٌ ؟ بما مضى ؟ أم لأمرٍ فيكَ تجديدٌ ؟
أما الأحبةُ ، فالبيداءُ دونهمُ ، فليتْ دونكَ بيداً ، دونها بيدٌ ؟

* * *

يا ساقيتي ، أخمرٌ في كؤوسِكُما ، أم في كؤوسِكُما همٌ وتَسهيدٌ ؟
أصخرةٌ أنا ؟ ما لي لا تُحرّكني هذي المُدامُ ، ولا هذي الأغاريدُ ؟
إذا أردتُ كُميتَ اللونِ صافيةً ، وجدتها ، وحبيبُ القلبِ مَفقودُ ،
ماذا لَقيتُ منَ الدنيا ؟ وأعجبهُ أني ، بما أنا شاكٍ منه ، مُحسودُ !
أَمَسيتُ أروحَ مُترٍ ، خازناً ويداً ، أنا الغسنيُّ ، وأموالي المواعيدُ
لأنني نزلتُ بكذا بينَ ، ضيفهمُ ؛ عن القرى وعن الترحالِ ، محدودُ
جودُ الرجالِ منَ الأيدي ، وجودهمُ منَ اللسانِ ؛ فلا كانوا ولا الجودُ !
ما يقبِضُ الموتُ نفساً من نفوسِهِم ، إلا ، وفي يدهِ ، من نَتْنِها ، عودُ
أكلتما اغتالَ عبدُ السوءِ سبدهُ ، أو خائنهُ ، فلهُ ، في مصرَ ، تمهيدُ ؟

- ١ عيد : أي هذا عيد . بما مضى : أي بما مضى ، حذف هزة الاستفهام .
- ٢ البيداء : الفلاة لأنها تبيد سالكيها ، جمعها بيد . يقول للميد : إن أحبتي على بعد مني ، تفصل البيداء بيني وبينهم ، فليت البيد بعد البيد تفصل بيني وبينك ، لأنني لا أَسر بقدمك وهم يمينون .
- ٣ التسهيد : الحمل على السهر .
- ٤ الكميت : الأحمر فيه سواد ، يوصف به المذكر والمؤنث ، والمراد هنا : غمر كميت اللون .
- ٥ أروح : من الراحة . يقول : إنه قد صار غنياً ، ولكن خازله ويده مستريحان من حمل المال ، لأن أمواله مواعيد كافور لا تقبض ، ولا تخزن .
- ٦ القرى : الضيافة . محدود : ممنوع .
- ٧ تمهيد : أي تمهيد للملك . يَهم كافوراً باغتيال سيده أنوجور الاخشيدي ، ليستولي على الملك .

صارَ الحَصِيَّ لِإِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا ، فَالْحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ ، وَالْعَبْدُ مَعْبُودٌ^١
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَن ثَعَالِيهَا ، فَقَدْ بَشِمْنَ ، وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ^٢
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بَأَخٍ ، لَوْ أَنَّهُ ، فِي ثِيَابِ الْحُرِّ ، مَوْلُودٌ^٣
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ ، إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ ، إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَتَاكِدٌ^٤
 مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ ، يُسَيِّءُ بِي ، فِيهِ ، عَبْدٌ ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ^٥
 وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَقِدُوا ، وَأَنْ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودٌ^٦
 وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدَ الْمُتَقَوَّبَ مِشْفَرُهُ^٧ تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطُ الرَّعَادِيدُ^٨
 جَوْعَانٌ ، يَأْكُلُ مِنْ زَادِي ، وَيُمْسِكُنِي لَكِي يُقَالَ : عَظِيمُ الْقَدْرِ ، مَقْصُودٌ^٩
 وَيَلْمُهَا خُطَّةً^{١٠} ! وَيَلْمُ قَابِلِيهَا ! لِمِثْلِهَا خَلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ^{١١}

- ١ الآبِقِينَ : العبيد الماربيين من ساداتهم . بها : أي بمصر .
- ٢ النواطير : سادات مصر . ثعالبيها : عبيد مصر . بَشِمْنَ اخذتَهن نخمة ، والضمير للثعالبي . العناقيد : أموال مصر . يقول : نامت سادات مصر عن أموالها ، فاستولى عليها العبيد ، وأكلوا منها فوق الشيع حتى انخسوا ؛ ولكن هذه الأموال لا تفي لكثرتها .
- ٣ لو : أي ولو ، حذف الواو والجملة حالية . في ثياب الحر : أي في ملك الحر .
- ٤ المتناكيد : جمع منكود وهو القليل الخير .
- ٥ يسيء بي : يقال أساء به وإليه ؛ قال كثير : أسيتي بنا أو أحسني ، لا ملومة . عبيد : ويروي كلب .
- ٦ كناه بأبي البيضاء سخراً به لأنه خصي أسود .
- ٧ المشفر : شفة البعير ، استعاره لكافور إظهاراً لضخامة شفتيه . وكان كافور مثقوب الشفة السفلى ، شأن العبيد الذين يملقون الخلق في شفاههم ؛ فشبهه بالبعير الذي يثقب مشفره للزمام . المضاريط ، جمع عضروط ، وهو الذي يخدم بطعامه . الرعاديذ : الجبناء ، واحدها رعديذ .
- ٨ من زادي : أي من شعري . يمسكني : يمنني من الرحيل . والمراد : أن كافوراً يريد أن يشيع جوعه من مدح الشاعر ، وهو لا يعطي الشاعر ما يشبهه ، ويمنعه من الرحيل لكي يقول الناس إنه كريم يقصده الشعراء والمفاة .
- ٩ ويلمها : كلمة تقال عند التعجب من الشيء ؛ قيل إن أصلها ويل لألها ، فركبوا وجعلوها كالشيء الواحد ؛ وقيل : بل هي مركبة من وي لألها ، فوي : كلمة مفردة تقال عند التذجع والتعجب ، وحذفت الهزة عن أمها تخفيفاً ، وألقيت حركتها على اللام المكسورة ، فصارت مضمومة ؛ وينصب ما بعدها على التمييز . الخطة : الأمر والشأن . المهريّة : الإبل . القود : الطوال الظهور ، واحدها أقود وقوداء . والمراد أنه لمثل هذا الأمر الذي لا يحتمل خلقت الإبل للرحيل .

وعيندها ، لذة طعم الموت شاربته ، إن المتينة ، عند الذل ، قنيد^١
 من علم الأسود المتخفي مكرمة^٢ أقومه البيض ، أم أباه الصيد^٣
 أم أذنه ، في يد النخاس ، دامية^٤ أم قدره ، وهو بالفلسين مردود^٥
 أولى اللثام كوفير^٦ بمعدرة في كل لوم ، وبعض العذر تفنيد^٧
 وذلك أن الفحول البيض عاجزة^٨ عن الجميل ، فكيف الحصى السود^٩

الفخر

شكوى وطموح

من شعر صباه يشكو شقيق رزقه طموحاً ، ممتداً بنفسه :

ما مقامي ، بأرض نحلة^١ ، إلا كمقام المسيح ، بين اليهود^٢
 مقترشي صهوة الحصان^٣ ، ولكي ن قميصي مسرودة^٤ من حديد^٥
 لأمة^٦ فاضة^٧ ، أضاة^٨ ، دلاص^٩ ، أحكمت نسجها بدا داود^{١٠}

- ١ عندها : الضمير للخطاة . لذ طعم الشيء : وجده لذياً . القنيد : غسل قصب السكر ، والخمر .
- ٢ الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك العظيم .
- ٣ النخاس : بائع العبيد . دامية : إشارة إلى أن النخاس كان يقوده بأذنه ويعرضه للبيع منادياً عليه ، فتدعى أذنه من الشدة . قدره : ثمنه .
- ٤ التفنيد : اللوم والتقريع . يقول : هو أحق اللثام بأن يعذر على كل لوم يبدو منه ، لحسة أصله وعجزه عن المكارم ، وإن يكن هذا العذر تقريباً له ؛ وفي البيت التالي يصرح بعذره .
- ٥ الفحول البيض : الملوك والسادة الأحرار . عن الجميل : أي عن صنع الجميل . الحصى : جمع حصي .
- ٦ نحلة : قرية لبني كلب بالقرب من بعلبك .
- ٧ المفرش : مكان الفراش . الصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . مسرودة : منسوجة من الحديد وهي الدرع . واستدراكه ولكن : من باب المدح في معرض الذم .
- ٨ الألة : الدرع ، بدل من مسرودة . فاضة : واسعة . الأضاة : الغدير من الماء ؛ وصف الدرع بها ، لما فيها من البريق والصفاء . الدلاص : الدرع اللينة الملساء . داود : أي داود النبي ، يقال إنه أول من نسج الدروع ؛ ولذلك تنسب إليه الدروع المحكمة النسج .

أَيْنَ فَضْلِي ؟ إِذَا قَنِعْتُ مِنْ الدَّهْرِ
صَاقَ صَدْرِي ، وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ
أَبْدَأُ أَقْطَعُ الْبِلَادَ ، وَنَجْمِي
وَلَعَلَّتِي مُؤَمِّلٌ بَعْضَ مَا أَهْ
لَسْرِي ، لِبَاسُهُ أَحْسَنُ الْقُطْعِ
عِشْ عَزِيزًا ، أَوْ مِتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ ،
فَرُؤُوسُ الرَّمَاكِ أَذْهَبُ لِلْغَيْهِ
لَا كَمَا قَدْ حَيَّيْتُ ، غَيْرَ حَمِيدٍ ،
فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَطْفِي ، وَدَعِ الدَّ
يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ ، وَقَدْ يَمُوتُ
وَيُوقَى الْفَتَى الْمَخْشَى ، وَقَدْ خَوَّ
لَا بِقَبْوِي شَرَفْتُ ، بَلْ شَرُّوْا بِي ،
رِ بَعِيشٍ مُعْتَجَلٍ التَّنْكِيدِ ١
قِي قِيَامِي ، وَقَتْلَ عَنْهُ قُعُودِي
فِي نُحُوسٍ ، وَهَيْمَتِي فِي سُعُودِ
لُغٍ بِاللَّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدٍ ٢
نِ ، وَمَرْوِيٍّ مَرْوٍ لِبَسِ الْقُرُودِ ٣
بَيْنَ طَعْنِ الْقَتَا ، وَخَفَقِ الْبُنُودِ ٤
ظِ ، وَأَشْفَى لُغْلٍ صَدْرٍ الْحَقُودِ ٥
وَإِذَا مِيتَ ، مِيتَ غَيْرَ فَتَقِيدِ ٦
لَوْ كَانَ فِي جِنَانِ الْخُلُودِ ٧
حِيزُ عَنْ قَطْعِ بُخُنِّ الْمَوْلُودِ ٨
ضَ فِي مَاءِ لَبَةِ الصَّنِيدِ ٩
وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ ، لَا بِجُدُودِي ١٠

- ١ يقول : ما أزال أقطع البلاد طلباً للرِّزْقِ ، والنَّحْسُ يرافِقُ حَظِّي ، ومع هذا فإنَّ هَيْمَتِي عَالِيَةٌ لَا تَنْحَطُ لِلْغَيْهِ . فَعَلَّ الَّذِي يَشْدُدُ عَزِيمَتِي هُوَ أَنْ مَا أَرْجُوهُ الْآنَ لَيْسَ إِلَّا بِعَفْصٍ مَا سَيُطْلَعُنِي إِلَهُ إِيَّاهُ بِلُطْفِهِ .
- ٢ لسري : لشريف ، وحرف الجر متعلق بأبلغ ؛ وأراد بالسري نفسه . لباسه شئتُ القطن : هذا من باب الفخر لأنَّ العرب تمنح بخشونة الملبس ، وتعيب الترف والنعمة . المروي : ضرب من رفاق الثياب يفسج في مرو ، وهي بلد في خراسان يقال في النسبة إليها : ثوب مرو ، يكون الرءاء وتفتحها ، ورجل مروزي على غير قياس .
- ٣ البنود : الأعلام الكبيرة ، واحدها بند .
- ٤ الفل : الحقد .
- ٥ لا كما قد حييت : خطاب لنفسه ، أي لا تمس كما عشت إلى هذا الوقت شامل الذكر غير محمود الفضائل فيما بين الناس .
- ٦ لطف : من أسماء جهنم .
- ٧ البخنق : خرقه يفتح بها رأس الطفل وتشد تحت الحنك ، وتلبسه المرأة أيضاً عند ادهان رأسها .
- ٨ المخش : الحري على الليل . الماء : هنا بمعنى الدم . البية : أعلى الصدر . الصنديد : السيد الشجاع .

وبهم فتخر كل من نطق الضا د، وعوذ الجاني، وغوث الطريد^١
 إن أكن معجبا، فعجب عجيب، لم يجد فوق نفسه من مزيد^٢
 أنا تيرب الندى، ورب القواني، وميام العدى، وغيط الحسود^٣
 أنا في أمة، تداركها الله، غريب كصالح في تمود^٤

طريق المجد

قال يفتخر من قصيدة ملح بها علي بن عامر الأنطاكي، قبل اتصاله بسيف الدولة :

أطاعين خيلا، من فوارسبه الدهر، وحيدا، وما قولي كذا؟ ومعني الصبر^١
 وأشجع مني، كل يوم، سلامتي، وما تبتت، إلا وفي نفسي أمر^٢
 تمرست بالآفات، حتى تركتها، تقول: أمان الموت، أم دعر الدهر^٣
 وأقديت لإقدام الآتي، كان لي، سوى مهجتي، أو كان لي، عندها، وتر^٤
 ذر النفس، تأخذ وسعها، قبل بينها، فمفترق جاران، دارهما العمر^٥

- ١ الخوذ : الالتجاء . الفوث : العون . الطريد : الذي يطرد وينتفى .
- ٢ المعجب : الذي يعتد بنفسه ويباهي . المعجب : المبالغة بالنفس . عجيب : أي مخلوق عجيب في ذاته .
- ٣ ترب الإنسان : من ولد معه . النلى : الخوذ . السام : جمع السم .
- ٤ صالح : نبي ذكره القرآن . تمود : قبيلة بالدة ، جاء في القرآن أن الله أبادها بعد أن فسدت وكذبت بصالح ، وعقر رجل منها ناقته فالتفتي هنا يحش على أمته أن يصيبها ملاءم أصاب تمود ، لأنها أكرته وكذبت به ، فعاش فيها غريبا كصالح في قبيلته ، ولذلك هو يسأل الله أن يتداركها بطفه ، فيصلح ما فيها من فساد . قال ابن جني : بهذا البيت لقب بالمتلبي .
- ٥ خيلا : أي خيل الأعداء في الحرب . من فوارسها الدهر : أي من جملة خيل الأعداء ، خيل الدهر ، أي حوادثه . كذا : مفعول قولي .
- ٦ تمرس به : تحكك . الآفات : ما يصيب الإنسان من ويلات وحروب وأمراض . واحدتها آفة . والمعنى أن الآفات صارت تقول : ما بال هذا الرجل لا يموت ولا يخاف ؟ أمانت الموت أم دعر الدهر ؟
- ٧ الآتي : أي السيل الذي لا يرد ، يأتي من موضع بعيد . المهجة : الروح . الوتر : الثأر .
- ٨ ذر : دع . وسعها : طاقها ، أي ما تقدر عليه . بينها : أي فراقها للجد . جاران : النفس والجسد ، وهو فاعل سد مسد الخبر ، ومفترق : مبتدأ لذكره على مذهب من لا يلزم اعتماد الوصف على نفي أو استفهام ، وهو مذهب الأخفش والكوفيين .

ولا تحسبنّ المجد زيقاً ، وقينةً ، فما المجد إلا السيّف ، والفتكة البكر^١
وتضريب أعناق الملوك ، وأن تثرى لك الهبّوات السود ، والعسكر المجر^٢
وتركك في الدنيا دويّاً ، كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر^٣

واحر قلباه !

قال يفتخر ويمتاب سيف الدولة ، بعد أن كثرت السعابات بين الأمير والشاعر ، وهذا الجفاء من صاحب حلب ، فانقطع أبو الطيب مدة عن قول الشعر ، ثم دخل عليه فأنشده هذه القصيدة في مجلس حافل بالأمراء والشعراء والأدباء :

واحرّ قلباه ميمّن قلبه شيم^١ ومن يجسمي وحالي ، عنده ، سقم^٢ !
ما لي أكتّم حبّاً قد برى جسدي ، وتدعي حبّ سيف الدولة الأتم^٣ ؟
إن كان يجمعنا حبّ لغزّيه ، فليت أنا ، بقدر الحبّ ، نقنّسيم^٤
قد زُرّته ، وسيوف الهند مغمدة^٥ ، وقد نظرتُ إليه ، والسيوف دم^٦

- ١ الفتكة البكر : أي التي لم يسبق إليها أحد ، وهي المرة من الفتك .
- ٢ الهبّوات ، جمع هبوة : الغبار . المجر : الكثير .
- ٣ تداول : أي تتداول ، على حذف إحدى التائين ؛ يقال تداول الشيء : تعاقبه ، أي أخذه مرة بعد مرة . يقول : والمجد أن ترك في الدنيا دويّاً يضح في الأذان ، حتى كأن كل إنسان فيها يدخل أصابعه العشر مداولة في أذنيه ؛ وذلك أن الذي يعاقب لإدخال أصابعه في أذنيه يحدث فيها دويّاً .
- ٤ واحر قلباه : للندبة ؛ أراد واحر قلبي ، فأبدل من الياء ألفاً طلباً للخفة ، والعرب تفعل ذلك في النداء ، وألحق بعد الألف هاء السكت ، والعرب تفعل ذلك ، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف ، وللعرب في ذلك أمران : فمهم من يحرك بالضم تشبيهاً بهاء الضمير ، ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً في الكلام عند التقاء الساكنين . الشيم : البارد . والمعنى : قلبي حار من حبه ، وقلبه بارد من حبي ، وأنا عنده مختل الحال ، معتل الجسم .
- ٥ برّاه : أنحله .
- ٦ غرته : طلّعه . ليت : اسمها وخبرها محذوفان ، سدت أن وصلتها مسدهما . يقول : إن كان حبه يجمع بيني وبين غيري من الناس ، فليتنا لنقسم المزلة عنده بمقدار ذلك الحب ، حتى ينال كل منا ما يستحقه .

فكانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلَّهُمْ^١ ، وكانَ أَحْسَنَ ما في الأحسنِ، الشَّيْمُ^١
يا أعدلَ النَّاسِ ، إلّا في مُعامَلَتِي ، فيكَ الحِصامُ ، وأنتَ الحَصمُ والحَكَمُ^٢
أُعِيدُها نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً ، أن تَحسِبَ الشَّحْمَ فيمن شحمُهُ ورَمَ^٣
وما انتِفَاعُ أخِي الدُّنيا بِناظِرِهِ ، إذا اسْتَوَتْ ، عنده ، الأنوارُ والظُّلُمُ^٤
سَيَعْلَمُ الجَمْعُ ، مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا ، بأنِّي خَيْرُ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ^٥
أنا الَّذي نَظَرَ الأعمى إلى أدبِي ، وأسمَعَتْ كَلِماتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ^٦
أنا مِلءَ جُفُونِي عن شِوارِدِها ، وَيَسْهَرُ الخَلقُ جَراها ، وَيَخْتَصِمُ^٧
وَجاهِلِ مَدَّةً ، في جَهْلِهِ ، ضَحِكِي ، حَتّى أَتَتْهُ يَدُ فَراسَةٍ ، وفَمَ^٨
إذا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْلِ بارِزَةً ، فلا تَظُنَّنْ أَنَّ اللَّيْلَ يَبْتَسِمُ^٩

.....

١ الشيم : الأخلاق . يقول : زرقته في السلم ، وصحبته في الحرب ، فكان أحسن الناس على الحالين ، وكانت شيمه أحسن ما في هذا الأحسن .

٢ يقول : أنا وغيري من الشعراء نختصم فيك ، وأنت خصمي لأنك لا تعاملني كما تعاملهم ، وأنت الملك الحاكم . وملخص المعنى : أنت موضوع الخصام ، وأنت الخصم ، وأنت الحاكم ، فكيف أرجو الإنصاف .

٣ أعيدها : دعاء لها بالحفظ ، كأنه يقول : أعيدها بالله ، أي أجعلها في ملجأ الله وملاذه . تقول عاذ به عوداً وعياداً ومعاذاً : التَّجأ واعتصم . نظرات : بدل من ضمير النصب في أعيدها ، وهي تفسر له . الشحم : ما دل على الصحة . الورم : ما دل على المرض . يقول : أعيد نظراتك الصادقة أن تشبه عليها الحقيقة ، فلا تفرق بين الشاعر والمتشاعر ؛ ويخضعها ظاهر الشعر أي وزنه وقافيته ، كما يخضع ظاهر الالتفاح فيمن شحمه صحة ، وفيمن شحمه ورم .

٤ أخى الدنيا : أي الإنسان . الناظر : العين .

٥ شوارد القوافي : أي الأشعار التي تروى وتسير في البلاد . جراها : من أجلبها والأصل من جراها ، فحذف الجار ونصب المجرور مفعولاً له . يقول : أنا ملىء جفوني عن شوارد الشعر لأنني أدركها متى شئت على سهولة ويسر ، وغيري من الشعراء يسهرون من أجلبها إذا أرادوا النظم ، ويخاضمون بعضهم بعضاً فيما يظفرون من المعاني لتواطئهم عليها ، أو يسهر الناس من أجل حفظها وروايتها ، ويخاضمون بعضهم بعضاً في شرحها وتفهمها .

٦ مدّه : أمهله وطول له ؛ والمراد خلدعه وأطمعه . فراسة : مفترسة .

٧ النيوب : جمع ناب

ومُهَجَّةٌ ، مُهَجَّتِي مِنْ هَمٍّ صَاحِبِهَا ، أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرَهُ حَرَمٌ^١
 رِجْلَاهُ فِي الرِّكْضِ رِجْلٌ ، وَالْيَدَانِ يَدٌ ، وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفَّ وَالْقَدَمَ^٢
 وَمُرْهَفٍ سَرْتُ بَيْنَ الْحَافِلَيْنِ بِهِ ، وَحَتَّى ضَرَبْتُ ، وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ^٣
 الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ، وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقِرَاطُ وَالْقَلَمُ^٤
 صَحِبْتُ فِي الْفَلَكَاةِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا ، حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقَوْرُ وَالْأَكَمُ^٥
 يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ ، وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ ، بَعْدَكُمْ ، عَدَمٌ^٦
 مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ ، لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَسٌ^٧
 إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا ، فَمَا بِالْجُرْحِ ، إِذَا أَرْضَاكُمْ ، أَلَسَ^٨
 وَبَيْنَنَا ، لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ ، مَعْرِفَةٌ ، إِنْ الْمَعَارِفَ ، فِي أَهْلِ الشَّهَى ، ذِمَّسُ^٩
 كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا ، فَيُعْجِزُكُمْ ، وَيَكْرَهُهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ ، وَالْكَرَمُ^{١٠}
 مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ، أَنَا الثَّرِيَا ، وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْحَرَمُ^{١١}
 لَيْتَ الْغَمَامَ ، الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ ، يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيمُ^{١٢}

- ١ المهجة : الروح . يقول : ورب مهجة ، من هم صاحبها إلتلاف مهجتي ، أدركتها بجواد كأن ظهره حرم لا يفتك ، أي من ركبته أمن الحاق .
- ٢ يصف استواء وقع قوائمه وصحة جريه ، فكان رجله رجل واحد ، لأنه يرفعهما معاً ، ويضمهما معاً ، وكذلك اليدان ، وهذا الجري يسمى المناقلة ؛ وفعله ما تريد الكف بالسوط ، والرجل بالركل فهو يغنيك عنهما .
- ٣ المرهف : السيف الرقيق الحد . الحافلين : الحاشين العظميين .
- ٤ القور : جمع قارة وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ، ويروى النور : وهو المظلم من الأرض . الأكَم ، جمع أكمة : الجبل الصغير .
- ٥ أخلقنا : أولانا وأجددنا . أمم : قريب . يقول : ما كان أولانا بتكرمة منكم ، لو أن عقيدتكم فينا قريبة من عقيدتنا فيكم ، أي لو بادلتونا الحب الذي نحفظه لكم .
- ٦ النهى : العقول . اللدم : العهد .
- ٧ ذان : مثني ذا ، اسم إشارة للعيب والنقصان . يقول : العيب والنقصان بعيدان عن شرفي بعد الشيب والهرم عن الثريا .
- ٨ الغمام : السحاب . الديم : الأمطار التي تدوم أياماً ؛ أراد بالغمام سيف الدولة ، وبالصواعق غضبه وأذاه ، وبالديم عطاياه . يقول : ليت سيف الدولة يزيل أذيته عني ويحيلها إلى الذين ينتفعون من عطاياه .

أَرَى النَّوَى يُقْتَضِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ ، لا تَسْتَقِيلُ بِهَا الْوَحَادَةُ الرَّسْمُ^١ ،
لَتَيْنِ تَرَكْنَ ضُمِيرًا عَنْ مَيَامِينِنَا ، لِيَحْدُثَنَّ ، لِمَنْ وَدَعْتَهُمْ ، نَدَمٌ^٢ ،
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ ، وَقَدْ قَدَّرُوا شَرَّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لا صَدِيقَ بِهِ ،
وَشَرُّ مَا قَنَصْتَهُ رَاحَتِي قَنَصٌ ، وَشُهْبُ الْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخَمُ^٣ ،
بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشَّعْرَ زِعْنِفَةً ، تَجُوزُ عِنْدَكَ ، لا عُرْبٌ وَلَا عَجَمٌ^٤ ،
هَذَا عِتَابُكَ ، إِلَّا أَنَّهُ مِقَّةٌ ، قَدْ ضَمَّنَ الدَّرَّ ، إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ^٥ ،

١ النوى : البعد . يقتضي : يطالبني ، وعدها إلى اثنين على تضيئه معنى يكلفني . الوحادة : الإبل السريعة السير . الرسم : جمع رسوم وهي الناقة التي تؤثر في الأرض بأخفافها . يقول : أرى البعد عنكم يكلفني أن أقطع كل مرحلة شاسعة ، لا تقوم بقطعها الإبل السريعة الشديدة .

٢ تركن : الضمير الوحادة للرسم . ضمير : جبل عن يمين الراحل من سورية إلى مصر ، أو قرية قريية من دمشق . والمعنى : لئن رحلت إلى مصر ليندمن سيف الدولة .

٣ يصم : يعيب .

٤ الشهب : جمع أشهب وهو ما فيه بياض يصلحه سواد . الرخم : طائر ضعيف أبيض يشبه النسر في الخلقة ، يختار ليضه أطراف الجبال الشاهقة ، وشقوق الصخور ، ليمس الوصول إليه ؛ وأراد بالرخم : ضعاف الشعراء الذين صاروا مساوين له عند سيف الدولة ، وشبه نفسه بالباز الأشهب باللسبة إليهم ، وأراد بالقنص عطايا سيف الدولة .

٥ الزعنفه : الجماعة من الأوباش .

٦ المقة : المحبة . أنه كلم : ضمير أنه راجع إلى الدر ؛ والمراد : عتاب محبة ضمن درر الكلام

الشكوى

. وصف الحمى

من قصيدة يصف بها الحمى التي أصابته في مصر ويعرض بالرحيل عن مصر سنة ٩٥٩ م (٣٤٨)

وزائرتي كأن بها حياءً فليس تزور إلا في الظلام^١
 بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي^٢
 يضيق الجلد عن نفسي وعنهما فتوسيعه بأنواع السقام^٣
 كأن الصبح يطردُها فتجري مدامعها بأربعة سجام^٤
 أراقب وقتها من غير شوق مُراقبة المشوق المستهام^٥
 ويصدق وعدّها والصدق شرٌّ إذا ألقاك في الكرب العظيم^٦
 أبنت الدهر عندي كل بنت جرت مجرّحاً لم يبق فيه^٧
 ألا يا ليت شعري أيّ تميمي تصرف في عنان أو زمام^٨
 وهل أرمي هواي براقصات مُحلاة المقاوِد باللغام^٩

١ وزائرتي : الواو واو رب ، أي وزائرة لي . وأراد بالزائرة الحمى لأنها كانت تأتيه ليلاً وتغافقه في الصباح .

٢ المطارف ، جمع مطرف : رداء من خز . الحشايا ، جمع حشية : الفراش المحشو . عافتها : أبها .

٣ سجام : ملسكة بأربعة : أي بأربعة أدمع ، يعني تبكي من طرفي كل عين لكثرة دمعها .

٤ المراد يفكر فيها منتظراً مجيئها لخوفه منها ، كما يفكر العاشق في محبوبته منتظراً قدومها .

٥ بنت الدهر : الشدة

٦ ليت شعري : أي ليت يدي تشمر . العنان : سير اللجام . الزمام : المقود . يتمنى السفر على الخيل أو على الإبل .

٧ الراقصات : الإبل التي تنجب في سيرها . اللغام : الزبد على فم البعير . يقول : هل أطلب ما أهواه من الأمور براقصات تحلت مقاوِدها بالزبد الذي على أفواهها .

فَرُبَّمَا شَقَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ أَوْ قَتَاةٍ أَوْ حُسَامٍ^١
 وَضَاقَتِ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسِجِ الْفِدَامِ^٢
 وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ ، وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامٍ^٣
 بِقَوْلٍ لِي الطَّيِّبُ أَكَلْتُ شَيْئًا ، وَدَاوَكْتُ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ
 وَمَا فِي طَبِّهِ أَنْتِي جَوَادٌ ، أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الْحِمَامِ^٤
 - تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبَّرَ فِي السَّرَابِ ، وَيَتَدَخَّلَ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامٍ^٥
 فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَرَعَى ، وَلَا هَوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ^٦
 فَلَنْ أَمْرَضُ فَمَا مَرِضَ اصْطَبَارِي ، وَإِنْ أَحْمَمْتُ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِي^٧
 وَإِنْ أَسْلَمْتُ فَمَا أَبْقَى ، وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ^٨
 - تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ^٩ وَلَا تَأْمُلُ كَرَى تَحْتَ الرَّجَامِ^{١٠}
 فَلِذَا ثَلَاثُ الْحَالَيْنِ مَعْنَى سَوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَتَامِ^{١١}

- ١ رُبَّمَا مثل رُبَّمَا دخلت عليها التاء .
- ٢ الخطة : الأمر . الفدَام : ما يجعل على فم الإبريق ، لتصفية الخمر .
- ٣ بِلَا وَدَاعٍ : أي بمجلة . بِلَا سَلَامٍ : لأنه لم يرجع إليها .
- ٤ الْحِمَام : الراحة .
- ٥ السَّرَابِ : جمع سرية ، وهي القطعة من الجيش . الْقَتَام : القنار .
- ٦ لَا يُطَالُ : لَا يَرْضَى لَهُ الْحَبْل ، وَهُوَ الْحَبْل الَّذِي تُشَدُّ بِهِ قَائِمَةُ الدَّابَّةِ ، وَيَكُونُ طَوِيلًا لَتَرْضَى . فِي الْعَلِيقِ : أي لَا يَقْرُبُ لَهُ الْعَلِيقُ . فِي اللَّجَامِ : أي لَا يُوَضَعُ لَهُ اللَّجَامُ لِلْسَفَرِ .
- ٧ أَحْمَمُ : أَصَابَ بِالْحُمَّى .
- ٨ سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ : أي لَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ .
- ٩ السُّهَادُ : السَّهَرُ . الْكَرَى : النَّعَاسُ ، وَقَدْ يُرَادُّ بِهِ النَّوْمُ . الرَّجَامُ : حَجَارَةٌ تُوَضَعُ فَوْقَ الْقُبُورِ وَاحِدَتُهَا رَجْمَةٌ .
- ١٠ ثَلَاثُ الْحَالَيْنِ : الْمَوْتُ ، وَحَالُهُ غَيْرُ حَالِ السَّهَرِ وَحَالِ النَّوْمِ .

أبو فراس

الروميات

طلب الفداء

ذكر ابن خالويه أن ابن أخت ملك الروم خرج في ألف فارس إلى نواحي منبج ، فصادف الأمير أبا فراس يتصيد معه سبعون فارساً ، فأراد أصحابه على الهزيمة ، فأبى وثبت ، حتى ألغى بالجرارح وأسر . وكان أخو القائد البزنطي في أسر سيف الدولة ، منذ واقعة الحدث ، فطلب هذا من أبي فراس أن يدفع فداءه ، أو أن يسمي في إخراج أخيه . فكتب هذه القصيدة إلى سيف الدولة ، أول ما أسر ، يسأله المفاداة . واختلف المؤرخون في سنة أسره ، فقليل إنها سنة ٣٤٨ هـ (٩٥٩ م) وقبل سنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) :

دَعَوْتُكَ لِلجَفْنِ القَرِيحِ المَسْهَدِ لَدَيْ ، وللنومِ القَلِيلِ المَشْرَدِ^١
وما ذاكَ بخُلاّ بالحياةِ ، وإنّها لأَوَّلُ مَبْدُولٍ لأَوَّلِ مُجْتَدِ^٢
وما الأسرُ مِمّا ضِيقُ ذُرْعاً بِحَمَلِهِ ، وما الخطبُ مِمّا أنْ أقولَ لهُ : قَدِ^٣
وما زلَ عَنِّي أنْ شَخْصاً مُعَرَّضاً لنَبْلِ العِدى ، إن لم يُصَبْ ، فكانَ قَدِ^٤

١ الجفن : لام السبب ، أي من أجل الجفن . المسهد : الذي حمل على السهر .

٢ لأول مبدول : أي أول شيء أبدله . مجتد : طالب .

٣ ضقت ذرعاً : أي ضقت صدرأ . وذرعاً تميز . قد : تكون اسماً بمعنى حسب ، وترفع على الابتداء ، تقول : قد ريد درهم . وتكون اسم فعل بمعنى يكفني أو كفى ، ويقع الاسم بعدها منصوباً على المفعولية نحو : قد زيداً درهم ، أي يكفيه ، وتدخل عليها عندئذ نون الرقاية ، فتقول : قدني درهم ، أي يكفني . فقول الشاعر هنا قد ، أي قدك : حسبك أو كفاك ، فحذف كاف الخطاب ، وحرك الدال بالكسر للقافية .

٤ ما زل عني : أي ما غاب عني أو ما ذهب عني . فكان . يخفف كأن . وقوله فكان قد : أي فكانه قد أصيب ، فحذف على الاكتفاء بمبدول الفعل السابق .

ولستُ أبا لي أنْ ظفرتُ بمطلبٍ
ولكنني أختارُ موتَ بني أبي ،
وثأبي ، وآبى أنْ أموتَ مُوسداً ،
نضوتُ على الأيامِ ثوبَ جلادتي ؛
وما أنا إلا بينَ أمرٍ ، وضدهِ
فمن حُسنِ صبرٍ ، بالسلامةِ واعدي ؛
أقلبُ طرقي بينَ خيلٍ مُكبلٍ ،
دعوتُك ، والأبوابُ تُرتجُ دوننا ؛
فمثلُك مَنْ يدعى لكلِّ عَظيمةٍ ؛
يكونُ رخيصةً ، أو بوسمٍ مُزودٍ^١
على صهواتِ الخيلِ ، غيرَ مُوسدٍ^٢
بأيدي التَّصارى ، موتَ أكمدٍ أكبدٍ^٣
ولكنني لم أنضُ ثوبَ التجلدي^٤
يُجددُ لي ، في كلِّ يومٍ ، مُجددٍ^٥
ومن ريبٍ دهرٍ ، بالردي مُتوعدٍ^٦
وبينَ صفِّي ، بالحديدِ مُصفدٍ^٧
فكنْ خيرَ مدعوٍ ، وأكرمَ مُنجدٍ^٨
ومثلي مَنْ يُفدى بكلِّ مُسودٍ^٩

- ١ أن ظفرت : أي ألي ظفرت . يكون رخيصةً : الجملة ثمت مطلب . الوسم : العلامة ؛ وأراد به وسم الجرح الذي بوجهه من طعنة رمح أصابته . يقال من المجاز : زوده طعنة ، وزوده وسماً فاضعاً بين عييه أي علامة أو أثر كي .
- ٢ بني أبي : أي بني عمي . صهوات : جمع صهوة وهي مقعد الفارس من ظهر الفرس . ورويت سروات : جمع سروة وهي الظهر . غير موسد : أي غير نائم على السرير ، والمراد أنه لا يريد أن يموت حتف أنفه .
- ٣ وثأبى : الخطاب لسيف الدولة . الأكمد : المتغير اللون . الأكبد : المريض المصاب بكبد . والمراد أنه لا يريد أن يموت موسداً موت المريض المتغير اللون المقروح الكبد .
- ٤ نضوت : غلعت . الجلادة : الشدة والقوة . التجلد : التصبر . والمعنى أنه أعطى الدهر قوته لكثرة ما بذل منها في مواقف القتال ، فاشتد الدهر عليه ، وحاربها بها ، ولكنه لم يبدل ما عنده من الصبر على الشدائد .
- ٥ مجد : ثمت أمر متأخر . ووجه الكلام : بين أمر مجد ، وضده يجدد لي .
- ٦ ريب الدهر : أحداثه وصروفه . متوعدى : مهددي .
- ٧ مكبل : محبوس مقيد . الصفى : الصديق المحبوب المصافي . المصفد : الموثق بالحديد وغيره .
- ٨ ترتج : تفلق .
- ٩ المسود : من جعلت له السيادة .

متى تُخْلِفُ الأَيَّامُ مِثْلِي ، لَكُمْ ، فَتَى
 متى تَكِيدُ الأَيَّامُ مِثْلِي ، لَكُمْ ، فَتَى
 فلانْ تَفْتَدُونِي ، تَفْتَدُوا شَرَفَ العُلَى ،
 وإنْ تَفْتَدُونِي ، تَفْتَدُوا ، لَعْلَاكُمْ ،
 يُدَافِعُ ، عن أَعْرَاضِكُمْ ، بِلِسَانِهِ ؛
 وما كُلٌّ وَقَافٍ لَهُ مِثْلُ مَوْفِي ؛
 فَمَا كُلٌّ مِّنْ شَاءَ المَعَالِي يَنَالُهَا ؛
 أَقْلِنِي ! أَقْلِنِي عَثْرَةَ الدَّهْرِ ، إِنَّهُ
 وَلَوْ لَمْ تَنْسَلْ نَفْسِي وَلَاءَكَ ، لَمْ أَكُنْ
 وَلَا كُنْتُ أَلْقَى الأَلْفَ ، زُرْقًا عَيُونُهَا ،
 فَلَآ ، وَأَبِي ، مَا سَاعِدَانِ كَسَاعِدِ !
 طَوِيلَ نِجَادِ السَّيْفِ ، رَحْبَ المَقْلَدِ ١٩
 شَدِيداً عَلَى البَأسَاءِ ، غَيْرَ مُلْهَدِ ٢٠
 وَأَسْرَعَ عَوَادِ إِلَيْهَا مُعَوَدِ ٢١
 فَتَى غَيْرَ مَرْدُودِ اللِّسَانِ وَلَا اليَدِ
 وَيَضْرِبُ ، عَنْكُمْ ، بِالْحُسَامِ المِهْتَدِ
 وَلَا كُلٌّ وَرَادٍ لَهُ مِثْلُ مَوْرِدِي ٢٢
 وَلَا كُلٌّ سَيَّارٍ إِلَى المَجْدِ ، يَهْتَدِي
 رَمَانِي بِسَهْمِ صَائِبِ النِّصْلِ مُقْصِدِ ٢٣
 لِأَوْرِدَهَا ، فِي نَصْرِهِ ، كُلٌّ مَوْرِدِ ٢٤
 بِسَبْعِينَ ، فِيهِمْ كُلٌّ أَشَامُ أَنْكَدِ ٢٥
 وَلَا ، وَأَبِي ، مَا سَيِّدَانِ كَسَيِّدِ ٢٦

- ١ النجاد : حملال السيف . وطويل النجاد : كناية عن طول القامة . المقلد : موضع نجاد السيف على المنكبين . ورحب المقلد : كناية عن سعة ما بين المنكبين .
 ٢ البأساء : الداهية والشدة . الملهد : الدليل الضعيف ، يقال : لده ، بتخفيف الهاء وتشديدها : ضربه ليدله .
 ٣ عواد : عائد للمبالغة وهو الزائر ، والذي يأتي الشيء مرة بعد مرة . إليها : الضمير للعل . معود : نعت عواد .
 ٤ الوقوف : المحجم عن القتال ، أو المتأني له مثل موقفي : يريد أنه يتأني إذا رأى التأي حزماً ، ولا يحجم عن القتال جبناً كغيره . ثم يقول : ولا كل من ورد الحرب يبلي فيها بلائي .
 ٥ أقلي : أمر من أقال عثرته ، أي رفعه من سقوطه . مقصد : اسم فاعل من أقصد السهم ، أصاب المقتل .
 ٦ الولاء : المحبة والنصرة . في نصره : التفات من المخاطب إلى الغائب ، وهي لغة وأردة على قلة ، أو أرجع الضمير إلى الولاء . أوردتها كل مورد : أي كل مهلك .
 ٧ عيونها : فاعل زرقة . وقوله : زرقة عيونها : أي أن أصحابها من الروم ، والعرب يتطيرون من العيون الزرق ، ويميزون العربي بها . أشام : أفعل ، أي كثير الشوم . الأنكد : أي الأشام القليل الخير . وقد نعت أصحاب السبعين بذلك لأنهم أرادوه على الهزيمة .
 ٨ وأبي : الروا للقس . الساعدان والسيدان : هو وسيف النولة ، يريد بذلك أن وجوده في حلب معه أنفع لدولته من أن يكون بعيداً عنه .

ولا ، وأبي ، ما يفتقُ الدهرُ جانباً ، فیرتفعُ ، إلا بأمرٍ مُسدِّدٍ
 وإنكَ لکَمَوِی الذي بکَ أفتدي ؛ وإنکَ لکَنجُمُ الذي بکَ أهددي
 وأنتَ الذي عرَفَتني طُرُقَ العلی ؛ وأنتَ الذي أهديتني کُلَّ مقصدِي^١
 وأنتَ الذي بکَغَتني کُلَّ رُبَّةٍ ، مَشَّيتُ إليها ، فوقَ أعناقِ حُسدي
 فیا مُلبِسي النعمی الي جَلَّ قدرُها ، لَقَد أخلَقَتُ تلكَ الثيابُ ، فجَدَدِ

أسير خورشنة

قال يذكر غزواته بخورشنة ، وقد حمل إليها أسيراً جريحاً :

+ إن زُرْتُ خَرَشَنَةَ أسيراً ؛ فَلَقَدُ حَكَلْتُ بِهَا مُغِيرًا^٢
 + وَلَقَدُ رَأَيْتُ النَّارَ تَنَّتْ هَبُّ الْمَنَازِلِ وَالْقُصُورِ^٣
 وَلَقَدُ رَأَيْتُ السَّيِّ يَجْلَهُ بٌ ، نَحَوْنَا ، حَوًّا وَحُورًا^٤
 + إن طَالَ لَيْلِي فِي ذَرَا كِ ، لَقَد نَعِمْتُ بِهِ قَصِيرًا^٥
 + وَلَعِنَ لَقَيْتُ الْحُزْنَ فِي كِ ، لَقَد لَقَيْتُ بِكَ السُّرُورَ^٦

.....

- ١ يرتفعه : ضد يفتقه . يقول : لا يصلح الدهر شيئاً أفسده إلا بأمر موفق لقصواب أي بأمر من الله .
 فسيب الدولة إذا افتداه وأصلح ما أفسد الدهر فيه ، فإنما هو يفعل بأمر من الله .
- ٢ أهديتني : يقال أهدى له وإليه : أتخفه بالهدية ، ولا يتمدى بنفسه ؛ ولا يأتي بمعنى أرشده وإنما يقال :
 هداه الطريق وهداه إليها : أي أرشده إليها . وهي في هذا البيت مستعملة خطأ بمعنى الإرشاد . وتروى :
 عرفني كل مقصد .
- ٣ خورشنة : قلعة ببلاد الروم ، يجري الفرات من تحتها . حلت بها ؛ في رواية : أحطت بها .
 ؛ يقول : إنه أحرق هذه القلعة في بعض غاراته عليها .
- ٤ الحور : جمع حواء وهي التي في شفتيها سمره . الحور : جمع حوراء وهي التي في عينيها حور وهو شدة
 بياض العين في شدة سوادها مع استدارة الخدقة ورقة الجفون .
- ٥ ذراك يفتح الذال : جانبك . يقول : إن طال علي الليل في جانبك وأنا أسير محزون ، فلقد مر بي
 قصيراً ، عندما حلت بك منتصراً مسروراً .

وَلَتَيْنِ رُمِيتُ بِحَادِثٍ ؛ فَلَا لَفَيْنَ لَهُ صَبُورًا^١
 صَبْرًا ! لَعَلَّ اللَّهَ يَفْتَحُ ، بَعْدَهُ ، فَتَحًا يَسِيرًا^٢
 + مَن كَانَ مِثْلِي ، لَمْ يَبْتَ إِلَّا أَسِيرًا أَوْ أَمِيرًا^٣
 + لَيْسَتْ تَحُلَّ سَرَاتِنَا إِلَّا الصَّدُورَ أَوْ الْقُبُورَ^٤

الأسير الجريح

من قصيدة كتب بها إلى والدته ، وقد نقلت عليه الجراح ، وهو أسير :

مُصَابِي جَلِيلٌ ، وَالْعَزَاءُ جَمِيلٌ ، وَظَنَنْتِي بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُدِيلُ^٥
 جِرَاحٌ ، وَأَسْرٌ ، وَاشْتِيَاقٌ ، وَغُرْبَةٌ أَحْمَلُ ؟ إِنِّي ، بَعْدَهَا ، لِحَمُولٍ^٦
 وَإِنِّي ، فِي هَذَا الصَّبَاحِ ، لَصَالِحٌ ، وَلَكِنِ خَطْبِي ، فِي الظَّلَامِ ، جَلِيلٌ^٧
 وَمَا نَالَ مِنِّي الْأَسْرُ مَا تَرِيَانِهِ ؛ وَلَكِنِّي دَامِي الْجِرَاحِ ، عَكِيلٌ^٨
 جِرَاحٌ ، تَحَامَاهَا الْأُسَاةُ^٩ ، مَخُوفَةٌ ، وَسُقْمَانٌ : بَادٍ ، مِنْهُمَا ، وَدَخِيلٌ^{١٠}
 وَأَسْرٌ أَقْسَاهِ ، وَلَيْسَ نَجُومُهُ أَرَى كُلَّ شَيْءٍ ، غَيْرَهُنَّ ، يَزُولُ^{١١}
 تَطُولُ بِي السَّاعَاتُ ، وَهِيَ قَصِيرَةٌ ، وَفِي كُلِّ دَهْرٍ ، لَا يَسْرُكُ ، طُولُ^{١٢}

١ لأفنين : لأوجدن .

٢ بعده : الضمير للحادث ، وتروى : « هذه » والإشارة إلى غرشة .

٣ سرائنا : أشرافنا . الصدور : أي صدور المجالس .

٤ يدِيلُ : أي يدبِّلُ هذه الحال : يغيرها ويجعلها متداولة بين الناس .

٥ جراح : أي أجراح على حذف حرف الاستفهام . حمول : أي صبور شديد الاحتمال .

٦ تريانه : خطاب للصاحبين على طريقة العرب . يقول : ليس ضعفه وألمه من تأثير الأسر فيه ، ولكن من المرض والجراح الدامية .

٧ تحاماه : تجنبها . مخوفة : نعت جراح ، أي يخاف منها ؛ وتروى مخافة : مفعول لأجله ، أي تجنبها الأطباء لمخافتها . باد ودخيل : يريد بهما سقمي الجسد والنفس .

٨ طول : مبتدأ مؤخر .

تَنَاسَانِي الْأَصْحَابُ ، إِلَّا عِصَابَةً ، سَتَلَحَقُ بِالْآخَرَى ، غَدًا ، وَتَحُولُ^١
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْعَهْدِ؟ إِنَّهُمْ ، وَإِنْ كَثُرَتْ دَعَوَاهُمْ ، لَقَلِيلُ^٢
أَقْلَبُ طَرَفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ يَمِيلُ مَعَ النِّعَمَاءِ ، حَيْثُ تَمِيلُ^٣
وَصِيرْنَا نَرَى أَنَّ الْمُتَارِكَ مُحْسِنٌ ، وَأَنَّ صَدِيقًا ، لَا يَضُرُّ ، خَلِيلُ^٤

فِيَا حَسْرَتِي! مَنْ لِي بِخِلٍّ مُوَافِقٍ؟ أَقُولُ بِشَجْوِي ، مَرَّةً ، وَيَقُولُ^٥
وَأَنْ وِرَاءَ السُّتْرِ أُمْتًا ، بُكَاءُهَا عَلَيَّ ، وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ ، طَوِيلُ^٦
فِيَا أُمْتًا ، لَا تَعْدَمِي الصَّبْرَ ، إِنَّهُ ، إِلَى الْخَيْرِ وَالنُّجْحِ الْقَرِيبِ ، رَسُولُ^٧
وَيَا أُمْتًا ، لَا تُخْطِئِي الْأَجَرَ ، إِنَّهُ ، عَلَى قَدَرِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، جَزِيلُ^٨
وَيَا أُمْتًا ، صَبْرًا ، فَكُلِّ مُلِمَّةٍ تَجَلَّتِي ، عَلَى عِيَالَتِيهَا ، وَتَزُولُ^٩

لولا العجوز

كتب بهذه الأبيات إلى والدته في منبج ، وهو مأسور ، يوصيها بالصبر :

لَوَلَا الْعَجُوزُ بِمَنْبِجٍ ، مَا خِفْتُ أَسْبَابَ الْمُنِيَةِ^{١٠}

- ١ تحول : تنغير .
- ٢ إنهم : الفسير للأصحاب . قليل : خبر إن . يقول : إن كثر ادعاء الأصحاب أنهم يحافظون على العهد ، فعدد الأوفياء منهم قليل .
- ٣ النعماء : النعمة . والمراد : تكون صداقته حيث تكون النعمة .
- ٤ المتارك : أي الذي يترك صنع القبيح ، ولا يسيء إلى غيره . قال الثعالبي تعليقاً على هذا البيت كأنه مأخوذ من قول المتنبي :
- إنا لفي زمن ، ترك القبيح به ، من أكثر الناس ، إنعام وإفضال
- ٥ من لي بخل : أي من يكفل لي بخل . شجوي : حزني . ويقول : أي ويقول هو بشجوي ، والمعنى يشاركني في حزني .
- ٦ لا تخطئي الأجر : أي لا تدعيه يفوتك . على قدر : على مقدار . جزيل : كثير .
- ٧ الملمة : النازلة من لوازله الدهر . تجل : تتجلى ، على حلف إحدى التائين . على عيالها : أي على كل حال منها .
- ٨ منبج : بلدة بين حلب والفرات .

وَلَسَكَانَ لِي ، عَمَّا سَأَلْتُ
لَكِنْ أَرَدْتُ مُرَادَهَا ،
وَأَرَى مُحَامَاتِي عَلَيْهَا
أَمَسْتُ بِمَنْبِيجِ حُرَّةٍ
لَوْ كَانَ يُدْفَعُ حَدِيثٌ ،
لَمْ تَطَّرِقْ نُوْبُ الْحَوَا
لَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ وَالْإِ
وَالصَّبْرُ بِأَيِّ كَلٍّ ذِي
لَا زَالَ يَطْرُقُ مَنبِيجًا ،
فِيهَا التَّقَى وَالذِّينُ مَسْجِدٌ
يَا أُمَّتَا ، لَا تَحْزَنِي ،
يَا أُمَّتَا ، لَا تَيْأَسِي ،
كَسَمَ حَدِيثٌ عَنَّا جَمَلًا
أَوْصِيكَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيِّ

تُ مِنْ الْفِيْدَا ، نَفْسٌ أَيْبَةٌ
وَلَوْ انْجَذَبْتُ إِلَى الدَّيْنَةِ
هِيَ ، أَنْ تُضَامَ ، مِنْ الْحَمِيَّةِ
بِالْحَزَنِ ، مِنْ بَعْدِي ، حَرِيَّةٌ
أَوْ طَارِقٌ ، بِجَمِيلِ نِيَّةٍ
دَثِ أَرْضَ هَاتِيكَ التَّقِيَّةِ
أَحْكَامُ تَنْفُلُ فِي الْبَرِيَّةِ
رُزْمٌ عَلَى قَدْرِ الرِّزِيَّةِ
فِي كُلِّ غَادِبَةٍ ، نَحِيَّةٌ
مَوْعَانٍ فِي نَفْسِ زَكِيَّةٍ
وِثْقِي بِفَضْلِ اللَّهِ فِيَّةٍ
لِلَّهِ الْإِطَافُ خَفِيَّةٌ
هُ ، وَكَمْ كَفَانًا مِنْ بَلِيَّةٍ
لِ ، فَإِنَّهُ خَيْرُ الْوَصِيَّةِ

- ١ يقول : إنه إذا انجذب إلى الدنية وطلب الفداء ، فلن يكون يدفع الضيم من والدته ، وهو يرى في دفع هذا الضيم حمية منه أي ألفة .
- ٢ حرية : جدرة .
- ٣ تطرق : أغلده بمعنى تطرق . يقول : لو كانت الحوادث تدفع بحسن النية ، لما طرقت أرض هذه المرأة التقية الحسنة النية .
- ٤ الرزم : المصاب . الرزية : المصيبة . يقول : إن الصبر يكون على قدر المصيبة .
- ٥ النادية : السحابة في الغدو . تحية : أي تحية من المطر .
- ٦ فيها : الضمير لمنبج . الزكية : الطاهرة المباركة .
- ٧ فيه : الهاء الاستراحة .
- ٨ الألفاظ : جمع اللطف وهو من الله التوفيق والعصمة .
- ٩ جلاه : كشفه .

يا حسرة !

قال الثعالبي : بلغ أبا فراس أن والدته قصدت حفرة سيف الدولة من منبج تكلمه في المفاداة ، وتضرع إليه ؛ فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب . وقال ابن خالويه : ووافق ذلك أن البطارقة قتلوا بحلب ، فقيد أبو فراس بخرشنة . ورأت الأمر قد عظم ، فاعتلت من الحسرة ، فبلغ ذلك أبا فراس ، فكتب إلى سيف الدولة بهذا :

- يا حسرة ، ما أكادُ أحملها ! آخرها مُزعيجٌ ، وأولها !
 - عليّةٌ بالشّامِ مُفردةٌ . بات ، بأيدي العدى . مُعلّلتها
 - تُمسِكُ أحشاءها على حُرْقٍ . تُطفئُها ، والهمومُ تُشعلُها
 إذا اطمأنتُ ، وأين ؟ أو هذأت ، عنت لها ذُكْرَةٌ تُقلِّلُها
 تسألُ عتّا الركبانَ ، جاهدةٌ بأدمعٍ ما تكادُ تُهلُها ؛
 يا مَنْ رأى لي ، بحيصنِ خرشنةٍ ، أسدَ شرى ، في القيودِ أرجلُها ؟
 يا مَنْ رأى لي الدُّروبَ شامِخةً ، دونَ لقاءِ الحبيبِ أطولُها ؟
 - يا مَنْ رأى لي القيودَ موثقةً ، على حبيبِ القوادِ أثقلُها ؟ !
 - : يا أيها الركبانُ ، هلْ لكُما في حتملِ نجوى ، يخفُ متحملُها ؟
 قولاً لها ، إنْ وعَتَ مقالُكُما ، وإنْ ذِكرِي لها ليُدْهِلُها ؟

١ عليّة : المراد بها أمه . معلّلتها : أي مسلّتها .

٢ الحرق : جمع حرقه بالفتح والضم . تطفئها : أي تحاول إطفاءها بالصبر والطمأنينة .

٣ وأين : أي وأين اطمأننتها . عنت : ظهرت أمامها . الذكرة : الذكر ؛ ورويت فكرة .

٤ الركبان : المسافرين . جاهدة : ملحة عليهم في السؤال . بأدمع : الجار متعلق بجاهدة .

٥ الشرى : مأسدة يضرب بها المثل ؛ وقوله أسد شرى : أي أبو فراس ومن معه في الأسر .

٦ الدروب : مدخل بلاد الروم من جبال طورس .

٧ موثقة : محكّمة .

٨ هل لكُما : أي هل لكما رغبة .

٩ وعَت : سفلت . يدهلها : ينسها . والمعنى : إذا ذكر أبو فراس لها أصابها ذهول ، وأصبحت لا تعي ما يقال لها .

- يا أمتنا ، هذه منازلنا ، نتركها نارة ، ونتركها ١
 - يا أمتنا ، هذه موارِدنا ، نعلّقها نارة ، وننهلها ٢
 « أسلمنا قومنا إلى نوب ، أسرها في القلوب أقتلها »
 « واستبدلوا بعدنا ، رجالاً وغي ، يودّ أدنى عِلايَ أمثلها ٣
 يا سيّداً ، ما تعدّ مكرّمة ، إلاّ وفي راحتيه أكملها ٤
 ليست تنال القيود من قدّمي ، وفي اتّباعي رضاك ، أحملها ٥
 لا تتيمّم ، والماء تدبركه ، غيرك يرضى الصغرى ويقبلها ٦
 إنّ بني العمّ لست تبخلّهم ، إنّ عادّتي الأسد ، عادّ أشبلها ٧
 - أنت سماء ، ونحن أنجمها ؛ أنت بلاد ، ونحن أجبلها ٨

١ لعلها : نسقاها مرة بعد مرة ؛ تقول : عله وأعله : سقاها علا ؛ ويقال عل من الماء : شرب مرة بعد مرة ، ولا يتعدى بنفسه . نهلها : نسقاها السقية الأولى ؛ تقول : أنهله : سقاها نهلا ؛ ويقال نهل من الماء : شرب أول الشرب ، ولا يتعدى بنفسه ؛ ومن ذلك قولهم : سقاها علا بعد نهل . والمراد بهذا البيت والبيت السابق تقلب أحوال الدنيا بين شدة ورخاء ؛ وكأنه نظر إلى قول البحّري :

وبعيد ما بين وارد رفه ، علل شربه ؛ ووارد خمسه

٢ أمثلها : أفضلها . فاعل يود . يقول : إنّ هؤلاء الرجال الذين استبدلواهم بعدنا للحرب ، يتمنى أفضلهم أن يكون له أدنى عِلاي .

٣ راحتيه : باطن كفيه .

٤ يقال نال منه : أصابه بأذى أو مضرة .

٥ تيمم المسلم : مسح وجهه ويديه بالتراب ليصلي إذا لم يجد ماء يتوضأ به ، أما إذا كان الماء موجوداً فيبطل التيمم ؛ والمعنى هنا عل المجاز . يقول : لا تستبدل بعدنا رجالاً للحرب كهؤلاء ، فهم كالتيمم عند امتناع الماء ، وأنت بوسعك أن تجد الماء ، أي أن تفتدينا ، فنفتيك عن هؤلاء الضعاف ، وإن غيرك يرضى الخطة الصغرى ويقبلها .

٦ تخلفهم : تكون خلفاً لهم أو تبقى بعدهم . عل أن المعنى يقضي بأن تكون تخلفهم هنا بمعنى تجعل لهم خلفاً أي بدلا . الأسد : أي الأسرى في بلاد الروم . أشبلها : أي أشجعها ، وأراد بذلك نفسه . ولعلها : إنّ عدت الأسد عد أشبلها . وقد وردت عدت في بعض الروايات ؛ فيكون المعنى : لا تستطيع أن تخلف بني عمك أي أن تبقى وحدهم بعدهم ؛ فإنك وإن كنت أسداً فهم أشبالك ، ولا تعدّ الأسود إلا عدت معها أشبالها ؛ وأشبّل : جمع شبل .

أَنْتَ سَحَابٌ ، وَنَحْنُ وَابِلُهُ ؛ أَنْتَ يَمِينٌ ، وَنَحْنُ أَنْمُلُهَا ١
 بِأَيِّ عُلْدٍ رَدَدْتَ وَالِهَةَ ، عَلَيْكَ ، دُونَ الْوَرَى ، مُعَوَّلُهَا ٢
 جَاءَ تَكَ تَمَتَّاحُ رَدٍّ وَاحِدِهَا ؛ يَسْتَظِيرُ النَّاسُ كَيْفَ تُقْفِلُهَا ٣
 سَمَحْتُ مَنِّي بِمُهْجَةٍ كَرُمْتُ ، أَنْتَ ، عَلَى يَاسِيهَا ، مُؤَمَّلُهَا ٤
 إِنْ كُنْتُ لَمْ تَبْدُلِ الْفِدَاءَ لَهَا ، فَلَمْ أَزَلْ ، فِي رِضَاكَ ، أَبْدُلُهَا ٥
 تِلْكَ الْمَوَدَّاتُ ، كَيْفَ تُهْمِلُهَا ؟ تِلْكَ الْعُقُودُ الَّتِي عَقَدْتَ لَنَا ، كَيْفَ ، وَقَدْ أَحْكِمْتَ ، تُحْلِلُهَا ٦
 أَرْحَامُنَا مِنْكَ ، لِمَ تَقْطَعُهَا ؟ وَلَمْ تَزَلْ ، دَائِبًا ، تُوصِّلُهَا ٧
 أَيْنَ الْمُتَعَالَى الَّتِي عَرِفْتَ بِهَا ، تَقُولُهَا ، دَائِمًا ، وَتَفْعَلُهَا ؟
 يَا وَاسِعَ الدَّارِ ، كَيْفَ تُوسِعُهَا ؟ وَنَحْنُ فِي صَخْرَةٍ نَزَلَرِلُهَا ٨
 يَا نَاعِمَ الثَّوْبِ ، كَيْفَ تُبْدِلُهُ ؟ ثِيَابُنَا الصَّوْفُ مَا تُبَدِّلُهَا ٩
 يَا رَاكِبَ الْخَيْلِ ، أَوْ بَصُرْتَ بِنَا ، نَحْمِلُ أَقْيَادَنَا ، وَنَنْقُلُهَا ١٠

١ الوابل : المطر . الأمل : الأصابع .

٢ الوالهة : الشديدة الحزن ، ويريد بها والدته . المولى : الاتكال .

٣ تمتاح : أي تسأل : تقفلها : ترجمها .

٤ يقول : سمحت بنفسى الكريمة ، فبدلتها للاعداء في سبيلك ، وأنت موضع أملها مع ما هي عليه من اليأس .

٥ في رضاك : أي لأجل رضاك .

٦ العقود : جميع العقد وهو العهد المعقود ، والضمان . عقدت : أي عقدتها . أحكمت : أي أثقن عقدها . تحللها يقال حل العقد : نقضه ، ولا يقال حله . ويظهر أنه أخذ العقد هنا بمعنى اليمين المعقودة . يقال حلل يمينه : أي تحلل منها ؛ وذلك كما لو حلف الإنسان على الشيء أن يفعله ، فيفعل منه اليسير يحلل به يمينه .

٧ لم : لم ، سكنت للشعر ضرورة . دائبًا : حال ، أي عاملاً جاداً .

٨ في صخرة : أي مع صخرة . والمعنى أنهم يشغلون بقلع الحجارة ؛ أو أن في بمعنى إلى ؛ فيكون المراد أنهم مشدودون بالحبال إلى صخرة ، فلا يطيقون مشياً إلا إذا زلزلوا هذه الصخرة ، وجروها وراءهم ،

٩ الأقياد : جمع القيد كالقيود .

رأيت، في الضرّ، أوجهاً كَرُمَتْ ، فارَقَ ، فيك ، الجَمالَ أَجْمَلُهَا^١
 قد أَثَرُ الدهرُ في مَحاسِنِها ، تَعْرِفُها ، تارةً ، وتَجْهَلُهَا^٢
 فلا تَكِلُنَا ، فيها ، إلى أَحَدٍ ، مُعِلُّها ، مُحْسِنًا ، يُعْلِلُهَا^٣
 لا يَفْتَحُ النَّاسُ بابَ مَكْرُمَةٍ ، صَاحِبُها المُسْتَغَاثُ يُقْفِلُهَا^٤
 أَيْتَبَرِي ، دونَكَ ، الأَنامُ لها ؟ وَأَنْتَ قَمَقَمُها ، وَمَعْقِلُها^٥
 وَأَنْتَ ، إِنَّ عَنَ حَدِيثٍ جَلَلٌ ، قَلْبُها المُرتَجَى وَحُولُها^٦
 مِنْكَ تَرَدَّى بِالْفَضْلِ أَفْضَلُها ، مِنْكَ أَفادَ النَّوَالِ أَنْوَلُها^٧
 فَإِنَّ سَأَلَنَا سِوَاكَ عَارِفَةً ، فَبَعْدَ قَطْعِ الرِّجاءِ ، نَسأَلُها^٨
 إِذَا رَأَيْنَا أَوَّلَ الكِرَامِ بِها ، يُضِيعُها ، جَاهِداً ، وَيُهْمِلُها^٩
 لَمْ يَبْقَ ، في الأَرْضِ ، أُمَّةٌ عَرِفَتْ ، إِلَّا وَفَضْلُ الأَمِيرِ يَشْمَلُها^{١٠}
 نَحْنُ أَحَقُّ الْوَرَى بِرَأْفَتِهِ ، فَأَيْنَ عَنَّا ، وَأَيْنَ مَعْدِلُها^{١١}

.....

- ١ رأيت : جواب لو بصرت بنا . فيك : أي لأجلك .
- ٢ فلا تكلنا : أي فلا تسلبنا ؛ يقال وكل إليه الأمر : سلمه إياه وتركه . فيها : أي معها ، والضمير يعود إلى أوجه الأسماء . معلها : مرضها ، والمراد به سيف الدولة ؛ يقال أعله : أمرضه . محسنًا : حال . يعلها : أي يسلبها ويطمعها في النجاة ، في حال إحسانه إليها بالفداء . ورويت : محسن على الخبرية ، فيكون المعنى : أن سيف الدولة الذي أمرضها رجل محسن ، فإنه يعلها بالمواعيد ، ولا يحسن إليها بالفداء .
- ٣ يقفلها : أعاد الضمير إلى المكرمة لا إلى الباب . والمراد بصاحبها المستغاث : سبب الدولة .
- ٤ أيتبري له : يعترض له . القمقام : السيد . المعقل : الملجأ . يقول : كيف يعرض الأنام دونك لفتح مكرمة ، وأنت سيد الأنام وملجأها .
- ٥ عن : ظهر . جلال : عظيم . قلبها وحولها : الضمير فيها للأنام ؛ يقال رجل قلب حول ، أو حول قلب : أي بصير بتقليب الأمور حكيم في تصرفها .
- ٦ تردى : لبس . أفضلها : الضمير للأنام . أفاد : استفاد . النوال : العطاء . أنولها : أكرها عطاء .
- ٧ العارفة : المعروف . قطع الرجاء : أي قطع الرجاء منك . نسألك : الضمير للعارفة .
- ٨ أول الكرام : أي سيف الدولة . بها : الضمير للعارفة . جاهدًا : جادًا مجتهدًا .
- ٩ الوري : الخلق . فأين عنا : أي فأين ذهب عنا . معدلها : مصرفها ومجدها .

يا مُنْفِقَ المَالِ ، لا يُريدُ بهِ إِلَّا المَعَالِي الَّتِي يُؤْتِلُهَا^١
أَصْبَحْتَ تَشْرِي مَكَارِمًا فَضْلًا ، فِدَاؤُنَا ، قَدْ عَلِمْتَ ، أَفْضَلُهَا^٢ !
لا يَقْبَلُ اللهُ ، قَبْلَ فَرَضِكَ ذَا ، نَافِلَةٌ عِنْدَهُ تُنْفَلُهَا^٣ !

فخر الفارس الأسير

وقال يفتخر ، وقد بلغه أن الروم قالت : ما أسرنا أحداً لم نسلب ثيابه وسلاحه غير أبي فراس :
أراك عَصِيَّ الدَّمْعِ ، شِمْتُكَ الصَّبْرُ ، أَمَا للهْوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ ؟
بلى ، أنا مُشْتاقٌ ، وعندي لَوَعَةٌ ، ولكنّ مثلي لا يُدَاعُ لَهُ سِرٌّ !
إذا التَّيْلُ أَضْوَاني بَسَّطْتُ يَدَ الهَوَى ، وأذلتُ دَمْعاً ، من خَلَّاقِيهِ الْكِبَرُ^٤ ،
تَكَادُ تُضَيُّ النَّارُ ، بَيْنَ جَوَانِحِي ، إذا هِيَ أَذَكَّتْهَا الصَّبَابَةُ^٥ وَالْفِكَرُ^٦ ،
مُعَلَّلَتِي بِالْوَصْلِ ، والموتُ دُونَهُ ، إذا مَتَّ ظَمَانًا ، فلا نَزَلَ الْقَطَرُ^٧ !
بَدَوْتُ ، وأهلي حاضرون ، لأنني أرى أن داراً ، لست من أهلها ، فقُرُ^٨ ،
وحاربتُ قومي ، في هَوَاكِ ، وإنَّهُمْ وإيتاي ، لَوَلا حُبُّكِ ، الماءُ والخمرُ^٩

١ يؤتِلها : يؤصلها ويمظلمها .

٢ فضلاً : زيادة ، بضم الضاد وسكونها ؛ قال بعضهم : والسكون أكثر وأصوب . وهي مصدر بمعنى الفضلة والزيادة .

٣ فرضك ذا : أي الفداء ، جعله فرضاً على سيف الدولة . النافلة : ما زاد عن الفرض ؛ وهي في العبادات والمكاتب ما يستحسن عمله ، ولكنه ليس بفرض واجب . تنفلها : تزيدها .

٤ أضواني : أضغني .

٥ الجوانح : أوائل الضلوع تحت الترائب . أذكتها : أشعلتها . الصبابة : الشوق .

٦ معللي : منادى محذوف الأداة ، من علله بالشيء ؛ أطمعه فيه وشاغله مسلياً له ومعزياً ؛ واصل التعليل : السقي مرة بعد مرة ، فاستعير للمشاغلة والإطعام . القطر : المطر .

٧ بدوت : أتيت البادية ، حيث هي الحبيبة . حاضرون : مقيمون في الحضر .

٨ في هواك : أي لأجل هواك . يقول : لولا حبك ، لامتزجت بقومي كما يمزج الماء والخمر .

فإن كان ما قال الوشاة ، ولم يكن ،
 وقيت ، وفي بعض الوقاء مدلة ،
 وقور . ورعان الصبا يستغزها ؛
 تسألني : من أنت ؟ وهي عليمه ؛
 فقلت . كما شاءت وشاء لها الهوى ؛
 فقلت لها : لو شئت ، لم تتعنتني ،
 فقالت : لقد أزرى بك الدهر بعدنا ؛
 فأيقنت أن لا عز ، بعدي ، لعاشق ،
 وقلبت أمري ، لا أرى لي راحة ،
 فعدت إلى حكم الزمان وحكمها ؛
 كأني أنادي ، دون ميثاء ، ظبية ،
 فقد يهدم الإيمان ما شيد الكفر ؛
 لأنسة في الحَيِّ ، شيمتها الغدر
 فتأرن أحياناً ، كما يأرن المهر
 وهل بفتى مثلي ، على حاله ، نكر ؟
 قتيلك ! قالت : أيهم ؟ فهم كثر !
 ولم تسألني عني ، وعينك بي خبر
 فقلت : معاذ الله ! بل أنت والدهر !
 وأن يدي ، مما علق به ، صفر
 إذا البين أنساني ، ألح بي الهجر
 لها الدنب لا تجزي به ، ولي العذر
 على شرف ، ظمياء ، جلتها الدهر

- ١ ما قال الوشاة : أي أنني وقيت لأنسة شيمتها الغدر . ولم يكن : الواو بمعنى أو . عجز البيت مثل . يعني : أن الحب الصادق يهدم ما بناء قول الوشاة .
- ٢ وقور : أي هي وقور . الرعان : من كل شيء أوله . يستغزها : يستغلها . فتأرن : تهرج ، يقال مهر أرن : أي لشيط مرح .
- ٣ على حاله : أي على حاله من الشهرة والذكر ، أو من الوعة والوجد . النكر : الجهل بالشيء ، وعدم معرفة الشخص .
- ٤ لم تتعنتني : أي لم تتعنتني ؛ يقال تعنته : سأله عن شيء أراد به التلبس عليه والمشقة . الخبر : بالكسر والضم العلم بالشيء .
- ٥ أزرى بك : حقرك ، وأدخل عليك عيباً . معاذ الله : مفعول مطلق ، أي أعوذ بالله معاذاً ؛ يقال عاذ بالله : التجأ إلى رحمته .
- ٦ لا عز بعدي لعاشق : يعني أن الحب أزرى به عندها على عزته ورفعة قدره ، لذلك لا عز لعاشق لها بعده ؛ وأي عاشق له عزه أبي فراس ؟ بما علق به : أي بما تعلقت به من الآمال أو المواعيد . صفر : خالية .
- ٧ إلى حكم الزمان وحكمها : ينظر إلى قوله : بل أنت والدهر .
- ٨ الميثاء : التلعة معظم حتى تكون مثل نصف الوادي أو ثلثيه . والتلعة : ما اتسع من فوهة الوادي . الشرف : المكان العالي . ظمياء : رقيقة الجفون . جلها : غطاها ، على المجاز أي شملها .

تَجَفَّلُ حِينًا ، ثُمَّ تَرْنُو ، كَأَنَّهَا
فَلَا تُنْكِرِينِي ، يَا ابْنَةَ الْعَمِّ ، إِنَّهُ
وَلَا تُنْكِرِينِي ، إِنَّمَا غَيْرُ مُنْكِرٍ ،
وَلِنِّي لَتَنْزَالُ بِكُلِّ مَخَوْفَةٍ
وَلِنِّي لَجَرَّارُ لِكُلِّ كَتَيْبَةٍ
فَأَظْمَأُ ، حَتَّى تَرْتَوِي الْبَيْضُ وَالْقَنَا ؛
وَلَا أَصْبَحُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بَغَارَةً ،
وَيَا رَبَّ دَارٍ ، لَمْ تُخَفِّنِي ، مَنِيعةً ،
تُنَادِي طَلًّا ، بِالْوَادِ ، أَعْجَزَهُ الْحَضْرُ
لَتَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَهُ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ
إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ ، وَاسْتَنْزَلَ النَّصْرُ
كَثِيرٌ إِلَى نَزَالِهَا النَّظَرُ الشَّرُّ
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا يُخِيلَ بِهَا النَّصْرُ
وَأَسْغَبُ ، حَتَّى يَشْبَعَ اللَّذْبُ وَالنَّسْرُ
وَلَا الْجَيْشَ ، مَا لَمْ تَأْتِهِ ، قَبْلِي ، النَّذْرُ
طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى ، أَنَا وَالْفَجْرُ

- ١ تجفَّل : أي تتجفَّل . ترنو : تديم النظر بسكون طرف . الللا : ولد الفطية ساعة يولد . بالواد : على حذف الياء والاكتفاء بالكسرة ؛ وقد ورد هذا في كلام العرب . الحضر : الركض . يقول : أناذي هذه الحبيبة لتدنو إلي ، وتترك هجري ، فتجفَّل مبتعدة عني ، ثم ترنو إلي كأنها تدعوني ؛ فهي تشبه فطية رقيقة الأنفان واقفة على مكان عال أمام واد ، وقد شملها الدعر من الصيادين ، فحينئذ تجفَّل مبتعدة ، وحينئذ ترنو إلى الوادي كأنها تنادي ولداً لها صغيراً ، عاجزاً عن اللحاق بها .
- ٢ الحضر : أي الحضر بفتح الضاد ، سكنها للشعر .
- ٣ زلت الأقدام : أي زلت وتعثرت أقدام الفرسان في الحرب لوهولها وصعوبة الإقدام فيها . استنزله : أنزله وطلب نزوله . والمعنى أنه معروف غير منكر ، تعرفه الفرسان في الشدة ، حين يطلب النصر ، وقد استعصى ، فينزله عليهم .
- ٤ مخوفة : أي أرض يخاف فيها . كثير : نعمت سببي لمخوفة . النظر : فاعل كثير . والنظر الشر : أي نظر فيه إعراض كنظر الغضب المبالغ . والمعنى : أن هذه الأرض المخوفة كثيرة الأعداء .
- ٥ يخل بها : يتركها وينيب عنها .
- ٦ أسغب : أجوع . والمعنى : أنه لا يفكر في شراب ولا طعام حتى يحرز النصر ، فترتوي السيوف والرماح من الدماء ، ويشبع الذئب والنسر من لحوم القتلى .
- ٧ أصبح الحي : أتته صباحاً ، من صبح . الخلوف : جمع خلَف ؛ يقال : حي خلوف ، على معنى الجمع في الحي : أي رجالهم غائبون ، لم يبق منهم إلا العاجزون ومن يستقي الماء ، والنساء . النذر : جمع النذير ، أي المنذر ، سكنت الدال للشعر . والمعنى : أنه لا يفترو جيشاً قبل أن ينذره .
- ٨ بالردى : أي مع الردى .

وَحَيٍّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ ، حَتَّى مَلَكَتُهُ
 وَسَاحِبَةَ الْأَذْيَالِ نَحْوِي ، لَقِيْتُهَا ؛
 وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ ، كُلَّهُ ،
 وَلَا رَاحَ يُطْغِنِي بِأَثْوَابِهِ الْغِنَى ،
 وَمَا حَاجَتِي بِالْمَالِ أَبْغِي وَفُورَهُ ؟
 أَسَرْتُ ، وَمَا صَحْبِي بَعُزْلٍ ، لَدَى الْوَغَى ،
 وَلَكِنْ ، إِذَا حُمِّ الْقَضَاءُ عَلَى امْرِئٍ ،
 وَقَالَ أَصِيحَابِي : الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى !
 وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعْيبُنِي ،
 يَقُولُونَ لِي : بَعْتَ السَّلَامَةَ بِالرَّدَى ؛
 وَهَلْ يَتَجَافَى عَنِّي الْمَوْتُ سَاعَةً ؟
 هَزِيمًا ، وَرَدَّتْنِي الْبَرَاقِيعُ وَالْخُمْرُ^١
 فَلَمْ يَلْقَهَا جَانِي اللَّقَاءِ ، وَلَا وَعْرُ^٢
 وَرُحْتُ ، وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَبْيَاتِهَا سِتْرُ^٣
 وَلَا بَاتَ يَتْنِينِي ، عَنْ الْكَرَمِ ، الْفَقْرُ^٤
 إِذَا لَمْ أَفِرْ عِرْضِي ، فَلَا وَقَرَّ الْوَقْرُ^٥ !
 وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ ، وَلَا رَبَّةُ غَمْرُ^٦
 فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ ، وَلَا بَحْرُ^٧
 فَقُلْتُ : هُمَا أَمْرَانِ ، أَحْلَاهُمَا مَرُّ^٨
 وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ ، خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ^٩
 فَقُلْتُ : أَمَّا وَاللَّهِ ، مَا نَالَتْنِي خُسْرُ^{١٠}
 إِذَا مَا تَجَافَى عَنِّي الْأَسْرُ وَالضَّرُّ^{١١}

- ١ وحي : عطف على دار . رددت الخيل : أي رددت خيل فرسانه . الخمر : جمع الخمار ، سكنت الميم للشعر وهو النصف تغطي به المرأة رأسها ؛ فقلوه ردتني البراقع والخمر : أي رجع عن الحي بعد أن استولى عليه ولم يسب النساء ، ولا هتك خدورهن .
 ٢ الوعر : ضد السهل . يقول : رب فتاة لقيتها بعد النصر آتية إلي تسحب أذيالها تبختراً لما هي عليه من النعمة ، فأحسنت لقاءها ولم أكن جافياً وعراً .
 ٣ المعنى : أن هذه الفتاة جاءتته مشكلة على شهامته ، تسأله أن يرد أموال الحي التي غنمها ، فوهبها كل ما حازه الجيش ، وفارقها وهي مكرمة مصوفة .
 ٤ يطغيني : يجعلني طاغياً أي ظالماً مسرفاً في المعاصي .
 ٥ لم أفر عرضي : أي لم أصنه . الوفرة : المال .
 ٦ العزل : جمع الأعزل ، من لا سلاح معه . ولا فرسي مهر : أي أن فرسه مجرب في الحروب ، لا مهر حديث العهد بخوض المعامع . ربه : صاحبه . الفمر بالفتح والضم : من لم يجرب الأمور .
 ٧ حم القضاء : قضى أمره .
 ٨ الفرار أو الردى : أي الفرار أماناً أو الموت .
 ٩ لا لما يعيبني : أي لردى لا للفرار . من أمرين : أي الردى والأسر .
 ١٠ بالردى : أي بدلا منه ، فالماخوذ الردى ، والمتروك السلامة . الخسر بالضم والفتح : الخسارة
 ١١ تجافى عني : تنحى . الضر : المرض والهزال .

هو الموت؛ فاختر ما علا لك ذكره؛
 يَمْنُونُ أَنْ خَلَّوْا ثِيَابِي ، وإنما
 وقائم سيف ، فيهم اندق نصله ،
 سيدكرني قومي ، إذا جدّ جدّهم ؛
 فلن عشت ، فالطعن الذي يعرفونه ،
 وإن ميت ، فالإنسان ، لا بدّ ، ميت
 ولوسدّ غيري ما سدّدت ، اكتفوا به ؛
 ونحن أناس ، لا توسّط بيننا ؛
 تهون علينا ، في المعالي ، نفوسنا ؛
 أعزّ بّني الدنيا ، وأعلى ذوي العلى ،
 فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر^١
 علي ثياب ، من دمايهم ، حمر^٢
 وأعقاب رُمح ، فيهم حطّم الصدر^٣
 وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر^٤
 وتلك القنا ، والبيض ، والضمّر الشقر^٥
 وإن طالت الأيام وانفسح العمر^٦
 وما كان يغلو التبر ، لو نفق الصفر^٧
 لنا الصدر ، دون العالمين ، أو القبر^٨
 ومن خطب الحسناء ، لم يغلها المهر^٩
 وأكرم من فوق التراب ، ولا فخر^{١٠}

- ١ ما حيي الذكر : أي مدة حياة الذكر . فما : ظرفية زمانية ؛
- ٢ يَمْنُونُ : الضمير يعود إلى الروم . يقول : يمن الروم علي إبقاء ثيابي ، وإنهم لم ينزعوها عني ؛
 يذكرون ذلك ويعملونه فضلا وحسنة منهم . وإنما تركوا علي ثياباً مخضبة بدمايهم .
- ٣ وقائم : عطف علي ثيابي ؛ وقائم السيف مقبضه . اندق : انكسر . أعقاب الرمح : أسافله حيث
 لا يكون السنان ، واحدها عقب . صدر الرمح : أعاليه حيث يكون السنان .
- ٤ جد : اجتهد وضد هزل . الجد : الاجتهاد ، وضد الهزل . وقوله : جد جدّهم أي اشتد خطبهم ، ولم
 يكن هزلاً .
- ٥ فالطعن الذي يعرفونه : أي فعندي الطعن الذي يعرفونه للدفاع عنهم . الضمر : أي الخيول الضامرة البطون .
- ٦ التبر : الذهب . الصفر : النحاس الأصفر . يقول : لو أغنى غيري غنائي في الحروب ، لاكتفى
 قومي به ؛ وكذلك النحاس لو نفق بين الناس في التداول كما ينفق الذهب لما كان الذهب غالياً .
- ٧ لم يغلها : أي لم يغل بها ، على نزع الخافض . والمراد : لم يكن المهر غالياً بها مهما عظم ؛ فالحسنة
 مقابل المعالي ، والمهر مقابل نفوسنا .
- ٨ أعز : خير لمحدوف ، أي نحن .

الحمامة النائحة

قال ، وقد سمع حمامة تنوح على شجرة عالية ، وهو في الأسر

أقولُ ، وقد ناحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ : أَيْ جَارَتَنَا ، هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي ؟
مَعَاذَ الْهُوَى ! مَا ذُقْتُ طَارِقَةَ النَّوَى ، وَلَا خَطَرْتَ مِنْكَ الْهُمُومُ بِبَالٍ ١
أَتَحْمِيلُ مَحْزُونِ الْقَوَادِ قَوَادِمُ ٢ ، عَلَى غُصْنٍ نَائِي الْمَسَافَةِ عَالٍ ٣
أَيْ جَارَتَنَا ، مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ، تَعَالَيْ ، أَقَاسِمُكَ الْهُمُومُ ، تَعَالِي ٤
تَعَالَيْ ، تَرَى رَوْحًا ، لَدَيَّ ، ضَعِيفَةً ، تَرَدَّدُ فِي جِسْمٍ يُعْدَبُ ، بَالٍ
أَيْضَحَكَ مَأْسُورٌ ، وَتَبْكِي بِطَلِيقَةٍ ٥ ، وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ ٦ ، وَيَتَدَبُّ سَالٍ ؟
لَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَى مِنْكَ بِالذَّمْعِ مُقْلَةً ٧ ، وَلَكِنْ دَمَعِي ، فِي الْحَوَادِثِ ، غَالٍ ٨

رسائل الحبيب

يَا لَيْلُ . مَا أَغْفِلَ عَمَّا بِي حَبَائِي ، فَيْكَ ، وَأَحْبَابِي
يَا لَيْلُ ، نَامَ النَّاسُ عَنْ مَوْجِعِ نَاءٍ ، عَلَى مَضْجَعِهِ ، نَابٍ
هَبَّتْ لَهُ رِيحٌ شَامِيَّةٌ ، مَتَتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأَسْبَابٍ
أَدَّتْ رِسَالَاتِ حَبِيبٍ لَنَا ، فَهَمَّتْهَا مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي

- ١ المعاذ : الملجأ ، وقوله معاذ الهوى : أي أعيد الهوى منك معاذاً ، أي أعصمه عصمة وأحفظه حفظاً .
- ٢ القوادِم : عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ، وهي كبار الريش ، مفردة قادمة . يقول : لو كنت حزيناً القواد لأصابك ضعف وفطور ، ولما حملتك قوادمك على هذه الشجرة العالية .
- ٣ الهوموم : أي همومي . تعالي الثانية : كسر اللام فيها لغة .
- ٤ أغفل : يقال أغفل عن الشيء : جعله يغفل عنه .
- ٥ ناء : بعيد ، أي بعيد عن وطنه وأهله . على مضجعه : الجار متعلق بمحذوف أي مستقر . ناب : غير مطمئن ولا مستريح ؛ يقال ناب عن فراشه : لم يطمئن ولم يجد الراحة عليه .
- ٦ مت : يقال مت إليه بصلة أو قرابة : توصل إليه . الأسباب : الحبال ، والمراد بها الصلات التي بلغت بها الريح إلى قلب الشاعر ، وهي أنها ذكرته بأحبته في الشام .

وفاء اخت سيف الدولة

قال يرثي خولة أخت سيف الدولة الكبرى ، وهو أسير في بلاد الروم ؛ توفيت في ميافارقين سنة ٩٦٣ م (٣٥٢ هـ) وبعث بالقصيدة إلى أخيها :

أوصيك بالْحُزْنِ ، لا أوصيك بالْجَلَدِ ؛ جَلَّ المصَابُ عَنِ التَّعْنِيفِ والفَتْدِ
لَمَنِّي أَجِلُّكَ أَنْ تُكْفَى بَتَعَزِيَّةٍ عَنْ خَيْرِ مُفْتَقِدٍ ، يَا خَيْرَ مُفْتَقِدٍ
هِيَ الرِّزِيَّةُ ١ إِنْ ضَنْتُ بِمَا مَلَكَتُ فِيهَا الْخُفُونُ ، فَمَا تَسْخُو عَلَى أَحَدٍ
بِي مِثْلُ مَا بَكَ مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ جَزَعٍ ؛ وَقَدْ لَحَاتُ إِلَى صَبْرٍ ، فَلَمْ أَجِدِ
لَمْ يَنْتَقِصْنِي بَعْدِي عَنْكَ مِنْ حُزْنٍ ، هِيَ الْمُوَاسَاةُ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ
لَا شَرِيكَكَ فِي الْبَأْسِ ، إِنْ طَرَقَتْ ، كَمَا شَرِيكَكَ فِي النِّعْمِ والرَّغْدِ
أَبْكِي بَدَمْعٍ ، لَهُ مِنْ حَمَرَتِي مَدَدٌ ، وَأَسْتَرْيَحُ إِلَى صَبْرٍ بِلَا مَسَدٍ
وَلَا أُسَوِّغُ نَفْسِي فَرَحَةً أَبَدًا ؛ وَقَدْ عَرَفْتُ الَّذِي تَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ
وَأَمْنَعُ النَّوْمَ عَيْنِي أَنْ يُلِيمَ بِهَا ، عَلِمًا بِأَنَّكَ مَوْقُوفٌ عَلَى السَّهْدِ
يَا مُفْرَدًا ، بَاتَ يَبْكِي ، لَا مُعِينَ لَهُ ، أَعَانَكَ اللَّهُ بِالتَّسْلِيمِ وَالْجَلَدِ
هُوَ الْإِسِيرُ الْمَفْدَى ، لَا فِدَاءَ لَهُ ، يَفْدِيكَ ^{يَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ} بِالنَّفْسِ وَالْأَهْلِينَ وَالْوَلَدِ ١٠

- ١ الفند : إنكار العقل . يقول : إن المصيبة أعظم من أن ينال صاحبها تعنيف أو فند إذا استسلم إلى الحزن .
- ٢ الرزية : المصيبة . فيها : الضمير للرزية . وقوله : بما ملكك الخفون : أي بما ملكك من الدموع .
- ٣ الجزع : فقد الصبر .
- ٤ انتقصه : أنقصه . المواساة : المشاركة ، أي المشاركة في المصاب .
- ٥ البأساء : ضد النعماء .
- ٦ يقول : إنه يجد من حمرته عوناً على البكاء ، ولكنه لا يجد من نفسه عوناً على الصبر إذا أراد أن يستريح إليه .
- ٧ أسوغ نفسي فرحة : أي أجوزها لها .
- ٨ أن يلزم : أي عن أن يلزم . السهد : الأرق ، مصدر سهد .
- ٩ يا مفرداً : أراد به نفسه على سبيل التجريد . التسليم : الرضى ، أي الرضى بما حكم الله .
- ١٠ المَفْدَى : الذي يقال له جملت فداك . يَفْدِيكَ : الخطاب لسيف الدولة .

اغراض مختلفة

فخر وحماسة

من قصيدة يفتخر بها ويذكر لإيقاعه مع سيف الدولة بالقبائل الثائرة :

- ألم تترنا أعزّ الناسِ جاراً ، وأمنعهم ، وأمرعهم جَناباً؟^١
 لَنَا الجَبَلُ المَطِيلُ على نِزارٍ ، حَكَلْنَا النَجْدَ ، منه ، والهَضَابُ^٢
 تُفَضِّلُنَا الأَنَامُ ، ولا تُحَاشِي ، ونُوصَفُ بِالْجَمِيلِ ، ولا نُحَابِي^٣
 وقد عَلِمَتْ رَبِيعَةٌ ، بل نِزارٌ ، بَأَنَا الرَّأْسُ ، والنَّاسَ الدَّنَابِي^٤
 ولَمَّا أَنْ طَغَتْ سُفْهَاءُ كَعْبٍ ، فَتَحْنَا ، بَيْنَنَا ، لِلْحَرْبِ بَاباً^٥
 مَنَحْنَاهَا الحَرَائِبَ ، غَيْرَ أَنَا ، إِذَا جَارَتْ ، مَنَحْنَاهَا الحِرَابُ^٦
 ولَمَّا ثَارَ سَيْفُ الدِّينِ ، ثَرْنَا ، كَمَا هَيَّجَتْ آسَاداً غِيضَاباً^٧
 أَسِنَّتُهُ ، إِذَا لَاقَى طِعَاناً ، صَوَارِمُهُ ، إِذَا لَاقَى ضِرَاباً^٨
 دَعَانَا ، وَالْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتُ ، فَكُنَّا ، عِنْدَ دَعْوَتِهِ ، الجُحُوبُ^٩

.....

- ١ أمرعهم : أخصبهم . الجناب : فناء الدار ؛ وما قرب من محلة القوم .
- ٢ النجد : المرتفع من الأرض . الهضاب ، جمع هضبة : الجبل المنبسط على الأرض . يقول : إنهم أشرف القبائل النزارية وأعلها حسباً ، وأكثرها عدداً .
- ٣ لا تحاشي : أي لا تستثني أحداً . لا نحابي : أي لا ينحرف عن الحق من يصفنا بالجميل ؛ يقال ساباه : مال إليه منحرفاً عن الحق .
- ٤ بَأَنَا : الباء زائدة قياساً . الدنابي : ذنب الطائر .
- ٥ سفهاء كعب : جمعهم ؛ وكعب قبيلة عربية خرجت على سيف الدولة .
- ٦ الحرائب : جمع حريبة وهي ما يعشاش به من المال .
- ٧ سيف الدين : أي سيف الدولة .
- ٨ أسلته : أي نحن أسلته ، وكذلك صوارمه .
- ٩ مشرعات : مسددات .

وَكُنَّا كَالسَّهَامِ ، إِذَا أَصَابَتْ مَرَامِيَهَا ، فَرَامِيهَا أَصَابًا
صَنَائِعُ ، فَاقَ صَانِعُهَا ، فَفَاقَتْ ، وَغَرَسَ ، طَابَ غَارِسُهُ ، فَطَابًا

الشجاعة والكرم

وقال يفتخر :

إِنَّا ، إِذَا اشْتَدَّ الرَّمَى ، وَنَابَ خَطْبٌ وَاذْهَبَ
أَلْفَيْتَ ، حَوْلَ بَيْوتِنَا ، عُدَّةَ الشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ ؛
لِلْقَا الْعِدَى ، بِيضَ السَّيْرِ فِيهِ ، وَلِلنَّدَى ، حُمْرَ النَّعَمِ
هَلَا ، وَهَذَا دَأْبُنَا ؛ يُودَى دَمٌ ، وَيُرَاقُ دَمٌ

أكرام الضيف

وقال في الفخر :

إِذَا مَرَرْتَ بِوَادٍ جَاشَ غَارِبُهُ ، فَاعْقِلْ قَلْوَصَكَ ، وَانْزِلْ ، ذَاكَ وَادِينَا

- ١ يقول : إنهم كالسهم في يد سيف الدولة ، والسهم إذا أصابت المرمى فالفضل للرامي لا لها .
- ٢ صنائع : جميع صليمة وهي المصطنع والإحسان . تقول هو صليمتي : أي الذي ربيته ، واصطنعته لنفسه ، ونخرجه واختصصته . يقول : نحن صنائع ، فاق صانعها سيف الدولة ، ففاقت هي ؛ ونحن غرس ، طاب غارسه سيف الدولة ، فطاب هو .
- ٣ ناب الخطب : نزل وألم . اذلم : اشتد سواده .
- ٤ ألفت : وجدت .
- ٥ الندى : الكرم . النعم : الإبل .
- ٦ الدأب : العادة . يودى دم : تملى ديته ، وهي سق الدم . يقول : نريق دم الأعداء بسيوفنا ، وهي عدة الشجاعة عندنا . ونحتمل الديات عن المستجيرين بنا ، وقد أعجزهم حملها ، فنقضي ما عليهم من سق الدماء ، بأذلين لهم إبلنا ، وهي عدة الكرم عندنا .
- ٧ جاش : غل واضطرب . الغارب : أعالي الموج . القلوص : الناقة ، وعقلها : شد قوائمها بالحبل ليمتصها من التقيام والسير . والمعنى : إذا مررت بواد خصيب تدفقت مياه النهر الجاري فيه ، فانزل على الرحب ، فذاك وادينا .

وإنْ وَفَّقْتَ بِنَادٍ لَا يُطِيفُ بِهِ
أَهْلُ السَّفَاهَةِ ، فَاجْلِسْ ؛ ذَاكَ نَادِينَا
نُغَيِّرُ فِي الْمَهْجَةِ الْغَرَاءِ نَتَحَرُّهَا ؛
حَتَّى لِيَسْعَطَّشُ ، فِي الْأَحْيَانِ ، رَاعِينَا
وَتُجْفَلُ الشُّوْلُ ، بَعْدَ الْخِمْسِ ، صَادِيَةً
إِذَا سَمِعْنَ ، عَلَى الْأَمْوَاهِ ، حَادِيْنَنَا
وَتُصْبِحُ الْكُومُ أَشْتَاتًا مُرَوَّعَةً ،
لَا تَأْمَنُ ، الدَّهْرَ ، إِلَّا مِنْ أَعَادِينَا
وَيُصْبِحُ الضَّيْفُ أَوْلَانَا بِمَنْزِلِنَا ؛
نَرْضَى بِذَاكَ ، وَيَمْضِي حُكْمُهُ فِينَا

عند الموت

روى له ابن خالويه شعراً قاله عند موته ، يخاطب به ابنته امرأة أبيه الشاعر الحنطالي :

أُبْنَيْتِي ، لَا تَجْزَعِي ، كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابٍ ؛
أُبْنَيْتِي ، صَبْرًا جَمِيًّا لَلْجَلِيلِ مِنَ الْمُنْصَابِ ؛
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ ، مِنْ خَلْفِ سِتْرِكَ وَالْجُجَابِ
قُولِي ، إِذَا كَلَّمْتَنِي ، وَعَيَّيْتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ ؛
زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فِرَا سٍ ، لَمْ يُمَتَّعْ بِالشَّبَابِ ؛

١ لغير : لمرع إلى النحر . المهجمة من الإبل : من الأربعين أو السبعين إلى المائة ، أو ما دون المائة .
الغراء : الكريمة . نحرها : أي نحرها للضيوف . حتى : ابتدائية . وقوله : يعطش راعينا ،
أي أنهم يذبحون النوق للضيوف ، حتى لا يجد الراعي حلوبة ، يشرب من لبنها ويروي غلباء .

٢ تجفل : تنفر هاربة لزعاً . الشول : جمع شائلة ، على غير قياس ، وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها
أو وضعها سبعة أشهر فجفت لبنها . الخمس : يقال سقى الإبل الخمس ، أي أورد لها الماء يوماً ،
ثم أظناها ثلاثة أيام ، ثم أورد لها في اليوم الخامس . صادية : عطشى . الأمواه : المياه . وقوله :
إذا سمعن صوت حاديننا : لأنها عندما تسمع صوت الحادي على الماء ، تدرك بالغريزة أنه سيسوقها إلى
النحر ، فتجفل هاربة تاركة الورود مع شدة عطشها .

٣ الكوم : القطعة من الإبل . يقول : تنفر الإبل عندما تسمع صوت الحادي ، وتصبح متفرقة مذعورة ؛
فهي لكثرة ما ينزل بنا من الضيوف ، لا تأمن منا مدى الدهر على حياتها ، ولكنها تأمن من الأعداء
أن يفتروا ، ويستولوا عليها .

٤ لا تجزعي : لا تفقدي الصبر . ورويت : لا تحزني . ذهاب : يجوز في هذا الوزن تسكين حرف الروي وتحريكه .
٥ كلمتني ، وفي رواية : ناديتني .

الشریف الرضی

الفخر

ثورة المعجذ

- نَبَّهْتُهُمْ مِثْلَ عَوَالِي الرَّبَاحِ إِلَى الْوَعَى قَبْلَ نُمُومِ الصَّبَاحِ
- فَوَارِسٌ نَالُوا الْمُنَى بِالْقَتَا ، وَصَافَتْحُوا أَغْرَاضَهُمْ بِالصَّبَّاحِ
- لِفَارَةِ سَامِعٍ أَنْبَائِهَا يَغْنَصُ مِنْهَا بِالزُّلَالِ الْقَرَّاحِ
لَيْسَ عَلَى مُضْرِمِهَا سُبَّةٌ وَلَا عَلَى الْمُجْلِبِ مِنْهَا جُنَّاحٌ^١
دُونَكُمْ فَاثْبُدُوا غُنْمَهَا : دُمَى مُبَاحَاتٍ وَمَالٌ مُبَاحٌ^٢

* * *

يَا نَفْسُ مِنْ هَمٍّ إِلَى هِمَّةٍ فَلَيْسَ مِنْ عِبءِ الْأَذَى مُسْتَرَاخٌ
قَدْ آنَ لِلْقَلْبِ الَّذِي كَدَّهُ طَوْلُ مُنَاجَاةِ الْمُنَى أَنْ يُرَاحَ^٣
لَا بَدَّ أَنْ أُرَكِّبَهَا صَعْبَةً وَقَاحَةً تَحْتَ غَلَامٍ وَقَاحٌ^٤
يُجْهِدُهَا أَوْ يَنْشَنِي بِالرَّدَى دُونَ الَّذِي قُدِّرَ أَوْ بِالنَّجَاحِ

١ المجلب منها : أي الذي يضج من هولها . الجناح : الإثم .

٢ الدمي : الصور المنقشة المزينة ، تضرب مثلاً في الحسن ، وشبه بها النساء الجيلات ، كما هو المراد هنا ، واحداً دمية .

٣ كده : طلب منه الكد .

٤ وقاحة : ألحقت الهاء ضرورة . يقال : فرس وقاح الحافر ، إذا كان حافرها صلباً . غلام وقاح : أي صبور على الركوب ، من قولهم : رجل وقاح الذئب بتعريك النون .

الراح والراحة ذُلُ الفَتَى والعزُّ في شربٍ ضريبٍ اللقاح^١
 في حيثُ لا حُكْمَ لغيرِ القَنَا ولا مُطاعٌ غيرُ داعي الكِفاح^٢
 ما أطيَّبَ الأمرَ ولو أنه على رذايا نَعَمٍ في مَراح^٣
 وأشعثُ المتفريقِ ذي هِمَّةٍ طوحه الهَمُّ بعيداً فطاح^٤
 لما رأى الصَّبْرَ مُضِيراً بهِ ، راحَ ومَن لم يُطقِ الذلَّ راح^٥
 دفعاً بصدرِ السَّيفِ لما رأى أن لا يُردَّ الضَّيْمُ دفعاً بِراح^٦
 متى أَرى الزَّوراءَ مُرتَجَّةً تُمطرُ بالبيضِ الطُّبى أو تُراح^٧
 يصيحُ فيها الموتُ عَن السُّنِّ من العوالي والمواضي فيصاح^٨

* * *

متى أرى الأرضَ وقد زُلزِلَتْ بعارضٍ أغبرَ دامي النِّواح^٩
 متى أرى الناسَ وقد صُبَّحوا أوائلَ اليَومِ بطعنٍ صُراح^{١٠}
 يَلتَقَتُ الهاربُ في عِطْفِهِ ، مُروَّعاً يَرَقُبُ وَقَعَ الجِراح^{١١}
 متى أرى البيضَ وقد أمْطَرَتْ سَيْلَ دَمٍ يَغْلُبُ سَيْلَ البطاح^{١٢}
 متى أرى البَيْضَةَ مَصْدُوعَةً عن كلِّ نَشْوانٍ طويلٍ المِراح^{١٣}

.....

- ١ الفريب : اللبن يحلب بعضه فوق بعض من عدة لقاح . اللقاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب بعدما تلقت وقرب عندها بالنتاج . والمراد تفضيل تقشف البدو على ترف الحضرة ، فأولئك لا يشربون الألبان إلا بالغزو والحروب ، وهؤلاء يشربون الخمر وهم في راحة وضعف عزيمة .
- ٢ الرذايا ، جمع رذية : وهي الناقة الضعيفة والمهزولة من السير . رويت في الديوان بالزاي المعجمة ، وهو تحريف . النعم : الإبل . المراح : مأوى الإبل .
- ٣ الراح : جمع الراحة ، وهي باطن الكف .
- ٤ الزوراء : بغداد ، لأن أبوابها الداخلة جعلت مزورة عن الخارجة . تراح : تغربها الريح .
- ٥ العارض : السحاب المعترض في السماء ، والمراد غبار الحرب . النواح : النواحي على ترك الهاء .
- ٦ البيض : السيوف . البطاح : جمع أبطح وبطحاء ، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى .
- ٧ البَيْضَةُ : الخوذة من الحديد تستعمل لوقاية الرأس في الحرب . المراح : المرح .

- مُضْمَخٌ الْجِيدِ نَوُومُ الضُّحَى
 إِذَا رَدَّاحُ الرُّوعِ عَنَّتْ لَهُ ،
 - قَوْمٌ رَضُوا بِالْعَجَزِ وَاسْتَبَدُّوا
 - تَوَارَثُوا الْمُلْكَ ، وَلَوْ أَنْجَبُوا ،
 - غَطَى رِدَاءُ الْعِزِّ عَوْرَاتِهِمْ
 لَأَتَى ، وَالشَّائِمُ عِرْضِي ، كَنْ
 يَطْلُبُ شَاوِي وَهُوَ مُسْتَبِقِينَ
 فَارِمٍ بَعِينِكَ مَلِيًّا تَرَى
 وَارِقٌ عَلَى ظِلِّكَ هَيَّاهُ أَنْ
 لَا هَمَّ قَلْبِي بِرُكُوبِ الْعُلَى
 إِنْ لَمْ أَتْلُهَا بِاشْتِرَاطٍ كَمَا
 كَأَنَّهُ الْعَدَاءُ ذَاتُ الْوِشَاحِ
 فَرَّ إِلَى ضَمِّ الْكَعَابِ الرَّدَّاحِ
 بِالسَّيْفِ يَدْمِي غَرْبُهُ كَأْسَ رَاحِ
 لَوَرَّثُوهُ عَنْ طِعَانِ الرَّمَاحِ
 فَافْتَضَحُوا بِالذَّلِّ أَيْ افْتَضَحَ
 رَوْعَ آسَادِ الشَّرَى بِالنَّبَاحِ
 أَنْ عِنَانِي فِي يَمِينِ الْجِيَمَاحِ
 وَقَعَ غُبَارِي فِي عَيُونِ الطَّلَاحِ
 يُزْعِزَعُ الطُّودُ بِمَرِّ الرِّيَّاحِ
 يَوْمًا وَلَا بَلَّ يَدِّي بِالسَّمَاحِ
 شَتَّ عَلَى بَيْضِ الظُّبَى وَاقْتِرَاحِ

تعب النفوس الكبار

- لَأَيَّ حَبِيبٍ بِحَسَنِ الرَّأْيِ وَالْوُدِّ ،
 - أَرَى ذِمَّتِي الْأَيْتَامَ مَا لَا يَضُرُّهَا ،
 وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَنَا بِمُطِيعَةٍ ،
 - تَحُوزُ الْمُعَالِي وَالْعَبِيدَ لِعَاجِزٍ ،
 وَأَكْثَرُ هَذَا النَّاسِ لَيْسَ لَهُ عَهْدُ
 فَهَلْ دَافِعٌ عَنِّي ، نَوَائِبُهَا ، الْحَمْدُ
 وَلَيْسَ نَخْلُقُ مِنْ مُدَارَاتِهَا بُدَّ
 وَيُخْذِمُ فِيهَا نَفْسَهُ الْبَاطِلُ الْفَرْدُ

١ مضخج الجيد : مطيب المنق .

٢ الرِّدَّاحُ الأول : الكتيفة الثقيلة الجراة . الرُّوع : هول الحرب . الرِّدَّاحُ الثانية : المرأة الثقيلة الأوراك .

٣ الطَّلَاح : الإبل أعيان السير .

٤ أرق على ظلمك : أي أرقق بنفسك ، ولا تتجاوز حلك . والظُّلج : العرج .

٥ تحوز : تجميع وتقسيم ، وتسوق .

أَكَلُ قَرِيبٍ لِي بَعِيدٌ بَوْدُهُ ، وَكُلُّ صَدِيقٍ بَيْنَ أَضْلُعِهِ حِقْدٌ ؟
 وَلِلَّهِ قَلْبٌ لَا يَيْلُ غَلِيلُهُ وَصَالٌ ، وَلَا يُلْهِبُهُ عَنْ خِلَتِهِ وَعَدُ
 يُكَلِّفُنِي أَنْ أَطْلُبَ الْعِزَّ بِالْمُنَى ، وَأَيْنَ الْعُلَى إِنْ لَمْ يُسَاعِدْنِي الْجَدُّ ؟
 أَحِينَ ، وَمَا أَهْوَاهُ رَمَحٌ وَصَارِمٌ وَسَابِغَةٌ زَعْفٌ وَذُو مَيْعَةٍ نَهْدٌ^١
 فَيَهْلِي مِنْ قَلْبٍ مُعَنَّى بِهِ الْحَشَا ، وَبِالْيَ مِنْ دَمْعٍ قَرِيبٍ بِهِ الْخَدُّ^٢
 أُرِيدُ مِنَ الْآيَامِ كُلِّ عَظِيمَةٍ ، وَمَا بَيْنَ أَضْلَاعِي لَهَا أَسَدٌ وَرَدُ
 وَلَيْسَ فَتَى مَن عَاقَ عَنْ حَمَلِ سَيْفِهِ إِسَارٌ ، وَحَلَاةٌ ، عَنْ الطَّلَبِ الْقَيْدُ^٣
 إِذَا كَانَ لَا يَمْضِي الْحُسَامُ بِنَفْسِهِ ، فَلِلضَّارِبِ ، الْمَاضِي بِقَائِمِهِ ، الْخَدُّ^٤
 وَحَوْلِي مِنْ هَذَا الْأَنَامِ عِصَابَةٌ تَوَدُّ دُهَا يَخْفَى ، وَأَضْغَانًا تَبْدُو
 - يَسُرُّ الْفَقِي دَهْرٌ ، وَقَدْ كَانَ سَاءَةً ، وَتُخَدِّمُهُ الْآيَامُ ، وَهُوَ لَهَا عَبْدُ
 - وَلَا مَالٌ إِلَّا مَا كَسَبَتْ بَنِيهِ ثَنَاءٌ ، وَلَا مَالٌ لِمَنْ لَا لَهُ مُجَدُّ
 وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُصَاحِبَ فِتْيَةً مَطَاعِينَ لَا يَغْنِيهِمُ النَّحْسُ وَالسَّعْدُ
 إِذَا طَرَبُوا يَوْمًا إِلَى الْعِزِّ ، شَمَّرُوا ، وَإِنْ نُدُّوا يَوْمًا إِلَى غَارَةٍ ، جَدُّوا
 وَكَمْ لِي فِي يَوْمِ الثَّوْبَةِ رَقْدَةٌ ، يُضَاجَعُنِي فِيهَا الْمُهَنْدُ وَالْغِمْدُ
 إِذَا طَلَبَ الْأَعْدَاءُ لِإِثْرِي بَسَلْدَةً ، نَجَوْتُ وَقَدْ غَطَّتِي عَلَى لِإِثْرِي الْبُرْدُ
 وَلَوْ شَاءَ رُحْمِي سَدَّ كُلَّ ثَنِيَّةٍ ، تُطَالِعُنِي فِيهَا الْمُتَاوِيرُ وَالْجُرْدُ^٥

* * *

- ١ الجَدُّ : الحظ والاجتهاد .
- ٢ السَّابِغَةُ : الدرع الطويلة . الزَعْفُ : الدرع اللينة الراسمة المحكمة . المَيْعَةُ : أول جري الفرس وأشدله .
- ٣ الْخَدُّ : الفرس الحسن الجميل الجسيم اللحم الطويل المشرف .
- ٤ الْإِسَارُ : الأسر . حَلَاةٌ : مخفف حَلَاةٌ أي منته عن الطلب ، أي عن طلب المعالي . الْقَيْدُ : القيد .
- ٥ يَمْضِي الْحُسَامُ : يقطع . الْقَائِمُ : مقبض السيف .
- ٥ الثَّنِيَّةُ : المقبة أو طريقها .

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَبْلَغْنِي الْمُنَى ،
 جِيَادٌ ، وَقَدْ سَدَّ الْغُبَارُ فُرُوجَهَا ،
 خِيفَافٌ عَلَى لَأْثَرِ الطَّرِيدَةِ فِي الْفَلَا ،
 كَأَنَّ نَجُومَ اللَّيْلِ ، تَحْتَ سُورِجِهَا ،
 يُعِيدُ عَلَيْهَا الطَّعْنَ كُلُّ ابْنِ هِمَّةٍ ،
 يُضَارِبُ حَتَّى مَا لَصَارِمِهِ قُوًى ،
 تَغْتَرَّبَ لَا مُسْتَحْقِبًا غَيْرَ قُوْتِهِ ،
 وَلَا خَائِفًا إِلَّا جَرِيرَةَ رُمُحِهِ ،
 إِذَا عَرَبِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ سَيْفِهِ ،
 وَمَا ضَاقَ عَنْهُ كُلُّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ،
 إِذَا قُلَّ مَالُ الْمَرَمِ قُلَّ صَدِيقُهُ ،
 وَأَصْبَحَ يُغْضِي الطَّرْفَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ ،
 فَمَا لِي وَلِلْأَيَّامِ أَرْضَى بِجَوْرِهَا ،
 تَغَاضَى عِيُونَ النَّاسِ عَنِّي مَهَابَةً ،
 يَوَدُّ رِجَالٌ أَنِّي كُنْتُ مُفْحَمًا ،
 مَدَحَتْهُمْ فَاستُقْبِسَ الْقَوْلُ فِيهِمْ ،
 زَهْدْتُ ، وَزُهْدِي فِي الْحَيَاةِ لَعْلَةً ،
 وَتَلَقَّى بِي الْأَعْدَاءُ أَحْصِيَةً جُرْدُ؟
 تَرَوْحُ إِلَى طَعْنِ الْقَبَائِلِ أَوْ تَغْدُو
 إِذَا مَا جَتِ الرَّمْضَاءُ وَاخْتَلَطَ الطَّرْدُ
 تَهَاوَى عَلَى الظُّلُمَاءِ ، وَاللَّيْلِ مُسَوِّدٌ
 كَانَ دَمَ الْأَعْدَاءِ فِي قَمِيهِ شَهْدُ
 وَيَطْعُنُ حَتَّى مَا لِلدَّابِلَةِ جَهْدُ
 وَلَا قَائِلًا إِلَّا لِمَا يَهَبُ الْمَجْدُ
 وَلَا طَالِبًا إِلَّا الَّذِي تَطْلُبُ الْأُسْدُ
 مَضَاءً عَلَى الْأَعْدَاءِ ، أَنْكَرَهُ الْجَدُّ
 مِنَ الْأَرْضِ ، إِلَّا ضَاقَ عَنْ نَفْسِهِ الْجِلْدُ
 وَفَارَقَهُ ذَاكَ التَّحَنُّنُ وَالْوَدُّ
 أُنِيقَ ، وَيُلْهِيه التَّغَرَّبُ وَالْبُعْدُ
 وَتَعْلَمُ أَنِّي لَا جَبَانَ وَلَا وَغْدُ ١٩
 كَمَا تَنْقِي شَمْسَ الضُّحَى الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ
 وَلَوْلَا خِصَامِي لَمْ يَوَدُّوا الَّذِي وَدُّوا
 أَلَا رَبُّ عُنُقٍ لَا يَلِيقُ بِهِ عِقْدُ
 وَحُجَّةٌ ، مَنْ لَا يَلْبِغُ الْأَمَلَ ، الزُّهْدُ

- ١ الدابِل : الرمح
 ٢ قائل : تاركاً
 ٣ الجريرة : الجناية .

وهانَ على قلبِي الزَّمانُ وأهلُهُ ،
وأرضيَ من الأَيامِ أنْ لا تُميتَنِي ،
ووجدانُنا ، والموتُ يَطلبُنا ، فقدُ
وبي ، دونَ أقراني ، نوابِها الشُّكْدُ

فخر الهاشمي

لغيرِ العُلَى مِنِّي القِلَى والتَّجَنُّبُ ،
إذا اللهُ لم يَعدُرْكَ فيما تَرومُهُ ،
ملَكْتُ بِحِلْمِي فرِصَةً ما اسْتَرَقَّها ،
فإنْ تَكُ سَنِي ما تَطاولَ باعُها
فحَسْبِي أَنِّي في الأَعادي مُبَغِّضٌ ،
وللحِلْمِ أوقاتٌ ، وللجَهْلِ مَثلُها ،
يَصولُ عليَّ الجاهِلونَ وأَعْتَلِي ،
يَرونَ اِحتمالي غُصَّةً ، وَيَزِيدُهُم
وأَعْرِضُ عن كَأْسِ النَّدِيمِ كَأَنَّها
وقورٌ ، فلا الأَلحانُ تأسرُ عَزمَتِي ،
ولا أَعْرِفُ الفَحشاءَ إلاَّ بِوصفِها ،
تَحَلَّمُ عن كَرِّ القَوَارِصِ شِيمَتِي
لساني حِصاةٌ يَقرَعُ الجَهْلَ بالحِجِّي ،

١ يعدرك : ينصرك . والعذر . النصير .

٢ استرقها : ملكها .

٣ يجمع : يهجم القول . أعرب : أفصح .

٤ العوراء : الكلمة القبيحة .

٥ تحلم : تتكلف الحلم . القوارص من الكلام : التي تنفص وتوالم .

٦ الحِصاة : الرزاق . العاضه : الكاذب الذي يجهي بالزور والبهتان . المتوثب : المعتدي .

ولست براضر أن تمس عزائي
ففضلات ما يعطي الزمان ويسلب
غرائب آداب حبائي بحفظها
زمني، وصرف الدهر نعيم المؤدب

تراث النبي

- ردوا ثراث محمد ردوا ، ليس القضيبي لكم ولا البرد
- هل عرفت فيكم كفاطمة ، أم هل لكم كحمدي جدي
- جل افتخارهم بأنهم ، عند الخيصام ، مصافح لد
- إن الخلايف والألى فخرنا ، بهم علينا قبل أو بعد
- شرفوا بنا ، وبلدنا خلقوا ، وهم صنائعنا إذا عُدوا

ألف حمي

نفث الشاعر هذه الأبيات ، وقد ناله أمر ضاق به صدره ، فلما ظهرت جرى العتب من القادر بالله
عل والده لأجلها ، فأنكرها الرضي ولم يثبتها في ديوانه ، إلا أنها مشهورة عنه ، وقد وجدت بخطه ،
وبعد ذلك بأيام صرفه القادر عن النقابة :

ما مقامني على الهوان ، وعندي
ولباء مخلق بي عن الضيم ،
أي عذر له إلى المتجد ، إن ذل
ألبس الذل في ديار الأعادي ،
مقول صارم ، وأنف حمي
كما راغ طائر وحشي
غلام في غمده المشرقي
وبمضر الخليفة العكوي

.....

- ١ عرفت : أي كانت عريقة في كرم الأصل .
- ٢ المصافح : جمع مصفح كمنبر ، وهو العالي الصوت ، ومن لا يرتج عليه في كلامه ولا يتمتع . الله :
- ٣ راغ : نفر .

مَنْ أبوهُ أبي ، ومولاهُ مَولايَ ،
 لَفَّ عِرقي بِعِرْقِهِ سَيِّدُ النَّاسِ
 إِنَّ ذُلِّي بِذَلِكَ الْجَوَّ عِزٌّ ،
 قَدْ يَدِلُّ الْعَزِيزُ مَا لَمْ يُشَمَّرْ
 إِنَّ شَرَّاءَ عَلِيٍّ إِسْرَاعُ عَزَمِي
 أُرْتَضِي بِالْأَذَى ، وَلَمْ يَقِفِ الْعَزْمُ
 تَارِكًا أَسْرَتِي رُجُوعًا إِلَى حَيْثُ
 كَالَّذِي يَخْبِطُ الظَّلَامَ ، وَقَدْ
 إِذَا ضَامَنِي الْبَعِيدُ الْقَصِيَّ^١
 جَمِيعًا مُحْتَمِدٌ ، وَعَلِيَّ
 وَأَوَامِي بِذَلِكَ النَّقْعِ رِيَّ^٢
 لَانْطِلَاقٍ ، وَقَدْ يُضَامُ الْأَبِي ١
 فِي طِلَابِ الْعُلَى ، وَحَظِّي بِطَيِّ
 قُصُورًا ، وَلَمْ تَعِزَّ الْمَطْيِ-
 عَدِيرِي قِيدٌ ، وَرَعِي وَبِي-
 أَقَمَرَمِنْ خَلْفِهِ النَّهَارُ الْمُنْضِي ١-

١ أبوه : أي جده الرسول . مولاه : أي الإمام علي ، ينظر إلى حديث الولاية .
 ٢ الأوام : حر المطش . النقع : أن تجمع الريق في فمك ، والماء المستنقع .
 ٣ المدير : النصير . القد : السوط . الوبي : الكثير الوباء .

ابو المرء المصري

الحياة والموت

ضحكة القبر

غير مُجدٍ في مِلَّتِي واعنيقادي ، نوحُ بالكِ ، ولا تَرَكْتُمُ شَادِ
 وشَبِيهَ صَوْتِ النَّمِي ، إذا قِي سَ ، بصَوْتِ البَشِيرِ في كلِّ نَادِ
 أَبَكْتُ لِكُلِّ الحِمَامَةِ ، أم غَدَ نَتُّ على فَرَعِ غُصْنِهَا المِتَادِ ؟
 صاحِ هَذي قُبُورُنَا تَمَلَأُ الرُّحُ بَ ، فأبْنَ القُبُورُ من عَهْدِ عادِ ؟
 خَفَّفِ الوَطْءَ ما أَظُنُّ أَدِيمٌ ^{وَبِهِ} الـ أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ
 وقَتِيحُ بَنَّا ، وإنْ قَدُمَ العَهْدُ دُ ، هَوَانُ الآبَاءِ والأَجْدَادِ
 سرُّ، إنْ اسطَعْتَ، في الهَوَامِ رُويْدًا ، لا اخْتِيَالًا على رُفَاتِ العِبَادِ
 رَبِّ لَحْدٍ ، قد صارَ لَحْدًا مِرَارًا ، ضاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأَضْدَادِ
 ودَفِينِ على بَقَايَا دَفِينِ ، في طَوِيلِ الأَزْمَانِ والآبَادِ
 تَعَبْتُ كُلُّهَا الحَيَاةُ ، فَمَا أَعُدَّ جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ في ازْدِيَادِ
 إنْ حَزُنًا ، في سَاعَةِ المَوْتِ، أضْعَا فُ سرورٍ في سَاعَةِ المِيسْلَادِ
 خَلِّقِ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ ، فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
 إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لِي لِي دَارِ شِقْوَةٍ أو رَشَادِ

صَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا جَسْمٌ فِيهَا ، وَالْعَيْشُ مِثْلُ السُّهَادِ

بَانَ أَمْرُ الْإِلَهِ ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ ، فَدَاعَ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادٍ
وَالَّذِي حَارَتْ الْبَرِّيَّةُ فِيهِ ، حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ
وَاللَّيْبُ اللَّيْبُ مَنْ لَيْسَ يَغُتْرُ تَرُّهُ بِكَوْنِ مَصِيرِهِ لِلْفَسَادِ

مزاعم الفلاسفة

كَيْفَ احْتِيَالُكَ وَالْقَضَاءُ مَدْبَرٌ ، تَجَنِّي الْأَذَى وَتَقُولُ إِنَّكَ مُجَبَّرٌ
أَرْوَحُنَا مَعَنَا ، وَلَيْسَ لَنَا بِهَا عِلْمٌ ، فَكَيْفَ إِذَا حَوَّتْهَا الْأَقْبَرُ
وَمَتَى سَرَى عَنْ أَرْبَعِينَ حَلِيفُهَا فَالشَّخْصُ يَصْغُرُ وَالْحَوَادِثُ تَكْبُرُ
نَفْسٌ تُحْسِنُ بِأَمْرِ أُخْرَى ، هَذِهِ جَسْرٌ إِلَيْهَا بِالْمَخَافِ يُعْبَرُ
مَنْ لِلدَّفِينِ بَانَ يُفَرِّجَ لِحْدَهُ عَنْهُ فَيَنْهَضَ وَهُوَ أَشَعْتُ أَغْبَرُ
وَالدَّهْرُ يَقْدُمُ وَالْمَعَاشِرُ تَنْقُضِي ، وَالْعَجْزُ تَصْدِيقٌ بِمِنْ يُخْبِرُ
زَعَمَ الْفَلَسَفَةُ الدِّينَ تَنْطَسُّوا أَنْ الْمَنِيَّةَ كَسَرُهَا لَا يُجَبَّرُ
قَالُوا وَآدَمُ مِثْلُ أَوْبَرٍ وَالْوَرَى كَبَنَاتِهِ ، جَهْلَ أَمْرٍ مَا أَوْبَرُ
كَلْبٌ يُقَالُ عَلَى الْمَنَابِرِ دَائِمًا ، أَفْلا يَمِيدُ لِمَا يُقَالُ الْمَنِيرُ
وَلَعَلَّ دُنْيَانَا كَرَقْدَةٍ حَالِيمٍ ، بِالْعَكْسِ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ تُعْبَرُ
فَالْعَيْنُ تَبْكِي فِي الْمَنَامِ فَتَجْتَنِي فَرَحًا ، وَتَضْحَكُ فِي الرَّقَادِ فَتُعْبَرُ
وَالنَّفْسُ لَيْسَ لَهَا عَلَى مَا نَالَهَا صَبْرٌ ، وَلَكِنْ بِالْكَرَاهَةِ تَصْبَرُ

١ بنات أوبر : نوع من الكماة رديئة الطعم . يرد على الطبيعيين الذين يعملون مصير الإنسان بعد الموت كمصير النبات والحيوان .

٢ تعبر : تدفع .

عذاب القبر

إذا حَرَّقَ الهِنْدِيُّ بالنَّارِ نَفْسَهُ ، فَلَمْ يَبْقَ نَحْصٌ لِلتَّرَابِ وَلَا عَظْمٌ^١
فَهَلْ هُوَ خَاشٍ مِنْ تَكْبِيرٍ وَمَنْكَرٍ وَضَعْفَةٍ قَبْرِ لَا يَقُومُ^٢ لَهَا نَظْمٌ^٣

جزاء الآخرة

إذا أَتَانِي حِمَامِي مَاحِيًا شَبَّاحِي وَمَا صَنَعْتُ ، فَعَيْشِي كُلُّهُ عَنَّتْ^١
لَعَلَّ قَوْمًا يُجَازِيهِمْ مَلِكُهُمْ ، إِذَا لَقَوْهُ ، بِمَا صَامُوا وَمَا قَنَّتُوا^٢

مصير الإنسان

صَاحٍ ، مَا تَضْحَكُ الْبُرُوقُ شَمَاتًا بِحِمَامٍ وَلَا تُبَكِّي الرَّعُودُ^١
يَا مَحَلِّي ، عَلَيْكَ مِنِّْي سَلَامٌ ، سَوْفَ أَهْضِي وَيُسْجِزُ الْمَوْعُودُ^٢
لَيْتَ شَعْرِي عَمَّنْ يَحْلِكُ بَعْدِي ، أَقِيَامٌ لَصَالِحٍ أَمْ قُتْعُودُ^٣
أَيُرْجُونَ أَنْ أَعُودَ إِلَيْهِمْ ، لَا تُرْجَوَا فَلَيْتِي لَا أَعُودُ^٤
وَبَلِيسِي إِلَى التَّرَابِ هَبُوطٌ ، وَلرُوحِي إِلَى الْهَوَاءِ صُعُودُ^٥
وَعَلَى حَالِهَا تَدُومُ اللَّيَالِي ، فَتُحْسُوسُ لِمَعَشَرٍ أَوْ سَعُودُ^٦

شرط المعري

- قَالَ الْمُنَجِّمُ وَالطَّيِّبُ كِلَاهُمَا : لَا تُحْشَرُ الْأَجْسَادُ ، قُلْتُ : إِلَيْكُمَا^١
- إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا ، فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ ، أَوْ صَحَّ قَوْلِي ، فَالْخَسَارُ عَلَيْكُمَا^٢

١ النحف : اللحم .

٢ المنت : الشدة ودخول المشقة .

٣ قنتوا : أي قاموا بما عليهم الله من الطاعة والصلاة .

حبيرة العقل في الموت

أذِمني طالَ عهدُكَ بالصِّقالِ
ستُطَايَئُني المنيَّةُ عَن قَرِيبٍ ،
إذا انتَقَلْتُ عَنِ الأوصالِ نَفْسي
أسيرُ فلا أعودُ وما رُجوعي !
أُمورٌ يكتَسِبُسنَ على البَرايا ،
وما جَ النَّاسُ في قِيلٍ وقالِ
فلأني في إَسارٍ واعتِقالِ
فَمَا للجِسمِ عِلْمٌ بانْتِقَالِ
وقد كانَ الرَّحيلُ رَحيلَ قالِ
كَأَنَّ العَقْلَ مِنْهَا في عِقَالِ

لا رجعة بعد الموت

ضَحِكْنَا وَكَانَ الضَّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً ،
يُحِطُّمُنَا رَبُّ الزَّمَانِ كَأَنَّا
وَحَقُّ لُسُكَّانِ البَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا
زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَهُ سَبْكُ

الروح بعد الموت

والرُّوحُ شَيْءٌ لَطِيفٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ
سُبْحَانَ رَبِّكَ ، هَلْ يَبْقَى الرَّشَادُ لَهُ ،
وَذَلِكَ نُورٌ لِأَجْسَادٍ يُحَسِّنُهَا ،
قَالَتْ مَعَاشِرُ : يَبْقَى عِنْدَ جُثَّتِهِ ،
وَلَيْسَ فِي الْإِنْسِ مِنْ نَفْسٍ إِذَا قُبِضَتْ
عَقْلٌ وَيَسْكُنُ مِنْ جِسْمٍ الْفَتَى حَرَجًا^١
وَهَلْ يُحِسُّ بِمَا يَلْقَى إِذَا خَرَجًا ؟
كَأَنَّ تَبَيَّنَتْ نَحْتَ اللَّيْلَةِ السُّرُجًا^٢
وَقَالَ نَاسٌ : إِذَا لَاقَى الرَّدَى عَرَجًا^٣
سَافَ الَّذِينَ لَدَيْهَا طَيِّبَهَا الْأَرَجًا^٤

١ قال : مبيض .

٢ الحرج : المكان الفيق .

٣ عرج : ارقى .

٤ ساف : اشم .

وأَسَدُ النَّاسِ بِالدُّنْيَا أَهْوَى زُهْدِي ، نَافِي بَيْنَهَا ، وَنَادَا ، إِذْ مَضَى : دَرْجَنَا

حيرته في الروح

لأنَّ بَصِيحَتِ الرُّوحِ عَقَلِي بَتَاءً مَطْمَئِنَّا ، لِمَوْتِي ، عَمِّي ، فَأَدِيرُ أَنْ تَرَى عَجَبَنَا
وَلَا مَضْمُونَةً فِي الْهَوَايِ الرَّحْبِ هَالِكَةً ، هَالِكُ جَسَدِي فِي تَرْبِي فَتَوَاشَتِجُنَا

لا أسف على الحياة

إِرْجِيعْ إِلَى السَّنِّ فَالظُّرُّ مَا تَقَادُمَهَا ، فَاحْكُمْ عَلَيْهِ وَلَا تَحْكُمْ عَلَى الشَّعْرِ
لَكُمْ لَلْأَيْنَ حَوَلًا شَبَبْتُ ، وَمَضَتْ طَبْعًا وَإِنْ قِيلَ شَابَ الرَّاسُ لِلدُّهْرِ
وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا صِبْغَةٌ جُعِلَتْ تَدْنِي الْحَيَاةُ ، وَمَا لِي إِذَاهَا أَسَفُ
وَلَمَّا تَسْلُبُ مَا فِي الْأَلْفِ مِنْ شَمَمٍ وَدِدْتُ أَنْ مُعِيرَ الْعَيْشِ لَمْ يُعِيرْ
أَرَى فِرَارِي مِنَ الْمِقْدَارِ سَنِيَّةً ، نَحْتُ التَّرَابِ ، وَمَا فِي الْخَلْقَةِ مِنْ صَنِيعٍ
وَلَا أَلُومُ أَنَّهَا الْإِلْحَادِ بَلْ رَجُلًا لَو تَعَلَّمُ الْخَفِيلُ عِلْمِي فِيهِ لَمْ تُعَيَّرْ
يَتَخَشَّى السَّعِيرَ وَمَا يَنْفُكُ فِي سَعِيرٍ يَتَخَشَّى السَّعِيرَ

راحة القبر

لَمَّا تَوَتَّ فِي الْأَرْضِ ، وَهِيَ لَطِيفَةٌ ، قُدِّمَ مَاؤُهَا أَمْنَتْ مِنْ الْأَحْدَاثِ
لَمْ يَسْتَرْيَحُوا مِنْ شُرُورِ دِيَارِهِمْ ، إِلَّا بِرَحْلَتِهِمْ إِلَى الْأَحْدَاثِ

- ١ نالى بلها : أي هاجروهم ودفعهم عنه ، درج : مضى لسبيله .
- ٢ لورا شهباء : لورا حلزنا .
- ٣ لم تمر : أي لم تقصر ولم يلفظ ذابها ، وبذلك يحطم شأنها .
- ٤ السر : الجحش .

سهيل الردى

قبيحٌ أن يُحصىَ نعمتي بالك
ولم أَرِدْ الموتى بالحيوي الردى ،
ولو ضيقت لم أترك نفسي ،
وجئت الموتى ينتظيهم الأرباب ،
فأوصيكم بدليلاً هوائاً ،
إذا كان الردى ، فقصيتاً نعمتي
ولكن أوشك الفتيان مسجياً
فأسكنهم في مقابر بغداد رتباً
بشجر منه في أعقاب شجراً
فلتي تأييد آثار صحبي

الموت المسلط

لعل ، الذي يَمْضِي ، إلى الله أقرب
وطولُ بقاء المزم سمٌ مُجرب
مقيمٌ بأهليته ، ومن يقترب
فأكل من هذا الأنام ونشرب
لُهان ، إذا كان الشروق ، وتُضرب
حناء الردى ، وهو السنانُ المجرب
عليهم صباح ، بالمنايا مُدرب
بقيت ، وما أدري بما هو غائب ،
تود البقاء النفس من غيبة الردى ،
على الموتى يتجناز المعاشير كلهم :
وما الأرض إلا مثلنا الرزق تبتلي
ولقد كذبوا حتى حل الشمس ألتها
كان هلالاً لاح للطنن فيهم ،
كان ضياء الفجر سيف يسله

١ الفتيان ، الليل والنهار .

٢ الضجيج ، الإهلال .

٣ في أخبار الضماني أن الفرس تأوى الإفرال ، فجلدها الملائكة ، ودموها لدماء ، وهذا من الإسرائيليات التي دخلت على الإسلام ، وورد في شعر لامية ابن أبي السلت .

٤ مدرب : مسموم .

أمراض الشيخوخة

لا خَيْرَ من بَعْدِ خَمْسِينَ انْقَضَتْ كَلَامٌ
في أنْ تُمارِسَ أمراضاً وأرعاشاً
وقد يَعِيشُ الفَتَى حَتَّى يُقالَ لَهُ :
ما ماتَ عندَ لقاءِ المَوْتِ ، بل عاشاً

البقاء كشعر أبي تمام

وَجَدْتُ عَوَارِي الحَيَاةِ كَثِيرَةً ،
وَتَلَقَاهُ مِنْ فَرَطِ الصَّبَابَةِ جَاهِلًا ،
وما كَرِهْتُ خَيْلٌ تُخَالُ وَأَيْنُقُ
فلانَ طَرِيقَ النَّاسِ فِي الحَتَفِ واحدٌ
كَأَنَّ بَقَاءَ المَرَمِ شَعْرُ حَبِيبٍ^١
يُغَيِّرُ أَعْلَى رَأْسِهِ بِصَيِّبٍ^٢
بَيَاضاً بَدَأَ فِي غُرَّةٍ وَسَيِّبٍ^٣
أَكُنْتُ طَبِيباً أَمْ نَقِيضَ طَبِيبٍ

عبء النسل

وَجَدْتُ المَوْتَ لِلحَيَوَانِ دَاءً ،
وما دُنْيَاكَ إِلَّا دَارُ سُوءٍ ،
أَرَى وَلَدَ الفَتَى عِبْأً عَلَيْهِ ،
أَمَّا شَاهَدَتْ كُلَّ أَبِي وَلِيدٍ ،
فإِذَا أَنْ يَرْبِيَهُ عَدُوًّا ،
وكَيْفَ أَعَالِجُ الدَّاءَ القَدِيمَا^١
وَلَسْتُ عَلَى إِسَاءَتِهَا مُقِيمَا^٢
لَقَدْ سَعِدَ الَّذِي أَمْسَى عَقِيمَا^٣
يَوْمَ طَرِيقَ حَتَفٍ مُسْتَقِيمَا^٤
وإِذَا أَنْ يُخْلَقَهُ يَتِيمَا^٥

١ الموارى بتشديد الياء وتخفيفها : ما يتداوله الناس بينهم ولا يبقى لأحد منهم كالمال ، واحدته عارة .

٢ الصبيب : خضاب الشيب .

٣ تخال : تساس . السبيب : شعر اللنب .

وصية الميت

جارانِ : شاكٍ ومسرورٍ بحالتهِ ،
 مالُ الدفينِ أتى الوراثَ ، فاقتسموا
 لا أطمعوا منه مِسْكِيناً ، ولا بدّلوا
 أوصى فلم يقبلوا منه ، وعاهدَهم ،
 والعيشُ داءٌ ، وموتُ المرءِ عافيةٌ ،
 أنفاسُهُ كخطاهُ ، والبقاءُ لهُ
 منازلُ الأنفسِ الأجسادُ يُظعنُها
 كالغيثِ يبكي ، وفيهِ بارِقٌ بسَمًا
 ولم يُراعوهُ في ثلثٍ لهُ قسَمًا
 عُرُفًا ، ولا كفّروا ، في حينه ، قسَمًا
 فقابلوا بخلافٍ كلِّ ما رَسَمًا
 إن داوُدَ بتوّاري شَخِصِه حُسِمًا
 مَسافَةٌ ، فهو يَفنى كُلّما انتَسَمًا
 وقد الحِمامِ ، فكم من منزلٍ طَسَمًا

رسالة الغفران

آراء في النقد

مع هادي بن زيد

فيقولوا لعباد : « ألك علم بعدي بن زيد الصابني ؟ » فيقولوا : « هذا مثراه
قريباً منك . » فيقف عليه ، فيقول : « كيف كانت سلامتك على الصراط ؟ »
فيقول : « إني كنت على دين المسيح . ومن كان من أتباع الألباء قبل أن يبعث
مسيحاً ، فلا بأس عليه . وإنما الشريعة على من سجد للأصنام . »
فيقول الشيخ : « لقد سمعت أن أسألك عن بيتك الذي استشهد به سيدي به وهو
قولاك :

أرواح مؤدبج أم بكور أنت فانظر لاني سأل تعبير

فلله يدعم أن « أنت » يجوز أن ترفع بفعل مضمر مفسره قوله لك : فانظر ، وأنا
أعني هذا المذهب ولا أظنك أردته فيقول عادي بن زيد : « دعني من هذه الأملال ،
ولكني كنت في الدار العالية صاحب قنص . فهل لك أن تترك فرسان من
خيل الجنة ، فبعثتهما على صيراتها ، وخيطاناً نعامها ، وأسراب طيائها ومائنت^٢
سورها ، فإن للقنص لذة^١ » فيقول الشيخ : « إنما أنا صاحب قلم ، ولم أكن
صاحب خيل ! »

- ١ الصيران : جميع صياد وهي لغة في سواد ، والصواد بالضم وبكسر : القطيع من بقرة الوصل .
- ٢ المائنتان : جماعات النعام .
- ٣ المائنة : جميع العالة : القطيع من سائر الوصل .

ملاحاة النابغة الجعدي والاعشى

ويقول نابغة بني جعدة ، وهو جالس يستمع : « يا أبا بصير ! أهله الرّباب
التي ذكرها السعدي هي ربابك التي ذكرتها في قولك :

لما نعلق الديك حتى ملأت دواب الرّباب اه ، فاستنداراً »

ليقول أبو بصير : « قد طال عمرك يا أبا ليلى ، وأحسبك أصابك الفتنة ،
فبقيت على فتدك إلى اليوم ! أما علمت أن اللواتي يسمين بالرّباب أكثر من أن
يحصين ؟ أفظن أن الرّباب هذه هي التي ذكرها القائل :

ما بال قومك يا رباب خُزراً كأنهم غصاة »

أو التي ذكرها امرؤ القيس في قوافه :

دار الجند والرّباب وفترتني وليس قبل حوادث الأتام »

ليقول نابغة بني جعدة : « أتكلّمني بمثل هذا الكلام يا خلويع بني ضبيعة ،
وقد مت كاهراً وأقررت على نفسك بالفاشة ، وأنا أقيت النبي ، صلي الله عليه
وسلم ، فألشدته كلمتي التي أقول فيها :

بلغنا السماء جعداً وسناونا ، وإننا لنهي فوق ذلك مظهر »

فقال لي : « إلى أين يا أبا ليلى ؟ » فقالت : « إلى الجنة بك يا رسول الله ! »
فقال : « لا يفضض الله فالك ! »

أعرك أن عدك بعض الجعّال رابع الشعراء الأربعة ، وكتاب مفضلك ، وإنني
لا أطول منك نفساً ، وأكثر تهمناً ، وأقد بلغت ، بعدد البيوت ، ما لم يبلغه أساء

١ اللد الخرف .

٢ الخزر : المساهون بسيد العين .

من العرب قبلي ، وأنت لاهٍ بعفارتك^١ تفتري على كرائم قومك ، وإن صدقتَ
فخزيًا لك ولمقارك^٢ .

فيغضب أبو بصير ، فيقول : « أتقول هذا وإن بيتاً مما بنيتُ ليُعدَلُ بمائة
من بنائك ؟ وإن أسهبت في منطقك ، فإن المسهب كحاطب الليل . ولاني لفي
الخرثومة من ربيعة الفرس ، وهل جعدة إلا رائدة ظليم^٣ نفور^٤ ؟ أتعيّرني مدح
الملوك يا جاهل ؟ ولو قدرت على ذلك لمجرت إليه أهلك وولدك . واكنك خلقت
جباناً ، لا تُدلج في الظلماء الداجية ، ولا تهجر في الوديقة^٥ الصاخدة^٥ . »

فيقول الجعدي : « استكُتْ يا ضُلّ بن ضُلّ ، فأقسم ان دخولك الجنة من
المنكرات ، ولكن الأقضية جرت كما شاء الله ! لحقك أن تكون في الدرك الأسفل
من النار ، ولقد صلي بها من هو خير منك . ولو جاز الغلط على ربّ العزة ،
لقلت : إنك غلط بك .

واستقلت بني جعدة ، وليوم^٦ من أيامهم يرجع بمساعي قومك ! وزعمتني
جباناً وكذبت ، لأنا أشجع منك ومن أبيك ، وأصبر على ادلاج المظلمة ذات
الاريز^٦ ، وأشدّ ادلاجاً في الهاجرة أمّ الصبخدان ! »

ويشب نايغة بني جعدة على أبي بصير ، فيضربه بكوز من ذهب . فيقول الشيخ ،
أصلح الله به : « لا عربدة في الجنان ، إنما يعرف ذلك بين السفلة والهجاج^٧ ،
وإنك يا أبا ليل لمتزعج^٨ . ولولا أن في الكتاب الكريم : « لا يُصدّعون عنها
ولا يُترَفون » لظنناك أصابك نزف في عقلك . ويريد أن يصلح بين الندماء ،

١ العفارة : الخبث والنكر .

٢ مقارك : مخالطك .

٣ الظليم : ذكر النعام ، والمراد طالبة نسب نفور منها .

٤ الوديقة : شدة الحر .

٥ الصاخدة : الشديدة القيقظ .

٦ الاريز : الصقيع .

٧ الهجاج : الحمقى .

٨ متزعج : مسرع إلى ما لا تحمد عقباه .

فيقول : « يجب أن يُحذر من ملك يعبرُ ، فيرى هذا المجلسَ ، فيرفعُ حديثه إلى الجبار الأعظم ، فلا يجرّ ذلك إلّا إلى ما تكرهان .

واستغنى ربّنا أن تُرفعَ الأخبار إليه ، ولكن جرى ذلك مجرى الحَفَظَة في الدار العاجلة . أما علمتما أن آدم خرج من الجنة بذنبٍ حقيرٍ ! فغير آمنٍ مَنْ وُلد أن يُقدّر له مثل ذلك ! فسألتك بالله يا أبا بصير : هل يهجِسُ لك تمنّي المدام ؟ فيقول : « كلا والله ، إنّها عندي كمثل المَقِير ، لا يخطرُ ذكرها بالخلد ، فالحمد لله الذي سقاني عنها السلوانة » .

فيقول : « يا أبا ليلى ! إن الله ، جلّت قدرته ، مَنْ علينا بهؤلاء الحور العين اللواتي حوّلنّ عن خلق الإوز ، فاختر لنفسك واحدةً منهنّ ، فلتذهب معك إلى منزلك تلاحنك أرقّ اللّحان ، وتسمعك ضروب الألحان » .

فيقول لبيد بن ربيعة : « إن أخذ أبو ليلى قينةً ، وأخذ غيره مثلاً ، أليس ينتشر خبرها في الجنة ؟ فلا يؤمّن أن يسمّى فاعلو ذلك : أزواج الإوز » . فتضرب الجماعة عن اقتسام أولئك القيان .

مدح رضوان

فلما أقيمت في الموقف زُهاء شهرٍ أو شهرين ، وخيفتُ من الغرق ، في العرق ، زينت لي النفس الكاذبة أن أنظم أبياتاً في رضوان ، خازن الجنان ، عملتها في وزن : « قفا نبك من ذكرى حبيب وعيرفان » ووسمتها برضوان ، ثمّ ضانكتُ الناس حتى وقفت منه بحيث يسمع ويرى ، فما حفل بي ، ولا أظنه أبه لما أقول ، فغبرت^٢ برهة نحو عشرة أيام من أيام الفانية ، ثمّ عملت أبياتاً في وزن :

بانّ الخليط ولو طووعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

١ السلوانة : السِّل .

٢ غبرت : أي مكثت .

ووسمتها برضوان ، ثم دلت منه ، ففعلت كفعل الأول ، فكأنني أحركه
 فبراً ، وألتمس من العفرم^١ عبيراً ، فلم أزل أتبع الأوزان التي يمكن أن يوسم
 بها رضوان حتى أُنيتها ، وأنا لا أجد عنده مغرّة^٢ ، ولا ظننته فهم ما أقول ، فلمّا
 استقصيتُ الغرض فما أُنجحتُ ، دعوت بأعلى صوتي : « يا رضوان ! يا أمين الملك
 الجليل الأعظم على الفراديس ! ألم تسمع ندائي بك ، واستغاثي إليك ؟ » فقال :
 « لقد سمعتك تذكر رضوان وما علمت مقصديك ، فما الذي تطلبه أيتها المسكين ؟ »
 فأقول : « أنا رجل لا صبر لي على اللّوَاب^٣ ، وقد استطلت مدّة الحساب ، ومع
 صلك بالتوبة ، وهي للذنوب كلّها ماحية ، وقد مدحتك بأشعار كثيرة ووسمتها
 باسمك » فقال : « وما الأشعار ؟ » فقلت : « الأشعار جمع شعر ، والشعر كلامٌ
 موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبالته الحسن ، وكان أهلُ العاجلة
 يقتربون به إلى الملوك والسادات فبحثُ بشيء منه إليك ، لعلّك تأذن لي بالدخول
 في هذا الباب ، فقد استطلت ما الناس فيه ، وأنا ضعيفٌ مني^٤ ولا ريب أنّي ممن
 يرجو المغفرة ، ونصيح له بمشيئة الله تعالى » فقال : « إنك لغيبنُ الرأي ، أأملُ
 أن آذن لك بغير إذنٍ من ربّ العزة ؟ هيهات هيهات ! وأنتي لهم التناوش^٥ من
 مكان بعيد ! »

مع امرئ القيس

ويسأل عن امرئ القيس بن حُجْرٍ ، فيقول : « يا أبا هندٍ أخبرني عن
 التسميط^١ المنسوب إليك ، أصحيح هو عنك ؟ »

١ العفرم : تراب يشبه الجص .

٢ اللوَاب : العطش .

٣ الملون : الضميط .

٤ التناوش : القناول .

٥ التسميط : ضرب من الشعر المطمس ، أجزأه على غير ذوي القابلية .

ويُشدُّه الذي يرويه بعض الناس :

يا فتوم إنَّ المتوتى إذا أصسابة الفنى
في القلب ثم ارتقتى فهتت بتعضى القوتى
فقتت هتوتى الرجل

فيقول : « والله ما سمعتُ هذا قط » وإنَّه لقريء لم أسلكه ، وإنَّ الكلام لكثير ،
وأحسبُ هذا لبعض شعراء الإسلام ، ولما ظلمني وأساء إلي ، أبتعد كلامي التي أولما :
ألا هم صباحاً أيها العلَّيلُ البالي وهل يحسن من كان في العُصُر الدالي
وقولي :

يعللي مرآ بي عل أم جندب لأتضي حاجات الله وأد المعائب
يقال لي هل ذلك؟ والجزء من أخصف الشعر ، وهذا الوزن من أخصف الربيع :
فيحسب لما سمعه من امرئ القيس .

مع عنزة

وينظر ، فإذا عنزة مقلدة^٢ في السعير ، فيقول : « يا أيها السعير !
كأنك لم تنطق بقولك »

ولقد شريتها من الأمانة بعامها ركباناً الهواجر بالمشوف المثلث^٣

١ القري : سبل الماء من الربرة ، ويكون به عن الأمر الصلح .

٢ مقلدة : متحير ، غفلت شيئاً وشمالاً .

٣ ركاد : سكن : الهواجر : جمع الهاجرة : شدة الحر قرب الظهر . المشوف : المجاود : قوله المشوف
المعلم أي الدهناء .

بَرْجَاجَةٍ صَفراءِ ذاتِ أُسيرةٍ قُرِنتَ بأزهرَ في الشمالِ مُقدِّمًا^١

ولمَّا لَمَّ إذا ذَكَرْتُ قولَكَ : « هل غادر الشعراءُ من مَردِّمٍ » لأقول : « إنَّما قِيلَ ذلكَ وديوانُ الشعرِ قليلٌ مُحفوظٌ » ، فأما الآنَ فلو سمعتَ ما قِيلَ بعدَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، لَعَتَبْتَ نَفْسَكَ على ما قُلْتَ ، وعلمتَ أنَّ الأمرَ كما قالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ^٢ :

فلو كان يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْناهُ ما قَرَّتْ حَياضُكَ مِنْهُ في العصورِ الذَّواهِبِ^٣
ولكنَّه صوبُ العقولِ ، إذا انْجَلَّتْ سحابُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسحابِ

فيقول : « وما حَبِيبُكُمْ هذا ؟ » فيقول : « شاعرٌ ظَهرَ في الإسلامِ » وينشده شيئاً مِنْ نَظْمِهِ ، فيقول : « أمَّا الأَصْلُ فَعَرَبِيٌّ ، وأمَّا الفَرْعُ فَنَظُّقٌ بِهِ غَيٌّ » ، وليس هذا المذهبُ على ما تُعرفُ قبائِلُ العَرَبِ . « فيقول ، وهو ضاحِكٌ مُستَبْشِرٌ : « إنَّما يُنكَرُ عليه المُستَعَارُ ، وقد جاءتِ العارِيَّةُ في أشعارِ كَثِيرَةٍ مِنَ المُتَقَدِّمِينَ ، إلَّا أنَّها لا تُجْتَمَعُ كاجتماعِها فيما نَظَّمَهُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ . ولقد شقَّ عليَّ دُخُولُ مُثْلِكَ إلى الجَحِيمِ ، وكأنَّ أُذُنِي مُصْغِيَةٌ إلى قِيَناتِ الفسْطاطِ وهي تَغْرَدُ بِقولِكَ :

أَمِنْ سُمِّيَّةٍ دَمَعُ العَيْنِ تَذْرِيفُ لو أنَّ ذَا مَنكَ ، قَبْلَ اليَومِ ، مَعْرُوفُ

مع عمرو بن كلثوم

فليت شعري ، ما فعلَ عمرو بنُ كلثومٍ ؟
فيقال : « ها هوذا مِنْ تَحْتِكَ ، إن شئتَ أَنْ تُحاورَهُ فحاورِهِ » .

١ ذات أسيرة : ذات خطوط . أزهر : أي ابريق أبيض . في الشمال : أي مبرد بريح الشمال .
مقدم : أي مسود بمصفاة لتصفيته .
٢ أبو تمام .
٣ قرئت : جمعت .

فيقول : « كيف أنت أيتها المصطبج^١ بصحن الغانية ، والمغتبيق^٢ من الدنيا
الغانية ! لوددت أنك لم تُسائد^٣ في قواك :

كأن متونهن متون غدير تُصَفَّقُها الرياحُ إذا جرينا^٤ »

فيقول عمرو : « إنك لقرير العين ، لا تشعر بما نحن فيه ، فاشغل نفسك
بتمجيد الله ، واترك ما ذهب فإنه لا يعود . وأما ذكرك سينادي فإن الإخوة
ليكونون ثلاثة أو أربعة^٥ ، ويكون فيهم الأعرج والأبثق^٦ فلا يُعابون بذلك ،
فكيف إذا بلغوا المائة في العدد ؟ »

جنة الرجز

ويعرّ بأبيات ليس لها سُمُوق^٧ أبيات الجنة ، فيسأل عنها ، فيقال : « هذه
جنة الرجز^٨ » فيقول : « تبارك العزيز الوهاب ، لقد صدق الحديث المروي :
« إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها » وإن الرجز لمن سفاسف القريض ،
قصرت أيتها النفس فقصرت بكم ! »

ويعرض له روبة^٩ فيقول : « يا أبا الجحاف ! ما كان أكلفك بقوافٍ ليست
بالمعجبة ، تصنع رجزاً على الغين ، ورجزاً على الطاء ، وعلى الظاء ، وعلى غير
ذلك من الحروف النافرة ، ولم تكن صاحب مثل مذكور ، ولا لفظ يستحسن ! »
فيغضب روبة ويقول : « ألي تقول هذا ؟ وعني أخذ الخليل وكذلك أبو عمرو بن

١ المصطبج : الذي يشرب الخمر صباحاً ، يشير الى قول عمرو في اول معلقته :
الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

٢ المغتبيق : الشارب مساء .

٣ لم تسائد : أي لم تأت بالسناد في شعرك .

٤ غدير : مخفف غدر ، جمع غدير . السناد هنا في فتح الراء قبل الياء الساكنة في قوله جرينا .

٥ الأبثق : الاعور القبيح العور .

٦ سُمُوق : ارتفاع .

٧ روبة بن العجاج .

الملاء ، وقد خبرت^١ في الدار السالفة تنعشر باللفظة تقع إليك ، مستألفاً أولاد.
 هنسي ومن أدبها^٢ ؟ « فإذا رأي ما في ، روبة من الالغاء^٣ قال : « لو شريك رجلاً
 ورجز أبيك لم أخرج منه قصيدة مستحسنة ، ولقد كنت تأخذ جوائز الملوك بغير
 استحقاق ، وإن طورك أول بالأعطية والعتلات « فيقول روبة : « أليس رئيسك
 في القاديم ، والذي فضلت^٤ إليه المقاييس ، كان يستشهد بقولي ويحسني له كالإمام ؟
 فيقول : « لا فخر لك أن استشهد بكلامك ، فقد وجدناهم يستشهدون بكلام
 أمية وكعاء^٥ ، وكهم روى النحاة عن طفل ما له في الأدب « فيقول روبة : « أجهش
 لخصامنا في هذا المنزل ؟ فامض لطيفتك ، فقد أعلدت بكلامنا ما شاء الله !
 فيقول : « أقسمت ما يصلح كلامكم للثناء ، تصيكون مسامع المستدح بالخلد
 ومقى نخرجتم عن صفة جمل ثلثون له من طول العمل ، إلى صفة فرس أو كلب
 فلأنكم غير الراشدين ! « فيقول روبة : « إن الله ، سبحانه وتعالى ، قال :
 « ينالون فيها كآساً لا لغو فيها ولا تأثيم » وإن كلامك لمن اللغو !
 فإذا طالت المحاطبة بينه وبين روبة ، سمع العجّاج ، فتجاء يسأل المشاجزة^٦

المندي

فأما ما ذكره من قول أبي الطيب : « أذم إلى هذا الزمان أهليته » فقد كان
 الرجل مولعاً بالتصغير ، لا يفتح منه بخلسة المتغير ، كقوله :

من لي بفهم أهيل عَصِر يدعي أن يحسب الهندي فهم باقيل^٧

.....

١ خبرت : ظلت .

٢ الالغاء : العاطف .

٣ فضلت : رجعت .

٤ وكعاء : حمقاء .

٥ المشاجزة : المسألة .

٦ بال : رجل افترى طبعاً باحدا عشر درهماً فسل عن ثمنه لهن ثم حسابه بفتح كلفه واخراج لاله ،
 فالملت الطبي ، فصر ب به المثل في الي .

وقوله : « مقالي للأُحَمِّيق يا حلِيمُ »
 وقوله : « ولأم المصُونِيدِمُ عن لَيْلِنَا »
 وقوله : « ألي كلُّ يومٍ نَحْتُ ضَيْبِي شُوَيْعِرًا »
 وغير ذلك ممّا هو موجودٌ في ديوانه ، ولا ملامّة عليه ، إلّا ما هي عادة صارت
 كالطبع ، تُخْتَفَرُ مع المتحاسنين . وهذا البيت الذي أولّه : « أذمّ إلى هذا الزمان
 أحمّيلته » إلّا ما قاله في عليّ بنِ محمّد بنِ سيارٍ بالطلاقية قبل أن يمدح سيف الدولة .
 والشعراء مُطلق لهم ذلك ، لأن الآية شهّدت عليهم بالتخفّص وقول الأباطيل :
 « ألم ترّ أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون ؟ وأنّهم يقولون ما لا يفعلون ؟ »

بدیع الزمان الهمذاني

رسائله

فتح بهاضية

كتب هذه الرسالة إلى الوزير أبي العباس الاسفرائيني بعد أن فتح الأمير محمود بن سبكتكين بهاضية من بلاد الهند ، ويقال لها أيضاً بهاطية . قال ابن خلدون : هي مدينة حصينة عليها نطلق من الأسوار ، وآخر من الخنادق بعيدة المهوى . عبر إليها السلطان نهر جيحون وافتتحها ، ثم أصلح أمورها ، واستخلف عليها من يعلم أهلها قواعد الإسلام ؛ ولما رجع إلى غزنة لقي شدة من الأمطار في الوحل ، وزيادة المدد في الأنهار ، وغرق كثير من عسكره :

إِنَّ اللَّهَ ، وَهوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْمُعْطِي مَا شَاءَ ، مَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ ، بِهِدَا
اللسان ؛ خَلَقَ ابْنَ آدَمَ وَأَوْدَعَ فَكَّتِيهِ مُضْغَةً لَحْمٍ^١ يُصَرِّفُهَا فِي الْقُرُونِ
الْمَاضِيَةِ^٢ ، وَيُخَبِّرُ بِهَا عَنِ الْأُمَمِ الْآتِيَةِ ؛ يُخَبِّرُ بِهَا عَمَّا كَانَ بَعْدَ مَا
خُلِقَ^٣ ، وَعَمَّا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ^٤ . يَنْطِقُ بِالتَّوَارِيخِ عَمَّا وَقَعَ مِنْ
خَطْبٍ ، وَجَرَى مِنْ حَرْبٍ ، وَكَانَ مِنْ يَابِسٍ وَرَطْبٍ^٥ ؛ وَيَنْطِقُ بِالْوَحْيِ
عَمَّا سَيَكُونُ بَعْدُ^٦ ، وَصَدَقَ^٦ عَنْ اللَّهِ بِالْوَعْدِ . وَلَمْ يَنْطِقِ التَّارِيخُ بِمَا كَانَ ،

.....

- ١ مضغة لحم : يريد بها اللسان .
- ٢ يصرفها : يقال صرفه في الأمور : أي قلبه . والمراد : أنه يصرف لسانه في الكلام على القرون الماضية .
- ٣ خلق : الضمير يعود إلى عما كان .
- ٤ يخلق : الضمير يعود إلى عما يكون . والمراد بذلك نبوءات الأنبياء .
- ٥ من يابس ورطب : أي من شدة ورغاء .
- ٦ وصدق : أي وعما صدق .

ولا الوحي بما يكونُ بأنَّ الله تعالى خصَّ أحدًا من عبادِهِ ، ليسَ النَّبِيِّينَ^٢ ،
بما خصَّ بِهِ الأميرَ السَّيِّدَ ، يَمِينُ الدَّوْلَةِ ، وأَمِينَ المِلَّةِ^٣ . ودونَ الجاحِدِ ،
إِنَّ جَعْدَهُ ، أخبارُ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ ، والمُدَّةُ المَرْوَانِيَّةُ^٤ ، والسَّنِينَ^٥
الحَرَبِيَّةِ^٦ ، والبَيْعَةُ الهاشِمِيَّةُ^٧ ، والأَيَّامُ الأُمَوِيَّةُ^٨ ، والإِمَارَةُ العَدَوِيَّةُ^٩ ،
والخِلَافَةُ التَّيْمِيَّةُ^{١٠} ، وعَهْدُ الرِّسَالَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَزَمَانُ الفَتْرَةِ^{١١} . ولَوْلَا
الإِطَالَةُ ، لَعَدَدْنَا إِلَى عادٍ وثَمُودَ^{١٢} بَطْنًا بَطْنًا ، وَلَى نُوحٍ وَأَدَمَ قَرْنًا قَرْنًا ،
ثُمَّ لَمْ يَجِدْ قَائِلٌ مَقَالًا^{١٣} أَنْ مَلِكًا ، وَإِنْ عَلَا أَمْرُهُ ، وَعَظُمَ قَدْرُهُ ، وَكَبُرَ
سُلْطَانُهُ ، وَهَبَّتْ رِيحُهُ^{١٤} ، طَرَقَ الهِنْدُ^{١٥} ، فَاسْرَ طَاغِيَتَهَا بِسَطَةِ مُلْكٍ^{١٦} ،

- ١ بأن الله : بيان تفصيلي على التنازع من بما كان ربما يكون .
- ٢ ليس النبيين : أي إلا النبيين ، استثناء .
- ٣ الملة : الديانة .
- ٤ دون الجاحد : أي أمامه ، والظرف متعلق بخبر مقدم . وأراد بالجاحد من ينكر عليه زعمه بأن الله خص الأمير بفعل لم يخص به أحدًا من عباده إلا الأنبياء .
- ٥ إن جعد : أي إن جعد قولنا .
- ٦ أخبار : مبتدأ مؤخر .
- ٧ المدة المروانية : أي مدة الخلافة الأموية من مروان بن الحكم إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم .
- ٨ السنين الحربية : أي مدة الخلافة الأموية من معاوية بن أبي سفيان بن حرب ، إلى حفيده معاوية بن يزيد ، ثم انقلبت الخلافة إلى مروان بن الحكم .
- ٩ البيعة الهاشمية : بيعة علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .
- ١٠ الأيام الأموية : أي أيام عثمان بن عفان الأموي .
- ١١ الإمارة العدوية : أي إمارة عمر بن الخطاب ، منسوبة إلى عدي أحد أجداده .
- ١٢ الخلافة التيمية : أي خلافة أبي بكر منسوبة إلى تيم أحد أجداده .
- ١٣ زمان الفترة : أي العصر الجاهلي قبل بعثة محمد .
- ١٤ عاد وثمود : من العرب البائدة .
- ١٥ أي لم يجد في أخبار الدول التي ذكرناها أن ملكًا .
- ١٦ هبت ريحه : أي انتشر ذكره .
- ١٧ طرق الهند : أي غزاها .
- ١٨ بسطة ملك : أي سمة ملك ، وبسطة منصوبة على المصدرية ، أي أسر طاغيها أسر بسطة ملك .

ثُمَّ خَلَّاهُ ؛ وَعَرَّضَ الْأَرْضَ ١ قُوَّةَ قَلْبِ ٢ ؛ وَصَبَّحَ سَجِسْتَانَ ٣ ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ الْعَذْرَاءُ ٤ ، وَالْخَطَّةُ ٥ الْعَوْرَاءُ ٦ ، وَالطَّيَّةُ ٧ الْغَرَاءُ ٨ ؛ فَأَخَذَ مَلِكُهَا لِخُدَّةٍ عَزِيزٍ وَعُتْفٍ ؛ ثُمَّ خَلَّاهُ تَخْلِيَةً فَضْلًا وَلُطْفًا . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَاضَ الْبَحْرَ إِلَى بَهَاظِيَّةٍ ٩ ؛ وَالسَّيْلِ وَاللَّيْلِ جُنُودُهَا ١٠ ، وَالشُّوكَ وَالشَّجَرُ سِلَاحُهَا ١١ ، وَالضُّحُ ١٢ وَالرَّيْحُ طَرِيقُهَا ، وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ ١٣ حِصَارُهَا ، وَالْجَنِّ ١٤ وَالْإِنْسُ أَنْصَارُهَا ؛ فَقَتَلَ رِجَالَهَا ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهَا ، وَسَاقَ أَقْيَالَهَا ١٥ ، وَكَسَّرَ أَصْنَامَهَا ، وَهَدَمَ أَعْلَامَهَا ١٦ ؛ كُلَّ ذَلِكَ فِي فَسْحَةٍ شَتَوَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَتَطَرَّقَهَا ١٧ الصَّيْفُ ، تَوَسَّطَهَا السَّيْفُ . وَهُوَ اللَّهُ يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ .

ثُمَّ حَكَمَتِ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ ، وَاتَّفَقَ قَوْلُ الْأَئِمَّةِ أَنْ سَيْفَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ ، وَسَائِرُهَا ١٨ لِلنَّارِ : سَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْمُشْرِكِينَ ١٩ ، وَسَيْفُ أَبِي بَكْرٍ

- ١ عرض الأرض : أي أمرها على بصره ، كما يعرض الجند ، ليختبرها وينظر حالها .
- ٢ قوة قلب : أي عرض قوة قلب ، فقوة منصوبة على المصدورية .
- ٣ سجستان : ولاية واسعة من بلاد الفرس وهي جنوبي هراة ، وأرضها كلها رملة حارة سبخة ، والرياح فيها لا تسكن أبدًا ، ولا تزال شديدة .
- ٤ المدينة العذراء : أي التي لم يدخل إليها فاتح .
- ٥ الخطَّة : الأرض التي لم ينزلها فازل .
- ٦ العوراء : الفريدة ليس لها أخت ، أو التي لا ماء فيها .
- ٧ الطية : الجهة التي يطوي قاصدها البلاد من أجلها . الغراء : الشديدة الحر ، والنفسية .
- ٨ أي كثيرة الأمطار والغيوم في الشتاء .
- ٩ أي تدفع عنها الغزاة غابة من الشجر والشوك .
- ١٠ الضح : ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض ، فاشتدت الحرارة .
- ١١ البر والبحر : يريد بذلك أسوارها الحصينة ، وخندق الماء المحيط بها وما يتقدم ذلك من صعوبة مسالكها في قفارها وجبالها وأنهارها .
- ١٢ الجن : يبالغ في مناعتها فيجعل الجن يشتركون مع الإنس في الدفاع عنها .
- ١٣ الأقيال : الملوك . والمراد هنا ساداتها وأشرافها .
- ١٤ الأعلام : الجبال . والمراد هنا أسوارها وحصونها .
- ١٥ يتطرقها : يأتيها ، والضمير لبهاضية .
- ١٦ سائرها : أي بقية السيف .
- ١٧ المشركين : الذين يجعلون لله شريكًا ، والمراد بهم مشركو قريش الذين حاربوا النبي وكانوا يعبدون الأصنام .

في المرتدين^١ ، وسيف عليّ في الباغيين^٢ ، وسيف القصاص بين المسلمين^٣ .
 وسيف الأمير ، وفقه الله في مواقفه ، لا تخرج عن هذه الأقسام :
 سيفه بظاهر هراة^٤ فيمن عطل الحد^٥ ، واتهم بأنه ارتد^٦ ؛ وسيفه
 بظاهر غزنة^٧ سدّ في وجه العقوق^٨ ، نوعاً من الكفر والفسوق^٩ ؛ وسيفه
 بظاهر مرو^{١٠} فيمن نقض العهد^{١١} ، بعد تغليظه^{١٢} ، ونبتد اليمن بعد
 تأكيده^{١٣} ؛ وسيفه بظاهر سجستان فيمن نبت الحرب^{١٤} ، بعد رقوطها ،
 وخلع الطاعة ، بعد قبولها ؛ وسيفه ، الآن ، في ديار الهند ، سيف قرنت
 به الفتوح ، وأثبت عليه الملائكة والروح^{١٥} ، وذلت به الأصنام ، وعزّ
 به الإسلام ، والتبى عليه السلام ، واختص بفضل الإمام^{١٦} ، واشترك في
 خيره الأنام ، وأرخت بذكره الأيتام^{١٧} ، وأحفيت^{١٨} بشرحه الأفلام .
 وسندكر من حديث الهند وبلادها ، وغلظ أكبادها^{١٩} ، وشدة

- ١ المرتدين : العرب الذين ارتدوا عن الإسلام بعد موت النبي ، فحاربهم أبو بكر .
- ٢ الباغيين : يريد بهم الذين بغوا على علي في خلافته وحاربوه .
- ٣ القصاص : القود ، أي إقامة الحد لمعاقبة الجناة من المسلمين ، كحد السرقة ، وحد القتل عمداً .
- ٤ الظاهر : المكان المشرف من الأرض .
- ٥ هراة : بلد في خراسان .
- ٦ عطل الحد : أي أبطل إقامة الحدود الشرعية في معاقبة الجناة .
- ٧ غزنة : مدينة بالأفغان ، وكانت عاصمة الدولة الغزنوية ، وأعظم سلاطينها فاتح بهاضية .
- ٨ العقوق : أي الخروج عن الطاعة .
- ٩ الفسوق : الخروج عن طريق الحق في الدين .
- ١٠ مرو : بلد بخراسان .
- ١١ تغليظه : توثيقه .
- ١٢ تأكيده : التمسير يعود إلى اليمن وهي مؤلفة ، فالظاهر أنه أخذها نظير الحلف ، وهو مذكر ،
 أو أن التمسير عائد لناخذ اليمن ، وضمير اليمن محذوف تقديره : تأكيده إياها ، أو تأكيده لها .
- ١٣ الروح : أي جبريل .
- ١٤ الإمام : المراد به الأمير فاتح بهاضية .
- ١٥ أي صار تاريخ الأيام يحسب من فتح بهاضية .
- ١٦ أحليت : أي برت .
- ١٧ أي قسوتها وشدها .

أحقادها ، وقوة اعتقادها ، وصديق جلالها ، وكثرة أجنادها ، نبداً ،
 ليعلم السامع أي غزوة غزاها الأمير السيد : إنها بلاد ، لو لم تُحييها
 السحاب بدرها ، لأهلكتها الشمس بحرّها . فهي دولة بين الماء والنار ،
 وتوبة بين الشمس والأمطار ، تقدّمها صعب الجبال ، وتحجبها رحاب
 القفار ، ويعصمها ملتف الغياض ، وتحفها طواغي الأنهار ، حتى إذا خربت
 هذه الحجب ، خلص إلى عدد الرمل والحصى رجالاً ، وشبه الجبال
 أفيالاً ، وأنزاع المخاض جلاداً ، ومسناف الجبال طعاناً ، وأركان الجبال
 ثباتاً ، ثم لا يعرفون غدراً ولا بيتاً ، ولا يخافون موتاً ولا حياة ، ولا
 يبالون على أي جنبه وقع الأمر ، ويتأمنون وتحتهم الجمر . وربما عمّد
 أحدهم لغير ضرورة داعية ، ولا حمية باعثة ، فاتخذ لرأسه من الطين
 مكليلاً ، ثم قورق حقه ، فحشاه فتيلاً ، ثم أضرم في الفتيل ناراً ولم يتأوه ،
 والنار تحطيمه عضواً فعضواً ، وتأكله جزءاً فجزءاً . فأما مُحرق نفسه
 ومغرّقها ، وآكل لحمه ، ومفصل عظامه ، والرامي بها^{١٢} من شايق ،

١ جلادها : أي قتالها .

٢ نبداً ، جمع لبدة : القطعة والثيء اليسير من الكلام ، وهي مفعول به من وسندكر .

٣ بدرها : أي بمرطها .

٤ توبة : دولة .

٥ تقدمها : أي تتقدمها .

٦ النياض : جمع غيضة وهي مجتمع الأشجار .

٧ الأنزاع : جمع نزع وهو الجذب والقطع . المخاض : طلق المرأة الحامل . يقول : إن ضرهم
 بالسيوف موجب كآله نزع المخاض .

٨ المسناف : الجمل الذي لا يثبت الرجل على ظهره ، فلما يقدمه ، ولما يؤخره ، فيجعل له سنaf
 أي جبل يشد به الرجل ويحكم ويثبت ، ومن ذلك قالوا أسنفوا أمرهم : أي أحكموه . وقوله
 ومسناف الجبال طعاناً : أي أنه طعن محكم مسدد لا يختلف ولا يخل كالحكام السناف للرجل .

٩ البيات : الإيقاع بالمدد ليلاً على غفلة منه .

١٠ القحف : العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة .

١١ مفصل : مقطع .

١٢ الرامي بها : أي بنفسه .

فَاكْثَرُ مِنْ أَنْ يُعَدَّ . وَأَقْلَهُهُمْ مَنْ يَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِهِ ؛ فَلِذَا مَاتَ هَذِهِ الْمِيقَةَ أَحَدُهُمْ ، سَبَّ بِهَا أَعْقَابَهُ ، وَعَظَّمْ عِنْدَهُمْ عِقَابُهُ .
 بِلَادُ هَذِهِ حَالُهَا ، وَفَيْكَلَةُ تِلْكَ أَهْوَالُهَا ، وَجِبَالُ فِي السَّمَاءِ قِلَالُهَا ،
 وَفَلَاةٌ يَلْمَعُ آلُهَا ، وَغِيَاضٌ ضَيِّقٌ مَجَالُهَا ، وَأَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ أَوْحَالُهَا ، وَطَرِيقٌ
 طَوِيلٌ مَطَالُهَا ؛ ثُمَّ الْهِنْدُ وَرِجَالُهَا ، وَالْهِنْدُ وَأَنْبِيَاءُهَا ، وَاسْتِعْمَالُهَا ؛ زَحَمَ
 الْأَمِيرُ السَّيِّدُ ، أَدَامَ اللَّهُ ظِلَّهُ ، هَذِهِ الْأَهْوَالُ بِمَنْكِبِهِ ، مُحْتَسِبًا نَفْسَهُ ،
 مُعْتَمِدًا نَصَرَ اللَّهِ وَعَوْنَهُ ؛ فَرَكِضَ إِلَيْهِمْ بَعُونَ مِنَ اللَّهِ لَا يَخْذُلُ ،
 وَمَتَدِّدٍ مِنَ التَّوْفِيقِ لَا يَفْتُرُ ، وَقَلْبٍ مِنَ الْأَهْوَالِ لَا يَجْبُنُ ، وَحَتَّى عَلَى
 الْمَطْلُوبِ لَا يَقْصُرُ ، وَسَيْفٍ عَلَى الضَّرْبِ لَا يَنْكُلُ ؛ فَسَهَّلَ اللَّهُ لَهُ الصَّعْبَ ،
 وَكَشَفَ بِهِ الْخُطْبَ ، وَرَجَعَ ثَانِيًا مِنْ عَيْنَانِهِ ، بِالْأَسَارِ تَنْظِيمُهُمُ الْأَغْلَالُ ،
 وَالسَّبَا تَنْقُلُهُمُ الْجِمَالُ ، وَالْفَيْكَلَةُ كَانَتْهَا الْجِبَالُ ، وَالْأَمْوَالُ وَلَا الرَّمَالُ .
 فَتَشَعُّ ذَخَرَهُ اللَّهُ عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفَةِ الْخَالِيَةِ ، الْكَفَرَةِ الطَّاغِيَةِ ، الْجَبَابِرَةِ
 الْعَاتِيَةِ ؛ حَتَّى وَسَمَهُ بَنَارِهِ ، وَجَعَلَهُ بَعْضَ آثَارِهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُعِزِّ
 الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، وَمُذِلِّ الشُّرْكِ وَحِزْبِهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

١ قلنا : أعاليها ، مفردنا قلة .

٢ آله : أي السراب الذي يشرف على الناظر في المفاول ، ويلعب كلامه من شدة الحر .

٣ مطاها : أي ماططها للسافر فيها لما هي عليه من الطول .

٤ الهندوانية : السيوف المطبوعة في الهند .

٥ محتسبا نفسه : أي مخاطرا بها لوجه الله طالبا الأجر والثواب .

٦ الضربية : الضرب . لا ينكل : لا يهجن ، والمراد : لا ينكل .

٧ ثانيا : اسم فاعل من فئ ، أي رد الشيء بنفسه على بعض .

٨ ولا الرمال : أي ولا الرمال مثلها .

٩ ذخره الله عن الملوك : أي حبسه عنهم . الخالية : الماضية .

١٠ نومه : عليه . يقول : لأن الله وسم هذا الفتح بفار الأمير ، أي كواه بها ، وجعل له علامة يعرفون

بها أنه مختص بهذا الأمير ، كما توهم الإبل والخيول بسمات أصعاجها تعرف بها .

مقاماته

المقامة الجاحظية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : أَثَارَتْنِي ^١ وَرِفْقَةً وَلِيْمَةً ؛ فَأَجَبْتُ إِلَيْهَا
لِلْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ ^٢
لَأَجَبْتُ ؛ وَلَوْ أَهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ ^٣ لَقَبِلْتُ ؛ فَأَفْضَى بِنَا السَّيْرُ إِلَى دَارٍ
تُرِكَتْ وَالْحُسْنُ تَأْخُذُهُ ^٤ ، تَنْتَقِي مِنْهُ ^٥ وَتَنْتَخِبُ
فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ ^٦ ، وَاسْتَزَادَتْ بَعْضَ مَا تَهَبُّ ^٧

قَدْ فُرِشَ بِسَاطِطِهَا ، وَبُسِطَتْ أَنْمَاطُهَا ^٨ ، وَمُدَّ سِمَاطُهَا ^٩ ؛ وَقُومٌ ^{١٠}
قَدْ أَخَذُوا الْوَقْتَ بَيْنَ آسٍ ^{١١} مَخْضُودٍ ^{١٢} ، وَوَرْدٍ مَنضُودٍ ^{١٣} ، وَدَنٍّ مَقْصُودٍ ^{١٤} ،
وَنَائٍ ^{١٥} وَعُودٍ . فَصِيرْنَا إِلَيْهِمْ ، وَصَارُوا إِلَيْنَا .

.....

- ١ أَثَارَتْنِي : أَيِ أَنْهَضَتْنِي مِنْ مَكَانِي .
- ٢ الْكُرَاعُ : مَا اسْتَدَقَ مِنْ سَاقِ الْبَقَرِ وَالنَّمِ ، يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ .
- ٣ الذِّرَاعُ : فَوْقَ الْكُرَاعِ مِنْ أَيْدِي الْبَقَرِ وَالنَّمِ
- ٤ الطَّرَائِفُ : جَمِيعُ الطَّرِيفَةِ وَهِيَ الشَّيْءُ الْمُسْتَحْدَثُ الْمَعْجَبُ ؛ وَقَوْلُهُ وَاسْتَزَادَتْ بَعْضَ مَا تَهَبُّ : أَيِ طَلَبَتْ الْمَزِيدَ عَلَى مَا انْتَقَتْ مِنْ طَرَائِفِ الْحُسْنِ ، وَهُوَ بَعْضُ مَا تَهَبُّ غَيْرَهَا مِنْ مَحَاسِنِهَا ، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا تَشِيعُ مَحَاسِنَهَا عَلَى مَا جَاوَرَهَا مِنَ الدُّورِ .
- ٥ الْأَنْمَاطُ : جَمِيعُ نَمَطٍ وَهُوَ غَطَاءُ الْفَرَاشِ وَظَهَارَتُهُ ، أَوْ ضَرْبٌ مِنَ الْبَسَطِ .
- ٦ السَّاطُ : مَا يُمَدُّ عَلَيْهِ الطَّعَامُ ، كَالْخُلُوفِ وَمَا أَشَبَّهُ .
- ٧ وَقُومٌ : عَطَفَ عَلَى دَارٍ .
- ٨ الْآسُ : شَجَرٌ وَرَقُهُ عَطَرٌ ، وَيَعْرِفُ عِنْدَ الْعَامَةِ بِالرَّيْحَانِ ، وَثَمَرُهُ بِالْحَنْبَلِاسِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ لِحَبِ الْآسِ ، الْوَاحِدَةُ آسَةٌ .
- ٩ الْمَخْضُودُ : مَنْ خَضَعَ الْعُودَ كَسَرَهُ أَوْ ثَنَاهُ مِنْ غَيْرِ كَسَرٍ .
- ١٠ مَنضُودٌ : وَضَعَ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ .
- ١١ الدَّنُّ : وَعَاءُ الْخَمْرِ . الْمَقْصُودُ : أَيِ بَزَلِ فَسَالَتْ خَمْرَتُهُ .
- ١٢ النَّائِي : آتَةٌ مِنْ آلَاتِ الطَّرَبِ يَنْفَخُ فِيهَا .

ثُمَّ عَكَفْنَا عَلَى خِيَّانٍ قَدْ مَلِئَتْ حَيَاضُهُ^١، وَتَوَرَّتْ رِيَاضُهُ^٢، وَاصْطَقَّتْ جِفَانُهُ^٣، وَاجْتَلَفَتْ أَلْوَانُهُ^٤ : فَمِنْ حَالِكَ بِلَازَائِهِ نَاصِيعٌ^٥، وَمِنْ قَانٍ تِلْقَاءَهُ^٦ فَاقِيعٌ^٧. وَمَعَنَا عَلَى الطَّعَامِ رَجُلٌ تَسَافَرُ يَدُهُ^٨ عَلَى الْخِيَّانِ^٩، وَتَسْفِرُ بَيْنَ الْأَلْوَانِ^{١٠}، وَتَأْخُذُ وَجْهَهُ الرِّغْفَانُ^{١١}، وَتَفْقَأُ عَيُونََ الْجِفَانِ^{١٢}، وَتَرَعَى أَرْضَ الْجَيْرَانِ^{١٣}. وَتَجُولُ فِي الْقَصْعَةِ^{١٤}، كَالرُّخِّ فِي الرُّقْعَةِ^{١٥}. يَزْحَمُ بِاللَّقْمَةِ اللَّقْمَةُ^{١٦}، وَيَهْزِمُ بِالْمُضْغَةِ الْمُضْغَةُ^{١٧}؛ وَهُوَ، مَعَ ذَلِكَ، سَاكِتٌ لَا يَتَبَيَّنُ بِحَرْفٍ؛ وَنَحْنُ، فِي الْحَدِيثِ، نَجْرِي مَعَهُ، حَتَّى وَقَفَ بِنَا عَلَى ذِكْرِ الْجَاخِظِ وَخَطَابَتِهِ^{١٨}، وَوَصَفِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ وَذِرَابَتِهِ^{١٩}. وَوَافَقَ أَوَّلُ الْحَدِيثِ آخِرَ الْخِيَّانِ^{٢٠}، وَزُلْنَا عَنْ ذَلِكَ الْمَسْكَانِ^{٢١}.

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ الْحَدِيثِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ؟ فَأَخَذْنَا فِي وَصْفِ الْجَاخِظِ وَلَسْنَتِهِ^{٢٢}، وَحُسْنِ سَنَّتِهِ^{٢٣} فِي الْفَصَاحَةِ، وَسُنَّتِهِ^{٢٤}، فِيمَا عَرَفْنَاهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمُ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ^{٢٥}، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ^{٢٦}، وَلِكُلِّ دَارٍ سَكَانٌ^{٢٧}.

.....

- ١ الحياض : مستعمرة للجفان والقصاع .
- ٢ لورت : أزهت ؛ وقوله نورت رياضه : أي زهت ألوان طعامه .
- ٣ الجفان : جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة .
- ٤ القاني : الأحمر .
- ٥ تلقاءه : حذاه ومقابله ، الفاقع : الأصفر .
- ٦ تسفر بين الألوان : أي تصلح بين ألوان الطعام ، فتزيل الاختلاف بضم بعضها إلى بعض .
- ٧ الرغفان : جمع الرغيف ؛ وتأخذ وجوه الرغفان : أي يتناول الجهة الفضل منها .
- ٨ تفقأ عيون الجفان : أي يسرع قبل غيره إلى الجفنة فيأخذ أطايبها .
- ٩ ترعى أرض الجيران : أي يمتد على حقوق جيرانه ، فيتناول من القصاع التي هي أمامهم .
- ١٠ الرخ : من حجارة الشطرنج ، يذهب ويجيء في النواحي الأربع من الرقعة التي تصف عليها الحجارة .
- ١١ ذرابته : حدة لسانه ؛ يقال : رجل حديد اللسان وذرب اللسان .
- ١٢ أي قمنا عن الطعام .
- ١٣ السنن : الفصاحة .
- ١٤ السنن : المنهج والسبيل .
- ١٥ السنن : جمع السنة وهي السيرة والطبيعة .
- ١٦ يريد بذلك كله أنهم ليسوا من أهل هذا البحث ليخوضوا فيه ، فلكل عمل رجال ، ولكل دار سكان .

ولكل زمان جاحظ^١ . ولو انتقدتم^٢ ، لبطل ما اعتقدتم^٣ . فكل^٤ كثر له^٥ عن ناب الإنكار ، وأثم^٦ بأنف الإكبار^٧ . وضحيكت له^٨ لأجلب ما عنده^٩ وقلت : أيدنا ، وزدنا ، فقال : إن الجاحظ في أحد شقي البلاغة^{١٠} يقطف^{١١} ، وفي الآخر يقف^{١٢} . والبلغ من لم يقصر نظمه عن نثره^{١٣} ، ولم يزر كلامه بشعره^{١٤} . فهل تروون للجاحظ شعراً رائعاً ؟ قلنا : لا . قال : فهلّموا إلى كلامه ، فهو بعيد الإشارات^{١٥} ، قليل الاستعارات ، قريب العبارات ، متفاد لغزبان الكلام^{١٦} يستعمله^{١٧} ، نقور^{١٨} من معتاصه^{١٩} بهمله^{٢٠} ؛ فهل سمعتم له لقطعة مصنوعة^{٢١} ، أو كلمة غير مسموعة^{٢٢} ؟ قلنا : لا . قال : فهل تحب أن تسمع من الكلام ما يخفف عن منكبيك^{٢٣} ، وينم على ما في يدك^{٢٤} ؟ فقلت : إي والله^{٢٥} ! قال : فأطلق لي عن خنصرلك^{٢٦} ، بما يعين على شكرك^{٢٧} . فنلته^{٢٨} ردائي^{٢٩} . فقال :

- ١ ولو انتقدتم : أي لو كان لكم علم بالنقد .
- ٢ أي رفع أنه استنكاراً واستظماً لقول هذا الرجل الذي استهان الجاحظ .
- ٣ شقي البلاغة : أي الشعر والنثر .
- ٤ يقطف : يسير مسرعاً .
- ٥ ولم يزر كلامه بشعره : أي ولم يحقر نثره شعره .
- ٦ بعيد الإشارات : أي أن إشاراته لا تؤدي المعنى الذي تلوح إليه أو أن الإشارات بعيدة عن نثره لا يستطيع الإتيان بها ، ولعل هذا هو المقصود هنا ، لأن الجاحظ لم يكن يضي مثل هذه الأنواع من المحسنات البيانية . والإشارة للحة دالة وتلويح يعرف معناه البعيد من ظاهر لفظه كقول الشاعر :
جعلنا السيف ، بين الخد منه ، وبين سواد لته ، عذاراً
فأشار إلى هيئة الضربة دون ذكرها ، والمراد أنهم ضربوا عنقه .
- ٧ حريان الكلام : أي كلام واضح لا يكتسي أثواب المجاز والتشبيه والبديع ، وهكذا كان إنشاء الجاحظ ، فبديع الزمان يهاجم في هذه المقامة الأسلوب المطبوع الذي عرف به الجاحظ ، ليرفع من شأن أسلوبه المنطق المصنوع .
- ٨ المنعص من الكلام : الذي اشد وصعب استخراج معناه .
- ٩ المنكب : مجتمع رأس الكتف والمعصد ؛ وقوله يخفف عن منكبيك : أي يجعله يتخلل عليه وداه .
- ١٠ ينم : أي يكشف ويديع . حل ما في يدك : أي من مال .
- ١١ إي : حرف جواب بمعنى نعم ، ولا تقع إلا قبل القسم .
- ١٢ نلته : أحطيته ؛ والفعل ناله ينوله نوالاً .

لَعَمْرُ الَّذِي أَلْقَى عَلَيَّ ثِيَابَهُ ، لَقَدْ حُشِيتُ تِلْكَ الثِّيَابُ بِهِ ، مَسْجِدًا
فَتَسَّى قَمَرَتَهُ الْمَكْرُمَاتُ رِداءَهُ ، وَمَا ضَرَبْتُ قِدْحًا وَلَا نَصَبْتُ نَرْدَا
أَعِيدُ نَظْرًا ، يَا مَنْ حَبَانِي ثِيَابَهُ ، وَلَا تَدْعُ الْأَيَّامَ تَهْدِمُنِي هَذَا
وَقُلْ لِلأَوَّلَى ، إِنْ أَسْفَرُوا ، أَسْفَرُوا ضُحَى ، وَإِنْ طَلَعُوا فِي غُمَّةٍ ، طَلَعُوا سَعْدًا ٣
صَلُّوا رَحِمَ الْعَلِيَا ، وَبُلُّوا لَهَاتَهَا ، فَخَيْرُ النَّدَى مَا سَحَّ وَابِلُهُ نَقْدًا ٤

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَارْتاحَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَيْهِ ، وَانْثَلَتِ الصَّلَاتُ عَلَيْهِ
وَقُلْتُ ، لَمَّا تَأَنَسْنَا : مِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هَذَا الْبَدْرِ ؟ فَقَالَ :

إِسْكَندَرِيَّةُ دَارِي ، لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لَكِنَّ لَيْلِي بِنَجْدٍ ، وَبِالْحِجَازِ نَهَارِي ٥

المقامة المصيرية ٦

مَعَدَّتْنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِالْبَصْرَةِ ، وَمَعِيَ أَبُو الْفَتْحِ
الإِسْكَندَرِيُّ ، رَجُلٌ الْقَصَاحَةُ يَدْعُوهَا فَتُجِيئُهُ ، وَالبَّلَاحَةُ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ .

.....

- ١ قمرته : غليته في المقامرة وأخذت ماله . القدح : السهم الذي يقامر عليه : النرد : لعبة الزهر المعروفة عند العامة بالطاولة .
- ٢ حبانِي : أعطاني .
- ٣ للأولى : للذين ؛ تكتب الواو ولا تلفظ ، والمراد بهم أهل المجلس . أسفروا : كشفوا عن وجوههم . أسفروا ضحى : أي أشرقت وجوههم مثل الضحى . الغمة : الكربة والظلمة . طلعوا سعدًا : أي طلعوا بنجوم السعد ، وهي عندهم عشرة كواكب .
- ٤ اللهم : أي الخلق . سح وابله : سال مطره . يقول : أصبحت العلياء لقلة الكرام عطشى إليهم مقطوعة عنهم ، فاربطوا صلتكم بها أيها الكرام ، وبردوا عطشها بنداكم .
- ٥ انثالت : انهالت . الصلوات : العطايا ، واحتشها صلة .
- ٦ اسكندرية : ثغر من ثغور الأندلس ، وإليها نسب البديع بطله أبا الفتح الاسكندري .
- ٧ المعنى : أنه لا يستقر في مكان .
- ٨ المصيرية : نسبة إلى المصيرة ، وهي لحم يطبخ بالبن المضير ، أي الحامض .

وحَضَرنا معه دَعْوَة بَعْضِ التَّجَارِ ، فَقَدِمَتْ إِلَيْنَا مَضِيرَة^١ تُثْنِي عَلَى الْحَضَارَة^٢
وَتَتَرَجَّرُ فِي الْغَضَارَة^٣ ، وَتُؤَذِّنُ بِالسَّلَامَة^٤ ، وَتَشْهَدُ لِمُعَاوِيَة^٥ ، رَحِمَهُ
اللَّهُ ، بِالْإِمَامَة^٦ ، فِي قِصْعَة يَزِلُ عَنْهَا الطَّرْفُ^٧ ، وَيَمْوُجُ فِيهَا الطَّرْفُ^٨ .
فَلَمَّا أَخَذَتْ مِنَ الْخَوَانِ مَكَانَهَا ، وَمِنْ الْقُلُوبِ أوطَانَهَا ، قَامَ أَبُو الْفَتْحِ
الْإِسْكَندَرِيُّ يَلْعَنُهَا وَصَاحِبَهَا ، وَيَمَقُّتُهَا وَآكِلَهَا ، وَيَتْلُبُهَا^٩ وَطَائِفَهَا .
وَضَنَنَاهُ يَمْزَحُ ، إِذَا الْأَمْرُ بِالضَّدِّ ، وَإِذَا الْمُزَاحُ عَيْنُ الْجِدِّ . وَتَنْحَى عَنْ
الْخَوَانِ ، وَتَرْكُ مُسَاعَدَةِ الْإِخْوَانِ . وَرَفَعْنَاهَا ، فَارْتَفَعَتْ مَعَهَا الْقُلُوبُ ،
وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا الْعُيُونُ ، وَتَحَلَّبَتْ لَهَا الْأَفْوَاهُ ، وَتَلَمَّظَتْ^{١٠} لَهَا الشِّفَاهُ ،
وَاتَّقَدَتْ لَهَا الْأَكْبَادُ ، وَمَضَى فِي لِثَرِهَا الْفُؤَادُ . وَلَكِنَّا سَاعَدْنَاهُ عَلَى هَجْرِهَا ،
وَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِهَا ، فَقَالَ : قِصَّتِي مَعَهَا أَطْوَلُ مِنْ مُصِيبَتِي فِيهَا ؛ وَلَوْ
حَدَّثْتُكُمْ بِهَا ، لَمْ آمَنْ الْمَقْتُ^{١١} ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ . قُلْنَا : هَاتِ . قَالَ :

دَعَانِي بَعْضُ التَّجَارِ إِلَى مَضِيرَة ، وَأَنَا بَبْغَادَ^{١٢} ، وَلَزِمَنِي مُلَازِمَة الْغَرِيمِ^{١٣} ،
وَالْكَلْبُ لِأَصْحَابِ الرَّقِيمِ^{١٤} ، إِلَى أَنْ أَجَبْتُهُ^{١٥} إِلَيْهَا ، وَقُمْنَا . فَجَعَلَنِي طُولُ
الطَّرِيقِ ، يُثْنِي عَلَى زَوْجَتِهِ ، وَيُقَدِّمُهَا بِمُهْجَتِهِ ، وَيَصِفُ حِدَقَهَا فِي

- ١ ثْنِي عَلَى الْحَضَارَة : أَي لَأَن أَهْلَ الْحَضَرِ أَهْمَرُ فِي طَبْخِهَا مِنَ الْبَدْوِ .
٢ تَرَجَّرَ : تَمَوَّجَ وَتَتَحَرَّكَ . الْغَضَارَة : الْقِصْعَة .
٣ تُؤَذِّنُ بِالسَّلَامَة : أَي تَبْشُرُ بِأَكْلِهَا بِالسَّلَامَة .
٤ يَقُولُ : لَوْ دَعَا مُعَاوِيَة النَّاسَ الْمُخَالَفِينَ لَهُ إِلَى أَكْلِهَا ، لَاشْتَرَاهُمْ بِهَا وَشَهِدُوا لَهُ بِحَقِّهِ
فِي الْخِلَافَةِ .
٥ يَزِلُ عَنْهَا الطَّرْفُ : أَي يَزِلُّ عَنْهَا النَّظَرُ ، لَا يَسْتَطِيعُ ثَبَاتًا وَهُوَ يَرْنُو إِلَيْهَا ، لِشَدَّةِ لِمَاعِهَا .
٦ الطَّرْفُ : حَسَنُ اللَّسَانِ وَالْبَيَانِ ؛ وَيَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى حَسَنِ الْوَجْهِ وَالْهَيْئَةِ .
٧ يَتْلُبُهَا : يَمِيقُهَا .
٨ تَلَمَّظَ : أَخْرَجَ لِسَانَهُ وَمَسَحَ بِهِ شَفَتَيْهِ .
٩ لَمْ آمَنْ الْمَقْتُ : أَي لَمْ آمَنْ أَنَّ تَكَرُّهَوْنِي مِنْ أَجْلِ طَوْلِ خَبَرِهَا .
١٠ بَبْغَادَ : لَفَّةٌ فِي بَبْغَادَ .
١١ الْغَرِيمُ : مَنْ لَهُ دَيْنٌ عِنْدَ الْآخَرِ ، يُلَازِمُهُ وَيَطَالِبُهُ بِهِ .
١٢ أَصْحَابُ الرَّقِيمِ : أَهْلُ الْكَهْفِ ، وَكَانَ مَعَهُمْ كَلْبٌ لَمْ يَفَارِقَهُمْ .

صَنَعَتِهَا ، وَتَأْتَقَهَا فِي طَبْخِهَا ، وَيَقُولُ : يَا مَوْلَايَ ، لَوْ رَأَيْتَهَا ، وَالْخِرْقَةَ فِي وَسْطِهَا ، وَهِيَ تَدُورُ فِي الدُّورِ ، مِنَ التَّنُورِ إِلَى الْقُدُورِ ، وَمِنْ الْقُدُورِ إِلَى التَّنُورِ ؛ تَنْفُثُ فِيهَا النَّارَ ، وَتَدُقُّ بِيَدَيْهَا الْأَبْرَارَ . وَلَوْ رَأَيْتَ الدِّخَانَ وَقَدْ غَبَرَ فِي ذَلِكَ الْوَجْهَ الْحَمِيلِ ، وَأَثَرَ فِي ذَلِكَ الْخَدَّ الصَّقِيلِ ، لَرَأَيْتَ مَنْظَرًا تَحَارُ فِيهِ الْعُيُونُ ١ وَأَنَا أَعْشَقُهَا ، لِأَنِّهَا تَعْشَقُنِي ؛ وَمِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُرْزَقَ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ حَلِيلَتِهِ ، وَأَنْ يُسَعَّدَ بَطْنَتَهُ ٢ ؛ وَلَا سَيْمًا إِذَا كَانَتْ مِنْ طِينَتِهِ ؛ وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي لَحَا ٣ ، طِينَتُهَا طِينَتِي ، وَمَدِينَتُهَا مَدِينَتِي ، وَعُمُومَتُهَا عُمُومَتِي ، وَأَرْوَمَتُهَا أَرْوَمَتِي ٤ . لَكُنْهَا أَوْسَعُ مِنِّي خُلُقًا ، وَأَحْسَنُ خُلُقًا .

وَصَدَّعَنِي بِصِفَاتِ زَوْجَتِهِ ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَحَلَّتِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا مَوْلَايَ ، تَرَى هَذِهِ الْمَحَلَّةَ ؟ هِيَ أَشْرَفُ مَحَالِّ بَغْدَادَ ، يَتَنَافَسُ الْأَنْخِيَارُ فِي نَزُولِهَا ، وَيَتَغَايَرُ الْكِبَارُ فِي حُلُولِهَا . ثُمَّ لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُ التَّجَارِ ، وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِالْجَارِ . وَدَارِي فِي السُّطَّةِ ٥ مِنْ قِلَادَتِهَا ، وَالنَّقْطَةُ مِنْ دَائِرَتِهَا . كَمْ تُقَدِّرُ ، يَا مَوْلَايَ ، أَنْفَقَ عَلَى كُلِّ دَارٍ مِنْهَا ؟ قُلْنَاهُ تَخْمِينًا ، إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ يَقِينًا . قُلْتُ : الْكَثِيرُ ٦ ! فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا أَكْبَرَ هَذَا الْغَلَطَ ! تَقُولُ الْكَثِيرَ فَقَطْ ! وَتَنْفَسُ الصُّعْدَاءَ ، وَقَالَ : سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ .

وَانْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ دَارِهِ ، فَقَالَ : هَذِهِ دَارِي . كَمْ تُقَدِّرُ ، يَا مَوْلَايَ ، أَنْفَقْتُ عَلَى هَذِهِ الطَّاقَةِ ؟ أَنْفَقْتُ ، وَاللَّهِ ، عَلَيْهَا فَوْقَ الطَّاقَةِ ، وَوَرَاءَ

.....

- ١ الظلمية : المرأة في الهودج ، والمراد هنا المرأة على الإطلاق .
- ٢ ابنة عمي لحا : أي لاصقة النسب ؛ ونصب لحا على الحال لأن ما قبله معرفة ؛ وتقول في النكرة : هي ابنة عم لح لأنه نعت لعم .
- ٣ الأرومة : الأصل .
- ٤ يتغايرو الكبار : أي ينافرو كل واحد من الآخر .
- ٥ السطة : الوسط ، والجوهرية التي تكون في وسط العقدي أنفوس جواهره وأعظمها .
- ٦ الكثير : أي أنفق الكثير

الفاقة^١ . كيف ترى صنعتها وشكلها ؟ أرأيت ، بالله ، مثلها ؟ أنظر^٢ إلى دقائقي الصنعة فيها ، وتأمل^٣ حسن تعريجها ! فكأنما حُطَّ بالبركار^٤ ! وانظر^٥ إلى حذقي النجار في صنعة هذا الباب ، اتخذته من كم^٦ ؟ قل^٧ : ومن أين أعلم^٨ . هو ساج^٩ من قطعة واحدة ، لا مأروض^{١٠} ولا عقي^{١١} . إذا حرّك^{١٢} أن^{١٣} ؛ وإذا نُقِرَ طن^{١٤} . من اتخذته^{١٥} يا سيدي ؟ اتخذته^{١٦} أبو إسحق^{١٧} ابن مُحَمَّد البصري^{١٨} ؛ وهو ، والله ، رجل^{١٩} نظيف^{٢٠} الأثواب^{٢١} ، بصير^{٢٢} بصنعة الأبواب^{٢٣} ، خفيف^{٢٤} اليد في العمل^{٢٥} . لله^{٢٦} در^{٢٧} ذلك الرجل^{٢٨} ! بحياتي^{٢٩} ، لا استعنت^{٣٠} إلا^{٣١} به^{٣٢} على مثله^{٣٣} . وهذه الحلقة^{٣٤} ، تراها ، اشتريتها^{٣٥} ، في سوق الطرائف^{٣٦} ، من حيران^{٣٧} الطرائفي^{٣٨} بثلاثة^{٣٩} دنانير^{٤٠} معزية^{٤١} ، وكم^{٤٢} فيها ، يا سيدي^{٤٣} ، من الشبه^{٤٤} ؟ فيها ستة^{٤٥} أرتال^{٤٦} ، وهي تدور^{٤٧} بلبوب^{٤٨} في الباب^{٤٩} . بالله^{٥٠} ، دورها^{٥١} ، ثم انقُرْها^{٥٢} وأبصر^{٥٣}ها . وحياتي^{٥٤} عليك^{٥٥} ، لا اشتريت^{٥٦} الحلقة^{٥٧} إلا^{٥٨} منه^{٥٩} ، فليس^{٦٠} يبيع^{٦١} إلا^{٦٢} الأغلاق^{٦٣} .

ثم^{٦٤} قَرَعَ^{٦٥} الباب^{٦٦} ، ودخلنا^{٦٧} الدهليز^{٦٨} ، وقال^{٦٩} : عمرك^{٧٠} الله^{٧١} يا دار^{٧٢} ! ولا خربك^{٧٣} يا جدار^{٧٤} ! فما أمتن^{٧٥} حيطانك^{٧٦} ! وأوثق^{٧٧} بُنيانك^{٧٨} ! وأقوى^{٧٩} أساسك^{٨٠} ! تأمل^{٨١} ، بالله^{٨٢} ، معارج^{٨٣}ها^{٨٤} ، وتبين^{٨٥} دواخل^{٨٦}ها وخوارج^{٨٧}ها ، وسكني^{٨٨} : كيف حصّلتها^{٨٩} ؟ وكم^{٩٠} من حيلة^{٩١} احتلتها^{٩٢} ، حتى عَقَدْتُها^{٩٣} ؟ كان^{٩٤} لي جَار^{٩٥} يُكْنَى^{٩٦} أبا سُلَيْمان^{٩٧}

١ الفاقة : الفقر ؛ وقوله وراء الفاقة : أي أنفق عليها إنفاقاً كثيراً يقود إلى الفقر ، فكان إنفاقه مستقر وراء الفقر ، والفقر أمامه .

٢ الساج : أي قطعة من خشب الساج ، وهو شجر يطول ويرتفع جداً ، ويوجد بالهند .

٣ المأروض : الذي أكلته الأرضة ، وهي دودة بيضاء تبني على نفسها شبه دهليز ، لها مشفران تنقر بهما الخشب والآجر والحجارة ، جمعها أرض .

٤ على مثله : أي مثل هذا الباب .

٥ سوق الطرائف : كانت ببغداد لبيع النفائس واللخائر .

٦ الدنانير المعزية : منسوبة إلى المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع .

٧ الشبه : النحاس الأصفر .

٨ الأغلاق : النفائس ، وأخذها علق .

٩ الممارج : السلام .

يَسْكُنُ هَذِهِ الْمَحَلَّةَ ، وَلَهُ ، مِنْ الْمَالِ ، مَا لَا يَسَعُهُ الْخَيْرُ ، وَمِنْ الْعِبَادَةِ مَا لَا يَحْصُرُهُ الْوَزْنُ . مَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَخَلَّفَ خَلْفًا أَثْلَقَهُ بَيْنَ الْخَمِيرِ وَالزَّمْرِ ، وَمَزَقَهُ بَيْنَ النُّرْدِ وَالْقَمَرِ^٢ . وَأَشْفَقَتْ أَنْ يَسُوْقَهُ قَائِدُ الْأَضْطِرَارِ ، إِلَى بَيْعِ الدَّارِ ، فَيَبِيعَهَا فِي أَثْنَاءِ الضُّجُرِ ، أَوْ يَجْعَلَهَا عُرْضَةً لِلْخَطَرِ . ثُمَّ أَرَاهَا ، وَقَدْ فَاتَتْ شِرَاهَا ، فَأَتَقَطَّعَ عَلَيْهَا حَسْرَاتِ ، إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ . فَعَمَدَتْ إِلَى أَثْوَابٍ لَا تَنْصُرُ تِجَارَتُهَا ، فَحَمَلَتْهَا إِلَيْهِ ، وَعَرْضَتْهَا عَلَيْهِ ، وَسَاوَمَتْهُ عَلَى أَنْ يَشْتَرِيَهَا نَسِيَةً^٣ ، وَالْمُدِيرُ يَتَحَسَّبُ النَّسِيَةَ عَطِيَّةً ، وَالْمُتَخَلِّفُ^٤ يَعْتَدُّهَا هَدِيَّةً . وَسَأَلَتْهُ وَثِيقَةً بِأَصْلِ الْمَالِ ، فَفَعَلَ ، وَعَقَدَهَا لِي^٥ . ثُمَّ تَغَافَلْتُ عَنْ اقْتِضَائِهِ ، حَتَّى كَادَتْ حَاشِيَةُ حَالِهِ تَرِقُّ^٦ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَقْضَيْتُهُ ، وَاسْتَمَهَلْتَنِي ، فَأَنْظَرْتُهُ^٧ ، وَالتَّمَسَّ غَيْرَهَا مِنْ الثِّيَابِ ، فَأَحْضَرْتُهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ دَارَهُ رَهْنَةً لَدَيَّ ، وَوَثِيقَةً فِي يَدَيَّ ، فَفَعَلَ . ثُمَّ دَرَجْتُهُ بِالْمُعَامَلَاتِ إِلَى بَيْعِهَا ، حَتَّى حَصَلْتُ لِي بِحَدِّ صَاعِدٍ^٨ ، وَبَسَخْتُ مُسَاعِدٍ ، وَقُوَّةَ سَاعِدٍ ، وَرُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ^٩ ، وَأَنَا ، بِحَمْدِ اللَّهِ ، مَجْدُودٌ^{١٠} ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مَحْمُودٌ . وَحَسْبُكَ ، يَا مَوْلَايَ ، أَنْتَ

١ الصامت : المال من الذهب والفضة ونحوهما ؛ يقابله الناطق ، وهو المال من الإبل والمواشي ونحوها من الحيوان .

٢ الخلف : الولد الطالح ، والخلف بالتحريك : الولد الصالح .

٣ النرد : لعبة الزهر . القمر : المقامرة .

٤ لا تنص : لا تنصير ولا تتحول من متاع إلى صامت من فضة وذهب ، أي كسدت تجارتها .

٥ نسيئة : أي مع تأخير الثمن .

٦ المدير : من ساء حظه ؛ ومنه قولهم : صار أمره إلى الإقبال أو إلى الإدبار .

٧ المتخلف : المتأخر . أي المتأخر عن أداء دينه .

٨ عقدها : أي أحكم الوثيقة والتزم بما فيها .

٩ يقال رقت حاشيته : أي قل ماله وأقتر .

١٠ أنظرته : أمهله .

١١ بجد صاعد : أي بجد مرتفع .

١٢ رب ساع لقاعد : مثل يضرب لمن يسعى ويكسب ثم يتمتع غيره بكسبه ، دون أن يتمب في تصمي له .

١٣ مجدود : محظوظ .

كُنْتُ مُنْذُ لَيَالٍ نَائِماً فِي الْبَيْتِ ، مَعَ مَنْ فِيهِ ، إِذْ قُرِعَ عَلَيْنَا الْبَابُ . فَقُلْتُ :
 مِنَ الطَّارِقِ الْمُتَابِ ١ ؟ فَإِذَا امْرَأَةٌ مَعَهَا عِقْدُ لَالٍ ٢ ، فِي جِلْدَةِ مَاءٍ ، وَرِقَّةِ
 آل ٣ ، تَعْرِضُهُ لِلْبَيْعِ . فَأَخَذْتُهُ مِنْهَا لِخِذَةِ خَلْسٍ ٤ ، وَاشْتَرَيْتُهُ بِشَمَنِ
 بَخْسٍ ٥ ؛ وَسَيَكُونُ لَهُ نَفْعٌ ظَاهِرٌ ، وَرِيحٌ وَافِرٌ ، بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَدَوْلَتِكَ .
 وَإِنَّمَا جَدِّتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، لَتَعْلَمَ سَعَادَةَ جَدَّتِي فِي التَّجَارَةِ ؛ وَالسَّعَادَةُ
 تَنْبِطُ ٦ الْمَاءَ مِنَ الْحِجَارَةِ . اللَّهُ أَكْبَرُ ! لَا يُنْبِئُكَ أَصْدَقُ مِنْ نَفْسِكَ ،
 وَلَا أَقْرَبُ مِنْ أَمْسِكَ ٧ ! اشْتَرَيْتُ هَذَا الْحَصِيرَ فِي الْمُنَادَاةِ ٨ . وَقَدْ أَخْرَجَ مِنْ
 دُورِ آلِ الْفُرَاتِ ٩ ، وَقَتَ الْمُصَادَرَاتِ ، وَزَمَنَ الْغَارَاتِ . وَكُنْتُ أَطْلُبُ مِثْلَهُ
 مُنْذُ الزَّمَنِ الْأَطْوَلِ ، فَلَا أَجِدُ ؛ وَالذَّهْرُ حُبْلَى لَيْسَ يَدْرِي مَا يَكِيدُ . ثُمَّ
 اتَّفَقَ أَتْيِي حَضَرْتُ بَابَ الطَّاقِ ١٠ ، وَهَذَا يُعْرَضُ فِي الْأَسْوَاقِ ، فَوَزَنْتُ فِيهِ
 كَدَا وَكَدَا دِينَاراً . تَأْمَلُ ، يَا اللَّهُ ، دَقَّتُهُ وَلِينُهُ وَصَنَعَتُهُ وَلَوْنُهُ ، فَهُوَ
 عَظِيمُ الْقَدْرِ ، لَا يَقَعُ مِثْلُهُ إِلَّا فِي النَّدْرِ ١١ ! وَإِنْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِأَبِي عِمْرَانَ
 الْحَصِيرِيِّ ، فَهُوَ عَمَلُهُ ؛ وَلَهُ ابْنٌ يَخْلُقُهُ الْآنَ فِي حَانُوتِهِ ، لَا يُوجَدُ

.....

- ١ المتاب : أي الزائر وأصله الزائر مرة بعد مرة .
- ٢ لال : أصله لالاء جمع للؤلؤة ، فسهلت الهمزة .
- ٣ في جلد ماء : من المجاز ، أي جلده صافية كجلدة الماء . الال : هنا بمعنى السراب ، وهو ما يظهر من بعيد كأنه ماء .
- ٤ الخلس : الاختلاس .
- ٥ البخس : القليل الناقص من الثمن .
- ٦ تنبط : تستخرج الماء .
- ٧ أي لا يخبرك حقيقة أحوالك أحد أصدق من نفسك ، ولا يوم أقرب من أمسك ، لأنك لم تزل تتذكره جيداً ؛ وهذه الأخبار قريبة العهد لم يأت عليها اللسان .
- ٨ المناداة : أي المزايدة العلنية .
- ٩ آل الفرات : أسرة مشهورة كان أحدها علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وزيراً للمقتدر بالله العباسي ، ثم قتل سنة ٣١٢هـ (٩٢٤م) وصارده على جميع أمواله ومثاعه . والمراد أن الحصير نفيس عظيم القيمة .
- ١٠ باب الطاق : من أبواب بغداد .
- ١١ في الندر : في النادر .

أَعْلَاقُ الْحُصْرِ إِلَّا عِنْدَهُ ، فَبِحَيَاتِي ، لَا اشْتَرَيْتَ الْحُصْرَ إِلَّا مِنْ دُكَّانِهِ ،
فَالْمُؤْمِنُ نَاصِحٌ لِإِخْوَانِهِ ، لَا سَيْتًا مِّنْ تَحَرَّمَ بِخَوَانِهِ ^١ .
وَنَعُودُ إِلَى حَدِيثِ الْمُضِيرَةِ ، فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ . يَا غُلَامُ ، الطَّسْتُ
وَالْمَاءُ . فَقُلْتُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! رَبِّمَا قَرُبَ الْفَرَجُ ، وَسَهَّلَ الْمَخْرَجُ . وَتَقَدَّمَ
الْغُلَامُ ، فَقَالَ : تَرَى هَذَا الْغُلَامَ ؟ إِنَّهُ رُومِي الْأَصْلُ ، عِرَاقِي النَّشْءُ .
تَقَدَّمَ يَا غُلَامُ ، وَاحْسِرْ ^٢ عَن رَأْسِكَ ، وَشَمِّرْ عَن سَاقِكَ ، وَانضُ عَن
ذِرَاعِكَ ^٣ ، وَافْتَرَّ عَن أَسْنَانِكَ ، وَأَقْبِلْ ، وَأَذِيرْ . فَفَعَلَ الْغُلَامُ ذَلِكَ .
وَقَالَ التَّاجِرُ : بِاللَّهِ ، مَتَى اشْتَرَاهُ ؟ اشْتَرَاهُ ، وَاللَّهِ ، أَبُو الْعَبَّاسِ ، مِنَ النَّخَّاسِ ^٤ .
ضَمَعَ الطَّسْتُ ، وَهَاتَ الْإِبْرِيْقُ . فَوَضَعَهُ الْغُلَامُ ، وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ ، وَقَلَّبَهُ
وَأَدَارَ فِيهِ النَّظَرَ ، ثُمَّ نَقَرَهُ ، فَقَالَ : انْظُرْ إِلَى هَذَا الشَّيْءِ ، كَأَنَّهُ جُلُودُ
الذَّهَبِ ، أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ ! شَبَّهَ الشَّامِ ، وَصَنَعَهُ الْعِرَاقُ ! لَيْسَ
مِنْ خُلُقَانِ الْأَعْلَاقِ ^٥ ! قَدْ عَرَفَ دَارَ الْمُلُوكِ ، وَدَارَهَا ! تَأْمَلْ حُسْنَهُ !
وَسَلِّسْ : مَتَى اشْتَرَيْتَهُ ؟ اشْتَرَيْتَهُ ، وَاللَّهِ ، عَامَ الْمَجَاعَةِ ، وَادْخَرْتَهُ
لِهَذِهِ السَّاعَةِ . يَا غُلَامُ ، الْإِبْرِيْقُ . فَقَدَّمَهُ . وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ ، فَقَلَّبَهُ ،
ثُمَّ قَالَ : وَأَبُوبُهُ مِنْهُ ! لَا يَصْلُحُ هَذَا الْإِبْرِيْقُ إِلَّا لِهَذَا الطَّسْتِ ، وَلَا يَصْلُحُ
هَذَا الطَّسْتُ إِلَّا مَعَ هَذَا الدَّسْتِ ^٦ ، وَلَا يَحْسُنُ هَذَا الدَّسْتُ إِلَّا فِي هَذَا الْبَيْتِ ،
وَلَا يَجْمَلُ هَذَا الْبَيْتُ إِلَّا مَعَ هَذَا الضَّيْفِ . أَرْسِلِ الْمَاءَ ، يَا غُلَامُ ، فَقَدْ حَانَ
وَقْتُ الطَّعَامِ . بِاللَّهِ تَرَى هَذَا الْمَاءَ مَا أَصْفَاهُ ؟ أَرَزَقُ كَعَيْنِ السَّتُورِ ، وَصَافٍ

١ تحرم بالشيء : تمنع واحتمى بحرمته ؛ فقوله تحرم بخوانه : أي صارت له حرمة الخبز والملح
لأن أبا الفتح سيأكل عند التاجر ، ولذلك تجب على التاجر نصيحته .

٢ واحسر : واكشف .

٣ انض عن ذراعك : أي انزع ثوبك عنها ، من نضا الثوب : نزع .

٤ النخاس : تاجر العبيد من سود وبيض .

٥ الخلقان : جمع خلق وهو البالي . الأعلاق : النفائس . والمراد : أنه نفيس غير بال .

٦ دارها : وجه الكلام : دار بها ، فزاع الخافض .

٧ اللست : صدر البيت والمجلس .

كَقَضِيبِ الْبَلُورِ ! اسْتَقَى مِنْ الْفُرَاتِ^١ ، وَاسْتُعْمِلَ بَعْدَ الْبَيَاتِ^٢ ، فَجَاءَ
 كَلِيسَانَ الشَّمْعَةِ^٣ ، فِي صَنْاءِ الدَّمْعَةِ . وَلَيْسَ الشَّانُ فِي السَّقَامِ ، الشَّانُ^٤
 فِي الْإِنَاءِ^٥ ؛ لَا يَدُلُّكَ عَلَى نَظَافَةِ أَسْبَابِهِ^٥ ، أَصْدَقُ مِنْ نَظَافَةِ شَرَابِهِ .
 وَهَذَا الْمُنْدِيلُ^٦ ، سَلَنِي عَنْ قِصَّتِهِ ؛ فَهُوَ تَسْجُ جُرْجَانِ^٧ ، وَعَمَلُ أَرْجَانِ^٨ .
 وَقَعَ لِي^٩ ، فَاشْرَيْتُهُ ، فَاتَّخَذْتُ امْرَأَتِي بَعْضَهُ سَرَاوِيلًا ، وَاتَّخَذْتُ بَعْضَهُ
 مِندِيلًا . دَخَلْتُ فِي سَرَاوِيلِهَا عِشْرُونَ ذِرَاعًا ، وَانْتَزَعْتُ مِنْ يَدَيْهَا هَذَا
 الْقَدَرُ انْتِزَاعًا ؛ وَأَسْلَمْتُهُ إِلَى الْمُطَرِّزِ ، حَتَّى صَنَعَهُ كَمَا تَرَاهُ ، وَطَرَزَهُ .
 ثُمَّ رَدَدْتُهُ مِنْ السُّوقِ ، وَخَزَنْتُهُ فِي الصَّنْدُوقِ . وَادْخَرْتُهُ لِلظُّرُوفِ ،
 مِنَ الْأَضْيَافِ . لَمْ تُدَلِّهِ عَرَبُ الْعَامَةِ بِأَيْدِيهَا ، وَلَا النِّسَاءُ لِمَاقِيهَا^٩ . فَلِكُلِّ
 عِلْقٍ^{١٠} يَوْمٌ ، وَلِكُلِّ آلَةٍ قَوْمٌ . يَا غُلَامُ ، الْخُوانُ ، فَقَدْ طَالَ الزَّمَانُ ؛
 وَالْقِصَاصُ ، فَقَدْ طَالَ الْمِصْصَاعُ^{١١} ، وَالطَّعَامُ ، فَقَدْ كَثُرَ الْكَلَامُ .

فَأَتَى الْغُلَامُ بِالْخُوانِ ؛ وَقَلَبَهُ التَّاجِرُ عَلَى الْمَكَانِ^{١٢} ، وَنَقَرَهُ بِالْبَنَانِ ،
 وَعَجَّجَهُ بِالْأَسْنَانِ^{١٣} ، وَقَالَ : عَمَرَ اللَّهُ بَعْدَاذَ ! فَمَا أَجُودَ مَتَاعُهَا ، وَأَظْرَفَ
 صُنَاعُهَا ! تَأَمَّلْ ، بِاللَّهِ ، هَذَا الْخُوانُ ! وَانْظُرْ إِلَى عَرَضِ مَتْنِهِ^{١٤} ، وَخِفَةِ

١ استقي : أخذ . الفرات : الماء العذب ؛ أو لعله أراد به دجلة لأن قصة المضيرة وقعت في بغداد ؛
 يقال الفراتان : أي الفرات ودجلة .

٢ البيات : أي أن يبيت الماء في إناء تحت السماء ليبرد ويصفو ؛ ومنه البيوت : الماء البارد الذي يبيت تحت السماء .
 ٣ كلسان الشمعة : أي يتلألأ متوهجاً .

٤ أي ليس الفضل لمن يستقي الماء بل الفضل للإناء الذي كان سبب صفائه ونظافته .

٥ نظافة أسبابه : أي الوسائل التي اتخذت لتصفيته .

٦ المنديل : خرقعة تستعمل لتجفيف الأيدي من الماء .

٧ جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان اشتهرت بنسج الحرير .

٨ أرجان : مدينة كبيرة بفارس .

٩ ولا النساء لماقيا : أي لمسح دموعها ؛ كأنه يعتبر ذلك إهانة للمنديل .

١٠ العلق : النفيس من الأشياء .

١١ المصاع : الماركة والمضاربة ؛ ومن المجاز قولهم : فلان يماص بلسانه ؛ ذكره الأساس .

١٢ قلبه على المكان : أي قلبه على مكانه الذي يوضع فيه ؛ نابت آل التعريف عن الضمير .

١٣ عجمه بالأسنان : أي عضه ليختبره .

١٤ المتن : الظاهر ، أي ظهر الخوان .

وَزَيْنِهِ ، وصلابة عوده . وحسن شكله ! فقلت : هذا الشكل ،
فمضى الأكل ؟ فقال : الآن . عجل يا غلام ، الطعام . لكن الخوان
قوائمه منه^١

قال أبو الفتح : فجاشت نفسي . وقلت : قد بقي الخبز وآلاته ، والخبز
وصفائه ، والحنطة من أين اشتريتها أصلاً^٢ ؟ وكيف اكرت لها حملاً^٣ ؟
وفي أي رحي طحن ؟ وإجانة عجن^٤ ؟ وأي تنور سجر^٥ ؟ وخباز
استاجر^٦ ؟ وبقي الحطب من أين احتطب^٧ ؟ ومتى جلب^٨ ؟ وكيف صفت^٩ ،
حتى جفت^{١٠} ؟ وحبس^{١١} ، حتى يبس^{١٢} ؟ وبقي الخباز ووصفه^{١٣} ، والتلميد^{١٤}
ونعته^{١٥} ، والدقيق ومدحه^{١٦} ، والخمير وشرحه^{١٧} ، والملح وملاحته^{١٨} . وبقيت
السكرجات^{١٩} ، من اتخذها^{٢٠} ؟ وكيف انتقلها^{٢١} ؟ ومن استعملها^{٢٢} ؟ ومن
عملها^{٢٣} ؟ والخل^{٢٤} ، كيف انتقي عنبه^{٢٥} ؟ أو اشترى رطبه^{٢٦} ؟ وكيف صهرجت^{٢٧}
معصرته^{٢٨} . واستخلص لبه^{٢٩} ؟ وكيف قير حبه^{٣٠} ؟ وكَم يساوي دته^{٣١} ؟
وبقي البقل^{٣٢} . كيف احتبل له^{٣٣} حتى قطف^{٣٤} . وفي أي مبقلة^{٣٥} رصيف^{٣٦} ؟ وكيف

١ قوائمه منه : أي أن قوائمه التي يقف عليها ، وظهره قطعة واحدة .

٢ اشترت أصلاً : أي اشترى أصلها ، وهو الحب .

٣ اكرت لها حملاً : أي ما تحمل عليه ؛ ومنه في النهاية حديث ثوبك ؛ قال أبو موسى : « أرسلني
أصعابي إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أسأله الحملان . » والحملان كالحمل مصدر حمل ؛
وذلك أنهم أرسلوه يطلب منه شيئاً يركبون عليه .

٤ الإجانة : وعاء يستعمل في النسيل والعجين ونحوهما .

٥ سجر : أوقد .

٦ التلميد : أي غلام الخباز .

٧ السكرجات : صحاف الطعام .

٨ انتقلها : أي استخلصها من صاحبها الذي اتخذها .

٩ الرطب : ما نضج من البلح ، وكانوا يصنعون الخل من العنب والرطب .

١٠ صهرجت : طليت بالصاروج وهو أخلاط من النورة ، أي الكلس ونحوه .

١١ قير : طلي بالقار أي الزفت . الحب بالضم : الخابية .

١٢ الدن : الخابية .

١٣ المبقلة : المكان الذي زرع فيه البقل .

ثَوَّتَقْ^١ حَتَّى نَظْفَ؟ وَبَقِيَّتِ الْمَضِيرَةِ^٢، كَيْفَ اشْتَرَى لَحْمَهَا؟ وَوَفَّى^٣ شَحْمَهَا؟
وَنُصِبَتْ قَدْرُهَا، وَأَجِجَتْ نَارُهَا؟ وَدُقَّتْ أَزْرَارُهَا، حَتَّى أَجِيدَ طَبْخُهَا،
وَعَقِدَ مَرَقُهَا؟ وَهَذَا خَطْبُ يَطْمُ^٤، وَأَمْرٌ لَا يَتِمُّ^٥!
فَقُمْتُ. فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: حَاجَةٌ^٦ أَقْضِيهَا. فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ،
تُرِيدُ كَثِيفًا يُزْرِي بَرِّيْعِي الْأَمِيرَ^٧، وَخَرِيفِي الْوَزِيرَ؟ قَدْ جُصِّصَ^٨ أَعْلَاهُ،
وَصُهِرَجَ^٩ أَسْفَلُهُ، وَسُطِّحَ سَقْفُهُ، وَفُرِشَتْ بِالْمَرْمَرِ أَرْضُهُ؟ يَنْزِلُ عَنْ
حَائِطِهِ الدَّرُّ فَلَا يَلْعَلُ^{١٠}، وَيَمْشِي عَلَى أَرْضِهِ الدَّبَابُ فَيَزْلَقُ؟ عَلَيْهِ بَابٌ،
غَيْرَ أَنَّهُ^{١١} مِنْ خَلِيطِي سَاجٍ^{١٢} وَعَاجٍ^{١٣}، مُزْدَوِجَيْنِ أَحْسَنَ ازْدِوَاجٍ، يَتَمَنَّى
الضَّيْفُ أَنْ يَأْكُلَ فِيهِ! فَقُلْتُ: كُلُّ أُنْتِ مِنْ هَذَا الْجِرَابِ، لَمْ يَكُنْ
الْكَثِيفُ فِي الْحِسَابِ! وَخَرَجْتُ نَحْوَ الْبَابِ، وَأَسْرَعْتُ فِي الدَّهَابِ، وَجَعَلْتُ
أَعْدُو، وَهُوَ يَتَبَعُنِي، وَيَصِيحُ: يَا أَبَا الْفَتَحِ، الْمَضِيرَةُ! وَظَنَّ الصَّبِيَّانُ أَنْ
الْمَضِيرَةَ لَقَبٌ لِي، فَصَاحُوا صِيَاحَهُ. فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجَرٍ، مِنْ فَرَطِ
الضَّحَجَرِ، فَلَقِيَ رَجُلٌ الْحَجَرَ بِعِمَامَتِهِ، فَغَاصَ فِي هَامَتِهِ^{١٤} فَأَخَذْتُ، مِنْ
النَّعَالِ، بِمَا قَدَّمُ وَحَدَّثُ^{١٥}، وَمَنْ الصَّفْعِ، بِمَا طَابَ وَخَبَثُ^{١٦}، وَحُشِرْتُ

- ١ ثَوَّتَقْ : مجهول تالئ ، أي استعمل الدقة والخلق .
- ٢ وفي : أكثر وأتم .
- ٣ يطم : أي يعظم .
- ٤ حاجة : أي أريد حاجة .
- ٥ ربيعي الأمير : قصره الذي يقيم فيه أيام الربيع .
- ٦ خريفي الوزير : قصر الخريف .
- ٧ جصص : طلي بالحصص ، وهو الكلس .
- ٨ صهرج : عمل بالصاروج ، وهو النورة ، وهي أخلاط من الكلس .
- ٩ غيرائه : يريد بها فواصله ، مفردا غار ، وهي في الأصل : الأخدود بين الحيين من الغم ، فاستعاره للفواصل بين الألواح . والحيان : مثني اللحي ، وهو عظم الخنك الذي عليه الأسنان .
- ١٠ الساج : خشب شجر هندي .
- ١١ العاج : ناب الفيل .
- ١٢ هامته : رأسه .
- ١٣ بما قدم وحدث : أي بنعال قديمة وجديدة .
- ١٤ الصفع : الضرب على قفا الرأس . بما طاب وخبث : أي صفع أيد لطيفة ، وأيد غليظة شديدة .

إلى الحبس ، فأقمتُ عامتين في ذلك النحر . فنذرتُ أن لا آكل مَضِيرَةً ،
 ما عِشتُ . فهل أنا في ذا ، يا لَ همدان ، ظالم ؟
 قال عيسى بن هشام : فقَبِلنا عُدْرَهُ ، ونَكَدَرنا نَكَدْرَهُ ، وقُلنا : قَدِيماً
 جَنَّتِ المَضِيرَةُ على الأحرارِ ، وقَدَمَتِ الأراذلُ على الأخيارِ .

المقامة البشرية

حدَّثنا عيسى بن هشام قال : كانَ بِشَرُّ بنُ عَوَانَةَ العَبْدِي صُغُوكاً ،
 فأغارَ على رَكْبٍ فيهِمُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ ، فَنَزَّوَجَ بِهَا ، وقالَ : ما رَأَيْتُ كاليومِ !
 فقالتُ :

أعجبَ بِشراً حَوَرٌ في عَيني وساعِدٌ أبيضُ كاللَّجَينِ ،
 ودونهُ ، مَسْرَحَ طَرفِ العَينِ ، خِصْمَانَةٌ تَرُفُلُ في حِجَلَينِ^١
 أحسنُ مَن يمشي على رِجَلَينِ ، أو ضَمَّ بِشراً بَينَها وبَيني
 أدامَ هَجري ، وأطالَ بَيني ، ولو يَقيسُ زَينُها بِزَيني
 لأسفَرَ الصَّبحُ لذي عَينَينِ^٢

قالَ بِشَرُّ : وَيَحْكُكُ^٣ ! مَن عَنَيْتِ ؟ فقالتُ : بِنْتُ عَمِّكَ فَاطِمَةُ

١ قوله : يا لَ همدان ظالم . هذا عجز بيت من الشعر لبعض لصوص بني همدان يقول فيه :

وكنْتُ ، إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يا لَ همدان ظالم

٢ على الأحرار : المراد بذلك جنائنها على أبي الفتح .

٣ الأراذل والأخيار : المراد بذلك التاجر وأبو الفتح .

٤ الحور : شدة بياض العين وسوادها ، واستدارة حدقتها ، ورقة جفونها . اللجين : الفضة .

٥ دونهُ : أمامه . مسرح طرف العين : موضع ما يسرح النظر ، أي حيث يسرح نظره منتقلاً في محاسنها
 الخِصْمَانَةُ : الضامة البطن . الحجلين ، مثني الحجل : الخلل .

٦ لأسفر الصبح لذي عَينَينِ : أي لظهر الفرق بين حسنهما وحسن ، ظهور الصبح لذي عَينَينِ .

٧ ويحك : كلمة رحمة ، وقد تكون بمعنى ويلك ؛ تقول : ويح لزيد ، فترفعها على الابتداء ، ويح
 زيد ، ويحاً له على النصب بفعل مضمر تقديره ألزمه الله ويحاً ، ونحو ذلك .

فَقَالَ : أَهْيَ مِنَ الْحَسَنِ بِحَيْثُ وَصَفْتَ ؟ قَالَتْ : وَأَزِيدُ وَأَكْثُرُ . فَأَنشَأَ يَقُولُ :

وَيَحْكُ ! يَا ذَاتَ الثَنَايَا الْبَيْضِ ، مَا خَلِئْتَنِي مِنْكَ بِمُسْتَعْيِضٍ^١
فَالآنَ ، إِذْ لَوَّحْتَ بِالْتَّعْرِيزِ ، خَلَوْتُ جَوًّا ، فَاصْفِرِي وَبَيْضِي^٢
لَا ضُمَّ جَفْنَايَ عَلَى تَغْمِيضٍ ، مَا لَمْ أَشِلْ عِرْضِي مِنَ الْحَضِيضِ^٣

فَقَالَتْ :

كَمْ خَاطِبٍ فِي أَمْرِهَا أَلْحَا ، وَهِيَ لِمَلِكِ ابْنَتُهُ عَمٍّ لَحَا^٤

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَمَّتِهِ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ ، وَمَنْعَهُ الْعَمُّ أَمْنِيَّتَهُ . قَالَتْ أَلَا^٥
يُرْعَى عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ، إِنْ لَمْ يُزَوِّجْهُ ابْنَتَهُ .

ثُمَّ كَثُرَتْ مَضَرَّائِهِ فِيهِمْ ، وَاتَّصَلَتْ مَعَرَّائُهُ^٦ إِلَيْهِمْ . فَاجْتَمَعَ
رِجَالُ الْحَيِّ إِلَى عَمَّتِهِ ، وَقَالُوا : كُفَّ عَنَّا مَسْجُونُكَ^٧ ! فَقَالَ : لَا تُلْبِسُونِي
عَارًا ، وَأَمْهِلُونِي حَتَّى أَهْلِكَهُ بِبَعْضِ الْحَيْلِ . فَقَالُوا : أَنْتَ وَذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ
لَهُ عَمَّتُهُ : إِنِّي أَلْبَيْتُ أَلَا^٨ أَزَوْجَ ابْنَتِي هَذِهِ إِلَّا مِمَّنْ يَسُوقُ إِلَيْهَا أَلْفَ نَاقَةٍ
مَهْرًا ، وَلَا أَرْضَاهَا إِلَّا مِنْ نُوْقٍ خُرَاعَةٍ . وَغَرَضُ الْعَمِّ كَانَ أَنْ يَسْلُكَ

.....

١ الثنايا : جمع الثنية ، وهي أربعة أضراس في مقدمة الفم ، ثلثان من فوق ، وثلثان من أسفل .

٢ لوح : أشار إليه من بعيد . التعريض : ضد التصريح . والمراد أنها عرضت بدمه حين لبسته إلى ابنة
عمه الحسناء ، وهو غافل عنها ، يتزوج غريبة بدلا منها . خلوت جواً فاصفري وببيضي : أي أنه خل
سبيلها ، وتركها آمنة . وهذا مثل أصله من قول كليب أو طرفة لقنبرة طارت بين يديه ، فتركها
ولم يتعرض لها ، وقال فيها من شعر : خلا لك الجوف فيضي واصفري .

٣ ما لم أشل : ما لم أرفع . الحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل ، يقال فلان في الحضيض :
أي في هوان وعار . والمراد أنه سيتزوج ابنة عمه ، ويزيل ما لحقه من الذم والعار بتخليه عنها ،
وميله إلى النساء الغريبات .

٤ ابنة عم لها : أي لاصلة القرابة .

٥ قَالِي : حلف .

٦ أَلَا يرعى على أحد : أي أن لا يبقى على أحد .

٧ المعرات : جمع المعرة ، وهي الأذية والشر .

بِشْرُ الطَّرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُرَاعَةِ فَيْقَرِسَهُ الْأَسَدُ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ كَانَتْ
تَحَامَتُ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ فِيهِ أَسَدٌ يُسَمَّى دَاذًا ، وَحَيَّةٌ تُدْعَى
شُجَاعًا ، يَقُولُ فِيهِمَا قَائِلُهُمْ :

أَفْتَنَكَ مِنْ دَاذٍ وَمِنْ شُجَاعٍ ؛ إِنَّ يَكُ دَاذٌ سَيِّدَ السَّبَاعِ
فَلِئِنَّهَا سَيِّدَةُ الْأَفَاعِي

ثُمَّ إِنَّ بَشْرًا سَلَكَ ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَمَا نَصَفَهُ^١ ، حَتَّى لَقِيَ الْأَسَدَ ،
وَقَمَصَ مُهْرَهُ^٢ ؛ فَنَزَلَ وَعَقَّرَهُ ؛ ثُمَّ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ إِلَى الْأَسَدِ^٣ ، وَاعْتَرَضَهُ
وَقَطَعَهُ^٤ ؛ ثُمَّ كَتَبَ بِدَمِ الْأَسَدِ ، عَلَى قَمِيصِهِ ، إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ :

أَفَاطِمَ ، لَوْ شَهِدْتَ بَيْطَنَ خَبْتٍ ؛ وَقَدْ لَاقَى الْهَزْبُ أَخَاكَ بِشْرًا^٥
إِذَا ، لَرَأَيْتَ لَيْثًا زَارَ لَيْثًا ، هَزْبَرًا أَغْلَبًا ، لَاقَى هَزْبَرًا^٦
تَبْهَنْسَ ، إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي مُحَاذَرَةً ، فَقُلْتُ : عَقِيرَتَ مُهْرًا^٧
أَنْلِ قَدَمِي ظَهَرَ الْأَرْضِ ، لَئِنِّي رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرًا
وَقُلْتُ لَهُ ، وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا^٨ مُحَدَّدَةً ، وَوَجَّهًا مُكْفَهَرًا^٩
يُكْفَكِفُ ، غِيلَةً ، لِاحْدَى يَدَيْهِ ، وَيَبْسُطُ ، لِلْوُثُوبِ عَلَيَّ ، الْآخَرَى^{١٠}

.....

- ١ نصفه : بلغ نصفه .
- ٢ قمص المهر : رفع يديه وطرحهما ، وعجن برجليه من الفزع .
- ٣ اختَرَطَ سيفه إلى الأسد : أي استله ومشى به إليه .
- ٤ قطه : قطعه عرضاً .
- ٥ الخبت : المطنين من الأرض ، فيه رمل .
- ٦ الليث : الأسد ، وكذلك الهزبر . زار : وتروى رام وأم . الأغلب : من صفات الأسد ، والغليظ الرقبة .
- ٧ تبهنس : تبخر . تقاعس : أحجم وتأخر .
- ٨ أبدى نصالاً : أي كثر عن أنيابه . المكفهر : النابس من الغضب .
- ٩ يكفكف : هو في الأصل يدفع ويصرف مثل كف المتعدي ، على أن بديع الزمان استعمله هنا بمعنى يقبض ضد يبسط ، ولم تذكره المعجمات فلعله مولد . غيلة : اغتيالاً .

يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ ، وَجِئِدَتْ نَابٍ ، وَبِالْحِطَّاتِ ، تَحْسَبُهُنَّ جَمَرًا^١
 وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي الْحَدِّ ، أَبْقَى ، بِمَضْرِبِهِ ، قِرَاعُ الْمَوْتِ أَثَرًا^٢ :
 أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلْتُ ظُبَاهُ ، بِكَاطِمَةٍ ، غَدَاةَ لَقَيْتُ عَمْرًا^٣
 وَقَلْبِي مِثْلُ قَلْبِكَ ، لَيْسَ يَخْشَى ، مُصَاوَلَةً ، فَكَيْفَ يَخَافُ ذَعْرًا^٤ ؟
 وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قُوتًا ، وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرًا^٥
 فَفَقِيمَ تَسْوَمُ مِثْلِي أَنْ يُوتِي ، طَعَامًا ؛ إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرًّا^٦
 فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الْغَيْشَ نُصْحِي ، وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرًا^٧
 مَشَى ، وَمَشَيْتُ ، مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا ، مَرَامًا ، كَانَ ، إِذْ طَلَبَاهُ ، وَعَصْرًا^٨
 هَزَزْتُ لَهُ الْحُسَامَ ، فَخِلْتُ أَنِّي ، سَلَّتْ بِهِ ، لَدَى الظُّلَمَاءِ ، فَجْرًا^٩
 وَجُدْتُ لَهُ بِجَائِشَةٍ ، أَرْتَهُ ، بِأَنْ كَذَبْتَهُ ، مَا مَنَنْتُهُ غَدْرًا^{١٠}

- ١ يدل : يتيه مستعليا . المخلب : ظفر كل سباع من الطير وغيره .
- ٢ الماضي : السيف القاطع . المضرب : الحد . الأثر : أثر الجرح يبقى بعد البرء ؛ استعاره هنا لما تركت مقارعة الموت في حد السيف من الفلول .
- ٣ أَلَمْ يَبْلُغْكَ : خطاطب للأسد يرجع إلى قوله فقلت له ، وقد أبدى نصلا . الظبي : جمع ظبة وهي حد السيف ، واستعمل الجمع هنا على اعتبار أن كل جزء من حده ظبة . كاظمة : اسم موضع .
- ٤ مصاولة : مواثبة . الذعر : بالفتح الإخافة والإرهاب .
- ٥ فِيم : استفهام عن السبب مثل لم . تسوم : تكلف . يولي : يطلب الحرب . قسراً : قهراً .
- ٦ الهجر : الكلام القبيح والمهذبان .
- ٧ الوعر : ضد السهل .
- ٨ سل السيف : جرده . وتروى : شققت ، والمعنى : أنه عندما هز سيفه ازداد لمعانه ، فكأنه سل به فجراً في الظلماء .
- ٩ الجائشة : النفس . كذبت : أي منته الأمانتي وخيلت إليه من الآمال ما لا يكاد يتحقق . منته : أطعمته في الأمانتي . يقول : أقدمت عليه باذلاً نفسي له ، بعد أن حاول إرهابي لأهرب منه ، فأرته نفسي أن ما أطعمته من الغدر بي في ثباتها أمامه كان تأميلاً له وتخميلاً بعيد التحقيق . ما : مفعول ثان لأرته . وجملة بأن كذبت : مفعول ثالث . وغدرا : مفعول ثان لمنته . ووجه الكلام : أرته ما منته غدراً بي بأن كذبت ، والباء زائدة .

وأطلقت المهند من يميني ، فقد له من الأضلاع عشرين
فخر مجدلاً بدم ، كأتي هدمت به بناءً مشمخراً^٢
وقلت له : بعيز عليّ أني قتلت مناسبي جلدًا وفخرًا^٣
ولكن ، رمت شيئاً لم ير منه سواك ، فلم أطق ، باليت ، صبراً
تحاول أن تعلمني فراراً ؟ لعمر أليك ، قد حاولت نكراً^٤
فلا تجزع ! فقد لاقيت حرّاً ، يحاذر أن يعاب ، فمت حرّاً^٥
فإن تلك قد قتلت ، فليس عاراً ، فقد لاقيت ذا طرفين حرّاً^٦

فلما بلغت الأبيات عمه ، ندِم على ما منعه من تزويجها ، وخشي
أن تغتاله الحية ، فقام في أثره ، وبلغه ، وقد ملكته سورة الحية^٧ .
فلما رأى عمه ، أخذته حمية الجاهلية ، فجعل يده في فم الحية
وحكم سيفه فيها ، فقال :

بشر ، إلى المسجد ، بعيد همه ؛ لما رآه ، بالعرام ، عمه^٨
قد ثكلته نفسه وأمّه ، جاشت به جائشة تهمة^٩

- ١ من الأضلاع عشرين : تستعمل العرب عدد العشرة للدلالة على الكثرة ، لأنه تمام العقد الأول .
- ٢ خر : سقط . مجدلاً : صريعاً على الجدالة وهي الأرض . المشخر : العالي الذي .
- ٣ فخرًا : وروى قهراً .
- ٤ النكر : المنكر الذي لا تألفه النفس .
- ٥ لا تجزع : لا تحزن .
- ٦ ذا طرفين حرّاً : أي حرّاً من جهة الأب ، ومن جهة الأم .
- ٧ سورة الحية : سطوتها واعتداؤها .
- ٨ همه : أي همته ، ورجل بعيد الهم : أي طلاب للمعالي البعيدة المثال . العراء : القفص لا يستقر فيه بشي .
- ٩ ثكلته : سال أول من الماء في رآه ، بمعنى أبصره . جاشت : أي حاجت حال ثالثة . به : أي عليه . جائشة : وصف لمخلوف ، أي حية هائجة . تهمة : أي تودع الهم في قلبه لما يتوقع من شرها .

قامَ إلى ابنِ الفَلا يؤمُّهُ ، فغابَ فيه يَدُهُ وكُمُهُ^١
ونفسُهُ نفسِي وسُمِّي سُبُهُ

فلَمَّا قَتَلَ الحَيَّةَ ، قالَ عَمَّهُ : لَئِنِّي عَرَضْتُكَ^٢ طَمَعاً في أمرٍ^٣ قد نَفَى
اللهُ عَنائي عَنهُ ؛ فارْجِعْ لأزْوَجَكَ ابْنَتِي . فلَمَّا رَجَعَ ، جَعَلَ بِشَرٌّ يَمْلَأُ^٤
قَمَهُ فخرًا ، حَتَّى طَلَعَ أَمْرَدُ كَشِيقِ القَمَرِ^٥ ، على فَرَسِهِ ، مُدَجَّجًا في
سِلَاحِهِ . فقالَ بِشَرٌّ : يا عَمِّ ، لَئِنِّي أَسْمَعُ حِسَّ صَيْدٍ . وَخَرَجَ^٦ ؛ فإذا
بغُلامٍ على قَبْدٍ^٧ . فقالَ : تَكَلِّتَكَ أَمَكَ ، يا بِشَرُّ ! أَنْ قَتَلْتَ^٨ دودَةً
وَبَهِيمَةً تَمْلَأُ ماضِيكَ^٩ فخرًا ؟ أَنْتَ في أَمَانٍ إِنْ سَلَمْتَ عَمَكَ . فقالَ
بِشَرٌّ : مَنْ أَنْتَ ؟ لا أُمَّ لَكَ ! قالَ : أَلْيَوْمُ الأَسْوَدُ والمَوْتُ الأَحْمَرُ^{١٠} . فقالَ
بِشَرٌّ : تَكَلِّتَكَ مَنْ سَلَحَتْكَ ! فقالَ : يا بِشَرُّ ، وَمَنْ سَلَحَتْكَ !
وَكَرَّ كلَّ واحدٍ مِنْهُما على صاحِبِهِ . فَلَمَّ يَتَمَكَّنُ بِشَرٌّ مِنْهُ ، وَأَمَكَنَّ الغُلامُ
عِشْرُونَ طَعْنَةً في كُلِّيةِ بِشَرٍّ ؛ كُلِّما مَسَّهُ شَبَا السَّنَانِ^{١١} ، حَمَاهُ عَن بَدَنِهِ ،

- ١ قام : جواب لما رآه ، وفاعله يعود إلى بشر . ابن الفلا : أي الحية ، لأن الحيات العظيمة قلما
توجد إلا في الفلوات . والفلا : جمع فلاة . يؤمه : يقصده . فيه : أي في فيه . كنه : يظهر أنه
لف يده في كنه ، وأدخلها في فم الحية .
٢ عرضتك : أي عرضتك للهلاك .
٣ طمعاً في أمر : أي في تخليص ابنتي منك .
٤ نفي الله عنائي عنه : أي ردني وصرفني عنه ، كما يرد عنان الجواد ليسير إلى جهة غير الجهة التي
كان يسير إليها .
٥ شق القمر : أي فلقه من القمر .
٦ وخرج : أي خرج الصيد الذي سمع حسه . والحس : الصوت والحركة التي تسمعا قريبة منك
ولا تراها .
٧ على قيد : على قيد رمح منه ، أي مقدار طول الرمح .
٨ أن قتلت : أي الآن قتلت .
٩ الماضغان : أصول اللحيين عند مثبت الأضراس ، والحيان : مثني الحي : مكان ما تنبت الحية ،
فقوله تملأ ماضيك : أي تملأ فمك .
١٠ الموت الأحمر : القتل ، أو الموت الشديد .
١١ شبا السنان : حده .

إبقاءً عليه . ثم قال : يا بشرُ ، كيف ترى ؟ أليس لو أردتُ ، لأطعمتُكَ
أنيابَ الرمحِ ؟ ثم ألقى رُمحه ، واستلَّ سيفه ، فضربَ بشرًا عشرينَ ضربةً
بعرضِ السيفِ ، ولم يتمكّنْ بشرٌ من واحدة . ثم قال : يا بشرُ ، سلّمَ
عمّك ، واذهبْ في أمان . قال : نعم ولكنْ بشرِطةً أن تقولَ لي مَنْ
أنت . فقال : أنا ابنُكَ . فقال : يا سُبْحانَ الله ! ما قارنتُ عقيلةً قط ،
فأتى هذه المنحة ؟ فقال : أنا ابنُ المرأةِ التي دَلتْكَ على ابنةِ عمّك .
فقالَ بشرٌ :

تِلْكَ الْعَصَا مِنْ هَذِهِ الْعُصْيَةِ ١ هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا الْحَيَّةَ ٢ ؟

وحلّفَ : لا ركبَ حصانًا ، ولا تزوّجَ حصانًا ٣ . ثم زوّجَ ابنةَ عمّهِ
لابنِهِ .

- ١ العقيلة : المرأة الكريمة المخدرة . والمراد أنه لم يقارن بعد امرأة كريمة لتأتيه بمثل هذا الولد النجيب .
- ٢ العصا : فرس بلذيمة الأبرش . والعصية : أمها ، ومنه المثل : لا يلد العصا غير العصية . والمراد : أن بشرًا لم يعجب أن يكون الولد ابن تلك المرأة ، فقد خبر ما عندها من ذكاء ودهاء .
- ٣ الحصان يفتح الحاء : المرأة العقيلة .

ابو الفرج الاصبهاني

كتاب الاغاني

اخبار الشعراء

جميل وبثينة في خلوة

بَيْنَا أَنَا^١ فِي لَيْلِي ، فِي الرَّبِيعِ ، إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ مُنْطَوٍّ عَلَى رَحْلِهِ كَأَنَّهُ جَانٌ^٢ ؛
فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : مِمَّنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ فَقُلْتُ : أَحَدُ بَنِي حَنْظَلَةَ .
قَالَ : فَاثْتَسِبْ . فَاثْتَسَبْتُ ، حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى فَخِذِي^٣ الَّذِي أَنَا مِنْهُ . ثُمَّ سَأَلَنِي
عَنْ بَنِي عُدْرَةَ أَيْنَ نَزَلُوا . فَقُلْتُ لَهُ : هَلْ تَرَى ذَلِكَ السَّفْحَ ؟^٤ فَلِئْتَهُمْ نَزَلُوا
مِنْ وَرَائِهِ . قَالَ : يَا أَخَا بَنِي حَنْظَلَةَ ، هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ تَصْطَنَعُهُ لِي^٥ ؟
فَوَاللَّهِ لَوْ أَعْطَيْتَنِي مَا أَصْبَحْتَ تَسُوقُ مِنْ هَذِهِ الْإِبِلِ ، مَا كُنْتُ بِأَشْكَرَ مِنْتِي
لَكَ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : نَعَمْ ، وَمَنْ أَنْتَ أَوَّلًا ؟ قَالَ : لَا تَسْأَلَنِي مَنْ أَنَا ،
وَلَا أَخْبِرُكَ غَيْرَ أَبِي رَجُلٍ بَنِي وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَا يَكُونُ بَيْنَ بَنِي الْعَمِّ ؛
فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَأْتِيهِمْ ، فَإِنَّكَ تَجِدُ الْقَوْمَ فِي مَجْلِسِهِمْ ، فَتَنْشُدُهُمْ بِكُرَّةٍ^٥

...

..

١ المحدث شيخ من بني حنظلة من بني تميم .

٢ الجان : حية كحلاء العين لا تؤذي ، كثيرة في الدور .

٣ الفخذ : أقرب عشيرة الرجل من الحي .

٤ السفح : أصل الجبل أو أسفله .

٥ تنشدهم بكرة : تناديهم وتسالهم عنها . البكرة : الفتية من الإبل

أدماء^١ تجرّ خفّيتها ، غفلاً^٢ من السمّة . فإنّ ذكرّوا لك شيئاً ،
فذلك ، وإلاّ استأذنتهم^٣ في البيوت^٤ وقلت : إنّ المرأة والصبيّ قد يريان^٥
ما لا يرى الرجال ؛ فتشأدهم^٦ ولا تدع أحداً تُصيبه عينك ، ولا بيتاً من^٧
بيوتهم^٨ إلاّ نشدتها فيه .

فأتيت القوم ؛ فإذا هم على جزور^٩ يتتسمونها ، فسكمت وانتسبت^{١٠}
لهم ، ونشدتهم^{١١} ضالتي ، فلم يذكروا لي شيئاً . فاستأذنتهم^{١٢} في البيوت^{١٣}
وقلت : إنّ الصبيّ والمرأة يريان^{١٤} ما لا ترى الرجال^{١٥} . فأذنوا ؛ فأتيت أقصاها^{١٦}
بيتاً ، ثم استقرّيتها^{١٧} بيتاً بيتاً أنشدتهم^{١٨} ، فلا يذكرون شيئاً ؛ حتى إذا انتصف^{١٩}
النهار ، وأذاني حرّ الشمس ، وعطشت ، وفرغت من البيوت ، وذهبت^{٢٠}
لأنصرف ، حانت مني التفاتة^{٢١} ؛ فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء^{٢٢}
إلاّ ما عند غيرهم^{٢٣} ، ثم قلت لتنقي : سواة^{٢٤} ! وثق^{٢٥} بي رجل^{٢٦} ، وزعم^{٢٧}
أن حاجته تعدل^{٢٨} مالي ، ثم آتته فأقول : عجزت عن ثلاثة أبيات !
فانصرفت عامداً إلى أعظمها بيتاً ؛ فإذا هو قد أرخى مؤخره ومقدمه^{٢٩} ،
فسكمت ، فردّ عليّ السلام^{٣٠} ، وذكرّ ضالتي ، فقالت جارية^{٣١} منهم :
يا عبد الله ، قد أصبت ضالتك^{٣٢} ، وما أظنك إلاّ قد اشتدّ عليك الحرّ ،
واشتهيت الشراب^{٣٣} ؛ قلت : أجل ؛ قالت : ادخل^{٣٤} . فدخلت ، فأتني^{٣٥}
بصحفة فيها تمر^{٣٦} من تمر هجر^{٣٧} ، وقدح فيه لبن^{٣٨} والصحفة مصرية^{٣٩}

.....

- ١ أدماء : من الإبل بيضاء ، ومن الناس سمراء .
- ٢ غفلاً : لا سعة عليها أي لا علامة .
- ٣ استأذنتهم في البيوت : أي في سؤال من في البيوت من النساء والصبيان .
- ٤ الجزور : الناقة الملبوطة .
- ٥ استقرّيتها : تليقها .
- ٦ السواة : الخلة القبيحة ، ويقال في اللهاة : سواة لك . والمراد هنا : سواة لي ، كما تقول : قبحاً لي .
- ٧ تعدل : تساوي .
- ٨ أرخى مؤخره ومقدمه : أي أرخيت ستور الخباء من مؤخره ومقدمه .
- ٩ هجر : اسم لجميع أراضي البحرين ، وهي مشهورة بتمرها .

مُفَضِّلَةٌ ، والقَدَحُ مُفَضِّلٌ لم أرَ إناءَ قَطَّ أَحْسَنَ منه . فقالت : دونك . فتجمعت ، وشربت من اللبن ، حتى رويت ؛ ثم قلت : يا أمة الله ، والله ، ما أتيت اليومَ أكرمَ منك ، ولا أحقَّ بالفضل ؛ فهل ذكرت من ضالتي شيئاً ؟ فقالت : هل ترى هذه الشجرةَ فوقَ الشَّرَفِ ؟ قلت : نعم . قالت : فإن الشمسَ قد غربت أمسٍ وهي تُطيفُ حولها ، ثم حالَ الليلُ بيني وبينها .

فقمتُ ، وجزيتُها الخيرَ ، وقلت : والله لقد تغديتُ ورويتُ ! فخرجتُ ، حتى أتيتُ الشجرةَ ، فأطفتُ بها ؛ فوالله ، ما رأيتُ من أثرٍ ، فأتيتُ صاحبي ، فإذا هو مُتَشَحٌّ ، في الإبلِ^١ ، بكيسائه ، ورافعُ عقيرتهُ^٢ ، يُغَنِّي . قلتُ : السلامُ عليك . قال : وعليكَ السلامُ ، ما وراءك ؟ قلتُ : ما ورائي من شيء . قال : لا عليك^٣ ! فأخبرني بما فعلتُ . فاقترصتُ عليه القصةَ ، حتى انتهيتُ إلى ذكرِ المرأةِ وأخبرتهُ بالذي صنعتهُ . فقال : قد أصبتَ طلبتَكَ . فعجبتُ من قوله ، وأنا لم أجِدْ شيئاً . ثم سألتني عن صفةِ الإنائين : الصحفةِ والقَدَحِ . فوصفتُهُما له . فتَنَفَّسَ الصُّعْداءُ ، وقال : قد أصبتَ طلبتَكَ ، ويحك ! ثم ذكرتُ له الشجرةَ ، وأنها رأتها تُطيفُ بها . فقال : حسبك !

فمكثتُ حتى إذا أوتِ إبلي إلى مَبَارِكِيها ، دَعَوتهُ إلى العشاءِ ، فلم يَدُنْ منه ، وجلسَ مني بمزجرِ الكلبِ^٤ . فلما ظنَّ أنني قد نمتُ ، رَمَقْتُهُ ،

١ يا أمة الله : يقال للمرأة يا أمة الله ، وللرجل يا عبد الله ، على الأخص إذا كانا مجهولي الاسم والنسب عند من يخاطبهما .

٢ الشرف : المكان العالي .

٣ في الإبل : أي معها مستقر .

٤ العقيرة : صوت الرجل إذا غي أو قرأ أو بكى .

٥ لا عليك : أي لا بأس عليك .

٦ رأها : ضمير النصب يعود على البكرة .

٧ مزجر الكلب : أي في مكان ما يزجر الكلب ، أي يردع لهدأ ويكف . والمراد أنه جلس متنعياً صامتاً كالكلب المزجور .

فَقَامَ إِلَى عَيْبَةَ^١ لَهُ . فَاسْتَخَرَجَ مِنْهَا بُرْدَيْنِ ، فَأَتَزَرَ بِأَحَدِهِمَا^٢ وَتَرَدَّى^٣
بِالْآخَرِ . ثُمَّ انْطَلَقَ عَامِداً نَحْوَ الشَّجَرَةِ . وَاسْتَبَطَّنَتْ الْوَادِيَّ^٤ ، فَجَعَلَتْ
أَخْفِي نَفْسِي ، حَتَّى إِذَا خِفْتُ أَنْ يَرَانِي ، انْبَطَحْتُ ؛ فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ ،
حَتَّى سَبَقَتْهُ إِلَى شَجَرَاتٍ قَرِيبٍ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، بِحَيْثُ أَسْمَعُ كَلَامَهُمَا ،
فَاسْتَرْتُ بَيْنَ ؛ وَإِذَا صَاحِبَتُهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ . فَأَقْبَلَ حَتَّى كَانَ مِنْهَا غَيْرَ
بَعِيدٍ ؛ فَقَالَتْ : اجْلِسْ ؛ فَوَاللَّهِ ، لَكَأَنَّهُ لَصِقَ بِالْأَرْضِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهَا ،
وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا أَكْرَمَ سُؤَالَ سَمِعْتُ بِهِ قَطًّا وَأَبْعَدَهُ مِنْ كُلِّ رِيْبَةٍ .
وَسَأَلْتُهُ مِثْلَ مَسْأَلَتِهِ ؛ ثُمَّ أَمَرْتُ جَارِيَةً مَعَهَا ، فَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ طَعَاماً . فَلَمَّا
أَكَلَ وَفَرَغَ ، قَالَتْ : أَنْشِدْنِي مَا قُلْتَ ؛ فَأَنْشَدَهَا :

عَلَيْكَتُ الْهُوَى ، مِنْهَا ، وَلِيداً فَلَمْ يَزَلْ^٥ ، إِلَى الْيَوْمِ ، يَنْبِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ^٦

فَلَمْ يَزَلَا يَتَحَدَّثَانِ ، مَا يَقُولَانِ فُحْشاً وَلَا هُجْراً^٧ ، حَتَّى التَفَقَّتِ
التَّفَاتَةُ^٨ ، فَتَنَظَّرَتْ إِلَى الصَّبْحِ ، فَوَدَّعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ أَحْسَنَ وَدَاعٍ
مَا سَمِعْتُ بِهِ قَطًّا ، ثُمَّ انْصَرَفَا .

فَقُمْتُ ، فَمَضَيْتُ إِلَى إِبِلِي ، فَاضْطَجَعْتُ ؛ وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَمْشِي
خَطْوَةً^٩ ، ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى صَاحِبِهِ^{١٠} . فَجَاءَ بَعْدَ مَا أَصْبَحْنَا ، فَرَفَعَ بُرْدِيهِ ،
ثُمَّ قَالَ : يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ ، حَتَّى مَتَى نَنَامُ أَفَقُمْتُ ، وَتَوَضَّأْتُ ، وَصَلَّيْتُ ،

١ العيبة : وعاء من آدم يكون فيه المتاع .

٢ اتزر بأحدهما : أي شده على وسطه ، وهو المزر والإزار .

٣ تردي : ارتدى .

٤ استبطنت الوادي : سرت في بطنه .

٥ قريب : يستعمل للواحد والجمع .

٦ سمعت به قط : من غير ما النافية جائز على قلة ، ومنعه بعضهم .

٧ علقت الهوى : بمعنى علقت به ، أي نشبت به فما أستطيع خلاصاً . والمعنى : أنه أحبا وهو وليد ،
ولم يزل حبا ينمو معه ويزيد . يقال : نما ينمو ، ونمى ينمي .

٨ الهجر : الكلام القبيح .

٩ رجع الحديث هنا إلى جميل وبثينة ، وهو إتمام لقوله : ثم انصرفا .

وَحَلَبْتُ لِإِبْلِ ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهَا ، وَهُوَ أَظْهَرَ النَّاسِ سُرُورًا . ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى
الْغَدَاءِ فَتَخَدَّيْتُ ؛ ثُمَّ قَامَ إِلَى عَيْبَتِهِ فَافْتَتَحَهَا ، فَلَمَّا فِيهَا سِلَاحٌ وَبُرْدَانٌ مِمَّا
كَسَّتَهُ الْمُلُوكُ ، فَأَعْطَانِي أَحَدَهُمَا ، وَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ ، لَوْ كَانَ مَعِيَ شَيْءٌ
مَا ذَخَرْتُهُ عَنْكَ . وَحَدَّثَنِي حَدِيثَهُ ، وَانْتَسَبَ لِي ؛ فَلَمَّا هُوَ جَمِيلٌ بْنُ
مَعْمَرٍ ، وَالْمَرْأَةُ بُثَيْنَةُ . وَقَالَ لِي : إِنِّي قَدْ قُلْتُ أَبْيَانًا فِي مُنْصَرَفِي مِنْ عِنْدِهَا ؛
فَهَلْ لَكَ ، إِنْ رَأَيْتَهَا ، أَنْ تُنْشِدَهَا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ؛ فَأَنْشَدَنِي :

وَمَا أُنْسَمِ الْأَشْيَاءِ ، لَا أُنْسَ قَوْلَهَا ، وَقَدْ قَرَّبْتُ نِضْوِي : أَمِصَّرْ تُرِيدُ ؟^١

الْأَبْيَاتِ . ثُمَّ وَدَّعَنِي وَانْصَرَفَ . فَمَكَثْتُ ، حَتَّى أَخَذَتِ الْإِبِلُ مَرَاتِعَهَا^٢ ،
ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى دُهْنٍ^٣ كَانَ مَعِيَ ، فَدَهَنْتُ بِهِ رَأْسِي ؛ ثُمَّ ارْتَدَيْتُ بِالْبُرْدِ ،
وَأَتَيْتُ الْمَرْأَةَ فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، إِنِّي جِئْتُ أَمْسِ طَالِبًا^٤ ، وَالْيَوْمَ
زَائِرًا ؛ أَفَتَذُنُونَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . فَسَمِعْتُ جَوِيرِيَّةً تَقُولُ لَهَا : يَا بُثَيْنَةُ ،
عَلَيْهِ ، وَاللَّهِ ، بُرْدٌ جَمِيلٌ . فَجَعَلْتُ أَثْنِي عَلَى ضَيْفِي وَأَذْكُرُ فَضْلَهُ ، وَقُلْتُ :
إِنَّهُ ذَكَرَكَ فَأَحْسَنَ الذِّكْرَ ، فَهَلْ أَنْتِ بَارِزَةٌ لِي ، حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ :
نَعَمْ . فَلَبِيسْتُ ثِيَابَهَا ، ثُمَّ بَرَزْتُ ، وَدَعَتْنِي بِطُرْفٍ^٥ ؛ ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَخَا
بَنِي تَمِيمٍ ، وَاللَّهِ ، مَا ثَوْبَاكَ هَذَا بِمُسْتَبْهَيْنٍ^٦ . وَدَعَتْنِي بِعَيْبَتِهَا ، فَأَخْرَجْتُ
لِي مِلْحَفَةً^٧ مَرْوِيَّةً^٨ مُشْبَعَةً^٩ مِنَ الْعُصْفُرِ ؛ ثُمَّ قَالَتْ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ

١ ما أنس : أي إن أنس . م الأشياء : أي من الأشياء ؛ استعملت في الشعر . النضو : المهزول من الإبل
لكثرة الأسفار .

٢ أخذت الإبل مراتعها : أي انتهت من رعيها .

٣ الدهن : ما يدهن به الرأس والحية من زيت الأثمار للتطيب .

٤ طالباً : أي طالباً ضالتي .

٥ الطرف : الأثمار الفرية ، واحدها طرفة .

٦ أي لا يشبه أحدهما الآخر ، فهما غير متناسبين .

٧ الملحفة : اللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه .

٨ المروي : نسبة إلى مرو ، بلدة بفارس .

٩ العصفر : نبت يصيب بزهه صبيغ أصفر .

لَتَقُومَنَّ إِلَى كِسْرِ الْبَيْتِ^١ ، وَلَتَخْلَعَنَّ مِدْرَعَتَكَ^٢ ، ثُمَّ لَتَأْتِرِينَ بِهَذِهِ
الْمِلْحَقَةِ ، فَهِيَ أَشْبَهُ بُرْدِكَ . فَفَعَلْتَ ذَلِكَ ، وَأَخَذْتَ مِدْرَعَتِي فَجَعَلْتُهَا
إِلَى جَانِبِي ، وَأَنْشَدْتُهَا الْآيَاتَ ، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهَا . وَتَحَدَّثْنَا طَوِيلًا مِنَ النَّهَارِ ،
ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى إِبِلِي بِمِلْحَقَةٍ بُشِينَةٍ^٣ ، وَبُرْدٍ جَمِيلٍ ، وَنَظَرَةً مِنْ بُشِينَةٍ^٤ .

الدارمي^٥ وتاجر الخمر

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ بُسْكَارٍ . . . الخ .
أَنَّ تَاجِرًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَدِيمَ الْمَدِينَةِ بِحُمْرٍ^١ ، فَبَاعَهَا كُلَّهَا ، وَبَقِيَ
السُّودُ مِنْهَا فَلَمْ تَنْفُقْ . وَكَانَ صَدِيقًا لِلدَّارِمِيِّ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ
نَسَكَ وَتَرَكَ الْغِنَاءَ وَقَوْلَ الشَّعْرِ ؛ فَقَالَ لَهُ : لَا تَهْتَمَّ بِذَلِكَ ، فَإِنِّي
سَأُنْفِقُهَا لَكَ حَتَّى تَبِيعَهَا أَجْمَعَ . ثُمَّ قَالَ :

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ ، فِي الْخِمَارِ الْأَسْوَدِ : مَاذَا صَنَعْتَ بِرَاهِبٍ مُتَعَبِّدٍ ؟
قَدْ كَانَ شَمَّرَ لِلصَّلَاةِ ثِيَابَهُ^٢ ، حَتَّى وَقَفْتَ لَهُ بِيَابِ الْمَسْجِدِ

وَعَنَتِي فِيهِ ؛ وَعَنَتِي فِيهِ أَيْضًا سِنَانُ الْكَاتِبِ ، وَشَاعَ فِي النَّاسِ وَقَالُوا :
قَدْ فَتَكَ^٣ الدَّارِمِيَّ وَرَجَعَ عَنْ نُسْكِهِ . فَلَمْ تَبْقَ فِي الْمَدِينَةِ ظَرْيْفَةً إِلَّا^٤
ابْتَاعَتْ خِمَارًا أَسْوَدَ ، حَتَّى تَفِيدَ مَا كَانَ مَعَ الْعِيرَاقِيِّ مِنْهَا . فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ
الدَّارِمِيُّ ، رَجَعَ إِلَى نُسْكِهِ ، وَلَزِمَ الْمَسْجِدَ .

... .

- ١ كسر البيت : جانبه ، والشقة السفلى من الجباه .
- ٢ المدرعة : ضرب من الثياب ، ولا تكون إلا من الصوف .
- ٣ الدارمي : شاعر أموي من مكة ، وكان يحسن الغناء .
- ٤ الخمر : جمع الخمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها .
- ٥ فتك : يجن .

قوة هلال^١

وقال خالد بن كلثوم : كان هلال بن الأسعر ، فيما ذكروا ، يرد مع الإبل ، فيأكل ما وجد عند أهله ، ثم يرجع إليها ، ولا يتزود طعاماً ولا شراباً ، حتى يرجع يوم ورودها ، لا يذوق طعاماً ولا شراباً . وكان عادي الخلق^٢ لا توصف صفتته .

قال خالد بن كلثوم : فحدثنا عنه من أدركه : أنه كان يوماً في إبل له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس محتدم الهاجرة^٣ ، وقد عمده إلى عصاه فطرح عليها كساءه ، ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس . فبينما هو كذلك ، إذ مر به رجلان : أحدهما من بني نهمشل ، والآخر من بني فقيم^٤ ، كانا أشد تميميين ، في ذلك الزمان ، بطشاً ، يقال لأحدهما الهياج ، وقد أقبلتا من البحرين ومعهما أنواط^٥ من تمر هجر^٦ . وكان هلال بناحية الصعاب^٧ . فلما انتهيا إلى الإبل ، ولا يعرفان هلالاً بوجهه ، ولا يعرفان أن الإبل له ، ناديا : يا راعي ، أعندك شراب نسقينا ؟ وهما يظنانه عبداً لبعضهم . فتأداهما هلال ورأسه تحت كسائه : عليكما الناقة^٨ التي صفتها كذا ، في موضع كذا ، فأنيخاها ، فإن عليها وطبين^٩ من لبن ، فاشربا منهما ما بدا لكما . قال^{١٠} :

١ هلال : شاعر أموي ، وربما أدرك الدولة العباسية . وكان شديداً عظيم الخلق أكولا ، صبوراً على الجوع .

٢ عادي الخلق : عملاق ضخم الجسم ، نسبة إلى عاد ، والعرب تضرب المثل بأحلام قوم عاد وأجسامهم .

٣ الهاجرة : نصف النهار ، وشدة الحر .

٤ فقيم ونهمشل : كلاهما من دارم ، ثم من تميم .

٥ الأنواط ، جمع لوط : القفة الصغيرة فيها التمر ونحوه .

٦ هجر : ناحية البحرين كلها .

٧ الصعاب : اسم جبل بين اليمامة والبحرين ، وقيل : رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك .

٨ عليكما الناقة : أي الزمها ولا تفارقاها ، فعليك هنا اسم فعل ، ويقال أيضاً عليك به : أي استمسك به .

٩ الوطب : سقاء اللبن خاصة ، ويكون من جلد .

١٠ قال : القيسر يعود على المحدث .

فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا : وَيَحْكُ ! انْهَضْ ، يَا غُلَامُ ، فَأَتِ بِذَلِكَ اللَّبَنِ !
فَقَالَ لَهُمَا : إِنْ تَكُ لَكُمَا حَاجَةٌ ، فَسَتَأْتِيَانِيهَا فَتَجِدَانِ الْوُطْبَيْنِ ، فَتَشْرَبَانِ .
قَالَ : فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إِنَّكَ ، يَا ابْنَ الْخَنَاءِ ^١ ، لَتَغْلِيظُ الْكَلَامَ ، قَسْمٌ
فَاسْقِنَا . ثُمَّ دَنَا مِنْ هَيْلَالٍ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ^٢ . وَقَالَ لَهَا ، حَيْثُ ^٣ قَالَ لَهُ
أَحَدُهُمَا : « إِنَّكَ يَا ابْنَ الْخَنَاءِ لَتَغْلِيظُ الْكَلَامَ » : أَرَأَيْكُمْ ، وَاللَّهِ ،
سَتَلْقَيَانِ هَوَانًا وَصَغَارًا .

وَسَمِعَا ذَلِكَ مِنْهُ ، فَدَنَا أَحَدُهُمَا ، فَأَهْوَى لَهُ ضَرْبًا بِالسُّوْطِ عَلَى عَجْزِهِ ،
وَهُوَ مُضْطَجِعٌ . فَتَنَاوَلَ هَيْلَالٌ يَدَهُ ، فَاجْتَدَبَهُ إِلَيْهِ ، وَرَمَاهُ تَحْتَ فَخْدِهِ ،
ثُمَّ ضَغَطَهُ ضَغْطَةً ، فَنَادَى صَاحِبَهُ : وَيَحْكُ ! أَغْنِي ، قَدْ قَتَلْتَنِي ! فَدَنَا
صَاحِبُهُ مِنْهُ ، فَتَنَاوَلَهُ هَيْلَالٌ أَيْضًا ، فَاجْتَدَبَهُ ، فَرَمَى بِهِ تَحْتَ فَخْدِهِ
الْأُخْرَى ، ثُمَّ أَخَذَ بِرِقَابِهِمَا ، فَجَعَلَ يَصُكُّ بَرُوسِهِمَا بَعْضًا بِبَعْضٍ ،
لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَمْتَنِعَا مِنْهُ . فَقَالَ أَحَدُهُمَا : كُنْ هَيْلَالًا ، وَلَا نُبَالِي
مَا صَنَعْتَ . فَقَالَ لَهَا : أَنَا وَاللَّهِ هَيْلَالٌ ، وَلَا ، وَاللَّهِ ، لَا تُفْلِتَانِ مِنِّي ،
حَتَّى تُعْطِيَانِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَا تَخِيْسَانِ بِهِ ^٤ . لَتَأْتِيَانِ الْمِرْبَدَ ^٥ ، إِذَا قَدِمْتُمَا
الْبَصْرَةَ ، ثُمَّ لَتُنَادِيَانِ بِأَعْلَى أَصْوَاتِكُمَا بِمَا كَانَ مِنِّي وَمِنْكُمْ . فَعَاهَدَاهُ ،
وَأَعْطِيَاهُ نَوْطًا مِنَ التَّمْرِ الَّذِي مَعَهُمَا . وَقَدِمَا الْبَصْرَةَ ، فَأَتِيَا الْمِرْبَدَ ،
فَنَادَا بِمَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْهُمَا .

.....

١ الخناء : صفة للأمة ، ومن شَمَّ العرب : يا ابن الخناء ، كأنهم يقولون : يا دليء الأصل يا لئيم .

٢ وهو على تلك الحال : أي رأسه تحت كسائه .

٣ حيث : هنا ظرفية زمانية كحين .

٤ الصغار : الرضى بالذل .

٥ قوله : برقابهما ورؤوسهما بالجمع دون التثنية ، لكراهة اجتماع تثنييتين ، مع ظهور المراد ، وقد تستعمل التثنية والإفراد .

٦ لا تخيسان به : لا تغدران به ولا تنكثان ، وضمير به عائد إلى الأقرب .

٧ المريد : سوق بالقرب من البصرة ، كانت فيها معاشرات الشمراء ومجالس الخطباء .

أبو دلامة وسلمة الوصيف

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ سَلَمَةُ الْوَصِيفُ^١ وَاقِفًا ،
فَقَالَ : إِنِّي أَهْدَيْتُ إِلَيْكَ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مُهْرًا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ ؛ فَإِنْ
رَأَيْتَ أَنْ تُشَرِّفَنِي بِقَبُولِهِ . فَأَمَرَهُ بِإِدْخَالِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ وَأَدْخَلَ إِلَيْهِ
دَابَّتَهُ^٢ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَهُ ، فَإِذَا بِهِ يَرْدُونَ^٣ مُحْطَمًا^٤ أَعْجَفَ^٥ هَرِيمًا . فَقَالَ
الْمَهْدِيُّ : أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ، وَيَلَيْكَ أَلَمْ تَزْعُمْ أَنَّهُ مُهْرٌ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَوْلَيْسَ
هَذَا سَلَمَةُ الْوَصِيفِ بَيْنَ يَدَيْكَ قَائِمًا ، تُسَمِّيهِ الْوَصِيفَ وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً ،
وَهُوَ عِنْدَكَ وَصِيفٌ ؟ فَإِنْ كَانَ سَلَمَةُ وَصِيفًا ، فَهَذَا مُهْرٌ . فَجَعَلَ سَلَمَةُ
يَسْتَشْمُهُ وَالْمَهْدِيُّ يَضْحَكُ . ثُمَّ قَالَ لِسَلَمَةَ : وَيَلَيْكَ ، إِنْ لَهْذِهِ مِنْهُ
أُخَوَاتٌ ، وَإِنْ أَتَى بِهَا فِي مَحْفِلٍ فَضَحَكَ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : وَاللَّهِ لَأَفْضَحَنَّهُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَلَيْسَ مِنْ مَوَالِيكَ أَحَدٌ ، إِلَّا وَقَدْ وَصَلَنِي ، غَيْرُهُ ؛ فَإِنِّي
مَا شَرِبْتُ لَهُ الْمَاءَ قَطُّ . قَالَ : فَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْرِيَ نَفْسَهُ مِنْكَ
بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْ يَدِكَ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ عَلَى أَنْ لَا يُعَاوِدَ .
فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى ؟ قَالَ : أَفْعَلُهُ ، فَلَوْلَا أَنِّي مَا أَخَذْتُ مِنْهُ شَيْئًا قَطُّ ،
مَا فَعَلْتُ مَعَهُ مِثْلَ هَذِهِ . فَمَضَى سَلَمَةُ فَحَمَلَهَا إِلَيْهِ .

.....

- ١ الوصيف : الخادم ، أو خادِم المَلِكِ والأَمْرَاءِ ، وَيَكُونُ فِي الْغَالِبِ قَتِي .
- ٢ البردون : دَابَّةُ الْحِمْلِ الثَّقِيلَةُ الْبَطِيئَةُ ، أَوْ الْفَرَسُ غَيْرُ الْأَصِيلِ .
- ٣ أعجف : هَزِيلٌ .
- ٤ قَالَ : أَيُّ سَلَمَةٍ .
- ٥ أَفْعَلُ : أَيُّ لَا يُعَاوِدُ .

اخبار المغنين

معبد في السفينة

كان معبدٌ قد علّمَ جاريةً من جَواري الحِجازِ الغناءَ تُدعى «ظبيّة» ،
وعُنيَ بتخريجِها ؛ فاشتراها رجلٌ من أهلِ العراقِ ، فأخرجَها إلى البصرةِ ،
وباعَها هناكَ ؛ فاشتراها رجلٌ من أهلِ الأهوازِ ، فأعجبَ بها ، وذهبتُ بهِ
كلَّ مذهبٍ وعلّبتُ عليه . ثمّ ماتتُ بعدَ أنْ أقامتُ عندهُ بُرْهةً^١ من
الزمانِ . وأخذَ جَواريه أكثرَ غنائِها عنها . فكانَ لمحبّتهِ إيتاها ، وأسقى
علّيها ، لا يزالُ يسألُ عن أخبارِ معبدٍ وأينَ مُستقرُّه^٢ ، ويظهرُ التّعصّبَ
لهُ والميلَ إليهِ والتّقديمَ لغنائِهِ على سائرِ أغاني أهلِ عصرِهِ ؛ إلى أنْ عُرِفَ
ذلكَ منه . وبلغَ معبدًا خبرَهُ^٣ ، فخرجَ من مكّةَ حتى أتى البصرةَ ، فلمّا
ورَدَها صادفَ الرَّجُلَ قد خرّجَ عنها ، في ذلكَ اليومِ ، إلى الأهوازِ ، فاكترى
سفينةً . وجاءَ معبدٌ يَلْتَمِسُ سفينةً يَنحَدِرُ فيها إلى الأهوازِ ، فلمْ يَجِدْ
غيرَ سفينةِ الرَّجُلِ ؛ وليسَ يَعرِفُ أحدٌ منهما صاحِبَهُ . فأمرَ الرَّجُلُ
المُتَلَاخَ أنْ يُجلِسَهُ مَعَهُ في مؤخِرِ السفينةِ ، ففعلَ ؛ وانحدروا .
فلَمّا صاروا في قَمِ نَهرِ الأُبُلّةِ^٤ ، تَغَدّوا وشربوا ؛ وأمرَ جَواريهُ
فغنّينَ ، ومعبدٌ ساكِنٌ وهو في ثيابِ السّفَرِ ، وعلّيهِ فَرُوْهُ وخُفّانِ غليظانِ
وزيّ جافٍ من زِيّ أهلِ الحِجازِ ؛ إلى أنْ غَنّتْ إحدى الجَواري :

صوت

بانتَ سعادُ ، وأمسى حبْلُها انصرَمَا ، واحتلّتِ الغورَ والأجراجَ من إضمّا^٥

١ البرهة بفتح الباء وضمة هاء : الزمن الطويل ، وتأتي بمعنى الزمن مطلقاً .

٢ الأبلّة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .

٣ الغور : المطنين من الأرض . الأجراج : جمع جرج : الرملة الطيبة المنبت . إضم : راد بجبل تهامة ، وهو الوادي الذي فيه المدينة .

إحدى بليّ ، وما هامّ القوادُ بها إلاّ السّفاه ، وإلاّ ذُكّرة حُلُمًا

— قال حمّاد : والشّعْرُ للتّابغة الدّيبانيّ ، والغِناءُ لمعبّدٍ ، خفيفٌ ثَقيلٌ
أولَ بالبِنْصيرِ ، وفيه لغيره الخانُ قَدِيمَةٌ ومُحدّثَةٌ —

فلَمْ تُجِدْ أداءَهُ ، فصاحَ بها مَعْبَدٌ : يا جاريةُ ، إنّ غِناءَكَ هذا ليسَ
بمُسْتَقِيمٍ . قالَ : فقالَ لَهُ مَولاهُ ، وقد غَضِبَ : وأنتَ ما يُدريكَ الغِناءَ
ما هو ؟ لِمَ لا تُمسِكُ وتُكزِمُ شأنَكَ ؟ فأَمْسَكَ مَعْبَدٌ .
ثمّ غَنَّتْ أصواتاً من غِناءٍ غيرِهِ ، وهو ساكِتٌ لا يَتَكَلَّمُ ، حتى غَنَّتْ :

صوت

بابنة الأزديّ قلبي كَتِيبٌ ، مُسْتَهامٌ عِندَها ، ما يُنِيبُ^١
ولقد لامُوا ، فقلتُ : دَعُوني ! إنّ مَنْ تَنهَوْنَ عَنْهُ حَبِيبٌ
إنّما أبلَى عِظامي وجِسمي حُبُّها ، والحُبُّ شيءٌ عَجِيبٌ
أيتها العائِبُ عِندي هَواها ، أنتَ تَفدي مَنْ أراكَ تَعِيبُ

— والشّعْرُ لمَعْبَدِ الرّحْمَنِ بنِ أبي بَكْرٍ ، والغِناءُ لمَعْبَدٍ ثَقيلٌ أولُ
بالسَّبّابةِ في مَجَرى البِنْصيرِ —
قالَ : فأخَلَّتْ بِبَعْضِهِ . فقالَ لها مَعْبَدٌ : يا جاريةُ ، لَقَدِ أخَلَّتْ
بِهَذَا الصَّوْتِ إِخْلالاً شَدِيداً . فغَضِبَ الرَّجُلُ وقالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! ما أنتَ
والغِناءُ ! ألا تَكُفّ عَنْ هَذَا الفُضُولِ ! فأَمْسَكَ . وغَنَّتِ الجَواري مَلِيّاً^٢ .
ثمّ غَنَّتْ إحداهنّ :

١ بلي : اسم قبيلة . السفاه : الطيش وشفة الحلم . الذكّرة : نقيض اللسان ، وتكرس الدال .

٢ ينِيب : يتوب .

٣ ملياً : أي ساعة طويلة .

صوت

خَلِيلِيَّ ، عُوْجًا مِنْكُمْ سَاعَةً مَعِي عَلَى الرَّبْعِ نَقْضِي حَاجَةً^١ ، وَنُوْدَعِ^٢
وَلَا تُعْجِلَانِي أَنْ أَلِيْمَ بِيْدِ مَنْتَهٍ لِعِزَّةٍ ، لَاحَتْ لِي بِبَيْدَاءٍ بَلَقَعِ^٣
وَقُولَا لِقَلْبٍ قَدْ سَلَا : رَاجِعِ الْهَوَى ، وَلِلْعَيْنِ : أَذْرِي مِنْ دُمُوعِكَ ، أَوْ دَعِي
فَلَا عَيْشَ إِلَّا مِثْلُ عَيْشِ مَنْصَى لَنَا مَصِيْفًا ، أَقْمِنَا فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبَعِ^٤
- الشَّعْرُ لِكثِيْرٍ ، وَالْغِنَاءُ لِمَعْبَدٍ خَفِيفٌ ثَقِيْلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَسْجَرِي
الْوُسْطَى ، وَفِيهِ رَمَلٌ لِلْغَرِيضِ^٥ -

قال : فَلَمْ تَصْنَعْ فِيهِ شَيْئًا . فَقَالَ لَهَا مَعْبَدٌ : يَا هَذِهِ ، أَمَا تَقُومِينَ عَلَى
أَدَاءِ صَوْتٍ وَاحِدٍ ؟ فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ : مَا أَرَاكَ تَدْعُ هَذَا الْفُضُولَ
بَوَجْهِهِ وَلَا حِيلَةَ ! وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُنْ غَاوَدْتَ ، لَا تُخْرِجَنَّكَ مِنَ السَّفِينَةِ .
فَأَمْسَكَ مَعْبَدٌ ، حَتَّى إِذَا سَكَتَتِ الْجَوَارِي سَكْنَةً ، انْدَفَعَ يَغْنِي
الصَّوْتِ الْأَوَّلَ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُ ، فَصَاحَ الْجَوَارِي : أَحْسَنْتَ ، وَاللَّهِ ، يَا رَجُلُ !
فَأَعَدَّهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَا كَرَامَةَ . ثُمَّ انْدَفَعَ يَغْنِي الثَّانِي ، فَقُلْنَ
لِسَيِّدِهِنَّ : وَيَحْك ! هَذَا ، وَاللَّهِ ، أَحْسَنَ النَّاسِ غِنَاءً ، فَسَلَّهُ أَنْ يُعِيدَهُ
عَلَيْنَا وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، لَعَلَّنَا نَأْخُذَهُ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ ، إِنْ فَاتَنَا ، لَمْ نَجِدْ
مِثْلَهُ أَبَدًا . فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُنَّ سُوءَ رَدِّهِ عَلَيْكُنَّ وَأَنَا خَائِفٌ مِثْلَهُ
مِنْهُ ، وَقَدْ أَسْلَفْنَاهُ الْإِسَاءَةَ ، فَاصْبِرْنَ حَتَّى نُدَارِيَهُ .

ثُمَّ غَنَى الثَّالِثُ ، فَزَلَّزَلْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ ، فَوَتَّبَ الرَّجُلُ فَخَرَجَ

١ منكما : ويرى فابكيا ، وهو أجود . نقضي : مجزوم بجواب الأمر ، وأشبعت الحركة فظهرت الياء
للشعر .

٢ البلقع : المقعر ، المذكر والمؤنث .

٣ المربع : الموضع ينزلونه في الربيع .

٤ الغريض : من مشاهير المغنين في بني أمية .

٥ مثله : أي مثل هذا الرد .

إِلَيْهِ ، وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي ، أَخْطَأْنَا عَلَيْكَ وَلَمْ نَعْرِفْ مَوْضِعَكَ .
فَقَالَ لَهُ : فَهَبْكَ لَمْ تَعْرِفْ مَوْضِعِي ، قَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْتَبِهْتَ
وَلَا تُسْرِعَ إِلَيَّ بِسُوءِ الْعِشْرَةِ وَجَفَاءِ الْقَوْلِ . فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَخْطَأْتُ ،
وَأَنَا أَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مِمَّا جَرَى ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَنْزِلَ إِلَيَّ وَتَخْتَلِطَ بِي .
فَقَالَ : أَمَّا الْآنَ فَلَا . فَلَمْ يَزَلْ يَرْفُقُ بِهِ حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ
الرَّجُلُ : مِمَّنْ أَخَذْتَ هَذَا الْغِنَاءَ ؟ قَالَ : مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْحِجَازِ ؛
فَمِنْ أَيْنَ أَخَذَهُ جَوَارِيكَ ؟ فَقَالَ : أَخَذْتُهُ مِنْ جَارِيَةٍ كَانَتْ لِي ابْتِاعَهَا
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ مَكَّةَ ، وَكَانَتْ قَدْ أَخَذَتْ عَنْ أَبِي عَبَّادٍ
مَعْبُودٌ ، وَعُني بِتَخْرِيجِهَا ، فَكَانَتْ تَحُلُّ مِنِّي مَحَلَّ الرُّوحِ ؛ ثُمَّ اسْتَأْثَرَ
اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِهَا ، وَبَقِيَ هَوْلًا الْجَوَارِي ، وَهْنٌ مِنْ تَعْلِيمِهَا ؛ فَأَنَا
إِلَى الْآنَ أَتَعَصَّبُ لِمَعْبُودٍ وَأَفْضَلُهُ عَلَى الْمُتَشَبِّهِينَ جَمِيعًا ، وَأَفْضَلُ صَنَعَتِهِ
عَلَى كُلِّ صَنَعَةٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْبُودٌ : أَوْ لَئِنْ هُوَ ! افْتَسَحَرْتُني ؟
قَالَ : لَا . فَصَلَّاهُ مَعْبُودٌ بِيَدِهِ صَلَعَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : فَأَنَا ، وَاللَّهِ ، مَعْبُودٌ ؛
وَالَيْكَ قَدِمْتُ مِنَ الْحِجَازِ وَوَفَيْتُ الْبَصْرَةَ ، سَاعَةَ نَزَلَتِ السَّفِينَةُ ،
لَأَقْصِدَكَ بِالْأَهْوَاِ ، وَاللَّهِ ، لَا قَصَّرْتُ فِي جَوَارِيكَ هَوْلًا ، وَلَا جَعَلْتُ لَكَ
فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَلْقًا مِنَ الْمَاضِيَةِ . فَأَكْبَبَ الرَّجُلُ وَالْجَوَارِي عَلَى
يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ يَقْبَلُونَهَا وَيَقُولُونَ : كَتَمْتُنَا نَفْسَكَ ، طَوْلَ هَذَا الْيَوْمِ ،
حَتَّى جَفَوْنَاكَ فِي الْمُخَاطَبَةِ ، وَأَسَانَا عِشْرَتَكَ ، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَمَنْ نَقْتَمِنُ
عَلَى اللَّهِ أَنْ نَلْقَاهُ !

ثُمَّ غَيَّرَ الرَّجُلُ زِيَهُ وَحَالَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ عِدَّةَ خَلِيعٍ ، وَأَعْطَاهُ ،
فِي وَقْتِهِ ، ثَلَاثُمِائَةَ دِينَارٍ ، وَطِيبًا وَهَدَايَا بِمِثْلِهَا . وَانْحَدَرَ مَعَهُ إِلَى
الْأَهْوَاِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى رَضِيَ حِذْقَ جَوَارِيهِ وَمَا أَخَذْتُهُ عَنْهُ
ثُمَّ وَدَّعَهُ وَانصَرَفَ إِلَى الْحِجَازِ .

١ صك : ضرب .

موت حنين^١

أخبرني عمي قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني
حسن بن محمد الحارثي قال : حدثنا عبد الله قال : حدثنا عبيد بن
حنين^٢ الحيري قال :

كان المغنون في عصر جدي أربعة نفر ثلاثة بالحجاز ، وهو
وحده بالعراق ، والذين بالحجاز : ابن سريج والغريص ومعبد .
فكان يبلغهم أن جدي حنيناً قد غنى في هذا الشعر :

هلاً بكيت على الشباب الذاهب ، وكففت عن ذم المشيب الآيب^٣ ،
هذا ، ورب مسوفين سقيتهم ، من خمر بابل ، لذة للشارب ،
بكرؤا علي بسحرة ، فصبتهم من ذات كوب مثل قعب الحالب^٤ ،
بزجاجة ملء اليدين ، كأنها قنديل فصيح في كنيسة راهب^٥ .

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جدي ، وقالوا : ما في الدنيا أهل
صناعة شر منا ، لنا أخ بالعراق ونحن بالحجاز ، لا نزره ولا نستزيره .
فكتبوا إليه ووجهوا إليه نفقة ، وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة وأنت
وحدك ، فأنت أولى بزيارتنا . فشكل^٦ إليهم ، فلما كان على مرحلة^٧

١ حنين : من نصارى الحيرة ، شاعر ، ومن أكابر المغنين في بني أمية .

٢ عبيد بن حنين : نسبة أبو الفرج إلى جده لشهرته .

٣ الآيب : الراجع .

٤ المسوفين : جمع مسوف وهو الصبور ، ومن يصنع ما شاء لا يرد أحد .

٥ القعب : القدح الضخم . والمراد : فصبتهم من خمرة في كوب كبير كقعب الحالب ، والكوب :
كوز لا عروة له ، أو لا غرطوم له .

٦ فصيح : أي عيد الفصح عند النصارى . والمراد أن زجاجة الخمر تشع إشعاع قنديل الفصح .

٧ شخص : ذهب .

٨ المرحلة : المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم .

مِنَ الْمَدِينَةِ ، بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ ، فَخَرَجُوا يَتَلَقَّوْنَهُ ، فَلَمَّ يَرِ يَوْمٌ كَانَ أَكْثَرَ حَشَرًا وَلَا جَمْعًا مِنْ يَوْمَيْدٍ . وَدَخَلُوا ، فَلَمَّا صَارُوا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، قَالَ لَهُمْ مَعْبُدٌ : صَيِّرُوا إِلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سُرَنْجٍ : إِنْ كَانَ لَكَ مِنَ الشَّرَفِ وَالْمُرُوءَةِ مِثْلُ مَا لَمَوْلَانِي سُكَيْنَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ ، عَطَفْنَا إِلَيْكَ ؛ فَقَالَ : مَا لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ . وَعَدَلُوا إِلَى مَنْزِلِ سُكَيْنَةَ ، فَلَمَّا دَخَلُوا إِلَيْهَا أَذْنَتْ لِلنَّاسِ إِذْنًا عَامًّا ، فَغَصَّتِ الدَّارُ بِهِمْ ، وَصَعِدُوا فَوْقَ السَّطْحِ . وَأَمَرَتْ لَهُمْ بِالْأَطْعِمَةِ ، فَأَكَلُوا مِنْهَا . ثُمَّ إِنَّهُمْ سَأَلُوا جَدِّي حُبَيْنًا أَنْ يُغْنِيَهُمْ صَوْتُهُ الَّذِي أَوْلَهُ :

« هَلَّا بَكَيْتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَّاهِبِ »

فَغَنَّاهُمْ لِيَّاهُ ، بَعْدَ أَنْ قَالَ لَهُمْ : ابْدَأُوا أَنْتُمْ ، فَقَالُوا : مَا كُنَّا لِنَتَقَدَّمَ مَكَ وَلَا نُغْنِيَ قَبْلَكَ ، حَتَّى نَسْمَعَ هَذَا الصَّوْتِ . فَغَنَّاهُمْ لِيَّاهُ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا ؛ فَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى السَّطْحِ وَكَثُرُوا لِيَسْمَعُوهُ ، فَسَقَطَ الرُّواقُ عَلَى مَنْ تَحْتَهُ ، فَسَلِمُوا جَمِيعًا وَأُخْرِجُوا أَصْحَاءَ ، وَمَاتَ حُبَيْنٌ تَحْتَ الْهَدْمِ . فَقَالَتْ سُكَيْنَةُ ، عَلَيْهَا السَّلَامُ : لَقَدْ كَدَّرَ عَلَيْنَا حُبَيْنٌ سُرُورَنَا ؛ انْتَظَرْنَاهُ مُدَّةً طَوِيلَةً كَأَنَّا ، وَاللَّهِ ، كُنَّا نَسُوقُهُ إِلَى مَنِيَّتِهِ .

بارك الله فيك ، وبارك الله عليك

كَانَ بَعْضُ أَهْلِ نَهْيِكَ قَدْ تَعَاطَى الْغِنَاءَ ؛ فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَحْكَمَهُ ، شَاوَرَنِي ، وَأَبِي حَاضِرٌ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ قَبِلْتَ مِنِّي فَلَا تُغْنِ ، فَلَسْتُ فِيهِ^٢ كَمَا أَرْضَى . فَصَاحَ أَبِي عَلَيَّ صَيْحَةً شَدِيدَةً ، ثُمَّ قَالَ لِي :

١ المحدث إسحق الموصلي ابن إبراهيم ، وكلاهما من أشهر المغنين في بني العباس .

٢ فيه : أي في الغناء .

وما بُدْرِيكَ يَا صَبِيَّ ۝ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ ، فَقَالَ : أَنْتَ ، يَا حَبِيبِي ،
بِضِدِّ مَا قَالِ ، وَإِنْ لَزِمْتَ الصَّنَاعَةَ بَرَعْتَ فِيهَا .
فَلَمَّا خَلَا بِي قَالَ لِي : يَا أَحْمَقُ ۝ مَا عَلَيْكَ أَنْ يُخْزِيَ اللَّهُ مِائَةَ
أَلْفٍ مِثْلَ هَذَا ۝ هَؤُلَاءِ أَغْنِيَاءُ مُلُوكُ ، وَهُمْ يُعَيِّرُونَنَا بِالْغِنَاءِ ، قَدَّعَهُمْ
يَتَهَنَّكُوا بِهِ وَيُعَيِّرُوا وَيَفْتَضِّحُوا ، وَيَحْتَاجُوا إِلَيْنَا فَتَنْتَفِعَ بِهِمْ ،
وَيَبِينَ فَضْلُنَا لَدَى النَّاسِ بِأَمْثَالِهِمْ . وَلَزِمَهُ التَّهْيِكِ يَأْخُذُ عَنْهُ وَيَبْرَهُ ۝
فَيُجْزَلُ . فَكَانَ إِذَا غَنَى فَأَحْسَنَ قَالَ لَهُ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، وَإِذَا أَسَاءَ ،
قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ . وَكَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُ ، حَتَّى عَرَفَ التَّهْيِكِ مَعْنَاهُ فِيهِ
فَتَغْنَى يَوْمًا ، وَأَبَى سَاهَ عَنْهُ ، فَسَكَتَ وَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ :
جُعِلَتْ فِدَاكَ ، يَا أَسْتَاذِي ، أَهَذَا الصَّوْتُ مِنْ أَصْوَاتِ « فَيْكِ » أَمْ « عَلَيْكَ » ؟
فَضَحِكَ أَبِي ، وَلَمْ يَكُنْ عَلِيمَ أَنَّهُ قَدْ فَطِنَ لِقَوْلِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَاللَّهِ
لَأُقْبِلَنَّ عَلَيْكَ حَتَّى تَصِيرَ كَمَا تَشْتَهِي ، فَإِنَّكَ ظَرِيفٌ أَدِيبٌ .
وَعُيِّنِي بِهِ حَتَّى حَسُنَ غِنَاؤُهُ وَتَقَدَّمَ . وَفِيهِ يَقُولُ أَبِي :

أَوْجَبَ اللَّهُ لَكَ الْحَقَّ قَدْ عَلَى مِثْلِي بَطَرُ فَيْكِ
لَنْ تَرَانِي ، بَعْدَ هَذَا نَاطِقًا إِلَّا بِوَصْفَيْكِ
وَتَرَى الْقُوَّةَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ ، بَعْدَ ضَعْفَيْكِ

١ أي يحتاجوا إلينا ليتعلموا منا
٢ يبره : يصله ويحسن إليه .

نوادير مختلفة

أكرم من معن بن زائدة

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً ، وجعل فيه مالا ؛ فحدثني معن بن زائدة باليمن أنه اضطُرَّ ، لشدة الطلب ، إلى أن أقام في الشمس حتى لَوَحَّت وجهه ، وخفف عارضيه وحيثه ، وليس جبة صوف غليظة ، وركب جملاً من الجمال النقاله ليَمْضِي إلى البادية فيقيم بها . وكان قد أبلت في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة^٣ بلاء حسناً غاظ المنصور ، وجدد في طلبه .

قال معن : فلكم خرجت من باب حرب ، تبعني أسود متقلداً سيفاً ، حتى إذا غبت عن الحرس ، قبض على خطام جملي ، فأناخه ، وقبض علي . فقلت له : ما لك ؟ قال : أنت طليبة أمير المؤمنين . قلت : ومن أنا ، حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟ قال : معن بن زائدة . فقلت : يا هذا ، اتق الله ! وأين أنا من معن ؟ قال : دغ هذا عنك ، فأنا ، والله ، أعرف به منك . فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول ، فهذا جوهراً حملته معي بقي بأضعاف ما بدله المنصور لمن جاءه بي ، فخذهُ ، ولا تسفك دمي . قال : هاتيه . فأخرجته إليه ، فنظر إليه ساعة ، وقال : صدقت في قيمته ، ولست قابله حتى أسألك عن

١ فحدثني : المتكلم مروان بن أبي حفصة .

٢ ولي المنصور معنا اليمن بعد أن رضي عنه .

٣ كان يزيد من كبار قواد بني أمية ، وأميراً على العراقيين من قبل الخليفة مروان بن محمد ، قتل بواسط وهو يجارب العباسيين ، سنة ٧٥٠ م (١٣٢ هـ) .

٤ باب حرب : موضع ببغداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخي المعروف بالراوندي أحد قواد المنصور .
٥ الخطام : الزمام الذي يوضع في أنف البعير ليقناده .

شيء ، فإن صدقتني أطلقك . فقلت : قل . قال : إن الناس قد وصقوك بالجوذ ، فأخبرني هل وهبت قط مالك كله ؟ قلت : لا . قال : فنصفه ؟ قلت : لا . قال : فثلثه ؟ قلت : لا . حتى بلغ العشر ، فاستحييت فقلت : أظن أني قد فعلت هذا . فقال : ما أراك فعلته ، أنا ، والله ، راجل^١ ، ورزقي من أبي جعفر عشرين درهماً ، وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير ، وقد وهبته لك ، وهبتك لنفسك ، وجوذك المأثور عنك بين الناس ؛ ولتعلم أن في الدنيا أجود منك ، فلا تعجبك نفسك ؛ ولتحقير ، بعد هذا ، كل شيء تفعله ، ولا تتوقف عن مكرمة .

ثم رمى بالعقد في حجر^٢ ، وخلّى خيطام البعير وانصرف . فقلت : يا هذا ، قد ، والله ، فضحتني ، ولسقت دمي أهون علي مما فعلت ؛ فخذ ما دفعته إليك ، فإنني غني عنه . فضحك ، ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامي هذا^٣ ، والله ، لا أخذه ، ولا أخذه بمعروف ؛ ثمناً أبداً . ومضى . فوالله ، لقد طلبته ، بعد أن أمنت ، وبذلت لمن جاءني به ما شاء ، فما عرفت له خبراً ، وكان الأرض ابتلعه .

١ راجل : أي لا ملك مطية يركبها لفقره .

٢ حجر : حفني .

٣ في مقامي هذا : أي مقام الجود الذي ارتفع به على من .

٤ بمعروف : الباء للبدل .

العصر العباسي الرابع

الحريري (١٠٥٤ - ١١٢٢ م و ٤٤٦ - ٥١٦ هـ) (٢)

ابن الأثير (١١٦٢ - ١٢٣٩ م و ٥٥٨ - ٦٣٧ هـ)

الحري

المقامات

المقامة الأولى الصناعية^١

حَدَّثَ الحَرِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : لَمَّا اقْتَعَدْتُ غَارِبَ الاغْثِرَابِ^٢ ،
وَأَتَانِي الْمَتْرَبَةُ^٣ عَنِ الْأَثْرَابِ^٤ ، وَطَوَّحَتْ بِي طَوَائِحُ الزَّمَنِ^٥ ، إِلَى صَنْعَاءِ^٦
الْيَمَنِ ، فَدَخَلْتُهَا خَاوِي الْوِفَاضِ^٧ ، بَادِي الْإِنْفَاضِ^٨ ، لَا أَمْلِكُ بُلْغَةَ^٩ ،
وَلَا أَجِدُ فِي جِرَابِي مَضْغَةً^{١٠} . فَطَقَيْتُ أَجُوبَ طُرُقَاتِهَا^{١١} مِثْلَ الْحَائِمِ ،
وَأَجُولُ فِي حَوَامِيهَا جَوْلَانَ الْحَائِمِ^{١٢} ، وَأُرُودُ ، فِي مَسَارِحِ لِمَحَاتِي^{١٣} ،
وَمَسَايِسِ^{١٤} غَدَوَاتِي وَرُوحَاتِي ، كَرِيماً أُخْلِقُ لَهُ دِيبَاجَتِي^{١٥} وَأَبُوحُ إِلَيْهِ .

- ١ الصناعية : نسبة إلى صنعاء اليمن على غير قياس .
- ٢ الغارب : مقدم ظهر الدابة ، استعاره للاغتراب .
- ٣ المترية : الفقر . الأثراب : جمع ترب وهو من نشأ معك وكان من سنك .
- ٤ طوحت : رمت . طوائح الزمن : خطوبه وقوافله .
- ٥ الخاوي : الفارغ . الوفاض : جمع وقضة وهي خريطة من جلد يجعل فيها الراعي زاده .
- ٦ الإنفاض : فناء الزاد والمال .
- ٧ البلغة : اليسير من العيش يتبلغ به أي يسد به الجوع .
- ٨ أجوب طرقاتها : أقطمها .
- ٩ حوامتها : أي معظم مواضعها التي يجتمع فيها الناس . الحائم : العطشان الذي يحوم حول الماء ، وطائر يقال إنه إذا اشتد به العطش ، ورد الماء فحام عليه حتى يفرق وهو يشرب ، فإن ناله الماء تساقط ريشه .
- ١٠ أرود : أطلب . مسارح لمحاتي : المواضع التي يسرح فيها النظر .
- ١١ المسايح : مواضع السياحة ، وأحدثها مسيحة .
- ١٢ كريماً : مفعول أرود . أخلق الثوب : لبسه حتى أبلاه . الديباجة : الوجه ، أو صفحة الخد ؛ وقوله أخلق له ديباجتي : أي أبذل له ماء وجهي وهو الحياء يبذله الإنسان في السؤال وطلب الحاجة .

بِحَاجَتِي ؛ أَوْ أَدِيًّا تُفَرِّجُ رُؤْيَتَهُ غُمَّتِي ، وَتُرْوِي رِوَايَتَهُ غُلَّتِي^١ ؛ حَتَّى
أَدْتَنِي خَاتِمَةَ الْمَطَافِ ، وَهَدَّتْنِي فَاتِحَةَ الْأَلْطَافِ^٢ ، إِلَى نَادِ رَحِيبٍ ،
مُحْتَمِلٍ عَلَى زِحَامٍ وَنَحِيبٍ ؛ فَوَلَّجْتُ غَابَةَ الْجَمْعِ ، لِأَسْبُرَ مَجْلَبَةَ الدَّمْعِ^٣ ،
فَرَأَيْتُ ، فِي بُهْرَةِ الْحَلَقَةِ^٤ ، شَخْصًا شَخَّطَ الْخَلْقَةَ ؛ عَلَيْهِ أَهْبَةُ
السِّيَاحَةِ ، وَلَهُ رَتَّةُ النِّيَاحَةِ ، وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ ،
وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلَاطُ الزُّمَرِ ، إِحَاطَةً
الْمَالَةِ بِالْقَسَمِ ، وَالْأَكْمَامِ بِالثَمَرِ . فَدَلَفْتُ^٥ إِلَيْهِ لِأَقْتَبِسَ مِنْ فَوَائِدِهِ ،
وَأَلْتَقِطَ بَعْضَ فَرَائِدِهِ . فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ، حِينَ خَبَّ^٦ فِي مَسْجَالِهِ ،
وَهَدَّرَتْ شَقَاشِقُ^٨ أَرْجَالِهِ :

« أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلَوَائِهِ^٩ ، السَّادِلُ ثَوْبَ خَيْلَائِهِ^{١٠} ، الْجَامِحُ فِي
جَهَالَائِهِ ، الْجَانِحُ إِلَى خُزَعْبِلَائِهِ . إِيَّامَ تَسْتَمِرُّ عَلَى غَيْكِ ، وَتَسْتَمِرُّ^{١١}
مَرَعَى بَغْيِكِ ! وَحَتَّامَ تَسْنَاهِي فِي زَهْوِكَ ، وَلَا تَسْتَهِي عَنْ لَهْوِكَ !
تُبَارِزُ بِمَعْصِيَتِكَ ، مَالِكَ نَاصِيَتِكَ^{١٢} ! وَتَجْتَرِي بِقُبْحِ سِيرَتِكَ ، عَلَى
عَالِمِ سِرِيرَتِكَ ! وَتَتَوَارَى^{١٣} عَنْ قَرِيْبِكَ ، وَأَنْتَ بِمَرَأَى رَقِيْبِكَ^{١٤} ! »

١ الغلة : شدة العطش .

٢ فاتحة الألفاظ : أي أول ألفاظ الله بي ، وهي ما ينال الإنسان من التوفيق بفضل الله ومنه .

٣ أي لأختبر سبب الدمع .

٤ بهرة الحلقة : وسطها .

٥ الشخت : الدقيق النحيف .

٦ دلف : مشى شيئاً رويداً أو يقارب الخطو .

٧ خب : أسرع .

٨ الشقاشق : جمع شقشقة بكسر الشينين ، وهي في الأصل ما يخرج به البعير من فيه إذا هاج وهدر .

ويقال للخطيب إنه لدو شقشقة تشبهاً له بالفحل الكثير الهدير .

٩ السادر : الذي لا يبالي بما صنع . الغلواء : الغلو ومجاوزة الحد ، وأول الشباب .

١٠ الخيلاء : الكبر .

١١ الناصية : الشعر في مقدم الرأس أو هي الطرة ؛ وقوله مالك ناصيتك : أي الله تعالى .

١٢ تتوارى : أي تتوارى بقبح سيرتك

١٣ رقيبك : أي عالم أمرك وهو الله .

وَتَسْتَخْفِي مِنْ مَمْلُوكِكَ ، وما تَخْفَى خَافِيَةً عَلَى مَلِكِكَ !
 أَتُظَنُّ أَنْ سَتَنْفَعَكَ حَالُكَ ، إِذَا أَنْ أَرْتَحَالُكَ ؟ أَوْ يَنْقُذُكَ مَالُكَ ،
 حِينَ تُوبِقُكَ^١ أَعْمَالُكَ ؟ أَوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدَمُكَ ، إِذَا زَلْتَ قَدَمُكَ ؟
 أَوْ يَعْطِفُ عَلَيْكَ مَعَشْرُكَ ، يَوْمَ يَضُمُّكَ مَحْشَرُكَ^٢ ؟
 هَلَّا انْتَهَجْتَ^٣ مَحْجَةً ، اهْتَدَيْتَ ، وَعَجَلْتَ مُعَالَجَةَ دَائِكَ ،
 وَفَلَلْتَ شَبَابَ اعْتِدَائِكَ^٤ ، وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ^٥ فَهِيَ أَكْبَرُ أَعْدَائِكَ !
 أَمَّا الْحِمَامُ مِيعَادُكَ ، فَمَا لِعِدَادُكَ ؟ وَبِالشَّيْبِ إِنْدَارُكَ ، فَمَا لِعِدَارُكَ^٦ ؟
 وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ^٧ ، فَمَا قِيلُكَ ؟ وَإِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ ، فَمَنْ نَصِيرُكَ ؟
 طَالَمَا أَبْقَظَكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ ، وَجَدَّ بِكَ الْوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ^٨ !
 وَتَجَلَّتْ لَكَ الْعِبرُ فَتَعَامَيْتَ ، وَحَصَّحَصَ لَكَ الْحَقُّ فَتَمَارَيْتَ^٩ ،
 وَأَذْكَرَكَ الْمَوْتُ فَتَنَامَيْتَ ، وَأَمَكَّنَكَ أَنْ تُوَاسِيَ^{١٠} فَمَا آسَيْتَ ! تُوَوِّرُ^{١١}
 فَلَسًا تُوْعِيهِ^{١٢} ، عَلَى ذِكْرِ نَعِيهِ^{١٣} ، وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ ، عَلَى بَرٍّ تُوَلِيهِ ؛
 وَتَرْغَبُ^{١٤} عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ، إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ؛ وَتُغْلِبُ حُبَّ تُوْبٍ

١ توبقك : تهلكك .

٢ المعشر : قيامة الأموات واجتماعهم للدينونة .

٣ انتهجت : سلكت .

٤ المحجة : الطريق .

٥ أي كسرت حد ظلمك .

٦ قدعت نفسك : كففها عن القبيح .

٧ أعدارك : يفتح الهمزة جميع عذر ، وبكسر ها، مصدر أعذر الرجل : أي أبدى عذرا .

٨ مقيلك : أي مرقلك ، وأصله النوم بالقائلة وهي الظهر .

٩ تقاعست : تأخرت .

١٠ حصحص : ظهر من الحص أي ذهب الشعر وظهر ما تحته . تماريت : شككت .

١١ تواسي : تحسن إلى غيرك ، وتجعله أسوتك في شيء من مالك .

١٢ توعيه : تجعله في وعائك .

١٣ الذكر : الكتاب فيه تفصيل الدين . نعيه : تحفظه .

١٤ رغب عنه : فقيض رغب فيه .

تَشْتَهِيهِ ، عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ . يَوَاقِيتُ الصَّلَاتِ ١ ، أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ
مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ ؛ وَمُغَالَاةُ الصَّدَقَاتِ ٢ ، أَثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ .
وَصِحَافُ الْأَلْوَانِ ٣ ، أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ الْأَدْيَانِ ؛ وَدُعَابَةُ الْأَقْرَانِ ٤ ،
أَنْتَسُ لَكَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ . تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَشْتَهِي حِمَاهُ ، وَتَحْنِي
عَنِ النُّكْرِ وَلَا تَتَحَامَاهُ ، وَتُزَحْزِحُ عَنِ الظُّلَمِ ثُمَّ تَغْشَاهُ ٥ ، وَتَخْشَى
النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ . « ثُمَّ أُنْشَدَ :

تَبَّأَ لِطَالِبٍ دُنْيَا ، ثَنَى إِلَيْهَا النُّصْبَاةُ ٧
مَا يَسْتَقْبِقُ غَرَامًا بِهَا ، وَفَرَطَ صَبَابَةً
وَلَوْ دَرَى ، لَكَفَّاهُ مِمَّا يَرُومُ صُبَابَةً ٨

ثُمَّ إِنَّهُ لَبَدَّ عَجَاجَتَهُ ٩ ، وَغَبِضَ مُجَاجَتَهُ ١٠ ، وَاعْتَضَدَ شَكْوَتَهُ ١١ ،
وَتَأَبَّطَ هِرَاوَتَهُ ١٢ ، فَلَمَّا رَنَّتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى تَحْقِيزِهِ ، وَرَأَتْ تَأَهُّبَهُ
لِمَزَابِلَةِ مَرَكِّزِهِ ؛ أَدْخَلَ كُلَّ مِنْهُمْ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ، فَأَفْنَعَمَ ١٣ لَهُ

١ الصَّلَاتُ : الصَّلَاةُ .

٢ الصَّدَقَاتُ : جَمْعُ صَدَقَةٍ وَهِيَ مَا يُعْطَى لِلنَّاسِ مِنَ الْمَهْرِ .

٣ صِحَافُ الْأَلْوَانِ : أَيُّ قَصَاصِ الْأَلْوَانِ الطَّعَامِ .

٤ الْأَقْرَانُ : جَمْعُ قَرْنٍ وَهُوَ الْمِثْلُ .

٥ الْعُرْفُ : الْمَعْرُوفُ .

٦ تَغْشَاهُ : تَأْتِيهِ .

٧ ثَنَى : عَطَفَ وَصَرَفَ .

٨ الصَّبَابَةُ : الْبَقِيَّةُ الْيَسِيرَةُ مِنَ الْمَاءِ ، وَالْمُرَادُ : الشَّيْءُ الْقَلِيلُ .

٩ لَبَدَّ عَجَاجَتَهُ : أَيُّ مَكَّنَ غِبَارَهُ ، كُنَايَةً عَنِ الْكُفِّ عَمَّا هُوَ فِيهِ .

١٠ غَبِضَ مُجَاجَتَهُ : أَيُّ ابْتَلَعَ رِيْقَهُ .

١١ اعْتَضَدَ شَكْوَتَهُ : أَيُّ جَمَلَ قُرْبَتَهُ فِي عَضْدِهِ .

١٢ الْهَرَاوَةُ : الْعَصَا .

١٣ أَفْنَعَمَ : مَلَأَ .

الشكوى

وصف الحمى

من قصيدة يصف بها الحمى التي أصابته في مصر ويعرض بالرحيل عن مصر سنة ٩٥٩ م (٨٣٤٨) :

+وزائرني كأن بها حياءَ فليس تزورُ إلا في الظلام^١
 +بدلت لها المطارف والحشايا فتعافتها وباتت في عظامي^٢
 .. يتضيق الجلد عن نفسي وعنهما فتوسيعه بأنواع السقام^٣
 كأن الصبح بطردُها فتجري مدامعُها بأربعة سجام^٤
 ٤ أراقب وقتها من غير شوق مُراقبة المشوق المستهام^٥
 ويصدق وعدّها والصدق شر إذا ألقاك في الكرب العظيم^٦
 ٥ أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام^٧
 ٦ جرحت مجرّحاً لم يبق فيه مكان للسيوف ولا السهام^٨
 ألا يا ليت شعري أيدي أئمني تصرف في عينان أو زمام^٩
 وهل أرمي هوائي براقصات مُحلاة المقاوِد باللغام^{١٠}

١ وزائرني : الواو واو رب ، أي وزائرة لي . وأراد بالزائرة الحمى لأنها كانت تأتيه ليلاً وتفرقه في الصباح .

٢ المطارف ، جمع مطرف : رداء من خز . الحشايا ، جمع حشية : الفراش المحشو . عافتها : أبتها .

٣ سجام : ملسكة بأربعة : أي بأربعة أدمع ، يعني تبكي من طرفي كل عين لكثرة دمعها .

٤ المراد يفكر فيها منتظراً بحيثها لحوقه منها ، كما يفكر العاشق في محبوبته منتظراً قدومها .

٥ بنت الدهر : الشدة .

٦ ليت شعري أي : ليت يدي تشمر . العنان : سير اللجام . الزمام : المقود . يتمنى السفر على الخيل أو على الإبل .

٧ الراقصات : الإبل التي تحب في سيرها . اللغام : الزبد على فم البعير . يقول : هل أطلب ما أهواه من الأمور راقصات تحلت مقاودها بالزبد الذي على أفواهها .

وَعَيَّرْتُ وَعَظِي أَحْبُولَةٌ ، أُرِيغُ الْقَنِيصَ بِهَا وَالْقَنِيصَةَ^١
وَالْحَتَانِي الدَّهْرُ ، حَتَّى وَلَجْتُ ، بِلُطْفِ احْتِيَالِي ، عَلَى اللَّيْثِ ، عَيْبَةً^٢
عَلَى أَتْنِي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ ، وَلَا نَبَضْتُ لِي مِنْهُ فَرِيصَةً^٣
وَلَا شَرَعْتُ بِي ، عَلَى مَوْرِدٍ يُدْتَسُّ عِرْضِي ، نَفْسٌ حَرِيصَةً^٤
وَلَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ ، لَمَّا مَلَكَ الْحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيصَةِ^٥

ثُمَّ قَالَ لِي : « ادْنُ فَكُلْ » ، وَإِنْ شِئْتَ فَقَسِّمْ وَقُلْ . « فَالتَفَتُ إِلَى
تَلْمِيذِهِ وَقُلْتُ : « عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَنْ تَسْتَدْفِعُ بِهِ الْأَذَى » ، لَتُخَيَّرْتَنِي
مَنْ ذَا ! » فَقَالَ : « هَذَا أَبُو زَيْدٍ السَّرُوجِي سِرَاجُ الْغُرَبَاءِ ، وَتَاجُ
الْأُدَبَاءِ . » فَاَنْصَرَفْتُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ ، وَقَضَيْتُ الْعَجَبَ^٦ مِمَّا رَأَيْتُ .

المقامة الرابعة والعشرون القطيعية^٧

حَكَى الْحَرِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : عَاشَرْتُ بِقَطِيعَةِ الرَّبِيعِ ، فِي إِبَانِ
الرَّبِيعِ ، فِتْيَةً ، وَجُوهُهُمْ أَبْلَجُ مِنْ أَنْوَارِهِ^٨ ، وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْهَجُ مِنْ

.....

- ١ الأحبولة : شبكة الصيد . أريغ : أطلب . القنيس والقنيسة : الصيد من ذكر وأنثى .
- ٢ الليث : الأسد . العيص : أي أجيعة الأسد .
- ٣ صرفه : حواده ، والضمير يعود على الدهر . الفريضة : لمة تكون تحت الكتف ، من شأنها أن
ترتعد عند الفزع .
- ٤ شرعت بي : أي أوردني الماء . نفس : فاعل شرعت .
- ٥ عزمت عليك : أي أقسمت عليك .
- ٦ بمن تستدفع به الأذى : أي باقته تعالى .
- ٧ قضى العجب : أي بلغ من العجب أقصاه ، فلا عجب بعده ؛ وقيل : بل وفي العجب حقه ؛ وفي
المصباح « وقولهم : لا أقضي منه العجب » قال الأصمعي : لا يستعمل إلا منفياً ، أي لا يمكن تولية
العجب حقه لعظم الأمر .
- ٨ القطيعية : نسبة إلى قطيعة الربيع ، وهي محلة بهنداد .
- ٩ أبلج : أضوا . الأنوار ، جمع نور : الزهر ، أو الأبيض منه .

أَزْهَارِهِ ، وَالنَّفَاطِظُهُمْ أَرْقُ مِنْ نَسِيمِ أَسْحَارِهِ ؛ فَاجْتَلَيْتُ^١ مَا يَزْرِي^٢ عَلَى
الرَّيِّحِ الزَّاهِرِ ، وَيُغْنِي عَنْ رَنَاتِ الْمَزَاهِرِ^٣ . وَكُنَّا تَقَاسَمْنَا^٤ عَلَى حِفْظِ
الْوَدَادِ ، وَحَظَرِ الاسْتِبْدَادِ ، وَأَنْ لَا يَتَفَرَّدَ أَحَدُنَا بِاللِّذَاذِ ، وَلَا يَسْتَأْثِرَ
وَلَوْ بِرَذَاذِهِ^٥ .

فَأَجْمَعْنَا^٦ ، فِي يَوْمٍ سَمَا دَجَنُهُ^٧ ، وَنَمَّا حُسْنُهُ ، وَحَكَمَ بِالْإِصْطِبَاحِ^٨
مِزْنُهُ^٩ ، عَلَى أَنْ نَكْتَسِبَ بِالْخُرُوجِ ، إِلَى بَعْضِ الْمُرُوجِ ؛ لِنُسْرِحَ النَّوَاطِرَ
فِي الرِّيَاضِ النَّوَاضِرِ ، وَنَصْقُلَ الْخَوَاطِرَ بِشَيْمِ الْمَوَاطِرِ^{١٠} . فَبَرَزْنَا ، وَنَحْنُ
كَالشُّهُورِ عِدَّةً^{١١} ، وَكَنَدَ مَانِي جَدِيمَةٍ^{١٢} مَوْدَةً ، إِلَى حَدِيقَةٍ أَخَذَتْ زُخْرُفَهَا^{١٣}
وَأَزْيَنْتَ^{١٤} ، وَتَنَوَّعَتْ أَزْهَارُهَا وَتَلَوَّنَتْ . وَمَعَنَا الْكُمَيْتُ الشَّمْسُوسُ^{١٥} ،
وَالسَّقَاةُ الشَّمْسُوسُ ، وَالشَّادِي الَّذِي يُطْرِبُ السَّامِيعَ وَيُلْهِمُهُ ، وَيَقْرِي^{١٦} كُلَّ

.....

- ١ اجتليت : نظرت .
- ٢ يزري : يقال زرى عليه : عابه .
- ٣ المزاهر : جميع مزهر وهو العود .
- ٤ تقاسمنا : تحالفنا .
- ٥ الرذاذ : المطر الضعيف . والمراد : الشيء القليل .
- ٦ أجمعنا : اتفقنا .
- ٧ سما دجته : أي ارتفع غيمه .
- ٨ الاصطباح : أي شرب الخمر صباحاً .
- ٩ المزن : السحاب أو ذو الماء منه ، واحده مزنة .
- ١٠ بشيم الماطر : أي برؤية السحب الممطرة .
- ١١ ونحن كالشهور عدة : أي ونحن اثنا عشر شخصاً بعدد شهور السنة .
- ١٢ الندمان : النديم . جديمة : هو جديمة الأبرش ملك الحيرة ؛ قيل فادمه مالك وعقيل ابنا فالج مدة أربعين سنة ففصر به وبهما المثل في صفاء المودة والوفاق .
- ١٣ أخذت زخرفها : أي تكاملت في حسنها .
- ١٤ أزيئت : تزينت .
- ١٥ الكميت : الأحمر الضارب إلى السواد ، صفة للخمر وللفرس . الشمسوس : الفرس الذي يمنع ظهوره من الركوب ، وهو هنا مستعار للخمرة الكميت . والمراد أنها تمتنع على اللثام والبهلاء ، أو على من لم يتمود شربها ، لأنها سريعة الإسكار .
- ١٦ يقري : يضيف ، من الضيافة .

سَمِعَ مَا يَشْتَهِيهِ . فَلَمَّا اطْمَأَنَّ بِنَا الْجُلُوسُ ، وَدَارَتْ عَلَيْنَا الْكُؤُوسُ ،
وَعَلَّ ١ عَلَيْنَا ذِمْرٌ ٢ ، عَلَيْهِ طِمْرٌ ٣ ، فَتَجَهَّمْنَاهُ ٤ تَجَهَّمِ الْغَيْدِ الشَّيْبُ ٥ ،
وَوَجَدْنَا صَفْوَى تَوْمِنَا قَدْ شَيْبُ ٦ . إِلَّا أَنَّهُ سَلَّمَ تَسْلِيمَ أُولَى الْفَهْمِ ، وَجَلَسَ
يَقْضُ لَطَائِمَ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ ٨ ، وَنَحْنُ نَنْزَوِي ٩ مِنْ انْبِسَاطِهِ ، وَنَنْبَرِي
لِطَيِّ بِسَاطِهِ ١٠ ؛ إِلَى أَنْ غَنَى شَادِينَا الْمَغْرِبُ ١١ وَمُغَرَّدُنَا الْمُطْرِبُ :

إِلَامَ ، سَعَادُ ، لَا تَصِلِينَ حَبْلِي ؛ وَلَا تَأْوِينَ لِي مِمَّا أَلَا قِي ١٢
صَبَرْتُ عَلَيْكَ ، حَتَّى عِيلَ صَبْرِي وَكَادَتْ تَبْلُغُ الرُّوحَ التَّرَاقِي ١٣
وَمَا أَنَا قَدْ عَزَمْتُ عَلَى انْتِصَافِ ، أَسَاقِي فِيهِ خِلَتِي مَا يُسَاقِي ١٤
فَإِنْ وَصَلًا أَلَدْتُ بِهِ ، فَوَصَلْ ؛ وَإِنْ صَرَمًا ، فَصَرْمٌ كَالطَّلَاقِ ١٥

قَالَ : فَاسْتَفْهَمْنَا الْعَابِثَ بِالْمَثَانِي ١٦ : « لِمَ نَصَبَ الْوَصَلَ الْأَوَّلَ وَرَفَعَ
الثَّانِي ؟ » فَأَقْسَمَ بِعُرْبِيَّةِ أَبَوَيْهِ ، لَقَدْ نَطَقَ بِمَا اخْتَارَهُ سَيِّبُونَهُ .

- ١ وغل : دخل ، والواغل في الثراب كالوارش في الطعام ؛ وهو الذي يدخل على القوم من غير أن يدعى .
٢ اللمر : من أسماء الدواهي .
٣ طمر : ثوب خلق .
٤ تجهمناه : استقبلناه بوجه كالح .
٥ الغيد : الفتيات النواجم ، وأحدثها غيداء .
٦ الشيب : جمع أشيب وهو مفعول تجهم .
٧ شيب : أي خلط بالكدر .
٨ اللطائم : جمع لطيمة وهي وعاء العطر . والمراد : يتحدث بأطيب المنثور والمنظوم .
٩ لنزوي : لنقبض .
١٠ أنبرى للشيء : اعترض له . لطى بساطه : أي لازعاجه وأخراجه .
١١ المغرب : الذي يأتي بالغريب من الأغاني . وفي رواية المغرب : وهو الذي لا يلحن في كلامه .
١٢ تأوين : ترقين وترحمين .
١٣ التراقي : جمع ترقوة وهي أعلى عظام الصدر وقرب العنق .
١٤ الانتصاف : استيفاء الحق .
١٥ الصرم : القطعة والمهجر .
١٦ المثاني : أي أوتار المود لكونها مثني . العابث بالمثاني : أي المغني الضارب على العود .

فَتَشَعَّبَتْ^١ حَيْثُ أَرَأَى الْجَمْعَ ، فِي تَجْوِيزِ النَّصْبِ وَالرَّفْعِ ، فَتَقَالَتْ
فِرْقَةٌ^٢ : رَفَعُهُمَا هُوَ الصَّوَابُ ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ^٣ : لَا يَجُوزُ فِيهِمَا إِلَّا
الْإِنْصَابُ ، وَاسْتَبْهَمَ عَلَى آخِرِينَ الْجَوَابُ ، وَاسْتَعَرَّ بَيْنَهُمَا الْإِصْطِحَابُ .
وَذَلِكَ الْوَاعِلُ يُبْذِي ابْتِسَامَ ذِي مَعْرِفَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ بَيِّنَتِ شَفَقَةٍ .
حَتَّى إِذَا سَكَنَتِ الزَّمَاجِرُ ، وَصَمَتَ الْمَزْجُورُ وَالزَّاجِرُ ، قَالَ^٤ : يَا
قَوْمُ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ، وَأُمَيِّزُ صَحِيحَ الْقَوْلِ مِنْ عَالِيهِ ، إِنَّهُ
لَيَجُوزُ رَفْعُ الْوَصْلَيْنِ وَنَصْبُهُمَا^٥ ، وَالْمُخَايَرَةُ فِي الْإِعْرَابِ بَيْنَهُمَا ، وَذَلِكَ
بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْإِضْمَارِ ، وَتَقْدِيرِ الْمَحْذُوفِ فِي هَذَا الْمِضْمَارِ .

قَالَ^٦ : فَقَرَطُ^٧ مِنَ الْجَمَاعَةِ لِإِفْرَاطٍ^٨ فِي مُمَارَاتِهِ ، وَانْخِرَاطٍ^٩ إِلَى
مُبَارَاتِهِ . فَقَالَ^{١٠} : « أَمَّا إِذَا دَعَوْتُمْ^{١١} نَزَالَ^{١٢} ، وَتَلَبَّيْتُمْ^{١٣} لِلنَّضَالِ^{١٤} ، فَمَا
كَلِمَةٌ هِيَ إِنْ شِئْتُمْ حَرْفٌ مَحْبُوبٌ^{١٥} ، أَوْ اسْمٌ لِمَا فِيهِ حَرْفٌ حَكُوبٌ^{١٦} ؟

.....

١ تشعبت : تفرقت .

٢ يجوز رفع الوصلين ونصبهما الخ ... : أودع سبويه هذه المسألة النحوية في كتابه ، وجوز في إعرابها
أربعة أوجه ، أحدها وهو أجودها ، أن تنصب الوصل الأول على أنه خبر كان وهي واسمها مخلوفان ،
وترفع الوصل الثاني على أنه خبر مبتدأ مخلوف ، والوجه الثاني أن تنصبهما جميعاً ، على تقدير إن
كان جزائي منه وصلاً ، فأنا أجزيه وصلاً ، والوجه الثالث أن ترفعهما جميعاً ، على تقدير إن كان
لي منه وصل ، فجزاؤه وصل ، والوجه الرابع ، وهو أضعفها ، أن ترفع الوصل الأول على ما تقدم
شرحه في الوجه الثالث ، وتنصب الثاني على ما تقدم شرحه في الوجه الثاني ، ويكون التقدير إن كان
لي منه وصل ، فأنا أجزيه وصلاً .

٣ فرط : سبق .

٤ الإفراط : تجاوز الحد .

٥ ماراته : مجادله .

٦ انخرط : أي إقبال .

٧ نزال : للأمر أي انزل ، مبني على الكسر ، يقال ذلك في الدعوة إلى المبارزة في الحرب .

٨ تلبيم : يقال تلبيم الرجل للحرب أي تشمر وتحزم لها .

٩ حرف محبوب : أي نعم ، فهي حرف يراد به التصديق أو الوعد عند السؤال . حرف حلوب :

أي النعم وهي الإبل أو كل ماشية فيها إبل ، والحرف : الناقة الضامرة .

وأي اسم يتّردّدُ بينَ فردٍ حازِمٍ ، وجَمْعٍ مُلازِمٍ^١ ؟ وأيّةُ هاءٍ إذا التّحقّتْ ،
أماطتِ الشّقلَ ، وأطلّقتِ المُعتقلَ^٢ ؟ وفي أيّ موطنٍ تلبّسَ الدُّكرانُ ،
برَاقِعِ النّسوانِ ؛ وتبرّزُ ربّاتُ الحِجالِ ، بعمائمِ الرّجالِ^٣ ؟ »

* * *

قالَ المُخبِرُ بهدِهِ الحكايَةِ : فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ أَحاجِيهِ^٤ اللَّاتِي هَالَتْ^٥ ،
لَمَّا انْهَالَتْ ، مَا حَارَتْ لَهُ^٦ الْأَفْكَارُ وَحَالَتْ^٧ . فَلَمَّا أَعْجَزْنَا الْعَوْمُ^٨ فِي بَحْرِهِ ،
وَاسْتَسَلَّمَتْ تَعَامِمُنَا لِسِحْرِهِ^٩ ، عَدَلْنَا^{١٠} مِنْ اسْتِثْقَالِ الرّوِيَةِ لَهُ^{١١} ، إِلَى
اسْتِيزَالِ الرّوَايَةِ عَنْهُ^{١٢} ؛ وَمِنْ بَغْيِ التَّبَرُّمِ بِهِ^{١٣} ، إِلَى ابْتِغَاءِ التَّعَلُّمِ مِنْهُ^{١٤} .
فَقَالَ : « وَالَّذِي نَزَلَ النَّحْوُ^{١٥} فِي الْكَلَامِ ، مَنَزِلَةَ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ ،
وَحَجَبَهُ عَنْ بَصَائِرِ الطَّغَامِ^{١٦} ، لَا أَتْلُثُكُمْ مَرَامًا ، وَلَا شَفَيْتُ لَكُمْ
غَرَامًا ، أَوْ تُخَوِّلَنِي^{١٧} كُلُّ يَدٍ ، وَيَخْتَصِّصَنِي كُلُّ مَنْكُمُ بَيْدٍ^{١٨} ، » فَلَسَمَ

١ حازم : أي ضابط . والمراد بالاسم المتردد بين المفرد والجمع : سراويل ، فقليل إنه مفرد وجمعه سراويلات ، وقيل هو جمع واحد سراويل ، وقوله حازم : لأنه يضم الحصر ويضبطه . وقوله جمع ملازم : أي ممنوع من الصرف .

٢ أماطت : أزالت . المعتقل : أي الممنوع من الصرف . والمراد بذلك مثل جمع صيارف فإنه ممنوع من الصرف ، فإذا لحقته الهاء ، فقلت صيارفة ، خف ثقله ، وأطلق من اعتقاله ، وصرف .

٣ الدكران : جمع ذكر فقيض الأثني . ربّات الحِجال : أي اللساء صاحبات الخدور . والحِجال : جمع حجلة وهي كالحقة أو خدر العروس . والمراد هنا أول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة ، فإنه يؤلث مع المذكر ، ويذكر مع المؤنث .

٤ أحاجيه : ألغازه ومعياته ، واحدها أسجية .

٥ هالت : من الهول .

٦ حالت : أي أصابها العقم .

٧ التمام : جمع تميمة وهي الخرزة تعلق في عنق الولد على اعتقاد أنها ترد عنه العين والسحر .

٨ عدلنا : أي رجعنا .

٩ التبرم : التضجر .

١٠ والذي : الواو للقسم ؛ والمراد بالذي نزل النحو : الله تعالى .

١١ الطغام : أوغاد الناس ، لواحد والجمع .

١٢ أو : بمعنى حتى . تخوّلني : تعطيني بلا منة .

١٣ بيد : أي بنعمة وعطاء .

يَبْقَى فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا مَنْ أذْعَنَ لِحُكْمِهِ ، وَتَبَدَّلَ إِلَيْهِ خُبَاءٌ كَمَهُ ٢ .
فَلَمَّا حَصَلَتْ تَحْتَ وَكَائِهِ ٣ ، أَضْرَمَ شُعْلَةً ذَكَائِهِ ، فَكَشَفَ جِئْدَهُ
عَنْ أَسْرَارِ الْغَايَةِ ، وَبَدَائِعِ إِعْجَازِهِ ، مَا جَلَّ بِهِ صَدَأُ الْأَذْهَانِ ، وَجَلَّتْ
مَطْلَعُهُ بِنُورِ الْبُرْهَانِ .

* * *

ثُمَّ لَمَّ أَنْسَابَ انْسِيَابِ الْأَيْمِ ٦ ، وَأَجْفَلَ لِجَفْأَلِ الْغَيْمِ ٧ ؛ فَعَلِمْتُ
أَنَّهُ سِرَاجُ سُرُوجٍ ، وَبَدْرُ الْأَدَبِ الَّذِي يَجْتَابُ الْبُرُوجَ ٨ ؛ وَكَانَ قُصَارَانَا
التَّحَرَّقَ لِبُعْدِهِ ، وَالتَّفَرَّقَ مِنْ بَعْدِهِ .

المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية

أَخْبَرَ الْحَرْثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: لَمَّا جُبْتُ الْبَيْدَ ١١ ، إِلَى زَبِيدَ ١٢ ، صَحْبَتِي
غُلَامٌ قَدْ كُنْتُ رَبِّيْتُهُ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَشْدَهُ ١٣ ، وَتَقَفْتُهُ حَتَّى اكْتَمَلَ
رُشْدُهُ . وَكَانَ قَدْ أَنْسَى بِأَخْلَاقِي ، وَخَبَرَ مَجَالِبَ وَفَاقِي ، فَلَمْ يَكُنْ
يَتَخَطَّى مَرَامِي ، وَلَا يُخْطِئُ فِي الْمَرَامِي . لَا جَرَمَ ١٤ أَنْ قُرْبَهُ ١٥

١ لَبَد : طَرَحَ وَرَمَى .

٢ خُبَاءٌ كَمَهُ : أَيُّ خَفِيَ كَمَهُ ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَمَّا أَعْطَاهُ مِنَ الْمَالِ الَّذِي كَانَ مُخْبِوَةً فِي كَمِهِ .

٣ حَصَلَتْ : الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْخُبَاءِ . الْوَكَاةُ : رِبَاطُ الْقُرْبَةِ وَغَيْرُهَا ، وَالْمُرَادُ هُنَا : رِبَاطُ صِرْتِهِ .

٤ جَلَّ : صَقَلَ .

٥ جَلَّ : كَشَفَ . مَطْلَعُهُ : الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى مَا جَلَّ .

٦ الْإَيْمُ : الْحَلِيَّةُ .

٧ أَجْفَلَ : جَرَى وَأَسْرَعَ . الْغَيْمُ : أَيُّ السَّحَابِ الْخَالِي مِنَ الْمَطَرِ ، يَكُونُ سَرِيعَ الْجَرَى لَخْفَتِهِ .

٨ يَجْتَابُ : يَقْطَعُ . الْبُرُوجُ : أَيُّ بُرُوجِ السَّمَاءِ الَّتِي يَنْزِلُ فِيهَا الْبَدْرُ . وَالْمُرَادُ هُنَا : بُرُوجُ الْأَدَبِ أَيُّ
أَعْرَاضِهِ وَفَنُونِهِ الرَّفِيعَةِ .

٩ قُصَارَانَا : غَايَتُنَا وَآخِرُ أَمْرِنَا .

١٠ جَبْتُ : قَطَعْتُ .

١١ زَبِيدٌ : بَلَدٌ بِالْيَمَنِ خَصْبٌ كَثِيرُ الْبَسَاتِينِ وَالْمِيَاهِ .

١٢ أَشْدُهُ : قُوَّتُهُ ، مَا بَيْنَ ثَمَانِي عَشْرَةٍ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَاحِدٌ جَاءَ عَلَى بِنَاءِ الْجَمْعِ ، أَوْ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ .

١٣ لَا جَرَمَ : حَقًّا ، لَا مَحَالَةَ .

١٤ الْقُرْبُ : جَمْعُ قُرْبَةٍ أَيُّ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ ؛ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالطَّاعَةِ .

التأطت^١ بصفري^٢، وأخلصته^٣ لحضري^٤ وسفري^٥؛ فالوى به^٦ الدهر^٧ المسيد^٨،
حين^٩ ضمتنا^{١٠} زيد^{١١}. فلما شالت^{١٢} نعمته^{١٣}، وسكنت^{١٤} نامته^{١٥}، بقيت^{١٦} عاماً
لا أسبغ^{١٧} طعاماً، ولا أربغ^{١٨} غلاماً، حتى^{١٩} ألبأتني^{٢٠} شوائب^{٢١} الوحدة^{٢٢}، ومتاعب^{٢٣}
القومة^{٢٤} والقعدة^{٢٥}، إلى أن^{٢٦} اعتاض^{٢٧} عن^{٢٨} الدر^{٢٩} الحرز^{٣٠}، وأرتاد^{٣١} من^{٣٢} هو سيداد^{٣٣}
من^{٣٤} عوز^{٣٥}. فقصدت^{٣٦} من^{٣٧} يبيع^{٣٨} العبيد^{٣٩}، بسوق^{٤٠} زيد^{٤١}.

* * *

فلاني^١ لا^٢ استعرض^٣ الغلمان^٤، وأستعرف^٥ الأثمان^٦؛ اذ^٧ عارضني^٨ رجل^٩
قد^{١٠} اختطم^{١١} بليثام^{١٢}، وقبض^{١٣} على^{١٤} زندي^{١٥} غلام^{١٦}، وقال^{١٧}:

من^١ يشتري^٢ مني^٣ غلاماً صنعاً؟ في^٤ خلقه^٥ وخلقه^٦ قد^٧ برعاً^٨
بكل^٩ ما^{١٠} نطت^{١١} به^{١٢} مضطجعاً^{١٣}، يشفيك^{١٤} إن^{١٥} قال^{١٦}، وإن^{١٧} قلت^{١٨}، وعى^{١٩}
وإن^{٢٠} تُصيبك^{٢١} عشرة^{٢٢}، يقل^{٢٣}: لعا، وإن^{٢٤} تسمه^{٢٥} السعي^{٢٦} في^{٢٧} النار^{٢٨}، سعى^{٢٩}

.....

١. التأطت : التصقت .
٢. صفري : أي قلبي ؛ والصفر : العقل ولب القلب .
٣. الحضر : خلاف البادية ، وهنا مأخوذ بمعنى الإقامة ، لأن أهل الحضر مقيمون وأهل البادية مترحلون .
٤. ألوى به : أهلكه .
٥. شالت : ارتفعت وانتصبت . نعمته : باطن قدمه ؛ يقال شالت نعمته : أي مات ، من الكناية ، لأن باطن القدم ينتصب عند الموت .
٦. النامة : النعمة والصوت ؛ يقال : أسكن الله نأمة ونأمة مشددة ، أي أماته .
٧. أربغ : أطلب .
٨. شوائب الوحدة : أي أكدارها .
٩. أرتاد : أطلب .
١٠. استعرض الغلمان : أي أطلب عرضهم علي .
١١. اختطم : جمل الثام على خطمه أي أنفه .
١٢. الصنع : الحاذق في الصنعة .
١٣. نطت به : يقال ناط به الأمر ، أي خلقه به ، وجعله في عهده . وعى : حفظ .
١٤. لعا : كلمة يقال للمأثر ، أي سلمت ونجوت . تسمه : تكلفه .

وَلَا تَصَاحِبُهُ ، وَلَوْ يَوْمًا ، رَعَى ؛ وَإِنْ تُقَتِّعُهُ بِظِلْفٍ قَتِنَعًا^١
 وَهُوَ ، عَلَى الْكَيْسِ الَّذِي قَدْ جَمَعَا ، مَا فَاهَ قَطَّ كَاذِبًا ، وَلَا ادَّعَى^٢
 وَلَا أَجَابَ مَطْمَعًا حِينَ دَعَا ؛ وَلَا اسْتَجَارَ نَثَّ سِرًّا أَوْ دَعَا^٣
 وَطَالَمَا أَبْشَدَعَ فِيمَا صَنَعَا ، وَفَاقَ فِي النَّثْرِ وَفِي النِّظْمِ مَعَا
 وَاللَّهِ ، لَوْلَا ضَنْكَ عَيْشٍ صَدَعَا ، وَصِيبَةُ أَضْحَوْا عُرَاةً جَوْعَا^٤
 مَا يِعْتَهُ بِمُلْكٍ كَيْسَرَى أَجْمَعَا

قَالَ : فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ خَلْقَهُ الْقَوِيمَ^٥ ، وَحُسْنَهُ الصِّمِيمَ^٦ ، خَلِئْتُهُ مِنْ
 وَلَدَانِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ، وَقُلْتُ : مَا هَذَا بَشَرًا ، إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ^٧ !
 ثُمَّ اسْتَنْطَقْتُهُ عَنْ اسْمِهِ ، لَا لِرَغْبَةٍ فِي عِلْمِهِ ؛ بَلْ لَأَنْظُرَ أَيْنَ فَصَاحَتُهُ
 مِنْ صَبَاحَتِهِ^٨ ، وَكَيْفَ لَهْجَتُهُ^٩ مِنْ بَهْجَتِهِ ؛ فَلَمْ يَنْطِقْ بِحُلُوةٍ
 وَلَا مُرَّةٍ ، وَلَا فَاهَ قُوَّةَ ابْنِ أُمَةٍ وَلَا حُرَّةٍ ؛ فَضَرَبْتُ عَنْهُ صَفْحًا^{١٠} ،
 وَقُلْتُ : « قُبْحًا لِعَيْتِكَ^{١١} » وَشَقْحًا^{١٢} ، فَغَارَ فِي الضَّحْكَ وَأَنْجَدَ^{١٣} ، ثُمَّ أَنْغَضَ

- ١ رعى : أي رعى الصبغة . تقنعه : ترضيه . الظلف : البقرة والشاة ونحوهما بمنزلة القدم للإنسان .
 والمراد أنه يرضى بالشيء القليل .
 ٢ الكيس : الخلق والعقل . ادعى : أي ادعى على غيره شيئاً بغير حق .
 ٣ دعا : فاعله يعود على مطيع . النث : إفشاء الخبر .
 ٤ صدع : أي صدع الفؤاد ، شقه .
 ٥ القويم : المستقيم .
 ٦ الصميم : الخالص .
 ٧ الصباحة : الحسن .
 ٨ لهجته : أي لفظه .
 ٩ أي أعرضت عنه جانباً .
 ١٠ العي : العجز عن أداء الكلام .
 ١١ شقحاً : بعداً ، أو إتباع لقبحاً .
 ١٢ غار : أتى الغور ، وهو ما انخفض من الأرض . أنجد : أتى النجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ؛
 والمعنى أنه ذهب في الضحك كل ملهب .

رَأْسَهُ^١ إِلَيَّ وَأَنْشَدَ :

يَا مَنْ تَلَهَّبَ غَيْظُهُ إِذْ لَمْ أَبْحُ بِاسْمِي لَهُ ؛ مَا هَكَذَا مَنْ يُنْصِفُ !
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا كَشْفُهُ ، فَأَصْنَحْ لَهُ : أَنَا يَوْسُفُ أَنَا يَوْسُفُ^٢
وَلَقَدْ كَشَفْتُ لَكَ الْغِطَاءَ ، فَإِنْ تَكُنْ فَطِينًا عَرَفْتَ ، وَمَا إِخَالُكَ تَعْرِفُ^٣

قال : فَسَرَى عَتَبِي^٤ بِشِعْرِهِ ، وَاسْتَبَى لُبِّي بِسِحْرِهِ ، حَتَّى شُدَّ هَتْهُ
عَنِ التَّحْقِيقِ ، وَأَنْسِيَتْ قِصَّةَ يَوْسُفَ الصَّدِيقِ . وَلَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ إِلَّا
مُسَاوَمَةَ مَوْلَاهُ فِيهِ ، وَاسْتَطْلَعَ طَلْعُ^٥ الثَّمَنِ لِأَوْفِيهِ ؛ وَكُنْتُ أَحْسِبُ
أَنَّهُ سَيَنْظُرُ شَرْرًا إِلَيَّ ، وَيُغْلِي السِّيمَةَ^٦ عَلَيَّ ، فَمَا حَلَقْتُ إِلَى حَيْثُ حَلَقْتُ^٧ ،
وَلَا اعْتَلَقْتُ^٨ بِمَا بِهِ اعْتَلَقْتُ ، بَلْ قَالَ : « إِنَّ الْغُلَامَ ، إِذَا نَزَرَ ثَمَنَهُ ،
وَنَحَفَتْ مَوْلَاهُ ، تَبَرَّكَ بِهِ مَوْلَاهُ ، وَالتَّحَفَ^٩ عَلَيْهِ هَوَاهُ ، وَإِنِّي لِأَوْثِرُ
تَحْيِبَ هَذَا الْغُلَامِ إِلَيْكَ ، بَأْنٍ أَنْحَقَّ ثَمَنُهُ عَلَيْكَ ، فَرِنْ مَائِثَتِي
دِرْهَمٍ إِنْ شِيتَ ، وَاشْكُرْ لِي مَا حَيَّيْتُ . » فَتَنَقَّدْتُهُ الْمَبْلَغَ فِي الْحَالِ ،
كَمَا يُنْقَدُ فِي الرَّخِصِ الْحَلَالِ ، وَلَمْ يَخْطُرْ لِي بِيْسَالٍ ، أَنْ كُلَّ مُرْخَصٍ
غَالٍ . فَلَمَّا تَحَقَّقَتِ الصَّفَقَةُ^{١٠} ، وَحَقَّتِ^{١١} الْفُرْقَةُ ، هَمَلْتُ عَيْنَا الْغُلَامِ ،

١ ألفض رأسه : حركه مستهزئاً متعجباً .

٢ أصنح : استمع .

٣ ربا ، أنه حر لا يجوز بيعه ، ودعا نفسه يوسف إشارة إلى يوسف الصديق الذي باعه إخوته ، وهو حر ٦٧ يباع .

٤ سرى : أذهب . عتبي : أي لومي له .

٥ شددت . دهشت وشغلت .

٦ استطلع طلح الشيء : طلب معرفته .

٧ السيمة : المساءة في البيع .

٨ خلق الطائر : أطلع في طيرانه واستدار كالحلقة ؛ والمعنى هنا أنه لم يرتفع بفكره إلى حيث ارتفعت .

٩ اعتلق : بمعنى ارتبك .

١٠ التحف : أي التمل .

١١ الصفقة : أي البهية .

١٢ حقت : وجب .

وَلَا هُمْ مَوْلَى دَمْعِ الْغَمَامِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى صَاحِبِهِ وَقَالَ :

لِحَاكَ اللَّهُ ١ هَلْ مِثْلِي يُبَاعُ ، لَكَيْمًا تَشْبَعَ الْكَرْشُ الْجِيَاعُ ١١٢
وَهَلْ فِي شِرْعَةِ الْإِنْصَافِ أَنْتِي أَكَلَفُ خُطَّةٍ لَا تُسْتَطَاعُ ١١٣
وَأَنْ أُبَلِّى بِرَوْعٍ بَعْدَ رَوْعٍ ، وَمِثْلِي حِينَ يُبَلِّى لَا يُرَاعُ ١١٤
أَمَّا جَرَّبْتَنِي ، فَخَبَّرْتَ مِنِّي نَصَائِحَ لَمْ يُمَازِجْهَا خِدَاعُ ١١٥
وَكَمْ أَرَصَدْتَنِي شُرَكَاءَ لَصِيدٍ ، فَعُدْتُ ، وَفِي حَبَائِلِي السَّبَاعُ ١١٦
وَنُطْتُ بِي الْمَصَاعِبَ ، فَاسْتَقَادَتْ مُطَاوِعَةً ، وَكَانَ بِهَا امْتِنَاعُ ١١٧
وَأَيُّ كَرِهَةٍ لَمْ أَهْلِ فِيهَا ، وَغُنْمٌ لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ بَاعُ ١١٨
وَمَا أَبَدْتُ لِي الْأَيَّامُ جُرْمًا ، فَبُكِّشَفَ فِي مُصَارَمَتِي الْقِنَاعُ ١١٩
وَلَمْ تَعُشُرْ ، بِحَمْدِ اللَّهِ ، مِنِّي عَلَى عَيْبٍ يُكْتَمُ أَوْ يُدَاعُ ١٢٠
فَأَنْتِي سَاغَ عِنْدَكَ نَبْدُ عَهْدِي كَمَا نَبَدْتُ بُرَايَتَهَا الصَّنَاعُ ١٢١

عَلَى أَنْتِي سَنَأْنَشِيدُ عِنْدَ بَيْعِي : أَضَاعُونِي ، وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا ١

.....

- ١ يقال لحاء الله : أي قبحه ولعنه . الكرش : الذي الخلف والظلف بمنزلة المدة للإنسان ، ويكنى بها عن عيال الرجل وصغار أولاده ، وهو المراد هنا .
- ٢ الشريعة : الشريعة . الخطئة : الأمر .
- ٣ الروع : الفرع .
- ٤ نطت بي : علق بي . استقادت : اقتادت .
- ٥ الكريهة : أي النازلة المكروهة . لم أهل فيها : أي لم أحسن مقاومتها ودفعها .
- ٦ مصارمتي : مقاطعتي . يكشف القناع : أي يجاهر .
- ٧ فأنتي : فكيف . ساغ : جاز وسهل ولا . البراية : ما يطرح من الشيء الذي يصنع ، لأنه لا ينتفع به ؛ وقوله برايتها : ارجع الضمير إلى متأخر . الصناع : المرأة الحاذقة في الصنعة .

قالَ : فَلَمَّا وَعَى الشَّيْخُ أَبْيَاتَهُ ، وَعَقَلَ^١ مُنَاغَاتَهُ^٢ ، تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ ،
وَبَكَى حَتَّى أَبْكَى الْبُعْدَاءَ . ثُمَّ قَالَ لِي : « إِنِّي أَحِلُّ هَذَا الْغُلَامَ مَحَلَّ^٣
وَلَدِي ، وَلَا أُمَيِّزُهُ عَنْ أَفْلَازِ كَبِيدِي ؛ وَلَوْلَا خُلُوءُ مُرَاحِي^٤ ، وَخُبُوءُ
مِصْبَاحِي^٥ ، لَمَّا دَرَجَ عَنْ عُشِّي ، إِلَى أَنْ يُشَبِّعَ نَعْشِي . »

* * *

ثُمَّ قَالَ لَهُ : « اسْتَوْدِعْكَ مَنْ هُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى » ؛ وَشَمَرَ ذَيْلَهُ
وَوَلَّى . فَلَبِثَ الْغُلَامُ فِي زَفِيرٍ وَعَوِيلٍ ، رَيْثَمَا يَقْطَعُ مَدَى مِيلٍ . فَلَمَّا
اسْتَفَاقَ ، وَكَفَّكَفَ دَمْعَهُ الْمُهْرَاقَ ؛ قَالَ : « أَتَدْرِي لِمَ أَعَوَّلْتُ^٦ ،
وَعَلَّامَ عَوَّلْتُ ؟ » فَقُلْتُ : « أَظُنُّ فِرَاقَ مَوْلَاكَ ، هُوَ الَّذِي أَبْكَاكَ . »
فَقَالَ : « إِنَّكَ لَفِي وَادٍ وَأَنَا فِي وَادٍ ، وَاسْكُمُ بَيْنَ مُرِيدٍ وَمُرَادٍ . » ثُمَّ
أَنْشَدَ :

لَمْ أَبْكِ ، وَاللَّهِ ، عَلَى الْغَيْ نَزَحَ ، وَلَا عَلَى فَوْتِ نَعِيمٍ وَفَرَحَ
وَلَانَمَا مَدَمَعُ أَجْفَانِي سَفَحَ عَلَى غَيْبِي^٧ ، لَحِظُهُ حِينَ طَمَحَ
وَرَطَهُ ، حَتَّى تَعْنَى ، وَافْتَضَحَ ، وَضَبَعَ الْمُنْقُوشَةَ الْبَيْضَ الْوَضَحَ^٨
وَيْكَ^٩ ! أَمَا نَاجَيْتُكَ هَاتِيكَ الْمَلَحَ ، بِأَنْتِي حُرٌّ وَبَيْنِي لَمْ يُبْعَ^{١٠} ؟
إِذْ كَانَ فِي يَوْسُفَ مَعْنَى قَدْ وَضَحَ

- ١ عقل : أدرك .
- ٢ مناغاته : أي كلامه ، وأصله من ناغى الطفل : كلمه بما يمجبه ويسره .
- ٣ مراحي : مسكني .
- ٤ الخبوء : الخبوء ؛ ويريد بخبوء مصباحه شيخولخته وضعفه .
- ٥ أي أنه ظل يبكي مدة يعتمد بها صاحبه الشيخ مقدار ميل .
- ٦ ورطه : أوقعه في ورطة ، وهي الأمر الذي يصعب الخلاص منه . تعنى : تعب . المنقوشة : يريد بها الدراهم . البيض الوضح : أي النقية البيضاء .
- ٧ ويك : وي كلمة تعجب أو زجر ، والكاف حرف خطاب . الملح : الكلمات المستملحة ، ويريد بها الشعر الذي تعرف به إليه .

قال : فَتَمَسَّلْتُ مَقَالَهُ فِي مِرْآةِ الْمُدَاعِبِ ، وَمَعَرَّضِ الْمَلَاعِبِ .
فَتَصَلَّبَ تَصَلَّبَ الْحَقِّ ، وَتَبَرَّأَ مِنْ طِينَةِ الرَّقِّ . فَجَلُّنَا فِي مُخَاصَمَةٍ ،
اتَّصَلْتُ بِمَلَكَمَةٍ ، وَأَفْضَتُ إِلَى مُحَاكَمَةٍ . فَلَمَّا أَوْضَحْنَا لِلْقَاضِي الصُّورَةَ ،
وَتَلَوْنَا عَلَيْهِ السُّورَةَ^١ ، قَالَ : « أَلَا إِنَّ مَنْ أَنْدَرَ ، فَقَدْ أَعْدَرَ^٢ ، وَمَنْ
حَدَرَ ، كَمَنْ بَشَرَ ، وَمَنْ بَصَرَ^٣ ، فَمَا قَصَرَ . وَإِنْ فِيمَا شَرَحْتُمَاهُ
لَدَلِيلًا عَلَى أَنَّ هَذَا الْغُلَامَ قَدْ نَبَّهَكَ فَمَا ارْعَوَيْتَ ، وَنَصَحَ لَكَ فَمَا
وَعَيْتَ . فَاسْتُرْ دَاءَ بَلَكِهِ وَاكْتُمُهُ ، وَلَمْ نَفْسَكَ وَلَا تَلْمُهُ ، وَحَدَارِ
مِنْ اعْتِلَاقِهِ^٤ ، وَالطَّمَعِ فِي اسْتِرْفَاقِهِ ؛ فَإِنَّهُ حُرٌّ الْأَدِيمِ^٥ ، غَيْرُ مُعَرَّضٍ
لِلتَّقْوِيمِ^٦ . وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ أَحْضَرَهُ أَمْسٍ ، قُبَيْلَ أَفُولِ الشَّمْسِ ،
وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ فَرَعُهُ الَّذِي أَنْشَأَهُ ، وَأَنْ لَا وَارِثَ لَهُ سِوَاهُ . »
فَقُلْتُ لِلْقَاضِي : « أَوْتَعْرِفُ أَبَاهُ ؟ أَخْزَاهُ اللَّهُ^٧ ! » فَقَالَ : « وَهَلْ
يُجْهَلُ أَبُو زَيْدٍ الَّذِي جُرْحُهُ جُبَارٌ^٨ ، وَعِنْدَ كُلِّ قَاضٍ لَهُ أَخْبَارٌ وَإِخْبَارٌ^٩ »
فَتَحَرَّقْتُ^{١٠} حِينَئِذٍ وَحَوَّلْتُ^{١١} ، وَأَفَقْتُ وَلَكِنْ حِينَ فَاتِ الْوَقْتِ .
وَأَيَقَنْتُ أَنَّ لَشَامَةَ^{١٢} كَانَ شَرَكَ مَكِيدَتِهِ ، وَبَيْتَ قَصِيدَتِهِ^{١٣} . فَتَكَسَّ
طَرَفِي مَا لَقَيْتُ ، وَآلَيْتُ^{١٤} أَنْ لَا أَعْمِلَ مَلْثَمًا مَا بَقِيَتْ .

.....

- ١ السورة : يريد بها القصة .
- ٢ أعذر : صار معلوراً .
- ٣ بصر : عرف الأمر وأوضحه .
- ٤ اعتلّقه : إمساكه .
- ٥ الأديم : الجلد ، وهو هنا بمعنى الأصل .
- ٦ للتقويم : أي يجعل له قيمة في البيع .
- ٧ جبار : هدر لا قصاص فيه .
- ٨ إخبار بالكسر : إعلام .
- ٩ تحرقت : سحقت أنيابي حتى سمع لها صريف .
- ١٠ حولت : أي قلت لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .
- ١١ بيت قصيدته : أي أغرب حيله .
- ١٢ آليت : حلفت .

ابن الاثير

المثل السائر

ميزة الكتاب

وهتداني الله لا ابتداءً لشيءٍ لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلِي مُبْتَدِعَةً ، وَمَنْحِي
دَرَجَةَ الاجْتِهَادِ الَّتِي لَا تَكُونُ أَفْوَالُهَا تَابِعَةٌ وَإِنَّمَا هِيَ مُتَّبِعَةٌ . وَكُلُّ
ذَلِكَ يَظْهَرُ عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى كِتَابِي هَذَا وَعَلَى غَيْرِهِ مِنْ الْكُتُبِ .
وَقَدْ بَيَّنَّاهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَمَقَالَتَيْنِ ، فَاَلْمُقَدِّمَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى أَصُولِ
عِلْمِ الْبَيَانِ ، وَالْمَقَالَتَانِ تَشْتَمِلَانِ عَلَى فُرُوعِهِ : فَالْأُولَى فِي الصَّنَاعَةِ
اللِّغَوِيَّةِ ، وَالثَّانِيَّةُ فِي الصَّنَاعَةِ الْمُعْنَوِيَّةِ . وَلَا أَدْعِي ، فِيمَا أَلْفَيْتُهُ مِنْ
ذَلِكَ ، فَضِيلَةَ الْإِحْسَانِ ، وَلَا السَّلَامَةَ مِنْ سَلْقِ اللِّسَانِ ؛ فَإِنَّ الْفَاضِلَ
مَنْ تَعَدَّدَ سَقَطَاتُهُ ، وَتَحَصَّى غَلَطَاتُهُ .

وَيُسَيِّءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا ، لَا كَمَنْ هُوَ بَابْنِهِ وَبِشِعْرِهِ مَقْتُونٌ^٢

وَإِذَا تَرَكْتُ الْهَوَى قُلْتُ : إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ بَدِيعٌ فِي إِغْرَابِهِ ، وَلَيْسَ
لَهُ صَاحِبٌ فِي الْكُتُبِ فَيَقَالُ إِنَّهُ مِنْ أَخْدَانِهِ^٣ أَوْ مِنْ أَثْرَابِهِ^٤ ، مُقَرَّدٌ
بَيْنَ أَصْحَابِهِ . وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي أَتَيْتُ بِظَاهِرِ هَذَا الْعِلْمِ دُونَ خَافِيهِ ، وَحُمْتُ

١ سلق اللسان : أذيته ، أي النقد اللاذع .

٢ هذا البيت من قصيدة لأبي تمام في مدح الواثق .

٣ أخدانه : أصحابه .

٤ أثاربه : رفقاؤه من عصره .

حَوْلَ حِمَاهُ وَلَمْ أَقَعْ فِيهِ ، إِذْ الْغَرَضُ إِنَّمَا هُوَ الْحُصُولُ عَلَى تَعْلِيمِ الْكَلِمِ
الَّتِي بِهَا تُنْظَمُ الْعُقُودُ وَتُرَضَّعُ . وَتُخْلَبُ الْعُقُولُ فَتُخْدَعُ ، وَذَلِكَ شَيْءٌ
تُحِيلُ عَلَيْهِ الْخَوَاطِيرُ ، وَلَا تُنْطِقُ بِهِ الدِّفَاتِيرُ .

وَأَعْلَمُ ، أَيُّهَا النَّاطِرُ فِي كِتَابِي . أَنَّ مَدَارَ عِلْمِ الْبَيَانِ عَلَى حَاكِمٍ
الذَّوْقِ السَّلِيمِ . الَّذِي هُوَ أَنْفَعُ مِنْ ذَوْقِ التَّعْلِيمِ . وَهَذَا الْكِتَابُ ، وَلَئِنْ
كَانَ فِيمَا يُلْقِيهِ إِلَيْكَ أَسْتَاذًا . وَإِذَا سَأَلْتَ عَمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي فَتَاهِ قِيلَ لَكَ :
هَذَا ، فَإِنَّ الدَّرَبَةَ وَالْإِدْمَانَ أَجْدَى عَلَيْكَ نَفْعًا ، وَأَهْدَى بَصَرًا وَسَمْعًا ،
وَهُمَا يُرِيَانِكَ الْخَبَرَ عَيَانًا ، وَيَجْعَلَانِ عُسْرَكَ مِنَ الْقَوْلِ إِمْكَانًا ، وَكُلَّ
جَارِحَةٍ مِنْكَ قَلْبًا وَلِسَانًا^٢ . فَخُذْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ مَا أُعْطَاكَ ، وَاسْتَنْبِطْ
بِلَدِّمَالِكَ مَا أَخْطَاكَ^٣ . وَمَا مَثَلِي ، فِيمَا مَهْدَتْهُ^٤ لَكَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ ،
إِلَّا كَمَنْ طَبَعَ سَيْفًا وَوَضَعَهُ فِي يَمِينِكَ لثِقَاتِلَ بِهِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ
يَخْلُقَ لَكَ قَلْبًا ، فَإِنَّ حَمْلَ النَّصَالِ ، غَيْرُ مُبَاشَرَةِ الْقِتَالِ .

اللفظة المفردة

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ : إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ
حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ ، أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : كُلُّ الْأَلْفَاظِ حَسَنٌ ، وَالْوَاضِعُ
لَمْ يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا . وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلُهُ إِلَى أَنْ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ لَفْظَةِ الْغُصْنِ
وَلَفْظَةِ الْعُسْلُوجِ ، وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْمُدَامَةِ وَلَفْظَةِ الْإِسْفِنْطِ ، وَبَيْنَ لَفْظَةِ
السَّيْفِ وَلَفْظَةِ الْخَنْشَلِ ، وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْفَدَى وَكَسْرٍ ،
فَلَا يَتَّبِعُنِي أَنْ يُخَاطَبَ بِخَطَابٍ وَلَا يُجَاوَبَ بِجَوَابٍ ، بَلْ يُبْرَكُ وَشَأْنُهُ كَمَا
قِيلَ : اتْرُكُوا الْجَاهِلَ بِجَهْلِهِ ، وَلَوْ أَلْقَى الْجَعْرَ فِي رَحْلِهِ^٥ . وَمَا مِثَالُهُ ،

١ تحيل عليه الخواطر : أي تعقم لا تلد .

٢ قوله : كل جارحة قلباً ولساناً ، أي فيها الإدراك والفصاحة .

٣ ما أخطأك : أي ما فاتك .

٤ الجهر : البحر اليابس . رحله : منزله ، أو رحل ناقته .

في هذا المقام ، إلا كمن يُسوي بين صورة زنجية سوداء مظلمة
السواد شواء الخلق . ذات عين مُحمرّة ، وشفة غليظة كأنها كلوة^١ ،
وشعرٍ قَطَطاً كأنه زبيبة^٢ ؛ وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة^٣
ذات خدّ أسيل^٤ ، وطرفٍ كحيل ، ومتبسّم كأنما نُظِمَ من أقاح^٥ ،
وطرّة كأنها ليلٌ على صباح . فإذا كانَ إنسانٌ من سقَمِ النظرِ أن
يُسوي بين هذه الصورة وهذه ، فلا يبعدُ أن يكونَ به من سقَمِ
الفكرِ أن يسوي بين هذه الألفاظ وهذه ؛ ولا فرقَ بين النظرِ والسمعِ
في هذا المقام ؛ فإن هذا حاسةٌ وهذا حاسةٌ ، وقياسُ حاسةٍ على حاسةٍ مُناسبٌ .
فإن عائدَ مُعانِدٍ في هذا وقال : أغراضُ الناسِ مُختلفةٌ فيما يختارونه
من هذه الأشياءِ ؛ وقدَ يعشقُ الإنسانُ صورةَ الزنجية التي ذمّتها ،
ويُفضّلُها على صورةِ الرومية التي وصفّتها ؛ قلتُ في الجواب : نحنُ
لا نحكمُ على الشاذِّ النادرِ الخارجِ عن الاعتدالِ ، بل نحكمُ على
الكثيرِ الغالبِ ؛ وكذلك إذا رأينا شخصاً يحبُّ أكلَ الفَحْمِ مثلاً أو أكلَ
الخبصِ والترابِ ، ويختارُ ذلكَ على ملأَةِ الأطعمَةِ ، فهلْ نستجيدُ
هذه الشهوةَ أو نحكمُ عليه بأنه مريضٌ قد فسدتْ معدتهُ وهو
مُحتاجٌ إلى علاجٍ ومداواة ؟

ومن له أدنى بصيرةٌ يعلمُ أن الألفاظَ في الأذن نعمةٌ لذيذةٌ
كنعمةِ أوتارٍ ، وصوتاً مُكرراً كصوتِ حمارٍ ؛ وأن لها في الفم أيضاً حلاوةً
كحلاوةِ العسلِ ، ومَرارةً كمرارةِ الحنظلِ ؛ وهي على ذلك تجري
مجرى النعماتِ والطعومِ .

.....

١ شعر قَطَط : أي قصير جعد ك شعر الزوج .

٢ مشربة بحمرة : الذي في كُتب اللغة مشربة حمرة بدير تعدية .

٣ الأسيل : الخد اللين الطويل .

٤ أقاح : جمع أقحوان وهو نبت أصفر الزهر ، في وسطه وحواليه ورق أبيض تشبه به الاسنان في حسن
نظلمها وبياضها .

المنافرة بين الالفاظ

وهذا النوع لم يُحَقِّقْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ الْقَوْلَ فِيهِ ؛ وَغَايَةُ مَا يُقَالُ : إِنَّهُ يُنْتَبَغِي أَنْ لَا تَكُونِ الْأَلْفَاظُ نَافِرَةً عَنْ مَوَاضِعِهَا ، ثُمَّ يُكْتَفَى بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ وَلَا تَفْصِيلٍ ، حَتَّى إِنَّهُ قَدْ خُلِطَ هَذَا النَّوعُ بِالْمُعَاطَلَةِ ؛ وَكُلُّ مِنْهُمَا نَوْعٌ مُفْرَدٌ بِرَأْسِهِ ، لَهُ حَقِيقَةٌ نَخْصُهُ ، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اشْتَبَهَا عَلَى عُلَمَاءِ الْبَيَانِ ، فَكَيِّفَ عَلَى جَاهِلٍ لَا يَعْلَمُ . وَقَدْ بَيَّنَّتْ هَذَا النَّوعَ وَفَصَّلَتْهُ عَنْ الْمُعَاطَلَةِ ، وَضَرَبَتْ لَهُ أَمْثِلَةً يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى اخْتَوَاتِهَا وَمَا يَتَجَرَّى مَجْرَاهَا .

وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ أَنْ مَدَارَ سَبْكِ الْأَلْفَاظِ عَلَى هَذَا النَّوعِ وَالَّذِي قَبْلَهُ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ الْمَذْكُورَةِ ؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ أَصْلًا سَبْكِ الْأَلْفَاظِ ، وَمَا عَدَاهُمَا فَرَعٌ عَلَيْهِمَا . وَإِذَا لَمْ يَكُنِ النَّائِرُ أَوْ النَّاطِمُ عَارِفًا بِهِمَا ، فَإِنَّ مَقَاتِلَهُ تَبْدُو كَثِيرًا .

وَحَقِيقَةُ هَذَا النَّوعِ الَّذِي هُوَ الْمُنَافَرَةُ أَنْ يُذَكَّرَ لَفْظٌ أَوْ الْأَلْفَاظُ بِكَوْنِ غَيْرِهَا ، مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهَا ، أَوَّلَى بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعَاطَلَةِ أَنَّ الْمُعَاطَلَةَ هِيَ التَّرَاكُوبُ وَالتَّدَاخُلُ إِمَّا فِي الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي الْمَعَانِي ، عَلَى مَا أَشْرَفْتُ إِلَيْهِ . وَهَذَا النَّوعُ لَا تَرَاكُوبَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ إِبْرَادُ الْأَلْفَاظِ غَيْرِ لَائِقَةٍ بِمَوَاضِعِهَا الَّذِي تَرِدُ فِيهِ ؛ وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَالْآخَرُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ . فَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ فَإِنَّهُ إِذَا وَرَدَ فِي الْكَلَامِ ، أَمْكَنَ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهُ ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ نَشْرًا أَوْ نَظْمًا . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ فِي الشَّعْرِ بَلْ يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي النَّشْرِ خَاصَّةً ؛ لِأَنَّهُ يُعَسَّرُ فِي الشَّعْرِ مِنْ أَجْلِ الْوِزْنِ .

١ مقالته : أي مواضع الصفح فيه .

فَمِمَّا جَاءَ مِنْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

فَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِيلٌ ، وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرَمُ

فَلَفْظَةُ حَالِيلٌ نَافِرَةٌ عَنْ مَوَاضِعِهَا ، وَكَانَتْ لَهُ مُتَدَوِّحَةٌ عَنْهَا ،

لأنَّهُ لَوْ اسْتَعْمَلَ عِيَوْضاً عَنْهَا لَفْظَةُ نَاقِضٌ فَقَالَ :

فَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ نَاقِضٌ ، وَلَا يُنْقَضُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرَمُ

لَجَاءَتِ اللَّفْظَةُ قَارَةً فِي مَكَانِهَا غَيْرَ فَلَفْظَةُ وَلَا نَافِرَةٌ .

وَبَلَّغَنِي عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمُعَرِّي أَنَّهُ كَانَ يَتَعَصَّبُ لِأَبِي

الطَّيِّبِ . حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُسَمِّيهِ الشَّاعِرَ وَيُسَمِّي غَيْرَهُ مِنْ الشُّعْرَاءِ

بِاسْمِهِ . وَكَانَ يَقُولُ : لَيْسَ فِي شِعْرِهِ لَفْظَةُ يُمَكِّنُ أَنْ يَقُومَ عَنْهَا

مَا هُوَ فِي مَعْنَاهَا فَيَجِيءَ حَسَنًا مِثْلَهَا . فَيَا لَيْتَ شِعْرِي ، أَمَا وَقَفَ عَلَى هَذَا

الْبَيْتِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ ؟ لَكِنَّ الْهَوَى . كَمَا يُقَالُ ، أَعْمَى ، وَكَانَ أَبُو الْعَلَاءِ

أَعْمَى الْعَيْنِ خِلْفَةً ، وَأَعْمَاهَا عَصَبِيَّةٌ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ الْعَمَى مِنْ جِهَتَيْنِ .

وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ الَّتِي هِيَ حَالِيلٌ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا قَبِيحَةٌ الْإِسْتِعْمَالِ ،

وَهِيَ فَلَكَ الْإِدْغَامُ فِي الْفِعْلِ الثَّلَاثِي ، وَنَقْلُهُ إِلَى اسْمِ الْفَاعِلِ ، وَعَلَى هَذَا

فَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ : بَلَّ الثُّوبَ فَهُوَ بِالِيلٌ ، وَلَا سَلَّ السَّيْفَ فَهُوَ سَالِيلٌ ،

وَلَا أَنْ يُقَالَ : هَمَّ بِالْأَمْرِ فَهُوَ هَامِمٌ . وَلَا خَطَّ الْكِتَابَ فَهُوَ خَاطِيطٌ ،

وَلَا حَنَّ إِلَى كَذَا فَهُوَ حَانِنٌ . وَهَذَا لَوْ عَرِضَ عَلَى مَنْ لَا ذَوْقَ لَهُ

لَأُدْرِكَهُ وَفَهِمَهُ ، فَكَيْفَ مَنْ لَهُ ذَوْقٌ صَحِيحٌ كَأَبِي الطَّيِّبِ ! لَكِنْ

لَا بُدَّ لِكُلِّ جَوَادٍ مِنْ كِتْبَةِ .

١ المندوحة : المتسع من الشيء .

أبو تمام والبحري والمتنبى

وَقَدْ اكْتَفَيْتُ فِي هَذَا بِشِعْرِ أَبِي تَمَامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ ، وَأَبِي عُبَادَةَ الْوَلِيدِ ، وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّىِّ ، وَهَوَلَاءِ الثَّلَاثَةِ هُمْ لَاتُ الشَّعْرِ وَعَزَاهُ وَمَنَاتُهُ^١ ، الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَمُسْتَحْسَنَاتُهُ . وَقَدْ حَوَتْ أَشْعَارُهُمْ غَرَابَةَ الْمُحَدِّثِينَ إِلَى فَصَاحَةِ الْقُدَمَاءِ ، وَجَمَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ .

أَمَّا أَبُو تَمَامٍ فَإِنَّهُ رَبَّ مَعَانٍ وَصَيَّقَلَ^٢ الْأَلْبَابَ^٣ وَأَذْهَانَ ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَكِرٍ . لَمْ يَمْشِ فِيهِ عَلَى أَثَرٍ ، فَهُوَ غَيْرُ مُدَافِعٍ عَنِ مَقَامِ الْإِغْرَابِ ، الَّذِي بَرَزَ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ . وَلَقَدْ مَارَسَتْ مِنْ الشَّعْرِ كُلِّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ ، وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُ فِيهِ إِلَّا عَنْ تَنْقِيبٍ وَتَنْقِيرٍ ، فَمَنْ حَقِظَ شِعْرَ الرَّجُلِ ، وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ ، وَرَاضَ فِكْرَهُ بِرَأْنِضِهِ^٤ ، أَطَاعَتْهُ أَعْيُنُهُ الْكَلَامِ ، وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْ حُدَامٌ^٥ . فَخُذْ مِنِّي فِي ذَلِكَ قَوْلَ حَكِيمٍ ، وَتَعَلَّمْ ، فَتَفُوقَ كَلَّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ .

وَأَمَّا أَبُو عُبَادَةَ الْبُحْتَرِيُّ فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِي سَبْكِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى ، وَأَرَادَ أَنْ يَشْعُرَ فَعَنَّى ، وَلَقَدْ حَازَ طَرَفِي الرِّقَّةَ وَالْجَزَالَ^٦ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، فَبَيْنَا يَكُونُ فِي شُظُفٍ نَجْدٍ^٧ إِذْ تَشَبَّثَ بِرَيْفِ الْعِرَاقِ^٨ . وَسُئِلَ أَبُو

١ اللات : الصخرة التي كانت تعبدها ثقيف في الطائف ، ولها بيت يعرف ببيت الربة . العزى : هي أعظم الأصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها ويهدون لها ، ويتقربون عندها بالذبح ، وقد بني عليها بيت . مناة : أقدم الأصنام ، وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بنده بين مكة والمدينة . وكانت العرب جميعاً تعظمه ، ولا سيما الأوس والخزرج . والمراد هنا أن هؤلاء الشعراء الثلاثة هم أرباب الشعر المفضلون .

٢ الصيقل : الذي يشحذ السيوف ويحلوها . الألباب : العقول

٣ برأضه : الضمير يعود على شعر الرجل ، والرأض اسم فاعل من راضه رياضة : ذلله وحمله طبعاً .

٤ حدام : علم لامرأة ، مبني على الكسر ، يضرب بها المثل في صدق القول ، قيل إنها زرقاء اليمامة .

٥ الجزالة : متانة الألفاظ وبعدها من الركاقة .

٦ شظف نجد : أي في خشونة شعراء نجد وشدتهم .

٧ الريف : الأرض التي فيها زرع وخصب . وقوله في ريف العراق : أي في رقة شعراء العراق ولينهم .

الطيب المتنبّي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه ، فقال : أنا وأبو تمام
حكيمان ، والشاعر البحتري . ولعمري إنه أنصف في حكمه ،
وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ؛ فإن أبا عبادة أتى في شعره
بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء^١ ، في اللفظ المصوغ من سلاسة
الماء ، فأدرك بذلك بُعد المرام ، مع قربه إلى الأفهام . وما أقول إلا أنه
أتى في معانيه بأخلاق الغالية^٢ ، ورفق في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالمية .
وأما أبو الطيب المتنبّي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام ،
فقصرت عنه خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ؛ لكونه
حظي في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف مواقف
القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متاثماً^٣ ، ولا منه متلثماً ، وذلك
أنه إذا خاض في وصف معركة ، كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع
من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفرّيقين
قد تقابلا ، والسلاحين قد تَوَاصلا . فطريقه في ذلك تزيل بسالكة^٤ ،
وتقوم بعدد تاركه . ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف
الدولة بن حمدان فيصف لسانه ما أدّى إليه عيانه . ومع هذا فلنني
رأيت الناس عادلين فيه عن سنن التوسط ؛ فإما مفرط في وصفه ،
وإما مفرط^٥ . وهو وإن انفرّد بطريق صار أبا عدريه^٦ ، فإن سعادة
الرجل كانت أكبر من شعره . وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ،
ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء .

- ١ الصماء : الصخرة الصلبة المصمتة . والمراد بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء : الذي فيه قوة ولا يبلغ إليه إلا بكد وعناء .
- ٢ الغالية : أخلاق من الطيب . والمراد أن معانيه كأخلاق الغالية في طيبها وحسن ائتلاف أنواعها .
- ٣ متاثماً : تائباً ؛ والمراد أنه غير راجع عن قوله .
- ٤ بسالكة : الضمير يعود على في ذلك ، أي في ذلك الوصف .
- ٥ المفرط : نقيض المفرط .
- ٦ أبا عدريه : أي مبتكره ، وأول من شقه .

فهرست

العصر العباسي الأول

بشار بن برد

٧	الهجاء
١٣	المدح
١٧	الغزل
٢٢	الفخر والحماسة
٢٥	أراؤه وعقائده

أبو العتاهية

٢٨	الزهد والحكم
----	--------------

أبو نواس

٣٢	الخمر
٣٨	الغزل
٤١	المدح
٤٨	الهجاء
٥١	الفردية
٥٣	الزهديات

أبو تمام

٥٥	المدح
٦٧	الرياء
٧٢	أغراض مختلفة

دعبل

٧٦	الهجاء
٨٤	المدح
٨٥	الرياء
٩٠	أغراض مختلفة

ابن المقفع

٩٢	كيفية ودعة
١١٢	الأدب الصغير
١١٦	الأدب الكبير

العصر العباسي الثاني

البحري

١٢٥	المدح
١٣٤	الرياء
١٣٥	أغراض مختلفة

ابن الرومي

١٤٤	المدح
١٥٤	الهجاء
١٦٠	الرياء
١٦٢	الغزل

أبو العلاء المعري

٢٧٠	الحياة والموت
٢٧٨	رسالة العفران

بديع الزمان الهمذاني

٢٨٨	رسائله
٢٩٤	مقاماته

أبو الفرج الاصبهاني

٣١٤	كتاب الأغاني
-----	--------------

العصر العباسي الرابع

الحريوي

٣٣٥	المقامات
-----	----------

ابن الاثير

٣٥٢	المثل السائر
-----	--------------

١٦٤	الوصف
١٧٠	أغراض مختلفة

الجاحظ

١٧٤	كتاب الحيوان
١٨٩	كتاب البخله
٢٠٣	البيان والتبيين

العصر العباسي الثالث

المتنبي

٢١٥	المدح
٢٢٤	الرياء
٢٢٨	الهجاء
٢٣٢	الفخر
٢٣٩	الشكوى

أبو فراس

٢٤١	الروميات
٢٥٩	أغراض مختلفة

الشريف الرضي

٢٦٢	الفخر
-----	-------

